القدّيس شربـــل
من معاصريه إلى عصرنا

إعداد **الأب حنّا اسكندر**

منشورات سيّدة القلعة- منجز- عكّار
تلفون: 06/855351
web: **www. saint-charbel.com**
&www. menjez.com
e-mail: phskandar@hotmail.com

لبنان – 2009

شربل... مجنون بالله

شربل مجنون بالله! نعم! لأنّه سمع كلام المسيح وعاشه بحرفيّته... فالمسيح قال: إنّ من كان أبوه وأمّه وإخوته وأخواته أحبّ إليه منّي، لا يستحقّ أن يكون لي تلميذا... ولذلك اعتبر شربل أنّ المسيح هو حبيبه فانجذب إليه وأصبح مجنونا به... حتّى النهاية... ليتنا نأخذ كلام المسيح مأخذ الجدّ في حياتنا... فتتغيّر حياتنا جذريّا نحو الأفضل ونساهم هكذا في تحسين حياة مجتمعنا كي يعيش أبناؤه القيم الأخلاقيّة والروحيّة المسيحيّة بحرفيّتها ودقّتها ونساهم هكذا في بناء مجتمع أفضل ويبقى الله هدفنا الوحيد.

في 2007/5/1 المطران جورج بو جوده
رئيس أساقفة أبرشيّة طرابلس المارونيّة

مقدّمة

هذا الكتاب هو طبعة شعبيّة، أي بدون حواشٍ لتسهيل الاستيعاب للقارئ. وقد ذكرت إسم الشاهد فقط عندما يشهد بالمتكلّم. ومن يريد التعرّف إلى مصدر المعلومات عليه إمّا قراءة كتاب **القدّيس شربل ...كما شهد معاصروه**، شربليّات-7، الموجود في المكتبات، وإمّا الحصول عليه من موقعنا على الانترنيت -**www.saint-charbel.com**. وقد أبقينا بعض الشروحات لتوضيح أو لشرح بعض أمور يلزمها ذلك.

عيد مار شربل في 2009\7\19 دير سيّدة القلعة- منجز- عكّار الأب حنّا اسكندر

الفصل الأوّل: أوّل المشوار

أوّلا: يوسف زعرور: في بقاعكفرا

1- عائلة مقدّسة

أبوه أنطون زعرور مخلوف "أبو حنّا" من بقاعكفرا، وأمّه بريجيتا الياس يعقوب الشدياق من بشرّي. له شقيقان: حنّا وبشارة، وشقيقتان: كونة ووردة. وهو أصغر إخوته. واسم الأب شربل الأصليّ هو يوسف، وقد بدّله بشربل عند دخوله الرهبانيّة. وكان أبوه فلاّحا بسيطا كعموم أبناء بلدته، يعيش من زراعة أملاكه، وأمّه تهتمّ بشؤون البيت، وكانا من الأتقياء الصالحين. وقد اهتمّ الوالدان بتربية أولادهما تربية مسحيّة حقيقيّة.

2- موت الوالد بالسخرة

إنّ عمّال الأمير بشير شهاب في ذلك الوقت كانوا يُسخِّرون من عندهم دوابّ لنقل محاصيل الأمير من جميع أصناف الحبوب إلى بيت الدين. ففي موسم سنة 1832 كان أنطون زعرور يملك دابّة وكان يعمل عليها في جهات مجدليّا (بلدة بين زغرتا وطرابلس) فحُجِز معها للسخرة ونقل عليها غلّة من مجدليّا إلى جبيل لتُرسَل منها إلى بيت الدين. وفي عودته من جبيل إلى بقاعكفرا، وصل إلى غرفين، فمرض ومات ودفن فيها، في اليوم الثامن في شهر آب. واهتمّت أرملته بالأولاد يساعدها في ذلك أخوه طنّوس زعرور.

3- ولادة شربل وعماده

تمّ ترميم بيت جدّ القدّيس شربل، لوالدته بريجيتا، الذي ولد فيه، في الخالديّة، وأصبح كنيسة. ويقال: كانت بريجيتا تأتي وعائلتها ومعهم بقر للشتاء في الخالديّة هربا من البرد والفقر. وكانت تساعد أهلها في قطاف الزيتون، وتبقى حوالي 4 أشهر. وولد هناك يوسف في شتاء 1833، بعد وفاة الوالد بشهور[1]. وقد تعمّد في كنيسة سيّدة الخالديّة القديمة، أو في سيّدة كنيسة بقاعكفرا. ونظريّة أخرى: ولد في 8 أيّار عام 1828.

4- زواج الوالدة

تزوّجت بريجيتا لحّود بن جرجس ابراهيم في شهر تشرين الأول سنة 1833. وانتقلت بريجيتا معه، نحو شليفا وبتدعي حيث يملك أراضي. وحوالي العام 1850، سيم لحّود كاهنا، ودعي باسم الخوري عبدالأحد. لكنّه لم يخدم في بقاعكفرا، بل في بلاد بعلبك، وكانت وفاته حوالي 1853.

5- يتم الأمّ ووصاية العمّ

عاش يوسف يتيما عند عمّه طنّوس، وربّاه مع إخوته، إذ بقي الأولاد، بعد زواج والدتهم، في بيت والدهم، وكانت أمّهم تطلّ عليهم من حين إلى آخر. وكانوا هم يهتمّون ببعضهم البعض، ويشرف عليهم عمّهم طنّوس، وأقاربهم الأدنون.

6- مدرسة دير مار حوشب

تعلّم يوسف أصول القراءة والكتابة، وفقا لعوائد تلك الأيّام، على يد كهنة الضيعة، في دير مار حوشب، مدرسة القرية في تلك الأيّام. وكان يحمل كتاب صلاة دائما بيده. وكانت أطباعه حسنة ومحبّا لإخوته. وكبر يوسف، ونما بالعمر والعلم والتقوى والصلاح. وكان مثالا حيّا بالقول والعمل، بين أولاد قريته. كان كثير الصلاة، كثير الإعترافات والمناولات.

7- ضحك أمام الكارثة

كان يوسف فطنا ذكيّا له عدّة فكاهات، لا بل كان يميل إلى الفكاهة أحيانا، وفكاهته هي ضمن الآداب طبعا. ففي يوم الإثنين 1842/10/12[2]، أمطرت السماء، مطرا غزيرا عقبه طوفان فانصبّت المياه على الشاغورة، وهي تخصّ بشرّي، قريبة من أرز الربّ. فوصف ذلك بهذه الزجليّة، وقد قالها إذ كان يتعلّم القراءة والكتابة، في مدرسة القرية مع رفاقه الأولاد:

حومَيْلة (تصغير حامولة) تمّ المزراب[3] هالنِزْلت عا شـــــــــــــــاغورة [...]

العرب (بدو رعاة غنم) عا ضهر القضيب قـــالوا: فـــــرج الله قـــريـــــــــب
هيدي هـــــــي فرصـــــة للديب بياخد غنمي وقـــــــــرقـــــــــورة

---

[1] وذلك لثلاثة أسباب:
- لا تزال الأم فتيّة، فقد أنجبت بعد زواجها الثاني: طنّوس في 8 أيلول 1834... ونوح في 3 تموز 1837.
- يوسف هو الولد الأخير، من زواجها الأوّل، والأرجح أن تكون أمّه حاملا به عند وفاة الوالد.
- يجب أن يحمل الراهب معه حين دخوله الرهبانيّة شهادة تثبت ميلاده وعماده وتثبيته، لذا يكون تدوين رزنامة عنّايا (عمره 20 سنة 1853) هو الأقرب للمنطق.

[2] وصف الشاهد العياني سليم خيرالله الطوفة في طرابلس: الساعة الثالثة بعد الظهر فاض نهر أبو علي، وعلا الماء فوق الجسر، ووصل لباب الحديد، وعَدَم كامل السويقة والمسلخ وسوق الحراج والملاحة، ووصل لمحل حارة النصارى بزخم قوي جدّا. وعلا فوق الأسواق فوق الدكاكين حتّى لا عاد يظهر. وفي محلاّت بلغ الماء السقف. وبعض محلاّت، على الهز هدمها بأصحابها وكامل ما بها. كذلك جاب أبقار وخيل وحمير وجمال كثيرة، ودلب وحور: كل شجرة قد حارة كبيرة. وغرق رجال ونساء وأولاد بالأسواق وماتوا. وتقريبا ثلث البلد خربت. راح كامل ما هو موجود بمحلاّت المتقاربة للماء من أثاث ونحاس وفرش ولحف ومونة وصيغة ودراهم: شي يبلغ 3000كيس (الكيس 500قرش) هذا من داخل البلد. والذي خارج البلد من بساتين وجنينيات وطواحين: شي ينوف عن 2000كيس. وأخذ من نسا ورجال وأولاد. ومات ما يقرب 100امرأة من الرعب، هذا الأمر غريب بأيامنا. وعلا فوق جسر الماء لقامة. وكل ذلك حكم نصف ساعة. ولولا الله ما تدارك الخلق كانت هلكت الناس بالماء. ولكن لحد الساعة الرابعة بعد الظهر همد النهر ورجع لأصله. والماء الذي إجا كمثل ماء الطين أسود تقيل جدا. وعناية المولى لطف بالخلق. فلو استقام الفيضة بزيادة ربع ساعة راحت تلتين البلد. ولو كانت بالليل كان الأمر كذلك. ولكن المولى قدر ولطف بالخلق، ولولا قدرة الله أعاننا لكانت أنفسنا هلكت مع بقيّة الناس. ولله الحمد على كل حال الآن وإلى أبد الدهور آمين. ولمّا انجزرت المياه، استقدم الباشا غوّاصين استخرجوا تلك الأرزاق الراسبة في الماء، وربح مالا كثيرا.

[3] تمّ المزراب وضهر القضيب قمّتان من جبل المكمل، أعلى جبال لبنان، بعلو حوالي 3080م عن سطح البحر.

بشرانيّـــــة بالأَوّل (في بداية الطوفة)
هـــــــي غيمـــــة ما بتطوّل

قالـــوا: قوموا تا نْحَوّل (تفضّل أدخل البيت)
هيدي غيمـــــــي عـــابـــورة

لمّـــن وصلـــت لبشـــرّي
هـــاتوا مجـــارف تـــا نْسَرّي

العالم صارت مِنْحَرّي (مضطربين ومهموكين)
ونسدّلنا تـــاغـــــورة (ثغر سبّبته المياه)

طوفـــــة جرفـــت الوادي
العالـــــم تصـــــرخ وتنادي

ومـــــــا خَلِّـت حيط هـــــادي
يـــا أللّه شـــو هـــالصـــــورة

لمّـــن وصلت عـــا حـــدشيت
حيطـــانـــا راحـت تـهـبـيط

إخـــــــدت عِـــزّ وأكبـــر صيت
هـــدمـــــت أكبـــر معمـــورا

وصلـــــت لـــوادي قنّوبيـــن
وصـــاروا العـــالم بهتانيـــن

تـــقـــدف عـــا شمـــال ويـمـيـــن
وتـــخبّـوا بـــالـــوكـــــورة

وصلـــــت لـــوادي الفراديس
حـمـلـــوا صـــورة الـقـدّيس

صـــار عنـــدا قـــوّة وتـحـمـــيس
وقـــالـــوا: نـجّـيـنـا يـا هـالصورة

بقرقاشيّـــــة هـــــالغـــزلان
يـوســف حـنّا هـالبـوسنـان

كلّهم غابوا عا سليمان (عريضة أضاعوه)
طـــمّ فـعـــالـــو (خروجه) بـالجـــورة

بـالجـورة طـمّ فـعـــالـــو
جـا تـــا يـنـفـضـلـو ديـالـو

ونـده عـا سـركـيـس خـــالـــــو
كـــان يـخـزقـلـــو الـتـنّورة (العباءة)

كـمـــا ولاد بـــقـــاعـكـفرا
لـــمّـــن نـويـو عـا السفـرا

قـلـبـت خـلـقـتـهـم صـفـــرا
دارو المركب (المركوب الحيواني) شختورة

متاعين (أهالي) حصرون وبزعون
قوموا تا نُقَشِّر سيكون (نقطع أغصان رفيعة)

مـــن هـــالحامـــولـــي فـــزعـــون
تـــا نـســدّلـنـا عـابـــــورة

وصـــــــلت للحدد وقـنـات
صَـــــــوَّلو مـــن التوتات

واحـد مـــــن الشـركـــا مـــات
عند بساين حنطورا (دير السيدة- حماطورة)

ومتـــاعين طاحـــــون شحلا
فـيـــهـــا برّاك (الطحّان) سْتَحْلا[4]

صحابـــــا مـــــن الفـــزع رحلوا
مـــــن فـــزعـو تـــلاّ الجـــورة

ومـتـــاعـيـن طـاحون البلاط
جـيـبـولـنـا وحـل وشطاط

وصـحـابـا قـامـــوا العـيـــاط
تـــا نـطـيِّـن هـا الـكـسـورا

لـمّن وصلـت للجـورة
أكـبـر شجرة بهـاك الأرض

يـا لـطـيـف شـو هـالصـورة
حـمـلـتـــهـا لأرض الكـــورة

وصلـت عـا طـورزا بقوّة
يـــا عالم شـو مـنسوّي

أشجـــارا صـــارت تـلـــوي
مـــا شـفـنـا مـتل هـالصـورة

وصـلـت عـا راسكيفا
الأرض قـامت بـتحريـفا

الـنـاس حـيـاتـــا تـــعـيـفـا
فـتـحـتـلا مـيّـة جـــورة

[4] كلمة غير واضحة، بمعنى أنّه كان مستهزئا بالطوفة فانهار من الخوف.

لـــمّـن وصلت عا كـسبا اشـتـــدّت وقـــوي عـصـبـــا
قـــبـعـتـــلا كلّ نـصـبا بـــــهالقـــــوّة المـشـــهـــورة

لـمّـن وصلـت لبصـرما حـامـولـة ونـفـسـا عـــــرمـا
ما خلِّت جرَّه قرما (مكسورة الأذنين) ولا مـصفايـــة ولا دورة (جرّة صغيرة)

لـمّـن وصلت لكفـرقاهل[5] شـعـبـا كـافـر وبـيـسـتـاهـل
أكـبـر حيط صار زاحل مـــا بـقـالـو اشـايـر صـــورة

لـمّـــن وصلت لضهر العين صـــارت تـجـرف عـالـميلين
قالوا جانا غراب البين(النحس والتعاسة) الدعـــوة صـــارت مـحـصـورا

لمّن وصلت لبو علي (طرابلس) كـل مـالـو الـمـوج عـلـي
فـي نـاس سكنـو بالبلي وبـيـوتـن صـارت مـهـجـورة

لـمّـن وصلـت للـمينا اشـتـدّت وقـــوي عـنـيـنا
تـقـدف عـا شمالا ويمينا وضربـــــة الله مـظـهـورا

البحـر صـفّا مـعكـور ومـــوجـــو يـعـلا عـالفصول
لـو تـبـقـى مـدّي وتطول مـــا بـقـي ولا شختـورة

8- "قلعة القدّيس" والبقرة

كان يتعاطى حراثة أملاك والده، وكان يبتعد عن معاشرة الناس والإختلاط بهم، لا ليصلّي فقط، بل لتجنُّب أحاديثهم البطّالة، ويحبّ الإنزواء والعزلة. يُسرِّح بقرته، التي ورثها عن أبيه، في المرعى ويجلس قبالتها في مكان يُسمّى "قلعة البحيص" من أملاك أهله، فيها صخرة، شبه مغارة، وكتاب الصلاة في يده. ولكثرة تردّده إلى هذا المكان، وانفراده فيه، أطلق عليه الأهالي إسم "قلعة القدّيس". وعندما كانت هذه البقرة تشبع، كان يرقدها قائلا لها: **يا زهرة نامي الآن راح دورك وإجا دوري. أنا بدّي إقرأ صلاتي**. وكان يصلّي وقت قيلولة بقرته، لا يكفّ عنها عندما تنهض للمرعى بل يقول لها: **لا تقومي هلّق، انتظري إلى أن أكون كمّلت الصلاة، لأن ما فيني حاكيكي وحاكي الله: الله أبدى منِك**. وكان يبقى مدّة طويلة مستغرقا بالصلاة. وما سُمِع عنه قطّ أنّه ترك بقرته تخرّب رزق أحد.

9- "القدّيس" والمغارة

كان يركع نصبا في الكنيسة، لا يلتفت إلى هنا وهناك. كان يصلّي منفردا، ويذهب إلى مغارة، ينصرف فيها إلى الصلاة، الأمر الذي كان يستدعي تعجّب وأحيانا سخرية رفاقه منه. وهذه المغارة تدعى إلى الآن مغارة القدّيس، تقع جنوبيّ بقاعكفرا، كانت ملك عائلته، كان يأوي إليها غالبا، حاملا حفنة من البخّور، واضعا فيها، صورة العذراء، وباقة زهر، ولفرط تقواه وميله إلى الصلاة، وحضور القدّاس وحفلات الطقوس العموميّة، وتميّزه عنهم بحسن السلوك والتقوى، دعاه أولاد الضيعة "القدّيس"، إستهزاء به في بادئ الأمر، وقد تَمَّم الله قولهم وجعله قدّيسا.

10- مآسٍ

في عمر يقارب الست سنوات توفّيت "والدته الثانية" زوجة عمّة طنّوس مربّيه، في 9 أيلول سنة 1839. كما في عمر يقارب السبع سنوات اندلعت الثورة الشعبيّة ضدّ المصريّين وقتل اثنان على الأقل من بقاعكفرا على يد عسكر ابراهيم باشا صيف 1840. وفي عمر ال14 سنة انتشر مرض الكوليرا المعدي وسقط واحد على الأقل من بقاعكفرا ودفن خارج القرية في 10 ت2 1847. وفي أجواء هذه المآسي، والميتات الطبيعيّة، نظّم يوسف شعرا يصف الواقع، سيّما موت الشباب، قتلا وإمّا بسبب المرض، وينتقل منه إلى التأمّل في الأبديّة:

سكابا ويا دمُوعِ العين سكابا شمسِ العمر وَلّتْ عا الغيابا

جاني الموت غَمَّضْلي جْفوني وأَهلِ البيتْ ما عادوا طاقوني

[5] أهلها من الأمراء السابقين أو من نسل الأمراء... كانوا من الظالمين... تنام عندهم العروس قبل أن تذهب إلى بيت زوجها.

دعيوا الكهنة حتّى يْجَنْزوني ويرشّوا عا جسمي التُرابا

يا خـاطي بِالبْحور غارق شبه خيال عا هالدني ومارق
جاك الموت علَى البـاب طارق شــو نـفعتك عِشْـرِةِ الشبـابـا

11- أفراح: زيجات مبكرة

كانت الزيجات المبكرة أمرا عاديّا في المجتمع القديم، فكان شربل يقارب ال12 سنة، حين تزوّجت أخته كونة في 19 أذار سنة 1845بعمر يقارب ال15 سنة، وفي أقل من شهرين تزوّج أخوه حنّا في 3 أيّار سنة 1845بعمر يقارب ال16سنة، الذي رزق بطفلة في آخر أذار سنة 1846.

ثانيا: شربل الراهب

1- خالا القدّيس شربل

وكان للأب شربل خالان، هما يوسف وأنطونيوس، ولدا الياس الشدياق. وكانا ذكرين وحيدين لوالدهما. فذهبا وترهّبا في الرهبنة اللبنانيّة، ودعي الأوّل: الأب أغوسطين، والثاني: الأب دانيال، البشرّاويّين اللذين استحبسا. والأب دانيال كان الأصغر عمرا، ولكنّه ترهّب أوّلا قبل أخيه، لأنّ أخاه الأكبر لبث في بيت والده، ليعتني بوالده الشيخ، ولا يتركه في عجزه، إذ لم يكن له من يخدمه ويعوله سواه. ولمّا رقد بالربّ ذلك الوالد، لحق بأخيه الأصغر، فأكمل واجبين مقدّسين. وكان كلاهما حبيسين فاضلين. فصدق المثل في الأب شربل: الولد لو مال ثلثاه على الخال.

ولد هذان الأبوان في بلدتهما بشرّي أو في الخالديّة "المشتى". أبرز دانيال نذوره في 2/9/ 1838، سيم كاهنا في 1841/6/20. عايش القدّيس شربل، في ديري ميفوق وكفيفان. وكان مرشدا **للقدّيس نعمةالله الحرديني**. وأبرز أغوسطين نذوره في 1841/7/1، سيم كاهنا في1847/3/23، وبقي في دير قزحيّا، انتقل بعدها إلى دير سيّدة ميفوق.

وانتقل الأبوان الأخوان إلى دير قزحيّا، وبقيا راهبين في الدير إلى ما بعد 1874/11/2. واستحبس دانيال في محبسة مار بولا- غبتا، التابعة لدير قزحيّا، قبل 8 شباط 1875، وعلى أخيه أغوسطين أن يلحق به. وتوفّيا حبيسين: الأب أغوسطين **الحبيس**، في 1 ت2 1884، مسلّحا بكامل الأسرار. وكان سبب موته داء الإستسقاء. ومات ميتة صالحة؛ والأب دانيال **الحبيس**، في 23 أذار 1895، وسبب موته، عجز طبيعيّ. ومات مسلّحا، بكامل الأسرار، وكان فضيلا وانتقل إلى ربّه وهو يقول : رغبتي أن أنحلّ لأكون مع المسيح.

2- نحو الرهبنة ...في دير قزحيّا

بقي شربل في القرية حتّى سنّ الثامنة عشرة. ولم يكن يميل إلى اللهو، ولا إلى معاشرة الشباب، بل كان دائما يحبّ العزلة والإنفراد والصلاة. وكان يذهب مع أخيه حنّا، لزيارة خاليه. وحضر الأب دانيال يوما، إلى بقاعكفرا، ولمّا أراد الرجوع إلى دير قزحيّا طلب من حنّا أنطون زعرور أن يكون برفقته شقيقه يوسف. فقال له حنّا: "يا خالي قلبي ناقزني، أنا خايف إنّو يوسف يجي لعندكم وما بيعود يرجع ويبقى في الدير" فأجابه دانيال: "انشاالله يروح عالرهبنة شو في بالعالم!" فرافق يوسف خاله إلى دير قزحيّا.

3- في دير ميفوق: إتبعني (مر 14/2)

وبعد رجوعه إلى بقاعكفرا بثمانية أيّام، توجّه للترهّب، برفقة الأب دانيال، في دير سيّدة ميفوق، حيث كان يسكن خاله وقتئذ، فابتدأ فيه يوسف، وسمّي **شربل** في 8 آب سنة 1851، بعد أن مكث في ثيابه العلمانيّة ثمانية أيّام، ليرتدي بعدها الثوب الرهبانيّ، ويلزمه أن يدخل بالروح ويترك الجسد برّا. ويعلم مُتيقِّنا أنّه ترك أبوين جسديّين، وسلّم نفسه لأبوين روحيّين (الرئيس ومعلّم المبتدئين). ومدّة الإبتداء، كان قائما بواجباته على أكمل وجه، وكان مسرورا جدّا بدعوته، ومثالا للمحافظة على قوانين الرهبانيّة ونظمها، وقدوة في الطاعة للرؤساء، والمحبّة لرفاقه.

4- إسم شربل

شربل إسم سرياني مركّب من شَرْب= قصّة أو حكاية أو خبر، وإيل= الله. فيصبح إسم شربل قصّة أو حكاية أو خبر الله. وهذا الإسم حمله شهيد سرياني كان أسقف الرها (تركيا اليوم) واستشهد مصلوبا عام 121. وحمله أيضا رهبان كثر من الرهبانيّة. ويوجد في بقوفا القريبة من بغلة بشري، آثار كنيسة مار شربل. والمعروف إلى اليوم أنّ عائلة الشدياق، عائلة والدة شربل، تملك قسما من أراضي بغلة بشرّي القريب من بقوفا، وقد يكون تردّد شربل إلى أراضي جدّه لأمّه في بغلة بشري وتعرّف على القدّيس شربل هناك، وصلّى لصاحب المقام.

5- لم يلتفت إلى الوراء (لو 62/9)

لحقه عمّه أوّلا طنّوس مربّيه، ثمّ والدته، ثمّ شقيقاه حنّا وبشارة، ليمنعوه عن الرهبانيّة ويردّوه إلى البيت، فما رجع معهم. وذهبت بريجيتا هي وسلفها طنّوس زعرور إلى دير ميفوق، لإرجاع ابنها يوسف إلى الضيعة، وكان مبتدئا هناك. فأخذت تترقّب خروج المبتدئين من الدير إلى الحقل لترى ابنها. وإذ لمحته بينهم ركضت ومسكته بثوبه قائلة له، وهو مطرق ببصره إلى الأرض: إرجع معي إلى البيت. فغافلها وأفلت منها ولحق إخوته. وجملة المرار التي قصدته فيها والدته وعمّه طنّوس ليرجعاه إلى بقاعكفرا نحو 12 مرّة. وفي ميفوق دعاه الناس: روح قدس، فكان ينكش بالمعدور وراء الفلاّح، وعيناه في الأرض. لا يلتفت إلى أحد، ولا يكلّم أحدا.

6- لا تحزني على يوسف (لو 28/23)

لمّا خاب أمل بريجيتا، ويئست من ترك ابنها يوسف الدير ورجوعه إلى بقاعكفرا، حزنت حزنا عظيما ظهرت دلائله على وجهها. ولم يخفَ حزنها عن أهل القرية. وكانت دائما تَهْدس بابنها يوسف. وعندما توفّيت ابنتها وردة، قال لها أهل القرية: لا تشدّي الحزن على يوسف، جرّبك الله بموت بنتك وهيي صبيّة! إذ توفّيت وردة في 22 تشرين الثاني، سنة 1851 مُتزوِّدة بالأسرار المقدَّسة.

7- وردة ...التقيّة

كانت تُدمِن الصلاة، تقيّة جدّا، وتركع منتصبة، وهي رافعة ذراعيها وتتلو المسبحة الورديّة، وكان قد خطبها طنّوس حنّا الخيسي. وكان في جيب وردة سبحة ورديّة طويلة، فكان مَن يراها مِن الأهالي تصلّي يقول: إنّك مطوّلة ها المسبحة، فمتى تزوّجت، هل تدعك حماتك تصلّي فيها؟ فأجابت: لعلّي أموت قبل أن أدخل بيتها. وقد تمّ قولها بالفعل، لأنّها ماتت عذراء مخطوبة. وكانت تردّد هذا الكلام دائما: يا ربّي تقرّب الخير، وتبعد الشرّ. إذا كان زواجي لا يرضيك فإنّي أفضّل الموت قبل زواجي! وشاع أنّ أنطون بطرس زعرور إبن عمّها شاهد حمامة خارجة من نافذة البيت، ساعة وفاتها. وكانت عندما يأتي خطّيبها لزيارتها، وهي راكعة مصليّة مبسوطة الذراعين، تقول لإبنة أخيها حنّا: قفي ورائي واحجبي بيني وبين خطّيبي ببسط ذراعيك مثلي لأكمِّل صلاتي.

8- مغامرة مجنونة (متّى 18/8-9)

عمّم الأب العام ومجلس المدبّرين: "منع اختلاط الرهبان بالنساء لشيل دود القز، ولو خربت مداخيل الأديرة". وكانت العادة، في دير ميفوق، أن يذهب المبتدئون لتقشير قضبان التوت، ومرشقة الورق للقز، بينما كانت النساء والبنات ينصرفن من جهة ثانية، في البيت ذاته، لإطعام الدود. فحدث أنّ إحدى البنات، المشتغلات بالقز، وقد لاحظت حشمة الأب شربل، المتميّزة عن سواه، فأرادت أن تختبره. فرشقته بدودة قز، وهي على المطلع، ولمّا نزلت إلى الأرض، أخذت الدودة ووضعتها على يده. وإذا به يغادر الدير ليلا، إلى دير مار مارون عنّايا، المنفرد والبعيد عن العمران. ولذلك، ذكر في رزنامة دير ميفوق، مقابل إسم الأخ شربل، كلمة "**فشح**" دلالة على أنّه ترك الرهبنة. غير أنّه، بعد أن روى قصّته على رئيس دير مار مارون عنّايا، راجع هذا قدس الأب العام، بأمر الطالب، فأذن الرئيس العام بقبوله في دير عنّايا، تتميما لسنة ابتدائه الثانية.

وقد ساء أخوه حنّا أن يُقال عنه "فشح". ولكنّه عرف بعدئذ، أنّ السبب الحقيقي لتركه ميفوق، كان رغبته في الإنقطاع التام عن الناس، لأنّ دير عنّايا أبعد عن العالم. وكان الأب افرام بقاعكفرا، أحد أبناء بلدته، وقتئذ في دير مار مارون عنّايا.

9- كلام الحياة عندك (يو 68/6)

وإثر هذا الخبر أسرعت بريجيتا لتعيده إلى بقاعكفرا، فبينما كان خارجا مع المبتدئين في دير مار مارون إلى الحقل، وكان معهم مبتدئا، فأسرعت إليه وتمسّكت بعباءته ملحّة عليه لترجعه معها إلى البيت. ولمّا رأته متمسّكا بدعوته قالت له: إمّا أنّك تثبت في الرهبانيّة وتطلع راهب مليح، وإمّا إرجع معي إلى البيت من الآن، فأجابها شربل: **وهو عند قولك**.

10- حملي خفيف (متّى 30/11)

وبعد انتهاء الابتداء، نذر شربل ولبس الاسكيم الملائكيّ من يد رئيس دير عنّايا، الأب أنطونيوس الباني في1 ت2 1853، وكان له من العمر عشرون سنة. والنذور كانت تبرز مرّة واحدة، وإحتفاليّة.

11- نرى بعضنا في السماء (مر 3/31-35)

ذهبت بريجيتا من جديد لأفتقاد ابنها في دير عنّايا، وكان قد لبس الإسكيم، وطلبت مواجهته بإلحاح فما واجهها، بل كلّمها بعض كلمات قليلة من داخل، وهي في الخارج بدون أن تراه ويراها، فقالت له: أهكذا تحرمني شوفتك يا ابني؟ معاتبة ومتعجّبة من تصرّفه هذا. أجابها: **إن لم أَرَكِ الآن، فسوف نرى بعضنا في السماء.** فعادت حزينة باكية.

وقد فعل ذلك شربل تنفيذا لقانون المبتدئ: فلا يتكلّم مع غير الرهبان من أهله وغيرهم... وإذا كان من جنس النساء، فيعمل جهده عند الرئيس وغيره بألاّ يلزمه بمواجهتهنّ. وإذا أُلزِم بذلك فليحرص ألاّ ينظر وجوههنّ. وليكن كلامه قليلا جدّا معهنّ... وتنفيذا للقانون الرهباني: ليعتزل الراهب عن النساء حتّى الأهلين[6].

12- أنا أريحكم (متّى 28/11)

كان محافظا على نذوره وواجباته أشدّ المحافظة، وما عمل شيئا في حياته يؤاخذ عليه، ولو طفيفا. وكانت أعماله ومشيته ومنظره ممتازة، تلقي الهيبة والخشوع، ولا دبّ فيه الفتور في آخر أيّام حياته، بل كانت كلّها، على ازدياد في الصلاح، وحرارة التقوى. لقد مارس الأب شربل مجموع الفضائل بطريقة تفوق عامة الناس والرهبان، كما تبعد السماء عن الأرض، وبثبات واستمرار دون أي ضعف أو وهن، وبسرعة وبطيبة خاطر؛ فلم يبقَ له فكر إلاّ ليفتكر في الله، ولا لسان إلاّ ليتكلّم عن الله، ولا صوت إلاّ ليبارك الله. فكان راهبا يُضرَب به المثل بحفظ القانون وإتمام الواجب، حتّى إذا طلب من أحد عمل ما صعب أو عسير، يجيب الطالب: أتظنّني الأب شربل حتّى تطالبني بكلّ هذا؟ أنا لا أقدر أن أعيش مثل الأب شربل، أو أعمل مثله. وكان العلمانيّون عندما يرون الأب شربل في تلك الحالة، من ركوع دائم على الأرض، وسكوت متواصل، وصلاة غير منقطعة، وخشوع في القدّاس، وشغل شاقّ مثل أحقر الأجراء، وحقارة في اللبس، وعدم اهتمام في أمر من أمور الدنيا، كانوا يقولون هنيئا له! هذا الراهب يعيش مثل القدّيسين والحبساء القدماء الذين نقرأ عنهم في السنكسار. ويشهد بطرس موسى بتأثّر: **كان إيماننا يتقوّى، ونلوم أنفسنا على تعلّقنا في هذه الدنيا الزائلة.**

13- الحبيس أليشاع... مرشد وأستاذ شربل

لقد اكتشف الأب الحبيس أليشاع "القدّيس" موهبة شربل، من يوم تعرّف إليه مبتدئا، في دير عنّايا... عندما تردّد شربل على أليشاع في المحبسة، ليكون مرشده في بداية حياته الرهبانيّة... وبعد نذور شربل، تقرّر إبقاءه أخا عاملا، إذ بقي شربل في عنّايا 3 سنوات. واستفاد أليشاع من وجود شربل بقربه، وبمبادرة شخصيّة، وفي الآحاد والأعياد، فأعطاه دروسا لغويّة ولاهوتيّة. وبعد أن عيّنت روما السلطة الرهبانيّة، في العام 1856، ومن بينها **القدّيس نعمةالله الحرديني** مدبّرا عامّا، طلب أليشاع، من أخيه، إرسال شربل إلى دير كفيفان ليتعلّم ويصبح كاهنا، فرأى فيه بالروح كاهنا قدّيسا.

14- شربل ...تلميذ القدّيس نعمةالله الحرديني

فأرسله رؤساؤه إلى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان، يتلقّى فيها العلوم اللازمة للكاهن. وكان يدير شؤون تلك المدرسة يومئذ، رجل الصلاح والعلم، الأب نعمةالله الكفري. فكان الأخ شربل بوجوده في ذلك المحيط الجامع العلم والقداسة، قد وجد ضالّته المنشودة. فنال بفضل جدّه وكدّه، نصيبا وافرا من علم اللاهوت الأدبيّ والنظريّ، مع أصول اللغة السريانيّة والعربيّة، ونصيبا آخر أوفر من الفضائل الرهبانيّة والكمالات المسيحيّة. وعند تغيّب الكفري من الدير كان يحلّ محلّه في التدريس **القدّيس نعمةالله الحرديني**.

كان من أحسن وأمهر التلاميذ، ذكيّا مجتهدا، بارعا في اللاهوت الأدبيّ، وممتازا في دروسه اللاهوتيّة. وكان شديد الذكاء، ومتفوّقا بعلومه ومعارفه اللاهوتيّة. وكان رؤساؤه ومعلّموه راضين عنه جدّا، ويثنون على فضائله، وعلى سلوكه الرهبانيّ الكامل، فما استحق أيّ قصاص أو عقاب، وكان مثالا للجميع، يركع على البلاط، في محلّ واحد، ولم يكن في الكنيسة بنوك ومساجد، وكان ركوعه يدلّ على تمام الخشوع، وباقي التلاميذ يتخشّعون لرؤيته، ودفعهم لتسميته قدّيسا. و**الحرديني** قال: **عندي تلميذ قدّيس، هو الأخ شربل بقاعكفرا**. وقد حضر شربل وفاة الحرديني في 1858/12/14.

15- والدة تقيّة

وإنّ بعض نساء بقاعكفرا كُنَّ يشتغلن بغزل "شرانق الموّاتي" لعمل القمصان. فكانت بريجيتا والدة الأب شربل، عندما تسمع قرع جرس صلاة المساء، السبت مساء الأحد، تترك المغزل من يدها وتحضر الصلاة، ولا تعود إليه إلاّ في يوم الإثنين. ومن عادتها أن تصوم كلّ يوم إلى الظهر. وثابرت على هذه الحالة إلى آخر حياتها.

---

[6] ويوضح قرألي مؤسّس رهبانيّة شربل: **ومعروف هو عند الكلّ، أنّ كثيرا من الآباء النسّاك أحزنوا والداتهم** وأقاربهم لمّا لم يسمحوا لهم بمخاطبتهم، ولا أيضا بالنظر إليهم، فضلا عن مخالطتهم ومعاشرتهم، كما هو مشهور من سيرة الأب القدّيس سمعان العامودي، والأب بيمين وإخوته، وغيرهم بلا عدد.

وكانت تنقطع عن تناول كلّ زفر لأنّها نذرت أن تفعل ذلك، وكانت تذهب إلى دير مار سركيس في بشرّي للرهبان الكرمليّين من حين إلى حين، وتعترف هناك عند أحد آباء الدير. فأخبرته مرّة عن نذرها هذا أن تصوم وتنقطع عن الزفر حياتها كلّها، فسمح لها مرشدها بالصوم، ومنعها عن التقيّد بالقطاعة جميع أيّام السنة قائلا لها: إنّك تضطرين أن تذوقي الطعام المزفّر الذي تطبخينه لعيلتك. ولا يمكنك أن تعدّي طبختين. فعليك إذا أن تأكلي من أكلة العيلة. وعوضا عن السماح لك بأكل الزفر، صلّي كلّ يوم خمس أبيات بالمسبحة.

16- ليَخدُم لا ليُخدَم (مر 45/10)

بعد نجاح شربل في دروسه، سيم كاهنا في 23 تموز سنة 1859، من يد سيادة المطران يوسف المريض. وأتت وردة، إبنة حنّا شقيق الأب شربل، مع فريق من أقاربه، لتهنئته بارتقائه درجة الكهنوت وطلبوا إليه بإلحاح، للذهاب إلى مسقط رأسه، لإقامة قدّاس هناك، فأجاب: **إنّ الراهب الذي يأتي إلى الدير ثم يرجع إلى قريته يتوجّب عند رجوعه إلى الدير أن يبتدئ من جديد**. وبالحقيقة أنّه منذ أن غادر بقاعكفرا قاصدا الرهبانيّة ما عاد إليها أبدا.

17- في دير مار يعقوب الحصن

أُرسِل إلى دير مار يعقوب الحصن بلاد البترون، حيث قضى مدّة، منقطعا إلى النسك والتقشّف والصلاة. وفي 1859/10/30انتَخَب شربل، الأخ يوحنّا بقاعكفرا، وكيلا لدير مار يعقوب الحصن، ليحضر المجمع العام. وما طال بضعة أشهر، إذ عاد أليشاع يطلبه من جديد، لينمّي مواهبه ويسهر عليه، ويتمتّع برفقته.

18- في دير عنّايا

بنت الرهبانيّة، عام 1820، بعض القلالي وكنيسة صغيرة[7] في موقع الحارة حيث كان البيدر. وسنة 1828، تقرّر بناء دير عنّايا، لكن عمليّا: في 8 أيّار سنة 1839 كان ابتداء بناء البير والأقبية والكنيسة[8]، وفي 20 ت1 سنة 1841 كان الإنتهاء؛ بالرغم من أضرار عسكر ابراهيم باشا ومرض الجدري ومقاومة المتاولة[9]. ونُقِل شربل إلى عنّايا، بأمر الطاعة، ووُجِد اسمه في دير عنّايا، في المجامع الديريّة لإنتخاب وكلاء الأديار لعام 1868 و1871 و1874. وكان يعمل مع المبتدئين، بين الأعوام 1869و1874؛ وبين 1895 و1898.

19- أعجوبة 1865

زحف الجراد سنة 1865 على منطقة البترون ولم تتحرَّك الحكومة لمكافحته، وحاول الرهبان جاهدين لطرده، فلم يفلحوا. فأمر الأب روكس المشمشاني رئيس الدير الأب شربل أن يصلّي على الماء، ويرشّ أراضي الدير، منعا للجراد من إتلاف المزروعات والأشجار. فكان يسير في الأرض ويرشّ ويخاطب الجراد قائلا: **كُل يا مبارك من البرّي لا من الجوّي**. وبذلك وقّى الله مزروعات الدير وتوتها من أضرار الجراد.

ثالثا: شربل الحبيس

1- تأسيس محبسة شربل

إنّه بتاريخ 1798 أخذ أولاد بو رميا بطرس وإخوانه من إهمج الأرض المسمّاة المروج من مشايخ بني ملحم بموجب حجّة من الشيخ حسن ملحم وأعطاهم دير التجلّي، الكائن على طور طابور، والمتاولة يكنّوه النبي راس، وأعطوا المحلاّت لأخيهم يوسف[10]، وساعدوه مع أهل القرية لبناء الكنيسة على إسم الرسولين بطرس وبولس. ويوسف ترك العالم ولبس إسكيم رهبنة العبّاد من البطرك يوحنّا الحلو، وترهَّب عنده داود بعد 4سنوات وسيم كاهنا. إنتسبا إلى الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، وأوهبا الأرض إليها إبتداء من العام 1814، ومعهم أيضا من قرية إهمج الأخ مخايل والأب سمعان. وجُعِل دير مار بطرس وبولس محبسة سنة 1828.

2- وصف المحبسة

---

[7] ويوضح شبلي: نقل الرهبان إلى بيت عنايا الذي سكنه الرهبان مؤقتا.

[8] عمّر الأقبية والكنيسة بتمامهم الأخ عبدالله الخباز (المعروف بالحجّار) أمّا عمار غرف الممشى الشمالي على الصفّين مع غرفتين لجهة البحر، الأب العام سابا العاقوري، وكمالة غرف البحري عمّرهم الأب روكس المشمشاني مع بضع قلاّيات لجهة الجنوب.

[9] توفّي 3 رهبان بمرض الجدري، وهم: أب عمانوئيل من قرطبا، في 15ت2 1841؛ وأخ جرمانوس من عمشيت، في 15 ك1 1841؛ وأخ صموئيل من تنّورين، في 8 ك2 1842؛ وقتل المتاولة أخ اسكندر من ترتج، في 23 أيلول 1842. وفي الموضوع نفسه من تعديات الحمادية المتاولة على دير قرطبا كتب رئيس دير قرطبا إلى البطرك: ومن حيث التحسّب من الذي تقدّم به الإعراض وهو أنّه حاصل لنا الإحتياج إلى الجابخانة تأمروا لنا كم رطل رصاص وبارود لأجل الإحتفاظ من أمر يأتي على غفلة.

[10] هو من أسّس رهبنة العبّاد، في دير التجلّي، قبل أن يتّفق مع الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، ويلتحق بها.

والمحبسة واقعة على قمّة، تعلو عن سطح البحر 1378م. هي طابق واحد أرضيّ، مؤلّفة من جناحين، شرقيّ وغربيّ. وكلّ جناح مؤلّف من 3 صوامع، وجميعها مسقوفة بالجذوع والأخشاب. والكنيسة، معقود سقفها بالحجارة، والمذبح بجانب الحائط الشرقيّ، مكرّس على إسم الرسولين بطرس وبولس، شفيعي المحبسة. أرض الكنيسة مفروشة بحجريّة بسيطة، وفي حائط الكنيسة الغربيّ، باب يدخل منه العوام من خارج المحبسة إلى الكنيسة، رأسا لسماع القدّاس.

ومن الممشى الذي يفصل الصوامع عن الكنيسة، ينتهي شرقا برواق مفتوح إلى الشمال بقنطرة. والمحبسة مسوَّرة بسور من حجر، يعلو من مترين إلى ثلاثة. وهي معرّضة للعواصف والصواعق، ندر وجود مثلها، قمّة مأهولة في لبنان لعلوّها.

3- حبيسُها الأوّل

أوّل حبيس دخل هذه المحبسة، من أبناء رهبانيّتنا، هو رجل الله الأب أليشاع الحرديني. ففي 29 تشرين الثاني سنة 1829، إستمدّ الإذن من الأب العام اغناطيوس بليبل. ودخل أوّلا إلى محبسة قزحيّا، ومكث فيها نحو سنة ونصف. ثمّ انتقل، بأمر الرؤساء، إلى محبسة مار مارون عنّايا. كان محبّا لعمل اليد فهو الذي بلّط المحبسة، وحمل بلاطها على ظهره من مكان بعيد. وهو الذي غرس الكرم، في شرقيّ المحبسة بعد أن قطع الأشجار، وأعدّ الأرض بقلبها وتنقيتها، إلى أن صلحت للغراس. وقد أجرى الله على يده معجزات.

4- رأي "أستاذا" شربل في الإستحباس

أثناء وجود القدّيس نعمةالله الحرديني في دير عنّايا (1847- 1850)، كان يزور أخاه الحبيس أليشاع، **ويشكو لديه أفكاره ويعترف له**، فكان أليشاع يلحّ عليه ويدعوه إلى دخول المحبسة ليكون وإيّاه في سلام وطمأنينة قائلا: الأوفق لك والأنسب، أن تترك الدير وتأتي إلى هذه المحبسة معي، حيث تقضي باقي عمرك بالهدوء والسكينة، بعيدا عن كلّ ضوضاء، وتصلّي براحة بال وصفا فكر، ونصرف حياتنا سويّة، فنعيش بأمان. فأجاب: **إنّ الذين يجاهدون في العيشة المشتركة، مع الجمهور فيها أجر كبير، وفضل أكبر، هناك الإحتمال والصبر وكسر الإرادة، واحتمال ضعف الضعفاء. وأنّ عيشة الإشتراك تعدّ عند آباء الروح مثل استشهاد دائم، إذ لا يسوغ للراهب أن يعمل ما يلائم ذوقه وطبعه وأخلاقه. بل عليه دائما أن يسهر لئلاّ يمسّ أو يكدّر إخوته. وعليه أن ينتبه كلّ الإنتباه إلى سيرته لئلاّ تشكّك بشيء ما إخوته. هذه هي واجبات الراهب. أمّا الحبيس يا أخي فهو وحده لا مجرّب من الخارج، يقضي أوقاته بصلاته وبإتقان هذا الكرم** –أي كرم المحبسة- **ويعيش على خاطره. أمّا في الدير فالراهب مأمور بأمر الطاعة. ثمّ في المحبسة ليس نكايات، أمّا مع الجمهور فهذا متوفّر**. لذا **يجب أن نعيش بين جمهور الإخوة في الأديار ونحتمل بصبر وثبات ما يلحقنا من الهزء والاحتقار، بها يزداد أجرنا، ونكفّر عن آثامنا، ونعمل بقول الربّ: "من يصبر إلى المنتهى يخلص"** (متّى 24\13)، **"وبصبركم تقتنون أنفسكم"** (**لو** 11\19) **ثمّ في الدير من مارس الفضيلة يكون قدوة لغيره. ومع ذلك أقول: لكلٍّ دعوته، وليس كلّ الناس سواء، فهذا للصلاة، وذاك للعيشة المشتركة. وأنا هذه دعوتي، وقد عانقتها من زمنٍ طويل.**

5- أوضاع الرهبانيّة قُبَيْل استحباس شربل

بعد مجمع عام 1832، الذي تدخّل فيه البطرك الماروني، وعيّن رجل الله الأب مبارك حليحل رئيسا عاما، بدأت في الرهبانيّة أحزاب، أنمت لاحقا قوميّة القرى. وبالرغم من الحفاظ بعض الشيء على الروح الرهبانيّ، فالقوميّة المناطقيّة تنامت... وبقيت أديرة جبيل والشمال مشتركة بين رهبان المقاطعتين إلى أن عُيِّن الأب افرام جعجع رئيسا عاما عام 1862.

6- سياسة الأب العام افرام جعجع

كان الأب العام من دعاة القوميّة المناطقيّة فأفرغ أديرة مقاطعة جبيل، تقريبا، من الرهبان الشماليّين وأسَّس دير مار سمعان القرن ومدرسة بان في الشمال. وهجر كرسيّ الرئاسة العامّة في دير طاميش، ليقيم أوقاتا كثيرة في دير قزحيّا ودير مار سمعان القرن.

7- دير عنّايا حتّى استحباس شربل

تسلّم مهام دير عنّايا، الرهبان الجبيليّون، لاسيّما المشامشة، وبدأوا يحجّمون الحبيس أليشاع الحرديني الذي كان شبه رئيس في محبسته، وكان إداريّا ناجحا. طرح اسمه البطرك الماروني كرئيس عام لسنة 1856 حلاً لمشكلة حزبي الرهبانيّة يومها كونه من أشهر الرهبان علما وفضيلة وإدارة. فتصرَّف في نذورات المحبسة، واشترى 50 قطعة أرض و7 وقفيّات بين العامي 1833 و1870، ما عدا الذي بيع بعد وفاته. وبعد العام 1870 تاريخ آخر حجّة اشتراها، حدث خلاف بينه وبين رئيس دير عنّايا الأب روكس المشمشانيّ، وبعده الأب عبد المسيح يسانده الأبوان روكس وأنطون مشمش؛ فأرسلوا أناسا أردياء ضربوا الأخ عبدالله البانيّ خادمه وجرحوه، أدّى إلى تدخّل الأب العام جعجع، تنازل بموجبه الحبيس عن إدارة الأراضي. لكنّ "الرهبان" يريدون كلّ شيء، فأتى "الأب أنطون مشمش وشمط العَنْزات من الراعي". فكتب الحبيس إلى البطرك يستنجده بأحشاء المسيح.

8- أليشاع يطلب شربل بجرأة القدّيسين

فرزت القوميّة المناطقيّة رهبان الرهبانيّة إلى 5 مجموعات كبيرة، تتألّف كلّ منها من مجموعات صغيرة رابطها القرابة الدمويّة وخاصة القوميّة[11] القرويّة والمصالح. ولكنّ الأب الحبيس أليشاع "القدّيس" كان يُحبّ رهبنته، ويؤسفه ما يجري فيها، ويعمل لمصلحة دير عنّايا والرهبانيّة، لذلك لم ينسحِب إلى الشمال، هربا من الاضطهاد، بل بالعكس، فقد طلب الأب شربل، من قدس الأب العام افرام جعجع، الذي كان يحترمه، لفضيلته وإدارته وهو أيضا شقيق "قدّيس كفيفان"، فكرّمه بأن أبقى له الأب شربل، ولم يأخذه إلى الشمال. وأيضا طلبه من رئيس الدير، الأب روكس المشمشاني الذي رفض في البدء؟! وقَبِل بعد آية السراج التي حدثت في تموز 1869. فلبّى حالا، ليَرِثَه رسميّا غداة وفاته ودفنه، ويكونا كونيَّين، وعَلَمَي قداسة.

9- ماء في السراج (متّى 25/1-13)

لمّا كان في الدير، في عهد رئاسة الأب روكس المشمشاني يزاول العمل في الحقل كأصغر الخدم. فليلة ما، وهو يحرس معز الدير، أيّام الحصاد، وكان مع الدير عونة حصّادين. وبعد عشاء الرهبان، والحصّادون على العشاء كانوا نحو 30 رجلا. والخدم مشغولون بخدمتهم على المائدة والكرارجي[12] مهتمّ بالقيام بواجب الحصّادين، طلب من الكرارجي أمام الجمهور على المائدة، وقت العشاء **أن يضع له زيتا في السراج**. فانتهره الكرارجي قائلا: لماذا لم تأتِ قبل الآن في النهار؟

- فأجابه: **كنتُ في الحقلة.**

- فقال له: قصاصا لك ، ما في زيت الليلة، رُح. فأطاع، وعاد إلى غرفته.

وكان الخدم قد وضعوا في طريقه بنكا بالعرض، ليسدّوا عليه الطريق، عثر به وسقط على الأرض، على أنّه لم يفه بكلمة تذمُّر أو شكوى. فلحق به سابا، وكان لا يتجاوز 13 سنة، وكان خادما في الدير آنذاك، وطلب السراج منه، بحجّة أنّه سيملأُه له زيتا، ولكنّه في الواقع، ملأ السراج ماء من تنكة الصفوة، وتوفيرا للزيت، قد أمر الرئيس الكرارجي بألاّ يعطي أحدا زيتا، والمنع صدر عن الرئيس للكرارجي شخصيّا، فأخذه الأب شربل وأضاءه، فأضاء. وكان الرئيس، بغياب شربل، قد أمر الرهبان أن لا يضيئوا غرفهم بعد قرع جرس النوم، فأفاق الرئيس في الليل بحاجة، ورأى النور، فخرج من غرفته وذهب إلى حيث الضوء، فإذا به في غرفة الأب شربل.

فقال له: أما سمعت الناقوس؟ لماذا لم تطفئ سراجك؟ ألست ناذرا الفقر؟ فجثا حالا على ركبتيه طالبا منه الغفران قائلا: **رجعت من الحقلة، وعليّ صلاة فوفيتها ولم أعلم بهذا المنع**. وكان سابا في خارج غرفة شربل وقريبا منها. وبينما يخرج الرئيس من غرفة الأب شربل، قال سابا للرئيس: إنّي حضرت لأملأ سراج الأب شربل، فرفض الكرارجي إعطائي، عندئذ تحوَّلتُ برجوعي على تنكة الصفوة، الموجودة خارجا، وملأتُ السراج منها. ففتح السراج، وأفرغ محتواه في وعاء، فتحقّق الرئيس أنّه ماء. عندئذ لم يُخفِ رئيس الدير تأثُّره على من كان حوله. وقد سرد لهم واقع الحال، وانتشر الخبر في الدير.

بعد هذه الحادثة، في صباح اليوم التالي، إستدعى الرئيس الأب شربل، وقال له: إذا أردت، خدمة الحبساء، فلا مانع من قبلي.

قال له الأب شربل: **بين رغبتي وأمر الرئيس فرق بعيد. فأنا ناذر. والناذر، لا يجوز له أن يتحرَّك بحسب إرادته، لأنّ إرادته لم تعد له. فإذا أمرتني حضرتك، طعت ورحت.**

---

[11] يقول القدّيس باسيليوس: ظلم أن يكون في الدير إخوة مرتبطون بالإتّفاق ربائع وثلاثة وإثنين إثنين، لأنّ الذي يحبّ واحدا أكثر من الباقين، فهو يظهر أنّ المحبّة الكاملة ليست فيه.

[12] من كرّ وهو كيل للحبوب، والكرار جمع الكُرّ مكان المونة، والكرارجي هو الراهب المسؤول عن مؤونة الدير.

فقال له الرئيس: إذهب. فركع الأب شربل أمام الرئيس **وطلب بركته**. فصلّى الرئيس عليه، وباركه. فقام شاكرا ومسرعا، فجمع كتبه الروحيّة، وكتب صلواته في قطعة البلاس: فراشه وغطاؤه وحزمها بمرسة صغيرة. وألقاها على ظهره. ومرّ بالكنيسة فزار القربان. وصعد إلى المحبسة.

10- لماذا المحبسة؟!

كان الأب شربل شديد الرغبة في الإعتزال عن العالم. وقد ظهرت رغبته في كونه لم يطلُب، عندما سيم قسّا، أن يعفوه من الأشغال اليدويّة، التي كان يزاولها قبل القسوسيّة. وبما أنّه وضع بأمر السلطة، لا بطلبه في هذا الدير المنفرد عن القرى في البريّة، كان يصنع ما يعمله أكثر الآباء. إذ كانوا ينصرفون بعد صلاة الخورس والتأمُّلات الروحيّة إلى الشغل في الحقل، مثلما كان يصنع الرهبان القدماء. وحيث إنّه في هذا الجيل الأخير، قلَّ أن اشتغل الآباء في الرهبانيّة بالحقل، نظرا لحاجة الرعايا إليهم، كان وجود الأب شربل في الدير والحقل، أمرا نادرا لقناعته بهذه الحالة. إنّ حبّه للصمت وهربه من معاشرة لا أهل العالم فقط بل الرهبان إخوانه، وتعشُّقه للفقر الكلّي أو لإماتاته الشاقّة الغريبة، جعل الرؤساء يجارون رغباته دون أن يطلب، ويتركونه في الدير لئلاّ يفقد شيئا من روحه السامي، إذا خُصِّص بخدمة الرعايا، لذلك أبقوه في الدير لكي يعطي المثل الصالح في الصلاة، والقدّاس، والشغل، والمحادثات اللاهوتيّة، وسماع الإعترافات للرجال أحيانا، **ثمّ أُرسِل إلى المحبسة إذ رأوه عائشا عيشة حبيس خارجا عنها**، وكانت حياته النسكيّة في المحبسة، تتمّة لحياته الرهبانيّة منذ الإبتداء... ولم تختلف حياته في الدير عن حياته في المحبسة. وبحقّ يدعونه أعجوبة النسّاك. **وذهابه إلى المحبسة، لم يكن بطلب منه، بل عملا بالطاعة لرؤسائه**. لأنّه هو لم يكن له ذوق خصوصيّ. **وفضله في المحبسة لم يكن بأعظم ممّا كان في الدير**.

ورأي آخر: إنّ إخوته الرهبان لم يعودوا يستطيعون احتمال قداسته إذ كان بمثله يوبّخ الرهبان والحبساء المحافظين لا المتراخين فقط. فلو عرض لأحدهم أن **يأكل حبّة عنب، ورأى الأب شربل، في الحال يخجل من ذاته ويترك العنب**.

11- خادم أليشاع

طلب الحبيس الأب أليشاع الحرديني، شربل إلى المحبسة، فلبّى حالا. وكان الأب شربل يخدم إخوته الحبساء، وخاصّة الحبيس الأب أليشاع، يأخذ له حاجاته من الدير مثل أكل وشرب، ويخدم له القدّاس. وهو يأتي أحيانا إلى الدير يتلو الذبيحة فيه لعدم وجود من يخدم له القدّاس في المحبسة. وبقي مثابرا على هذه الخطّة ستّ سنين.

12- بارك لهم جرّة الماء

عندما كان الأب سمعان إهمج لا يزال في العالم، قبل دخوله الرهبانيّة، أي قبل سنة 1871، أتى الجراد إلى منطقته. فطلب أهالي إهمج من الأب شربل أن يبارك لهم ماء ليرشّوه في كرومهم وحقولهم دفعا لأذى الجراد. وفعلا بارك لهم جرّة الماء، وكان يحملها الأب سمعان نفسه، ورشّوا بها كرومهم القريبة من المحبسة، فلم يدخلها الجراد، وحُفِظَت تماما.

13- قدّموا له الطعام! (مر 43/5)

شهد اسكندر بك الخوري: نحو سنة 1873، مرض خالي، الدكتور نجيب بك الخوري، وأشرف على الموت. فأرسلت جدّتي، والدته، إلى الأب شربل أن يأتي ليصلّي عليه عسى الله يشفيه، لأنّ جدّي كان طبيبا، وكان يعتقد أنّ حالته خطرة، لا يمكن شفاؤه. وعند وصول الرسول للأب شربل، قال له **بأن يأتي ليلا**. فأفهمه أنّ المريض بحالة خطرة، ولا يمكن التأجيل فأجابه: **سنذهب فورا، ولكن لا أريد أن يراني أحد**- تواضعا منه لئلاّ يستلفت أنظار الناس إليه- وعندما وصل إلى البيت، كانت حرارة المريض مرتفعة جدّا وهو بحالة الغيبوبة. وكان مريضا بالتيفوئيد. فصلّى عليه الأب شربل، ومسح جبينه بمنديل مرطب بالماء المبارك. وفورا فَتَح عينيه، بعد أن كان فاقد الوعي منذ أيّام ونطق بهاتين الكلمتين: بونا شربل؟! فقالت له والدته: قَبِّل يد الأب شربل! ففعل. فقال الأب شربل للحاضرين: **مجّدوا الله، فقد شفي المريض، قَدِّموا له الطعام!** فتردّدوا، لأنّ الولد كان مريضا بالتيفوئيد، وكانوا يعتقدون أنّ الطعام سيقضي عليه. على أنّ الأب شربل **ألحّ عليهم بأن يطعموه**، وانصرف. عندئذ قدَّموا له الطعام، فأكل وارتاح. وبعد برهة قليلة، عاد والده، جدّي، إلى البيت، فأخبروه بما فعل الأب شربل. فقال لهم: قُضِيَ الأمر. فإذا كان من أمل قبل الأكل، فلم يعد من أمل بعد الأكل. ولكنّ الولد شُفِي، وعاش، وأصبح طبيبا، وعاش 85 سنة. وقد داوى الأب شربل مرارا في حياته.

14- أليشاع يوصي بشربل ...ليخلفه

وبعد أن قضى الأب أليشاع في محبسة عنّايا 44 سنة ونصف توفّي في 13 شباط 1875، وله من العمر 76 سنة، مسلّحا بالأسرار المقدّسة. وكان موته عجزا طبيعيّا. وبقي بانتباه كامل إلى آخر دقيقة من حياته. ودفن يوم

الاحد في 14 شباط الساعة 8 في مقبرة دير مار مارون، بجنّاز حافل، ووضع ضمن صندوق من خشب. وفي اليوم التالي، أمر الرئيس الأب الياس المشمشانيّ الأب شربل أن ينحبس في المحبسة رسميّا. فأقام فيها مع الحبيس الأب ليباوس الراماتيّ.

15- شربل يهمل منهج أليشاع الإقتصادي

كان من عادة الحبساء أن لا يسمحوا بقطع الحطب من حرش المحبسة، نظرا لقربه من الدير، بل كانوا يقولون: حطِّبوا وافرعوا من المحلاّت البعيدة الغير مصانة. أمّا الأب شربل، فقد خالف عادة أسلافه، وترك المسألة لفطنة الرئيس وحكمته. وهكذا كان منقادا لأمر الطاعة، حياته كلّها إنقيادا أعمى. وكذا قل عن مسألة جمع النذور وخلافها، غيره كان يجمعها لمشترى أملاك للدير، أمّا هو فيسلّمها لخادمه، ثمّ للرئيس ليصنع ما يراه، دون أن يبدي أدنى رأي.

16- قمر بين النجوم

لم تختلف حياته في المحبسة عن حياته في الدير، إلاّ بكونه كان متّبعا قانون الحبساء، فما أخلَّ بأدنى واجب من واجبات الحبساء. وتسنّى له أن يطاوع رغبته الزائدة في التقشّف وإماتة الذات، والإكتفاء بوجبة واحدة في اليوم. وكان يزيد القانون تقشّفات زائدة مثل المسح وزنّار الحديد على اللحم والجلد.

كان حبيسا لا يماثله بالفضيلة، وحفظ القانون أحد بين الرهبان الأتقياء. وتفوّق على الحبساء جميعا، فقد كان بالنسبة للرهبان والعلمانيّين، كالقمر بالنسبة إلى النجوم، وكما تمتاز السنديانة الكبيرة عن البلاّنة، فحياته ملائكيّة سماويّة، تتمثّل بشخصه العفّة، والرزانة، والإيمان الحيّ، والرجاء، ومحبّة الله والقريب.

17- خادم الحبساء (يو 14/13)

دخل الأب مكاريوس المشمشانيّ محبسة عنّايا في 25 نيسان عام 1880، وكان الأب شربل يتردَّد على الدير ليأخذ للحبيسين الأبوين مكاريوس المشمشانيّ وليباوس الراماتيّ حاجات المأكل والمشرب، فيَحمِل على ظهره كيسا من الشعر، يأخذ فيه مؤونة المحبسة لمدّة أسبوع، لأنّه كان يقوم بخدمتهما، وكان يعتبر نفسه خادما للحبيس رفيقه الأب مكاريوس المشمشانيّ.

18- إرجع إلى المحبسة!

كُلِّف الأب شربل بالسهر ليلا على حراسة صحراء المقتني والخيار. وفي الصباح وجد الأب مكاريوس أنّ الصحراء قد أكلتها بنات آوى. فوبّخ الأب شربل على هذا الإهمال. فقال له الأب شربل: **رأيت بنات آوى وهي صغيرة، فأخذتني الشفقة عليها، وما منعتها عن الأكل**. فقال له الأب مكاريوس مغتاظا: إذهب ونم في الدير. فوصل الدير متأخِّرا، ودخل غرفته الفارغة، فرأى المصباح فارغا، الذي أهمله من سنوات! فذهب إلى العشّي ليملأ له المصباح زيتا. فأجابه العشّي: إنّ الكرارجي راح وليس عندي زيت، فرجاه أن يعطيه ولو قليلا من الزيت. فأخذ العشّي المصباح، ووضع فيه بدل الزيت ماء، وسلّمه للأب شربل. فأضاءه فأنار وبقي الماء يضيء مدّة أطول ممّا لو كان زيتا. وبعد الغياب بساعتين دخل الأخ فرنسيس مشمش الكرارجي غرفة الأب شربل، فوجد سراجه منارا. فدنا منه، وامتحنه، فرأى أنّ فيه ماء، فخاف الأخ واضطرب، ولم يجسر أن يسأله شيئا. وأخبر أخاه الرئيس الأب الياس المشمشاني، ففحص السراج ووجد أنّ فيه ماء. لذا في صباح اليوم التالي أمر شربل بالعودة إلى المحبسة، التي طرده منها الأب مكاريوس.

الفصل الثاني: جهود الحياة

أوّلا: وصف شربل

أ- تعريف

كان طوله 160سم، مستقيم الظهر، طويل الأصابع رفيعها، رزينا، معتدل الفم والعنق، قصبة أنفه طويلة ودقيقة، شعر رأسه طويل على عادة الحبساء، ضعيف الجسم، رقيق البدن، وزنده مثل الباهم. ووجهه مستدير ورقيق، ولكنّه مشرق يطفح نورا، وهيبة الله عليه. ويجذب كلّ القلوب إليه. مجعّد الجبين، ويلوح عليه الفرح والوداعة والسكينة وطمأنينة القلب. وفي وجهه إنعكاسات التقوى ومحبّة الله في كلّ آن، ولاسيما في وقت الصلاة. كان نور سماوي يضيء وجهه لأنّ الربّ قد أصبح قوّته، وغناه، وفرحه الدائم. ولون وجهه شاحب، حنطي، أسمر اللون قد لفحته الشمس. ومن كثرة التقشّف والسهر، أصبح جلدا على عظم؛ لكنّه يمشي بسرعة، حتّى في

شيخوخته. وكان ملتهبا في جميع أعماله. وقصير اللحية خفيفها، متوسطة، ميّالة في أصلها إلى الشقرة، وقد وخطها الشيب في وسطها وفي أعلى جانبيها؛ ونادرا ما كان يغسلها، فكانت فتايل فتايل لقلّة الغسيل والعناية بها. وظلّ شعره أسود، بأكثريّته، إلى حين وفاته تقريبا.

ب- روايات وأحداث

1- أصفر اللون

لمّا زار الأب مبارك تابت محبسة شربل للمرّة الأولى، إستدعى الحبساء، فجاء الأب شربل وجلس إزاءه مطرقا إلى الأرض بنظره، ويداه على ركبتيه بشكل صليب. وما كان يرفع نظره إليه ولا إلى الأخ الذي معه. وما كان يحادثهما، ولا يسألهما عن شيء، بل كان يجاوبهما عمّا يسألاه عنه بكلّ اختصار ووداعة. ولمّا زاره في المرّة الثانية، بعد ستّ سنوات، كان بتصرّفه، جلوسا وكلاما، كالمرّة الأولى. ولم يلحظ عليه أقلّ تغيير سوى في شحوب وجهه. كان أصفر اللون، وإذ لم يلحظ مخاطبه أنّ عينيه ترفرفان كان يَظُنّ أنّه ميّت، فجسمه ذاب كالشمعة في محبّة الله، حتّى صار نحيلا هزيلا أصفر اللون.

2- يوميّاته

عندما يقرع جرس النهوض باكرا جدّا، كان يُرى الأب شربل راكعا نصبا قرب الباب خلف الكلّ، ويبقى على هذا الشكل كتابه بيده وضامّا يده إلى صدره وجهه في الأرض؛ ثمّ يقدّس باكرا، ويذهب إلى شغله، دون مهلة أو تلهّي، ومعه حبله ومعوله. ولكن لا يذهب من تلقاء ذاته بل يتقيّد بأمر رئيسه أو بأمر صاحب الوظيفة. يمشي إلى شغله في الحقل البعيد أو القريب أو الكرم، حاملا مسبحته بيده، ويصلّي، لا يتحدَّث مع أحد في الطريق، ولا يلتفت لا يمينا ولا شمالا. وإذا قال له أحد: المجد لله. يجيب: **الله يباركك**. ومتى وصل إلى محلّ شغله، بالحال يأخذ معوله ويبدأ بالشغل بكلّ رغبة ونشاط، كأنّه أجير، وله أجرة كبيرة يزيدونها له إذا زاد شغله. ولا يهمّه إذا كان رئيس الشغل قسّيسا أو أخا أو أجيرا، فالكلّ يمثّلون عنده السلطة، التي هي من الله. يشتغل بكلّ قوّته شغلا متواصلا شاقّا لا يأخذ راحة؛ أحيانا ينكش بالمعول لا يرفع رأسه من الأرض يضرب بكلّ قوّته، ويكدّ نفسه حتّى يجري العرق متصبّبا من جبينه، وثيابه مبلّلة من العرق، ولم يرفع قلنسوته ليمسح عرقه، بل دائما كانت محزومة بجرزونة. وأحيانا يُعمِّر حيطان، ويجمع الحجارة جانبا بيديه، ويقطع الغوف ليُعزِّل الأرض أمام الزارع. وفي شغله أيضا كان نظره دائما منخفضا إلى الأرض، ويداه كانتا قد تكلكلتا، ويبست جلدتهما من كثرة الشغل. وفي أيّام الحرّ الشديد في زمن الحصاد كان مثله في أيّام الشتاء، لا يرفع قلنسوته عن عينيه. ومتى قعد غيره للراحة وأخذ الماء البارد، والتسلّي ببعض أحاديث، كان هو يجلس على حدة وانفراد، لا يتكلّم ولا يشرب كأنّه ينتظر العودة إلى الشغل بفارغ صبر. ولولا أمر الطاعة لما ارتاح.

وعندما يقرع الجرس للصلاة، يعتزل حيث لا يُرى، ويركع على التراب والحجارة، ويرفع يديه، ثمّ يصلّي في كتابه. ثم يعود إلى الشغل. وإذا تأخّر رئيس الحقل عن دعوة الأب شربل والرهبان إلى الأكل عند الظهر، لا يتململ، ولا يقول مرّة جعنا أو تعبنا. فهذه الكلمة لم تخطر بباله قطّ، فهو ما تلفّظ بها قطّ؛ وإذا كانت حجارة الحقل وأشجاره تتكلّم، كان الأب شربل يتكلّم. فما كنت تسمع حوله إلاّ وقع معوله على الحجارة، أو صدى الحجارة التي كان يرفعها من الأرض ليعمّر بها جدران، أو يلقيها في الرجامي، فالصمت كان أليفه وعشيره. وكان الرهبان والأجراء حوله يهابونه ويحترمون فضائله ويتحاشون أن يتحدّثوا أمامه بحديث ما بطّال، فلم يتجرّأ أحد حتّى أن يمزح أمامه، أو يحادثه بحديث عالميّ بالحوادث الواقعة، إذ لم يكن يهتمّ لها، ولا يكترث بما يجري في البلاد، أو في الرهبانيّة من الأمور المتعلّقة بالإدارة، بل كلّ همّه في شغله مع ربّه، تاركا كلّ شيء لعناية الله.

يبقى في شغله حتّى غياب الشمس، وإذا ما بقي رئيس الحقلة، يشتغل إلى ساعة متأخّرة. كان الأب شربل يظلّ مشتغلا بنفس النشاط الذي بدأ فيه الشغل، بل كانت حماسته، تزداد على طول الشغل. ولا ينبّه رئيس الحقل إلى فوات الوقت، إذ ما كان يعترض أصلا على شيء. وعند المساء كان يجمع من الغوف والحطب حملا كبيرا يحمله على ظهره، ويعود إلى الدير منحنيا تحتها، ومسبحته في يده يصلّي. وأيّام الثلج والمطر، وأيّام الآحاد والأعياد في الصيف، ما كان يفارق الكنيسة ولا غرفته.

3- كيف يأكل

شهد الأب الياس إهمج: عند العصر، ميقات الأكل كان يدعوه رفيقه، فيأتي مكتوف اليدين، منخفض الرأس، منخفض البصر، وإسكيمه على عينيه، فيصل ويقف. فيأمره رفيقه بالجلوس فيجلس، بعد أن يصلّي، يقعد على الأرض ويتربّع، ويجمع ثيابه تحت قدميه لئلاّ يظهرا. ويبقى مكتوف اليدين، منخفض الرأس والبصر، إلى أن يأمره رفيقه قائلا: كُلْ. ويضع أمامه صحن فخّار. فيرسم على جبهته إشارة الصليب بتأنٍّ وخشوع كأنّه في الكنيسة، ويبدأ بالأكل ساكتا، هادئا، محتشما. وبعد نهاية الأكل، كان يأمره أحد رفيقيه بغسل الآنية، فينهض ويصلّي ويتمّ الأمر. ونهوضه كان نهوض نشيط، دفعة واحدة دون أن يتوكّأ. والذي سمعته أنّه كان يشرب غسالة

الصحون[13] ولم أره، لأنّه ما كان يعمل تقشّفاته تظاهرا للناس. بل يجتهد أن يفعل ذلك خفية. وبالحيلة كنّا نختلس النظر إلى بعض حركاته... وإذا كان يقع قليل من الطعام، أو من فتات الخبز من رفيقه على الأرض بغير انتباه، كان شربل ينتهز الفرصة، ويلتقط ذلك ويأكله بترابه.

4- سرّ وجود لبنان

قال نخلة شاكر كنعان سنة 1950: تعود معرفتي بشربل إلى صيف 1897 وكان عمري 24 سنة. وكنّا في ذلك الوقت نقصد بعض الأصدقاء في كلّ صيف لزيارة جهة من جهات الجبل العالية. ولم تكن هناك فنادق كبرى وطرقات مزفّتة وسيّارات. فكنّا نقصد الجبال ركوبا على الخيل أو الدواب. وصدف تلك السنة أن عاد صديقي شكري بك أرقش من باريس حاملا شهادة الحقوق العليا. فقررت أن نقوم برحلة إلى ميروبا لعند الشيخ بشارة الخازن. ثمّ انتقلنا جردا إلى العاقورة واللقلوق. وفي أثناء وجودنا في ذلك الجرد أردنا زيارة الحبيس الذي اشتهرت فضائله وقداسته في المنطقة. فنَزلنا إلى العويني. ومن جبل العويني انتقلنا إلى محبسة القدّيسين بطرس وبولس. فاسترحنا تحت السنديانة التي توزّع الناس أجزاءها للتبرّك منذ أيّام. وبينما المكاري المرافق يحضّر لنا طعام الغداء من محمولنا إذا براهب طويل ضعيف يطلّ علينا من الحقل، وبيده منجل وضمّة من الأعشاب. فسلّم علينا دون أن يرفع رأسه. فاستأذنّاه بالإستراحة للزيارة والغداء، **فأذن بكلّ رحابة وسرور** وأخذ يتولّى خدمتنا دون أن يجالسنا ويجلب لنا الماء والعنب. ودعوناه لمشاركتنا الطعام، فاعتذر برقّة وحياء، وتمتم: **سبق الفضل، أكلت في الدير** وأذكر من حديثه مع شكري بك وأجوبته على أسئلته بما يلي: **الله خلقنا وهو يدبّرنا، الله قدير عا كلّ شيء، نحن بخير على غير استحقاق، والله يكون معكم**، ولمّا أطنبنا في وصف جمال المناظر المنبسطة أمام العين في الجبل والبحر! أجاب الحبيس: **إنّها عطيّة من الله وهبه الله للبنانيّين، إنّ هذا الموقع عطيّة من السماء لنمجّد فيه اسم الله القدّوس، كلّ ما لدينا هو لله**. ولم يشأ أن يأخذ منّا هديّة أو تقدمة. وكان الحبيس يستمع لحديث الأستاذ أرقش الذي أخذ يردّد على مسامعنا أعمال الحبساء والأتقياء في فرنسا، فقال شربل تعليقا عليها: **إنّ فرنسا هي ابنة الكنيسة البكر**. وفي هذه الأثناء قرع جرس دير مار مارون للتبشير، فطلبت إلى الحبيس أن يتلو علينا تبشير العذراء، **فردّد صلاة البشارة واتبعها بطلبة العذراء وزيّاح مريم**. وكنّا خاشعين راكعين نردّد الصلاة وراءه وكان يرتّل بصوت خافت ورأسه تحت الإسكيم منحنٍ إلى الأرض وعيناه مغمّضتان كأنّه ملاك في صورة إنسان متنقّل بالروح إلى السماء. ساعة غادرنا المحبسة، وقف الحبيس بتواضع ورقّة غريبتين يشيّعنا بنظراته المتّجهة إلى ما وراء الفضاء، ويداه مشتبكتان على صدره يتمتم كلمات **الله معكم**. وأذكر أنّ شكري لم يقطع ذكر الحبيس وكان يقول: **إنّ هؤلاء الحبساء الأتقياء في رؤوس الجبال هم في طهرهم وصلاحهم سرّ وجود لبنان**.

5- شربل يتصرّف ببساطة

شهد موسى موسى: في أحد الأيّام كنت معه، وهو حامل حملة قندول لسياج الكرم، فرأى غلاف دفتر سيجارة عليه ماركة خيّال. فبعد تجاوزه بمسافة، وضع الحملة عن ظهره وعاد فلمّه. ولمّا وصل إلى المحبسة، وضعه قرب الصور، وركع يصلّي له. فقلت له: ماذا تصنع؟! فأجاب: **هذا مار جرجس أصلّي له**. فقلت له ضاحكا: هذا دفتر سيجارة. فسكت. وأعطاني الدفتر فرميته.

ثانيا: شربل الرسول (مر 18/4؛ ومتّى10)

أ- تعريف

لم يكن الأب شربل خادم رعيّة، ولا مرسلا. ولكن كلّ مرّة يتاح له أن يؤدّي أيّ خدمة للنفوس، كان يقوم بها بابتهاج. فكان أحيانا يسمع إعترافات من يطلب منه من إخوته الرهبان والكهنة، ومن العلمانيّين. وكانت إرشاداته مفيدة وخلاصيّة جدّا. وعندما كان يُطلَب إلى زيارة المرضى والمحزونين، كان يعمل ما في وسعه لتعزيتهم، ويجعلهم يسلّمون إرادتهم لله تعالى، بالصلاة لأجلهم وعلى مرضاهم. وكان يصلّي للمحسنين وللخطأة، ويذكرهم في قدّاسه. ولم يكن يتعاطى الوعظ، لكنّه لم يكن يبخل بنصائحه وإرشاداته على من يطلب منها. وكان يطيع الأب الرئيس إذا أمره أن يذهب فيقدّس للشركاء يوم الأحد والعيد، ويعود إلى الدير، دون أن يخاطب أحدا. ويذهب إلى حضور جنّاز في الخارج، في القرى المجاورة، ملبّيا أمر الطاعة بارتياح، ثمّ يذهب توّا إلى الكنيسة، وحالما يشعر

---

[13] ويشرب غسالة الصحون، وراء ممثّل حبيبه يسوع! كما تأكل الأم وراء طفلها!!! والحبيبين من فميهما!!! إنّ عصر شربل، عصر الفقر، عصر الجهل، بالنسبة لعصرنا المتطوّر. فكانت البيوت من تراب، بدون حمّامات، بدون مياه، بدون كهرباء، بدون غاز... أواعي المطبخ من الفخّار، من صحون وطناجر، والملاعق من خشب... لا دواء للغسيل... فصابون الأمس ...هي مياه الرماد. والجلي عادة يكون بالماء العادي، فمعظم الأكل من الحبوب والبقول المطبوخة بالزيت. الطبخ يكون عادة بالدست (طنجرة كبيرة من النحاس) والطبخ والغسيل على نار الحطب...

الناس بوصوله يتراكضون إليه ليصلّي لهم على الماء، بينما الرئيس وسائر الآباء يذهبون أوّلا إلى بيت الفقيد، ثم يعودون مع الجثّة إلى الكنيسة، حيث يصير الجنّاز، فيشترك معهم في صلاة الجنّاز ويعود تو‌ّا.

ب- روايات وأحداث

1- فرحة مسرورة

شهد الخوري رميا: ذات يوم استدعاني الحبيس الأب مكاريوس، وكنت وقتئذ عامّيّا موجودا في محلّة العويني، قرب المحبسة، فحضرت ووجدت رجلا من بقاعكفرا، هو شقيق الأب شربل ومعه امرأته، أتيا لزيارة المحبسة وعمادة ولدهما، فلم يقابل الأب شربل أخاه إلاّ نحو ثلاث دقائق داخل المحبسة. أمّا امرأة أخيه فلم يقابلها، ولم تكن مع ذلك إلاّ فرحة مسرورة مع ابنها وزوجها، بالرغم من عدم مقابلة الحبيس لها، وهكذا كان جميع أهل بيت الأب شربل وأسرته مقدّسة وتحبّ القداسة مثله. فعمّد الولد الأب مكاريوس، ولم يحضر الأب شربل حفلة عماده، وكنت أنا عرّابا للولد. وبعد مرور مدّة طويلة رجعت الإمرأة لزيارة المحبسة، وبمرورها في طريق العويني شاهدتها، وكنتُ قد صرت كاهنا. فقالت لي إنّ الولد الذي كنت عرّابا له قد توفّي، وكان دائما يقول لي: يا أمّي خديني لعند عمّي الأب شربل لأراه. فلمّا رأتني قد حزنت وبكيت على موت ولدها، قالت لي: هنيئا له إنّه في السماء، ولم تسقط لها دمعة واحدة.

2- رفض أن يُعمِّد

شهد عيد نكد: ذهبت أمّي بأخي بطرس قبل اعتماده، لتعمّده من يد عمّها الحبيس شربل في محبسة مار مارون، فما واجهها بل خاطبها بكلام قليل من داخل المحبسة، وهي واقفة قدّام الباب المغلق فما رأته وما رآها. وقد رفض أيضا أن يُعمِّد الولد بذاته. فعمَّده الحبيس الذي معه. وما سمح لأمّي، وهي إبنة شقيقه أن تدخل الكنيسة وتسمع قدّاسه، بل إنّها سمعته من طاقة في باب الكنيسة المغلق.

3- عمّدوهم (متّى 19/28)

لدينا شهادتا عماد وحيدتان بيد شربل: "أنا **القس شربل بقاعكفرا** قد عمّدت ميخائيل ابن روفايل رزقالله الشبابي وذالك في 8 ك1 سنة 1873". و"قد قبل سرّ العماد المقدّس من يدنا بطرس بن شلّيطا من بقاعكفرا عرّابه مخايل الخوري شخنيّا فى 7 أيلول 1887 كاتبه **القس شربل الحبيس**."

4- اشفوا المرضى (متّى 8/10)

توجّه مرّة إلى الفتوح في كسروان، إلى غدراس، بطلب من البطريرك بولس مسعد إلى الأب الرئيس، ليصلّي على أبناء الشيخ سلّوم الدحداح المرضى. وكان للشيخ سلّوم الدحداح خمسة صبيان، مات منهم ثلاثة بالسِلّ، وبقي اثنان مصابين بهذا المرض. فأرسل الرئيس الأب شربل ليقضي مدّة عندهم، يصلّي للأولاد حتّى يشفوا. فمضى مع عبدالله يوسف عون، وصرف في دار الشيخ المذكور نحوا من شهر حتّى شفي المريضان. وعند رجوعه، حضر الخوري رميا إلى المحبسة وسأله قصدا: كيف حالك؟ وما نظرت في طريقك؟ أجابه: **رحت من هون رايح ورجعت من هونيك جايي**.

5- أن يتوبوا إلى الله (اع 21/20)

وفي أسبوع الآلام بإحدى السنين، أرسله الأب الياس المشمشانيّ، رئيس دير عنّايا، إلى كفربعال، إلى شركاء الدير لكي يعمل واجباتهم الروحيّة، في زمن الفصح، بما أنّ خادم نفوسهم، كان قاصرا في المعارف اللاهوتيّة. فلبّى الأب شربل بكلّ ارتياح، وصرف الاسبوع كلّه هناك.

6- يكلّفنا أن ننسخ له

شهد يوسف خليفة: كان الأب شربل **يطلب منّي**، ومن أخي مخايل، الذي صار راهبا فيما بعد، **أن نأتي إليه، في المحبسة أيّام الأحاد**، حيث كان يكلّفنا أن ننسخ له كتب مار أنطونيوس ومار قبريانوس، ليعطيها للذين يطلبونها، ليضعوها، في بيوتهم، تبرّكا. وبقيت أتردّد عليه تقريبا مدّة 4 سنوات. وكان عمري، عندما تعرّفت عليه، حوالي 18 سنة.

7- لي طعام لا تعرفونه (يو 4/ 32)

كان هو وبعض الآباء في حفلة جنّاز في قرية مشمش، فبعد انتهاء الصلاة على الميّت، دعا الأهالي قسس الدير لتناول طعام الظهر ما عدا الأب شربل، فلم يدعوه، لأنّهم يعرفونه أنّه يرفض ملتمسهم. أمّا هو فحالما تسنح له فرصة، يقفل راجعا إلى الدير.

8- يا فتى! قم! (لو 14/7)

شهد الأب الياس إهمج: أنّ والدي كان قد أصيب بمرض التيفوئيد. ووصل إلى حالة خطرة جدّا، فقد فيها الوعي. وكان يعالجه أطبّاء من ذلك العهد لا يملكون شهادات. وقد قطعوا الرجاء من شفائه. ولم يعودوا يعالجونه، وكان في النِزاع. فالتجأ إخوته وذووه إلى الأب شربل، وهو جارنا، وطلبوا من رئيس الدير، الأب الياس المشمشاني، أن يأمره بالذهاب للصلاة عليه، فلبّى أمر الرئيس، وأتى إلى بيتنا، وذلك ليلا، وكان الناس مجتمعين في البيت. وعند دخوله إلى البيت، وصعوده على درجة الفريز. وقف ونادى والدي قائلا: **يا ريشا!** ثلاث مرّات، ففتح عينيه. فقال له الأب شربل: **لا تخف**. وكان يُحبّه لأنّه كان شمّاسه، ويخدم له القدّاس عند الحاجة. وصلّى عليه، وعلى ماء رشّه به وسقاه منه. وذهب الأب شربل إلى محبسته قائلا: **لم يعد من خوف عليه**. وبالواقع فقد وعي وأكل وشرب. وبعد قليل، تعافى تماما وقام من الفراش.

9- طاليتا قومي (مر 41/5)

طُلِب ليصلّي على جرجس جبرايل من إهمج، وقد كان مصابا بمرض ثقيل فذهب بأمر الرئيس للصلاة عليه، وبات عنده ليلة، وقد شفاه الله بصلاته.

10- للصلاة عليهم (مر 5/6)

اجتاح الجراد المنطقة، ومن جملتها إهمج. فأتى نواطير إهمج إلى الدير يطلبون من الرئيس، أن يأذن للأب شربل، أن يرافقهم، ويُصلّي على الجراد، فيَنْزح عنهم. فصَلّى على ماء، رُشَّ على الجراد، فابتعد الجراد. وكان في البلدة، بيت فيه مرضى بالحُمّى، فطلبوا منه أن يذهب للصلاة عليهم. فأجاب **أنّه لا يستطيع الذهاب إلاّ إذا أمره بذلك الناطور، لأن الرئيس قد سلّمه إلى الناطور**. فقال له الناطور: كيف أستطيع أن آمرك، وأنت راهب؟! فأجاب الأب شربل: **إنّ الرئيس قد سلّمني لك، وأنا تحت أمرك، أذهب حيث تأمرني**. حينئذ قال له الناطور ليذهب. فذهب وإيّاه إلى بيت المرضى للصلاة عليهم.

11- أليعازر مات! (يو 14/11)

شهد اسكندر بك الخوري: ذات يوم، دُعي جدّي، الذي كان يتعاطى الطبّ العربي، الذي كان يحسن معاطاته أكثر أبناء عائلتنا، لمعالجة شخص وحيد لأبويه، من أعيان عمشيت، المدعو جبرائيل سليمان عباس، فتوجَّه جدّي إلى عمشيت، وبقي مدّة أربعة أو خمسة أيّام يقوم خلالها بمعالجة المريض. ولمّا يَئِس من شفائه، ولم يبقَ لديه من وسيلة يستعملها، أرسل رسولا لأبي يقول له: توجّه إلى محبسة مار بطرس وبولس، واطلب من الحبيس الأب شربل، أن يحضر معك إلى عمشيت للصلاة على رأس المريض، لعلّه يُشْفى. فلبّى الطلب والدي فورا. ووصل إلى المحبسة بعد الظهر. وطلب إلى الأب شربل أن يرافقه إلى عمشيت، بعد أن أفهمه المهمَّة التي من أجلها انتُدِب. فتردَّد الأب شربل في البدء، ثمّ قَبِل بشرط أن يأذن بذلك رئيس الدير، الذي كان وقتئذ الأب الياس المشمشانيّ. وبعد أن وافق رئيس الدير، على ذلك، بدأ الأب شربل يُهيّئ قنديلا، يضاء على الزيت، ليستعين به أثناء سيره في الطريق. ولم يُبارِح المحبسة إلاّ بعد أن رأى الليل أوشك أن يخيّم ظلامه، كي لا يرى ولا يُرى، كما كانت عادته طيلة أيّام حياته في المحبسة. وكان سائرا على قدميه، لأنّه رفض الركوب بقوله: **لا يمكنني الركوب لأنّي أخاف من أن أسقط عن ضهر الدابة، لأن لم يسبق أن امتطيت دابة ما،** برفقة الأب مارون مشمش والأخ الياس المهرينيّ ومكاري الدير، فقال لهم شربل: **هيا بنا لإنجاز أمر الطاعة**.

وبعد أن ساروا مسافة طويلة، وصلوا إلى مهرين، فوقف الأب شربل مبهوتا، فسأله ما بكَ؟ نريد أن نعجّل المسير! فقال لوالدي، الذي كان يسبقه ويتقدَّمه مسافة لا تقلّ عن العشرين مترا أو أكثر، وهو يمتطي جواده: **إسمع! إسمع! بيقولو مات؟!** عندئذ أوقف والدي جواده وقال له: مع من تتكلّم يا بونا شربل؟! فأعاد الكلام: **يقولوا إنّه مات؟!** فقال له والدي لماذا تقول هكذا؟ مع من تتكلّم؟ عندئذ وجّه الكلام لوالدي وقال له: **بشِّر** (أي قل التبشير الملائكي) **فلنصلِّ لأجل الرجل، لأنّه مات!** وركع وأخذ يصلّي. عندئذ رسم والدي إشارة الصليب، واستولى عليه الاضطراب، ، فنزل عن جواده واقترب من الأب شربل بخشوع لا مزيد عليه، ورجاه تكرارا بأن يتابع السير معه، بعد أن راجع ساعته لمعرفة الوقت عند قيام الأب شربل بكلامه المارّ ذكره. فقال الأب شربل: **لا فائدة من**

الذهاب! لا لزوم أن نواصل السير، لأنّ المهمّة التي أمرنا بها الرئيس انقضت، والمريض توفّي! ولكنّ والدي، بالنظر لإلحاح جدّي عليه، باصطحاب الأب شربل إلى عمشيت، ولعدم تصديقه وإقتناعه بوفاة المريض، ألحّ عليه بمتابعة السير.

وقال الأب مارون للأب شربل: لنتابع سيرنا إطاعة لأمر الرئيس. وبعد مسير حوالي ساعة ونصف، وعلى مسافة حوالي 500 متر من بيت المريض، سمعوا الصراخ والعويل. فثبت لهم أنّ المريض حقيقة تُوُفّي. عندئذ أخذ والدي يَستَفحِص الأب شربل، عن كيفيّة معرفته بوفاة المريض، وهم في نقطة تبعد أكثر من ساعة ونصف من عمشيت، حيث لا يُسمَع صوت، ولا أن تُرى البلدة. ولكنّ الأب شربل لم يردّ عليه بشيء بل كان يتابع صلاته. وعند وصول والدي إلى البيت، استفحص عن الوقت الذي حصلت فيه الوفاة، فعرف أنّها تمّت عندما توقّف الأب شربل عن المسير وقال: **بيقولو مات!** عندئذ أخبرهم والدي بما حصل في الطريق، فتعجّبوا. وأخذوا يتأسّفون كيف أنّهم لم يستدعوا الأب شربل قبلا. وقد انتشر هذا الخبر في عمشيت وجوارها. وقد ردّد والدي هذا الخبر، حوالي 20 مرّة عليّ، وعلى سواي، بينهم كهنة وذوات من البلاد. وعلى أثر هذا الحادث، كان سكّان حجولا وبشتيلدا وعلمات، وكلّهم من الطائفة الشيعيّة، يأتون إلى الأب شربل ليتبرَّكوا منه، ويصحبون إليه مرضاهم ليلتمس لهم الشفاء. أمّا الأب شربل، فلم أسمع قطّ أنّه ذكر هذا الحادث، أو غيره من الحوادث التي كانت تتمّ على يده، ويتناقلها الناس.

12- المريض مات!

أصيب يوسف بن الياس أنطون، من قرية مشمش، بمرض ثقيل. فطلب أهله الأب شربل من رئيسه، ليذهب فيصلّي عليه. فتوجّه مع الرسول بأمر الطاعة. وبوصوله إلى نصف الطريق بهت ساكتا، نحو خمس دقائق. ثمّ قال للرسول: **أنا راجع إلى المحبسة، ما الفائدة من الذهاب إلى مشمش، والمريض قد توفّاه الله الآن!** فكان المريض توفّي في الساعة عينها التي عاد فيها من الطريق.

13- فركض المتاولة (يو 4/39-42)

اجتاح الجراد مرّة أملاك قرية طورزيّا. وهي قسمان: قسم للمسيحيّين وقسم للشيعيّين. فجاء المسيحيّون وشركاء الدير إلى الأب شربل قائلين: دخلك يا بونا شربل دبّرنا. فأرسلهم إلى الرئيس. فأمره الرئيس بأن يذهب مع الأهالي. فذهب وبارك الماء، وأخذ يرشّه. ويعاونه في عمله راهب آخر على الجراد. فكان الجراد يغادر أملاك الدير والمسيحيّين نحو أملاك المتاولة. فركض المتاولة وراء الأب شربل، يتوسَّلون إليه أن يبعد الجراد عن أملاكهم. فتابع شربل رشّ الماء المبارك على الجراد في أراضيهم. فغادر الجراد الأراضي والمنطقة كلّها، التي رشّ فيها الماء المبارك.

ثالثا: شغل وصلاة

أ- تعريف

هذا بعض من قانون العمل الذي سار شربل بموجبه: ليكن صامتا هادئا نشيطا في شغله. ولا يختار له الشغل الهيّن ولا الحاجة الجيّدة، ويترك لغيره العاطلة. بل يختار لذاته الشيء الدنيء ولغيره الحسن، ويفعله بتواضع. ويُخضِع نفسه لأدنى وظائف الدير، وأدنى حاجاته، **ليَخلُص من محبّة الذات التي لولاها لما كانت جهنّم موجودة**. لذا لم يكن له وظيفة في الدير، سوى القدّاس والصلاة، والشغل في الحقلة. كان أكثر شغله في تعزيل الحجار، وعمار الحفافي قدّام الزارع. وكان، قبل دخوله المحبسة، يساعد المعّاز في ملاحظة الماعز ورعايتها وخدمتها. كان يشتغل مع الإخوة والأجراء في الحقل والكرم من كلّ قلبه، بحدّة ورغبة، أشغالا شاقّة، مع كونه قسّيسا فاضلا محترما. لا يلتفت إلى جهة، ولا يأخذ راحة، إلاّ قليلا ليرسم وجهه بإشارة الصليب مرارا كأنّه ما كان ينقطع عن الصلاة في وقت شغله. وعندما يقصد التلهّي كان يذهب عاملا ليجمع الحصى من أرض الكرم. ولا يعتذر عن الشغل في الحقل، لا في برد ولا في حَرّ. ويبقى في شغله حتّى يأتي رفيقه ويقول له كفى، أو حتّى يقرع جرس الصلاة، فيستأذن الأخ رئيس الحقلة، أو الأجير في غياب رئيس الحقلة، حتّى يسمح له بالعودة إلى الكنيسة لتلاوة الفرض، أو كان يركع على الأرض والحجارة، يصلّي فرضه.

وعندما يؤمَر بحملة غوف، أو الحوائج يحمل قدر ما يستطيع وزيادة، ولا يقول هذا ثقيل أو خفيف. ما تذمّر ولا غضب، بل دائما في حالة واحدة. ولم يكن يعرف البطالة، بل يكره الراحة، ولا يحبّ النوم بل يحب الإماتة والعمل. فكلّ حياته الرهبانيّة كانت صلاة وشغلا وصمتا. وإذا طلب منه خادم الدير أن ينقل آلة الحراثة، يحملها حالا.

ب- روايات وأحداث

1- ينقلها على ظهره

شهد الأب الحصروني: لا يخرج شربل من الكنيسة إلاّ عندما يستدعيه رفيقه الأب مكاريوس، إمّا للنوم أو لحدالة السطوح ولجرف الثلج عنها... وحينما تكون الثلوج متراكمة يذهب رهبان الدير مع الأجراء يقطعون أغصان السنديان من حرش المحبسة علفا لماعز الدير. وبعد أن تعرّي الماعز تلك الأغصان من أوراقها يأخذ الحبساء الحبال ويأتون بالأغصان إلى داخل المحبسة والكرم؛ فالأب مكاريوس يحزم السيكون والأب شربل ينقلها على ظهره.

2- ذهب الى الكنيسة يصلّي (متّى 23/14)

شهد سمعان غاتا: دعاني الأب الياس المشمشاني، حوالي سنة 1880، لأجل بنيان فرن لدير مار مارون عنّايا. ولمّا طلبت منه عملة لمعاونتي، كان الأب شربل أحدهم. فاشتغل معي ستّة أيّام، كان فيها مثال الكمال، لأنّه بأوّل الشغل سألني: **ماذا تريد يا معلّم؟** فقلت له: حجار وشحف وطين للبناء. فأخذ يناولني ذلك بكلّ اجتهاد ونشاط، ويرفع الأحجار الثقيلة على صدره، ويرفعها على الصقالة. ويغرف الشحف بيده، فيسيل الدم تحت أظافره. فكنت أقول له: لا! لا! يا معلّمي توقّى حالك، ولا تتعب حالك هكذا، على مهلك. فما كان يجاوب، وما كان يكفّ عن العمل الشاقّ. وقضى كلّ الاسبوع معي، يشتغل هكذا، دون أن يفوه بكلمة، ولا يسألني سؤالا إلاّ هذه الكلمة: **ماذا تريد؟** وأنا كنت أشفق عليه، وأجتهد دائما أن أخفِّف عنه. وكنّا نرتاح نحن ونشرب سيجارة، تراه ذهب الى الكنيسة يصلّي.

3- توّا إلى الكنيسة

لمّا كان الخبز على فرن الدير يقوم به ليلا كلّ من الرهبان في دوره، كان الأب شربل أيضا يباشر هذه الخدمة كسائر إخوانه، فيأتي من المحبسة إلى الدير مساء ويذهب توّا إلى الكنيسة، ويبقى فيها إلى نصف الليل ريثما يختمر العجين ويصلح للخبازة، فيستدعيه الأخ متسلِّم الكرار، فيحضر لمساعدة إخوانه، ولا يفارقهم حتّى ينتهوا من الخبز، فيقفل عندئذ راجعا إلى المحبسة ويتلو فيها الذبيحة الإلهيّة.

4- ما كان يترك أدنى فرصة

كان - قبل دخوله المحبسة - يشتغل مع الرهبان في الحقل، كان عندما يأتي ليحمل لهم الطعام من الدير، يضع الآنية لدى العشّي ليملأها، ويذهب هو إلى الكنيسة ليختلي إلى القربان المقدّس، ممّا يدل على أنّه ما كان يترك أدنى فرصة، إلاّ ويصرفها، إمّا أمام القربان، وإمّا في الشغل.

5- صموتا مهما شغّلوه (متّى 5/11-12 و41)

شهد الأب أفرام نكد: كان الرهبان المسؤولين عن الدير أكثرهم من بلدة مشمش، وكان الأب شربل الوحيد بينهم من بلاد الجبّة. وكان صموتا مهما شغّلوه لا يقول لأحد لا، لا يتذمّر، ولكن ما كان أحد يشفق عليه منهم، ولا هو يشفق على نفسه. وكان الأخ الكرارجيّ فرنسيس شقيق الرئيس، يشغِّل الأب شربل بدون شفقة وينتهره، والأب شربل يطيعه، مع كونه أخا، وهو قسّيس، كما يطيع الرئيس. حال رجوعه من الحقل حاملا حطبا يرزح تحته إلى الأرض، يأمره بعمل آخر كجلب الماء أو غيره. ومرّة أمروه بحمل الماء في سطل لسقاية الدخان، فظلّ طول النهار يستقي بالدلو حتّى سلخ جلد يده.

6- الحجارة تلمس جلده

شهد الأب أفرام نكد: وكنت ذات يوم أُحَمِّله حجارة في الحقل على ظهره، وما كان يستخدم غطاء سميكا على ظهره، بل كان يحمل على العباءة والقميص. وظلّ يحمل كذلك حتّى تمزَّقت العباءة والقميص عن ظهره، وصارت الحجارة تلمس جلده، وكنت أشفق عليه خصوصا لأنّه قسّيس، فذهب إلى الرئيس وقال له بوداعة وصوت منخفض: **أنظر إلى عباءتي**. فأمر له بعباءة.

7- أيش بتريد أعمل؟

راهب شغل وصلاة وسكوت. وشهد يوسف سليمان: لا نذكر نحن الشركاء، الذين كنّا نشتغل مع الرهبان في الحقل، أنّا سمعناه يتلفّظ بغير هذه الكلمة: يقف مكتوف اليدين، أمام رئيس الحقلة، ويقول له برأس منحن، وصوت منخفض: **أيش بتريد أعمل؟**

8- يرسم إشارة الصليب

شهد الأب أفرام نكد: كان يذهب معنا نحن المبتدئين إلى الحقل فيشتغل كواحد منّا. فكنت أنا أفلح على الفدّان وهو ينكش ورائي. وكلّ ما نكش حينا كان يرسم إشارة الصليب، عملا بقانون المبتدئ: "كلّما ابتدأت بشغل ما، أرسم ذاتك بإشارة الصليب على وجهك، ثمّ قدّم ذاك الشغل لله قائلا: **أنا أقدّم لك يا ربّي وإلهي، قلبي ونفسي مع**

هذا الشغل، أعطني أللهمّ قوّة حتّى أتمّمه حسب مشيئتك، وليكن لرضى ومجد لاهوتك"، حافظا الصمت العميق. ولا يكلّمني كلمة واحدة، لا أنا ولا غيري. فإذا سُئل عن شيء، يجاوب بكلمة **نعم** أو **لا**، أو بوجيز من الكلام محكم، وهذه عادته.

رابعا: فقر شربل (مر 21/10)

أ- تعريف

يقول القانون: "يجب على الراهب ألا يقتني شيئا ذاتيّا". لذا ما مسكت يده يوما طوعا نقدا من فضّة أو ذهب. وكان يستعمل أحقر الأشياء، ولا يرمي شيئا صغيرا أوكبيرا، ولو كان ضلعا من البقول، وإذا رأى تحت العريشة حبّة عنب، أو كسرة خبز على الطريق يلتقطها ويحملها إلى المطبخ. وقد كان فقيرا كأحد الشحاذين. ولم يوجد فقير يرضى بطعامه ومرقده وثيابه. فكان يعتبر كلّ خيرات الدنيا كالتراب المدوس بالأقدام.

ولكنّ الفقر الحقيقيّ كان بظهوره مظهر الغبيّ الخامل، مع أنّه كان غنيّا بنعم الله والفضائل السامية. وكان متجرّدا عن أهله، بحيث ما زارهم قطّ في حياته، ولا تحدّث عنهم ولا سأل أيضا. ولمّا كان يزوره أخوه كلّ سنة أو سنتين، ما كان يقابله إلاّ قليلا بأمر رفيقه. وكان متجرّدا عن إرادته، لا بما ينصّ عليه القانون فقط، بل في كلّ شيء، كأنّه بلا إرادة. ومع كونه ذكيّا، لم يظهر ذلك، لا بالكتابة ولا بالكلام. وما لفظ بفمه كلمة: هذا لي، أو هذا لنا، أو هذا لديرنا. كان يشتغل بكلّ قوّته، في أيّ عمل كان، أو يصلّي بكلّ حرارة في الكنيسة، حالما يأمره رفيقه، بترك ذلك إلى عمل آخر ينصرف حالا، كما يمشي الخيال عندما يمشي صاحبه، وهذا منتهى التجرّد، غنيّا بمحبّة الله، قلبه لم يكن متعلّق بشيء في الدنيا على الاطلاق. لكأنّه غير موجود في هذه الدنيا، بل في دنيا الله.

وعملا بالقانون: "لا يضيّع الوقت بطّالا، بل كلّما قدر فليصلّ للمحتاجين ولموتاه، ولا يتكاسل لئلاّ يقع في فخاخ الشيطان"، كان شربل شديد الحرص على الزمن، ولا يترك فرصة، ولو زهيدة جدّا، تمرّ دون أن يأتي عملا تنتفع به الرهبانيّة، ويكتسب بها ربحا يناله في الأبديّة لأنّه كان يعلم العلم اليقين أنّه إنّما أعطي الزمان لتقديس نفسه؛ فعندما لم يكن في العمل، ينصرف إلى الصلاة والتأمّل.

ب- روايات وأحداث

1- خد لك هدا

إذا حضر نعوة في الخارج، وأعطوه جزوة، يأتي بها إلى الرئيس فور وصوله الدير، ويعطيه إيّاه قائلا له: **خد لك هدا**. وهذه عبارته بالحرف. ويكون إمّا ريالا أو بشالك (ومع أنّهم كانوا يعطون عموم الكهنة ثلاثة بشالك (البشلك =5غروش) كانوا يعطون الأب شربل ريالا مجيديّا (سعره بين 20و25غ)) وما كان يعرف أصناف العملة. وإذا ما وجد الرئيس في غرفته حاليّا، يضع المجيدي على طبق قصب كان تحت سريره.

2- خذ هذا الشيطان عنّي

كان الأب شربل مع آباء الدير في نعوة، وقد أعطي كلّ منهم ثلاثة بشالك. وعند رجوعهم إلى الدير، حمل الأب شربل، هذه البشالك، حالا إلى الرئيس. فقال له الرئيس: إحفظها معك، فقد تحتاج لشراء محرمة أو حاجة أخرى. فامتثل لأمر الرئيس، واحتفظ بها. وفي المساء لم يعد يستطيع إبقاءها معه، فحملها إلى الرئيس وقال له: **خذها عنّي فلا أريد أن أبقي هذا الشيطان عندي**.

3- أعطها للأب مكاريوس

شهد الأب الحصروني: كنت في دير مار أنطونيوس قزحيّا في شهر تموز سنة 1898، وكان الأب أنطونيوس علوان آنذاك في ذلك الدير، قد أبرز النذور من وقت قصير. وبعد تركه دير مار مارون عنّايا، أخبر أحد أنسبائه، بفضائل الأب شربل. فشاء أن يرسل له حسنة قدّاس، يتلوه على نيّة، وسلّمه ربع مجيدي، لكي يرسله له. فسلّمني هذا الربع مجيدي، وكلّفني بأن أسلّمه يدا بيد إلى الأب شربل، لكي يتلو القدّاس المطلوب على نيّة صاحبه، تاركا ذلك لضميري. فأخذت الحسنة، وأتيت إلى المحبسة. وعندما قابلت الأب شربل، قلت له: تفضّل، هذا حسنة قدّاس على نية الأب أنطونيوس أيطو فقال: **أعطها للأب مكاريوس**. قلتُ له بحدّة: هو استحلفني، وطلب منّي، أن أسلّمك إيّاها، يدا بيد، ولا يمكن أن أسلّمها لغيرك! فمدَّ يده على طولها، وأغمض عينيه ناظرا إلى الأرض، فوضعتها في كفّه. فمنذ لمسته مشى نحو الأب مكاريوس، مناديا بصوت لم يُؤلَف سماعه إلاّ في الكنيسة قائلا: **يا بونا مكاريوس. يا بونا مكاريوس. خذ هذه حسنة قدّاس**. وكان مبعدا يده عنه كأنّه يحمل عقربا. ودفعها إليه دون أن ينظر إليها، أو يعرف كميّتها.

4- قرب الفجر

شهد الأب اغناطيوس مشمش: أتاني مرّة وأخبرني - وكنت وقتئذ رئيس الدير - قرب الفجر، **أنّ بعض الزوّار أعطوه أربعة بشالك** سلّمني إيّاها **وقالوا له: إشترِ بها لوازمك الخصوصيّة. وقصّ عليّ كيف أنّ عدوّ الخير جرّبه كلّ الليل بشأنها، حتّى يحتفظ بها لنفسه. وأنّه بنعمة الله انتصر عليه**، وأتاني بها كما تقدّم فقلت له: هل أنت في حاجة إلى شيء؟ فقال لي: **إذا شئت يلزمني بعض محارم لاستعمالي في التمسيح والتنشيف**. فأعطيته أربعة محارم سوداء حسب طلبه.

5- لا تدعيني أرى صورة الدراهم (مر 10/23-25)

شهد حوشب نكد: كانت والدة وردة ابنة شقيق الأب شربل تملك طاسة من فضّة، توضع على رأس النساء للزينة. وبعد وفاتها، باعتها ابنتها وردة، بثلاثماية غرش، أي نحو ليرتين عثمانيّتين ذهبا. وحملت هذا المبلغ إلى عمّها الأب شربل، حسنة قدّاسات عن نفس والدتها زوجة أخيه. لكنّ الأب شربل، أبى أن يستلم المال، وخاطب ابنة أخيه، من داخل الغرفة، دون أن يرى وجهها، قائلا لها: **أعطي هذا المال للأب الرئيس**. فأجابته: أريد أن أسلّمك إيّاه أنت، لتقدّس أنت. فأجابها: **إنّي أقيّده في دفتري، وأقدّس. ولكنّي لا أتسلّم المال. إذهبي وأعطيه للرئيس، ولا تدعيني أرى صورة الدراهم**. فنَزلت عند إرادته.

6- ضعا النذر على الرفّ

شهد الأب نعمةالله نعمة: زاره اثنان من إخوانه العلمانيّين، وألحّا عليه أن يقبل منهما بضعة غروش فأبى، ومن كثرة إلحاحهما، وقولهما له: إنّ هذا نذر للمحبسة، قبل وقال لهما: **ضعا النذر على هذا الرفّ**، بدون أن ينظر إليه أو يعرف كميّته، ولمّا زرت ذات يوم المحبسة، بادرني بهذا الكلام: **إنّ شقيقيّ زاراني ووضعا هذا النذر للمحبسة فهاكه هناك على الرفّ فخذه**، فتناولته وكانت قيمته 8 بشالك.

خامسا: لباس شربل

أ- تعريف

يُلزِم القانون: "لتكن كسوة الراهب وفراشه وغطاؤه بما يناسب الفقر"، لذا كان في لبسه مثل أحقر فقير، والمبتدئين في الرهبانيّة. فلم يلبس يوما ثوبا جديدا، بل كان يلتمس باتضاع، وهو يرغب في الثياب العتيقة، أن يلبس فضلات الرهبان والإخوة أي ثيابهم العتيقة؛ عباءة رهبانيّة مرقّعة، رثّة، تُعدّ خيطانها؛ من صوف بلديّ خشن، جرباء، محمرّة لزوال صباغها؛ دائما نظيفة، لأنّه كان يُنظِّفها بيده؛ ويُرقِّعها بيده غير متأنِّق ولا معتن بها، كلّ 5أو 10سم قطبة. ولم يكن له أثواب خاصة للصيف أو للشتاء. ويبقى لابسا ثوبه حتّى يبيّن أنّه كاد يتنثّر ويرثّ. فيعطى له غيره.

وزنّاره جلد كباقي الرهبان، لكنّه مشرحط على حمل الحجار والسيكون. وكان يلبس سروالا واحدا مصبوغا أسود، وقميصا من الخام، وصدريّة عباءة قديمة، وفوق الصدريّة العباءة الرهبانيّة؛ وما لبس كلسات طول حياته، رغما عن البرد القارس. وكان يلبس المشلح في الكنيسة، وخارج المحبسة، إلاّ في الشغل. ولم يكن يَنْزع الإسكيم عن رأسه، لا صيفا ولا شتاء، لا ليلا ولا نهارا، إلاّ وقت القدّاس، حسبما ينصّ الطقس الكنسيّ؛ وإسكيمه كان كبيرا يغطّي رأسه، وعينيه، وأذنيه، وبعض خدّيه وعنقه. وكان حذاؤه عتيقا مرقّعا، المعروف بالمداس الرهبانيّ القديم؛ ومحارمه اليدويّة كانت من خام غليظة، وهي المعروفة بالفوط.

ب- روايات وأحداث

1- بلا خطوط حمراء

لمّا كان الأخ المتولّي أمر السكافة، يضع مداسا فرعته على دائرتها خط أحمر، يعرف بالمقز حسب عادة الرهبان في تلك الأيّام، كان الأب شربل متى أُمِر له بمداس، يوصي الإسكاف أن **يكون المداس بلا خطوط حمراء**.

2- حتى يرقّعها

شهد الأب فرنسيس السبريني: وُجِدتُ مدّة، مولجًا بالخياطة لثياب الرهبان، في دير مار مارون أيّام رئاسة القس أغناطيوس المشمشاني، الذي أمرني بالذهاب إلى المحبسة، وفحص أثواب الحبساء، والنظر بلوازم لباسهم. فدخلتُ صومعة الأب شربل، فلم أجد فيها قطعة تصلح للبس، فأمرته بإخراج هذه الخرق منها، وبدأت بإتلافها أمامه. فأخذ **يرغب إليّ أن أُبقيها له حتّى يُرقِّعها، ويستعملها ضنّا بها أن تذهب ضدّ الفقر**. حضرتُ للدير وخيّطتُ له بدلتين بناء على أمر الرئيس. ولمّا أعطيته إيّاهما، **اعتذر عن لبس العباءة الجديدة**، وقال لي **حتّى أترجّى الرئيس ليُرسِل له عباءة عتيقة تُسهّل له الشغل. ولا يُرسِل له قمصانا**، حيث كان يستعيض عن القميص بالمسح الشعريّ، **وصدريّة من الثوب الرهبانيّ**، تستر المسح الشعريّ.

3- هذا أفرشه تحتي

شهد الأب حنانيّا الجاجي: ذهبتُ لزيارته يوما، فوجدتُه يغسل أثوابه بيده ويعركها برجليه، فنظرتُ المسح بين الاثواب المغسولة. فقلت له: ما هذا؟ فقال: **هذا أفرشه تحتي**. محاولا بذلك إخفاء فضيلته عنّي.

4- ألبسني مثل مشيتي

ومرّة جاء إلى الرئيس الأب روكس المشمشاني، وكانت عباءته رثّة للغاية، وطلب إليه قائلا: **مشّيني مثل عباءتي أو ألبسني مثل مشيتي**. وقصد بذلك: إمّا ضعني في المحبسة حيث تناسب هذا اللبس، وإما أكرم عليّ بعباءة أحسن حالا، أظهر بها لمّا أرافقك. فدخل الرئيس في الحال غرفته، وخلع عباءته عن جسمه، ثمّ ألبسه إيّاها. فجاءت واسعة عليه. فقال له الرئيس: لا مانع من إستعمالها.

5- لماذا مبهدل ذاتك؟!

شهد موسى موسى: رأيته لابسا حذاء ممزّقا فقلت له مرّة: لماذا مبهدل ذاتك هكذا؟! أُطلُب مداسا لائقا، فرجلاك مثل أرجل الجمال؟! فلم يجِب.

سادسا: فرشته ونومه وأثاث غرفته

أ- تعريف

1- غرفة شربل في الدير

وهي واقفة في الجناح الغربيّ من الدير. طولها من الممشى الشرقيّ إلى الحائط الغربيّ 325سم، وعرضها 225سم، وعلوّها 300سم، مسقوفة بخشب بسيط والجذوع والتراب. لها نافذة للغرب، وأرضها حجريّة. بابها إلى الشرق، يطلّ على باب ونافذة الكنيسة، قبالة المذبح الكبير.

2- غرفة المحبسة

طولها من الشرق إلى الغرب 3 أمتار، وعرضها من الشمال إلى الجنوب 210سم، وعلوّها 240سم. ولها نافذة شرقيّة من خشب حقير ذات درفتين لها زجاج، مقفولة دائما، ومغطّاة بستار أسود، حتّى لا يراه أحد منها.لا يرى منها إلاّ جبل إهمج، وجبال وعرة. وفي الحائط الشرقيّ، طاقة بشبه خزانة يضع فيها سراج الزيت. أرضها بلاط حجريّ جبليّ، حيطانها من تراب مطيّن على الحائط الحجريّ. وهي مسقوفة بالأخشاب. والباب من خشب بسيط حقير جدّا، له مقبض خشبيّ من الخارج. وهي خاوية خالية حقيرة، دائما مفتوحة، مصبوغة بالدخّان؛ فيها تخت خشب وتحته طبق قصب يحفظ عليه كتبه الروحيّة واللاهوتيّة. وإبريق ماء. وما كان يسمح لأحد بالدخول إلى صومعته إلاّ نادرا واختلاسا.

3- فرشته

فراشه كان مؤلّفا من ورق العفص والسنديان، يبسط عليه بلاسا، محاكا من شعر الماعز، وقطعة عتيقة من اللبّاد. ووسادته قطعة من الحطب ملفوفة بخرقة عباءة سوداء. فكان ينام على هذه الفرشة في الصيف والشتاء؛ ومرقده على غاية من الخشونة، لا فراش ولا لحاف؛ ففرشته رثّة، كان يرقد على جنفيصة، فوق لوحين خشبيّين، مرفوعين عن الأرض بعلو شبرين، مع قطعة حرام موصولة بها. وكان يرقد على الأرض أحيانا كثيرة.

4- نومه

ما كان يسهر قطّ مع الرهبان، ورقاده كان بعد إنجاز صلاة الستّار، وبقيّة الصلوات، أي نحو الثامنة والنصف. وكان ينهض عند نصف الليل للصلاة، حسب قانون المحبسة؛ وبعدها ما كان ينام مطلقا أو يرتاح بعض الأحيان نحو ساعة، ثم يعود إلى التأمّل والصلاة. وفي النهار لم يكن ينام أبدا. وما عرف الألعاب (لعب الورق وغيره) في حياته.

ب- روايات وأحداث

1- منهوك القوى من النعاس (مر 38/4)

شهد الأب الياس إهمج: كنت ألاحظ أنّه منهوك القوى من النعاس لطول السهر المتواصل، إذ بينما يكون راكعا نصبا، يغلب عليه النعاس بعض الأحيان، فينحني رأسه، ويهوي بجسمه رويدا رويدا حتّى كاد يصل إلى الأرض. حينئذ ينتبه فجأة، وينتصب منتصرا على ضعف الطبيعة، ويرفع بصره إلى العلاء متنهّدا من أعماق قلبه. وما أحد رآه يوما مرتاحا في النهار مغمضا جفنه في ظلّ شجرة.

2- وسادة الصوف (متّى 20/8)

كانت غرفته بدون غال ومفتاح. ومرّة بينما كان الأب شربل يشتغل في الحقل إنتهز الفرصة الأخ بطرس الفراديس، ودخل غرفة الأب شربل وأخذ الوسادة التي هي قطعة من حطب ورماها في الحوش، ووضع له بدلها وسادة من صوف. ولمّا عاد الأب شربل إلى غرفته ورأى الوسادة مبدّلة، **ترجّى الأخ أن يأخذ وسادة الصوف، ويعيد إليه وسادته قطعة الحطب، وألحّ عليه** حتّى فعل.

سابعا: أكل شربل

أ- تعريف

1- في الدير

كان يأكل مع إخوته في الدير على المائدة مرّتين في النهار، وما كان يتذمّر إذا تأخّر الطعام عن موعده، وما كان يطلب من العشّي أو الكرارجي أكلة خصوصيّة أو يشمئزّ من بعض المآكل، بل بالعكس كان يطلب فضلات الطعام، والفتات، مستأذنا اختصاصه بها لمزيد اتضاعه واقتناعه بالكفاف؛ وكانت وجبات طعامه من الخبزات المحروقة والمطويّة والغير المستوية، والرغيف المكسّر أو لزاقة الدست، فأكله كان قشفا. وكان يأكل بهدوء وتأنٍّ، ولا يتكلّم مع أحد، وعندما يحتاج شيئا، ما كان يرفع صوته، بل ينظر بمؤخّر عينيه، ونظره منخفض كأنّه يتأمّل أو في الكنيسة. ولا يقول هذا مالح أو هذا حلو. وما قال مرّة أنا مريض: لا آكل من هذا الشكل. وما تحدّث عن الأكل وعن جودة الطبخ أو عدمها. وكان غالبا يغسل الصحون وأواني المطبخ ويشرب غسالتها، ويتمّمها بسرور. والطعام في أوعية فخّار وملاعق خشبيّة. ولا يتعاطى بهموم الأكل ولا يعرف أين موجودة موادّه، وما أكل مرّة خارج الدير، إلاّ في الحقل في زمن الشغل، فكان يقتات من فضلات طعام إخوته المشتغلين معه ومن فضلات أطعمة الخدم الذين يشتغلون في حراثة الأرض مع الرهبان.

وما كان يأكل شيئا على الإطلاق خارجا عن المائدة العموميّة، ومستحيل أن يتناول أكلا أو شرابا أو فاكهة خارج المائدة. ولم يكن يتعاطى التدخين. ولا شيء من المُكيّفات، ولا يأكل سكّرا ولا شيئا من الخضار اللذيذة، ولم يشرب عرقا، ولا خمرا ولا مسكرا، ولا القهوة؛ وبالنتيجة فقد كان يتقوّت تلبية لداعي الضرورة فقط لا طلبا للذّةٍ. ولم يكن يحتفظ في غرفته بشيء يؤكل. وكان في هذه الدنيا كأنّه ليس منها، فأشواقه متّجهة نحو الله.

2- في المحبسة

كان يأكل مرّة واحدة في النهار، بعد صلاة العصر وكان أكله سلطة وزيتون، وقشر البطاطا النيّئة، يغسله ويغليه قليلا، ويأكله. ولمّا كان يأتي من المحبسة إلى الدير لأخذ الزاد، يبدأ في أن ينتقي الخبز العفن حصّة له، الذي كثيرا ما يرمى للكلاب، ويقدّم لرفيقه الطعام الجيّد والخبز الصحيح، وهو يأكل الفضلات الباقية من أمس. ولم يكن يذوق اللحم مطلقا، وكان طبخه بالزيت، إلاّ في الأعياد الكبيرة، كعيد الميلاد، والقيامة، وعيد مار أنطونيوس، وعيد مار بطرس وبولس شفيعي المحبسة، فبالسمن.

وكان للمحبسة كرم يشتغل فيه الحبساء، ويقطفون الفواكه والعنب والتين والإجاص، وما أشبه، وينقلون هذه الأثمار للدير، ويقدّمون منها للزوّار، وهو يشتغل أكثرها حارما نفسه منها، فالفواكه لم يكن يذوق منها إلاّ القليل. ولا يأكل إلاّ إذا قال له رفيقه: كل. فيأكل. وكان يأكل ما يقدّمه له الأب مكاريوس. وكان يملأ الجرّة لرفقائه من ماء عين عنّايا، التي تبعد عن المحبسة نصف ساعة، ويشرب هو من البئر الموجودة في المحبسة، عند الوجبة الواحدة، التي كان يغذّي جسده بها.

ب- روايات وأحداث

1- الخبزات في الشبّاك (يو 4/31-34)

شهد الأب أفرام نكد: عندما كنّا نعود من الحقل متأخّرين، يأتي الأخ فرنسيس ويعطيه أربع طلامي (خبز صغير وسميك) للعشاء ناشفين. فيحمل الخبزات تحت إبطه، ويدخل الكنيسة، ويضع الخبزات في الشبّاك، ويركع مصلّيا. ويغيب طويلا وهو راكع، وأحيانا يبقى في هذه الحالة ساعة ونصف، وأحيانا كنت أشاهده غافيا. وعندما كنّا نأتي إلى صلاة الليل كان الأخ فرنسيس يدخل الكنيسة يقرع الجرس للصلاة، ويأخذ الخبزات عن الشبّاك إلى الكرار. لأنّ الأب شربل كان ينسى بطنه في سبيل الله. فهل الأب شربل كان يترك الخبز قصدا، أم ينساه لا أعلم. وإنّما كان يترك الخبز مرارا، فيبقى على وجبة واحدة في النهار مع مشقّة أشغاله. وما كان أحد يتركه دقيقة بلا شغل، بل لا يدعونه في الكنيسة مجاريا رغبة قلبه للصلاة.

2- لا يأكل عنبا ولا يشرب ماء

يضيف الأب أفرام: إنّي أذكر أنّنا في أيّام الحصاد أو بعد الحصاد، وعند نضوج العنب كنّا نحن المبتدئين نأتي بالعنب من كرم الدير لنأكل ونُبرّد غليلنا، وكنّا ندعو الأب شربل لمشاركتنا وتُلحّ عليه فما كان يشاركنا قطّ. بل يلوي ظهره. ويتابع الأب حنانيّا الجاجي: كنت معه أحيانا في الفلاحة، وكان يساعدنا. ولا يشرب ماء مع شدّة الحرّ، بينما كنّا نحن نكثر من الشرب بسبب التعب والحرّ، وما كان يأخذ مُبرّدات في الصيف.

3- إلى زيارة القربان

شهد سمعان غاتا: كنت أشتغل في الدير بالمونة أيضا، وسمح لي الرئيس بأن آكل مع الرهبان على المائدة. والأب شربل ما كان يأكل إلاّ مرّة واحدة في النهار عند الظهر وكان أكله ثلاث طلامي يفتّها في صحن صغير مخلوطة. وعندما ينتهي رفاقه من الأكل، يأخذ صحن جاره ويغسله ويصبّ الغسالة في صحنه، ويشرب إماتة، وقهر ذات. وبعد الأكل كنّا نحن نرتاح، ولكنّ الأب شربل كان يذهب، وقت راحتنا هذه، إلى زيارة القربان في الكنيسة. وفي وقت الترويقة أيضا، كان يذهب إلى الكنيسة ويصلّي.

4- البرغل بسمنة

شهد شبلي شبلي: إذا صدف أن أكل مّرة يوم شتاء في الدير. كان يتخذ المكان الأخير. وأذكر أنّهم، عندما كانوا في الدير يريدون أن يسوقوا اللائق مع الرئيس، كانوا يطبخون له صحن برغل بسمنة. فكان الأب الرئيس عندما يصدف أن يكون الأب شربل في الدير في يوم شتاء، يقول لي، بعد أن يحاول عبثا أن يجلس الأب شربل في قربه: خذ له شيئا من هذا الصحن، أي البرغل بسمنة. فكنت آخذه وأضعه قدّامه. ولكنّ هذا الطعام كان يبقى مكانه دون أن يمسّه الأب شربل.

5- بلا زيت

شهد جرجس ساسين: رأيته مرّة مسلِّقا بعض حشائش، وبقول بريّة من أنواع عديدة، منها ما ألف أكله، ومنها حشيش للحيوانات فقط. فقلت له: يا معلّمي! هذا العشب لا يؤكل! وأشرت إلى العشب الذي لا يؤكل. فأجاب: **لا بأس**. وهرم الحشائش والبقول، ووضع عليها الملح رشّا، ومزجها بالملح دون زيت. فجاء الأب مكاريوس الذي كان مشغولا، وكان من عادته أن يجهّز هو الطعام وسأله: هل سكبت زيتا؟ فقال: **لا (ما بيسايل) ممكن أن نأكل بلا زيت**. وكان الزمان زمن صوم. وهكذا أكلا من تلك الحشائش التي كنّا نحن نلقيها للبقر.

6- يومين بدون أكل (لو 4/4؛ ومر 2/8)

شهد مارون عبّود: لمّا كان في الدير، كان يتّفق لي أن أساعد الرهبان في شغل الحقل، ويكون الأب شربل معنا. فلا يأكل إلاّ عندما يأمره رئيس الحقل، تطبيقا لقانون المبتدئ: لا يأكل كلّ يوم إلاّ بإذن المتقدّم، وحينئذ يأخذ ما يعطيه إيّاه ويَنْزوي وحده ويأكله. ويضيف الأب بولس السبريني: مرّات عديدة، كان الأب مكاريوس عندما يكون في دير مار مارون، متمّما بعض الخدم التي تأمره بها الطاعة، يطلب عند العصر الإذن بالرجوع إلى المحبسة. فنلحّ عليه بالبقاء معنا، فكان يجيب: أريد أن أروح إلى المحبسة لكي أغدّي الأب شربل. فقلت له مرّة: ألا يعرف أن يأكل هو بذاته؟ حتّى تطلب كلّ مرّة الإذن حتّى تروح تغدّيه؟ فأجاب: مستحيل أن يأكل دون أن أدعوه أنا وأقدّم له. وكان لو ترك يومين دون أن يدعى إلى الأكل، ما كان يطلب أن يأكل، ولا يأكل من ذاته. ويؤكّد الأب اغناطيوس مشمش: هذا حادث مشهور عنه.

7- الخبز المحروق

كان الأب مكاريوس، يَنْزل إلى الدير، للمساعدة في صنع الخبز، فيجمع كلّ رغيف محروق أو معطّل ويأخذه قائلا: هذا لمعلمي! قاصدا بذلك الأب شربل. والأب شربل نفسه، كان أحيانا يَنْزل للمساعدة في صنع الخبز، فيجمع الأرغفة المعطّلة أو المحروقة ويأخذها ليأكلها. وذلك في سبيل الإماتة. وشهد شبلي شبلي: كان يطلب منّي أن أجمعها له، لتكون له مؤونته الخاصّة.

8- ثلاث حبّات عنب

شهد الأخ فرنسيس قرطبا: رأيته يأكل سلطة فرفحين، وليس أمامه من الفرفحين، إلاّ الأضلاع الجافية، مع كثير من البذر، وقليل من الورق. فيغمس لقمته بهذا الصحن الخشبي، ويلتقط كسر الخبز والفتات المحروقة، قبل أن يكسر رغيفا جديدة. فمرّة رأيته يأكل وكلّ غذائه هذه السلطة، ومرّة أخرى يأكل برغلا على بندورة. وعندما كان ينتهي من الأكل، يأمره رفيقه في أيّام الصيف، أن يأكل عنبا فيتناول ثلاث حبّات أو أربع.

9- ضلوع الفرفحين والبقدونس

شهد الأب علوان: كنت مع إخوتي المبتدئين في الشغل بجوار المحبسة، فخطر ببالنا أن نحضِّر أكلة تبّولة. فأخذنا نجمع ما يلزم من بقدونس وفرفحين وغيرها. فنقّينا العروق ورمينا الضلوع. فأخذ الأب شربل يجمع الضلوع ثم هرمها وصنع منها سلطة، إذ وضع عليها زيتا وملحا وأكلها. وهذا جرى على مرأى منّي.

10- بطيبة خاطر

قال له الأب مكاريوس: يا أخي لم يبقَ لك طعام، إلاّ هذا القليل الذي كنت حفظته للبسينة - لأنّي نسيتك - في صحنها المخصوص. فقال له: **يا أبي لا مانع. وأكتفي بالطعام المعدّ لأصغر الحيوانات، بطيبة خاطر**.

11- تنكة يعلوها الصدأ

شهد الأب بولس السبريني: كنت حاضرا وقت أكله في المحبسة، وعندما انتهى، نهض وغسّل قصعة العود القديمة (صحن خشبي) التي كان يأكل فيها، وصحن رفيقه، ووضع الغسالة في تنكة صغيرة يعلوها الصدأ. وذهب بهذه التنكة إلى صومعته، فسألت رفيقه الأب مكاريوس قائلا: ماذا يصنع الأب شربل بهذه الغسالة؟ فأجابني: ذهب ليشربها، وهكذا يفعل في كلّ مرّة. وكنت أقول في ذاتي، كيف يمكن أن يعيش بهذا الأكل وهذه الحالة؟

12- تأثّرٌ حتّى الدموع

شهد الأب سمعان أبي بشارة: جلس الأب شربل ورفيقه الحبيس الأب مكاريوس المشمشاني لتناول وجبتهما من الطعام، وجلست أنا معهما، وكان الغداء يخنة بطاطا، فأخذ الأب شربل يتناول الرغيف المحروق والمطويّ والكسر المتساقطة من الخبز ويجعلها بكلّ تأنٍّ في قصعته. فرثيت له في قلبي وكادت الدموع تتساقط من عيني تأثّرا، وقلت في نفسي: هذا الحبيس يصنع مثل هذه الإماتات الشاقّة، ونحن الرهبان لا يطيب لنا إلاّ الطعام اللذيذ والفراش الناعم.

13- ما ذاق حبة عنب

شهد الأب بولس السبريني: وكان رئيس دير مار مارون يرسلني لأقطف للدير عنبا من كرم المحبسة. فكان الأب مكاريوس يأمر الأب شربل، بأن يرافقني ويقطف لي العنب. فلم أرَه قطّ مرّة ذاق حبّة واحدة. وعندما كنت أجده وحده في المحبسة، وأطلب منه أن يقطف لي عنبا، فما كان يجيبني، وكان ينظر أمر رفيقه حتّى يقطف لي عنبا.

14- لم يأمرني أحد

بينما كان الرهبان يشتغلون في الكرم مع الأجراء، تغدّوا، ونسوا أن يدعوا الأب شربل. وهكذا فعلوا في اليوم الثاني، والأب شربل يشتغل بلا أكل هكذا مدّة يومين. فانتبه الأب الرئيس للأمر، فاستدعى الأب شربل وقال له: هل أكلت اليوم؟ أجاب: **كلا**ّ. قال له: وأمس؟ هل أكلت؟ أجاب: **كلا**ّ. فقال له: لماذا؟ أجاب: **لأنّه لم يأمرني أحد**. فأمر الأب الرئيس بأن يحضر له الطعام في الحال. فسأل الرئيس رفاقه: لماذا لم تستدعوه إلى الطعام؟ فأجابوه: نسيناه.

15- روح صلِّي

شهد الأب نعمةالله مشمش: نظرته مرّة، وكان قد فات وقت الأكل، فدعوته ليأكل فأجاب: **موش تبع خاطري الأكل**. أي أنتظر خاطر رفيقي. ويضيف الأب بولس السبريني: وعندما انتهيا، تكتّف الأب شربل، وحنى رأسه أمام رفيقه وسأله: **ماذا تريد أن أعمل الآن يا أبتِ؟** فأجابه: روح صلِّي.

16- المؤن تفيض! (مر 6/30-44)

شهد يوسف خليفة: فرغ صندوق الغلّة في الدير. فجاء أحد الرهبان يخبر الرئيس بذلك، فاستدعى الرئيس الأب شربل، وسأله أن يرشّ ماء مباركا، ويصلّي على الصندوق. ففعل الأب شربل، وإذا بالصندوق يفيض قمحا.

وسنة ما كادت المؤن تفرغ من الدير، فاستدعي الأب شربل الحبيس فصلّى وبارك فزادت الغلال. وهذه الحادثة تكرّرت مرّات، وخوابي الزيت امتلأت! بصلاة شربل! وبطلب من الرئيس، بعد أن عَلِم أنّها فارغة!

ثامنا: قناعة شربل

أ- تعريف

كان قنوعا بالحالة التي وجد فيها ولا يتطلّب غيرها، وما كان يتطلّب غير رضى الله. وحيثما ترسله السلطة، يجد راحته وسروره. لا يهمّه أن يكنّس أو يطبخ أو يشتغل بالمعول أو غيره، إذ في كلّ ذلك رضى الله. و كان رفيقه يعتني به من تلقاء ذاته، ويطلب له من الرئيس ما يلزم؛ وكان يحرم نفسه من الأشياء العاديّة الضروريّة لحفظ الحياة، قنوعا بما هو أدنى الأشياء، وأحطّها، وأصعبها. كان كالطفل، لا تصنُّع ولا تأنُّف ولا تزلُّف لأحد. وكانت الاستقامة في معاملاته. ولم يكن يظلم أحدا إلاّ ذاته بمزيد من التقشّف. ولا أحبّ أن يشتغل شغلا شاقّا،

ليميت ذاته، أو يصلّي أمام القربان ساعات طويلة، ولا يطلب ذلك، بل يفرح عندما يؤمر بذلك، ويتمّه بسرور. وقد كان ثابتا في قناعته مستمرّا على تقشّفاته، فرحا في ممارستها، حتّى آخر نسمة من حياته. ولم يكن ليتذمّر من شيء في حياته أبدا. وكان في أكله وشربه ولباسه وكلّ أعماله بسيطا للغاية. وما كان يتعاطى مع أحدٍ أبدا. ولا يفهم من المعاملات مع الناس والرهبان إلاّ ما تأمره به الطاعة.

ب- روايات وأحداث

1- يا أب العام!

زار الأب مبارك سلامة المتيني، إذ كان رئيسا عاما، دير عنّايا، وأحبّ أن يتناول طعام الغداء مع تلامذة الرهبانيّة، فأعدّوا له غداء قرب المحبسة. فأتى الحبيس الأب شربل للسلام عليه، فقال له الرئيس العام: يا أبونا شربل أنت اليوم تكون معنا على الغدا. بدنا نغدّيك معنا غدا منيح. فأجاب: **نحن نذرنا في الأمور الصعبة، وهذه هيّنة. والطاعة بهالأمر منيحة كتير**. فظنّ الرئيس العام أنّ الأب شربل سيأكل ممّا يقدّم على المائدة، ويشارك الرئيس العام. وعند الغداء، طلب الرئيس العام الأب شربل، فحضر مكتّفا. فقال له الأب العام: بتحبّ تتغدّى معنا؟ فارتبك. وأخذ يفرك يديه، ويقول، بصوت متخشّع خافت: **يا أبّ العام! يا أبّ العام!...** فكأنّه من جهة، لا يريد أن يخالف أمر الرئيس العام، أو بالأحرى رغبته، ومن جهة ثانية، لا يريد أن يأكل من الطعام المعدّ للرئيس العام ولجمهوره. ففهم الرئيس العام، فأعطاه الحريّة وأعفاه. فعاد إلى محبسته.

2- أنظر ماذا يعطيني شمّاسك؟

شهد شبلي شبلي: كان يُقدَّم للمحبسة نذور من المحارم. فحمل مرّة إلى رئيسه كمّية منها. فقال له الرئيس: أعطهم إلى الشمّاس. فسلّمني إيّاها. وبعد ذلك التفت إلى الرئيس وقال له: **يا معلّمي إذا كنت تريد أن تسمح لي بمحرمة، لأمسح بها يديّ**. فأجابه: لقد كانت كلّها معك! فلماذا لم تأخذ منها!؟ فأجاب: **إنّي لا آخذ شيئا بدون إذنك**. فقال لي الرئيس: أعطه محرمة. فاخترت له محرمة جديدة فابتسم الأب شربل وقال للرئيس: **أنظر ماذا يعطيني شمّاسك؟** فأجابه إختر ما تشاء. فلم يأخذ إلاّ أبشع المحارم.

تاسعا: ذكاء شربل

أ- تعريف

كانت تظهر عليه الغباوة والسذاجة، إنّما في الحقيقة، كان ذكيّ الفؤاد، نقيّه، حادّ الذهن، بسيط الحديث، لطيفه، صريح الكلام بدون لَبْس فيه، صادقا. ومتى سُئِل أجاب بوضوح وإيجاز، مظهرا في الخارج أنّه غبيّ خامل. فلم يتلفّظ إلاّ بالكلام الضروريّ، الذي يبني القريب، ويفيده لخلاص نفسه. وكانت أحاديثه تدور دائما على المواضيع الدينيّة. وقد وجّه كلّ أعماله نحو خلاصه الأبديّ وخلاص القريب. وكان ذا رأي أصيل في الأجوبة اللاهوتيّة، وسريع الخاطر على شدّة صمته؛ وأمّا فطنته، فكانت ظاهرة في إتقان أعماله، ووضعه كلّ شيء في محلّه. ومع جودة عقله وقوّة مداركه، فقد عبّد نفسه للجميع. وبلغ من قهر النفس وضبط الهوى ما أثبت فعلا قول داود النبي – في المزامير- صرت كالبهيمة عندك وأنا كلّ يوم معك.

ساذج في قلبه، بسيط في نواياه، نيّة واحدة: الله. فما كان غبيّا متغفّلا، بل كان عنده فطنة القدّيسين: لم يصدر منه زلّة يقدر رؤساؤه أو إخوته أن يلوموه عليها، بل كان يعمل كلّ شيء بدقّة وترتيب وإتقان؛ لم يَنْسَ يوما واجبه، بل دائما ساهرا على رضى رؤسائه؛ ولم يدع سبيلا لرؤسائه أو لغيرهم أن يجدوا خللا ما في تصرّفاته. ومحافظته على القوانين بدقّة غريبة تدلّ على أنّه كان فاهما لها حقّ الفهم. وكلمته بالروح فقد كانت سامية، لأنّه مشى إلى الكمال على الطريق المثلى لا يحيد عنها قيد شعرة. وكان في سلوكه يضع كلّ شيء في محلّه، ولم يقل كلمة في غير موقعها. وفي أجوبته اللاهوتيّة كان كلامه شديدا وفطنته هذه أيضا وقّتْهُ من السرساب والوسوسة والمغالاة الغير المأنوسة.

وقد كان متنوّرا في العلم دارسا في دير كفيفان، ولكنّه كان يتظاهر دائما بالسذاجة والمسكنة، وأمّا فيما يختصّ بالإماتات وقمع الجسد، فرغم شدّتها وكثرتها واستمرارها، دون انقطاع، لم تسبّب له مرضا، ممّا يدلّ على أنّها كانت مقرونة بالفطنة. وكان رصينا عفّ اللسان. وكان سلوكه المتّزن، يفرض احترامه، وتقديره على كلّ من عرفوه. ولم يسبّب شكّا وعثارا لأحد، بل كان الجميع يعتبرونه قدّيسا، ويطلبون التبرّك منه. وكان حكيما لا بحكمة هذا الدهر، بل بالحكمة الفائقة الطبيعة. وكثيرا ما كان ينصح الرؤساء والرهبان للإقتداء به.

ب- روايات وأحداث

1- إسألوا تعطوا (متّى 7/7)

شهد الأب يوسف إهمج: إنّ الأب شربل كان يملك إرادة حديديّة ناريّة، تجعله يتسلّط على كلّ ميوله وعواطفه. وكان يقول لي: **يا أخي الدنيا خدّاعة، وإنّ الله يعرف كلّ شيء فينا. ومن يلتمس منه النعمة بثقة لا يخيّبه، فاطلب منه أن يمنحك ما تحتاج إليه**. وفي المدّة التي قضيتها في مار مارون، لم أعرف فيه أي نقص، لا أنا ولا غيري من الرهبان، من رؤساء ومرؤوسين. ويتمنّى أن يطلب منه خدمة، ليس من الرؤساء وإخوته فحسب، بل من شغّيلة الدير وخدمه. فكان مثلا إذا طلب منه خادم الدير أن ينقل آلة الحراثة، يحملها حالا. وقد كنت أنا شاهدا عيانا لحوادث عديدة من هذا النوع. ولم أعلم مطلقا، أنّ أحدا شكاه إلى الرؤساء أو تذمّر منه لأمر من الأمور. وكان رؤساؤه وإخوته يحترمونه ويقدّرونه، ويطلبون صلاته عند المرض والشدّة. وكان تأثير تقواه على الجميع كبيرا.

2- لا يوجد عنّا حراميّة

جاء مرّة رجل إلى الدير ليسمع القدّاس يوم الأحد، حيث يجتمع الشركاء وسواهم في كنيسة الدير، كلّ أحد وعيد، فترك الرجل عصاه عند الباب ودخل الكنيسة، وكان الأب شربل لم ينقطع بعد إلى المحبسة. وبعد نهاية القدّاس، خرج الرجل فما وجد عصاه. فأخذ يرفع صوته ويسبّ، فخرج إليه من الكنيسة الأب شربل وقال له بهدوء ولطف: **يا أخي، يا أخي، في الدير لا يرفع أحد صوته**. فقال الرجل غاضبا: سرقوا لي عصاي. هل يوجد هنا في الدير حراميّه؟ فتبسّم الأب شربل وقال بكلّ سكينة: **لا يا أخي لا يوجد عنّا حراميّة. أنظر هذا الجرن الموضوع في الساحة أمامك، فهو هنا منذ أن بني الدير، وما سرقه أحد**. فخجل الرجل وسكت. وضحك هو ومن سمع، لأنّ الجرن من صخر ضخم يزن أكثر من عشرة قناطير. فلا يستطيع عشرون شخصا أن يحرّكوه.

3- معلّما ماهرا

من عادة الأخوة الرهبان أو الفلاّحين أنّهم إذا كان معهم أحد من الرهبان الأخوة غشيما أو غبيّا، يقول للرئيس: وحياتك يا بونا الرئيس، لا ترسل لنا الأخ فلان، لأنّه في شغله يعطّل أكثر ممّا يفيد، أمّا شربل فما تذمّر منه أحد لخلل ما في شغله، فكان ذكاؤه يظهر في دقّة شغله. وظهرت فطنته أيضا، بأجلى مظاهرها، في أنّه مع تناهيه في أعمال التقى، وفي رقّة ضميره البالغة آخر حدّ في سموّ فضائله، لم يدع أدنى سبيل لكي يقال: إنّه عنده أدنى وسواس أو أدنى سرساب. بل كان كلّ أمر عنده جرى بمقتضى الحكمة. ومع أنّه لم يدرس في مدارس عالية، كان معلّما ماهرا في الأمور الروحيّة، قصَّر عنه فيها أشهر آباء الرهبانيّة علما واختبارا.

عاشرا: مكتبة وثقافة شربل

أ- تعريف

1- كتبه

من الكتب التي كان يتأمّل بها هي: **رواشق الأفكار**، و**الإستعداد للموت** و**أمجاد مريم** للقدّيس الفونس ليغوري، و**إعترافات** القدّيس أغوسطينوس، و**الكمال المسيحيّ**، و**اللاهوت الأدبي**ّ و**الإقتداء بالمسيح** الذي كان مغرما كثيرا بقراءته. وكان يطالع أيضا كتب **اللاهوت**، و**بستان الرهبان**، و**حياة مار أنطونيوس الكبير**، و**المصباح الرهبانيّ**. و**الفتاوى الروحيّة** و**الكتب المقدّسة**؛ ولم يكن شيئا في غرفته سوى فرشته العاديّة، وكتب صلواته وتأمّلاته. ومن الكتب التي طالعها وهي موجودة في مكتبات الأديار: **سلّم الفضائل**، ليوحنّا السلّمي. و**نسكيّات القدّيس باسيليوس**. و**ميامر مار افرام**. و**مقالات مار اسحق السريانيّ النينويّ في السيرة الرهبانيّة**. و**ميامر الشيخ الروحانيّ في الحياة الرهبانيّة**، ليوحنّا الدالياتي. و**إحتقار أباطيل العالم**، للمعلّم ديدوكس ستاله من رهبان مار فرنسيس. و**ميزان الزمان وقسطاس أبديّة الإنسان**، للأب يوحنّا أوسابيوس نيرمبرك اليسوعيّ. بالإضافة إلى **السنكسار** و**قانون المبتدئ**، و**قوانين ورسوم 1732**. ومخطوطات أيضا موجودة في مكتبة دير عنّايا وهي: **الجزء الثامن من العلم اللاهوتي في الشرائع، سير القدّيسين ويسوع ومريم والمجامع المسكونيّة**، و**الرياضة اليوميّة في الحقائق الابديّة، محاورات رهبانيّة** في مواضيع رهبانيّة بشكل سؤال وجواب، **ومواعظ عن البتول مريم عليها السلام، محاورات رهبانية وعن القانون الرهباني، تفسير الشحيمة، بدون عنوان** شروحات عن شرف إسم يسوع، وعن اللسان والحذر من عشرة الاشرار، وذكر الموت والدينونة العامّة والمطهر، ونشيد العذراء وجهنّم والاعتراف، **وبدون عنوان** تأمّل حول آلام المسيح، وكتاب الحرب الروحيّة، **وتاريخ الازمنة أو تاريخ المسلمين** مؤلّفه البطرك إسطفان الدويهي، **وديوان المطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني**.

2- ثقافته

كان الأب شربل رجل قداسة محض، يخاله الناظر إليه رجلا ساذجا، وأمّا في الأمور الروحيّة، فهو عالم علاّمة، ذكيّا، ضليعا بدرس اللاهوت الأدبيّ، وأصول اللغة السريانيّة، لاسيّما الترجمة منها للعربيّة، وشيئا من أصول اللغة العربيّة. وأجوبته مفرغة بقالب السداد والإقناع؛ لأنّه في اللاهوت الأدبيّ والأمور الروحيّة كان من طبقة الأب الكفري المشهور؛ ففي المحادثات اللاهوتيّة مع الكهنة، كان يتحدّث بطيبة خاطر، عن حوادث ذمّة في اللاهوت الأدبيّ المتعلّقة بتدبير النفوس وبسرّ التوبة، ويفيض لسانه من فيض ما في قلبه المضطرم بالأمور الروحيّة والإلهيّة.

ب- روايات وأحداث

1- أحاديث تقويّة

شهد الأب علوان: كان يَنْزل إلى الدير يُساعد بالخبز على الفرن طول النهار. وكان يجري محادثات لاهوتيّة واستفدنا منه في أمور كثيرة. كان بارعا في هذه الأجوبة أكثر من الجميع، وفيها ما عدا الدقّة في المعرفة، رقّة تعبير ممزوجة بفضيلة التواضع. وفي هذا أيضا ما كان يجاوب إلاّ إذا طلب منه الجواب. وكان يتحدَّث معنا أحاديث تقويّة تدلّ على عمق إيمانه. فكان يورد آيات من الكتاب المقدّس، ومن الكتب الروحيّة. ويقترح على أن يورد كلّ منّا آية أخرى تبتدئ بالحرف الذي تنتهي به الأولى. وكان يفسّر معانيها.

2- إقرأ هذا الفصل

شهد الأبّاتي العنداري: عرفت مباشرة الأب شربل في أيلول 1897، في محبسة مار بطرس وبولس، في عنّايا، بمناسبة زيارة قمت بها، بعد أن كنت أبرزت نذوري المؤبّدة، منذ بضعة شهور، إلى دير مار مارون عنّايا. وكان يرافقني بهذه الزيارة، الأب ابراهيم[14] الحاقلاني، رفيقي في المدرسة، وقد توفّي برائحة القداسة. فقصدنا زيارة المحبسة وعند وصولنا، دخلنا الكنيسة، فوجدنا الأب شربل جاثيا على ركبتيه، منتصبا على طبق صغير من عيدان الشجر، متخشّعا لا يتحرّك، ثابتا في وضعه. زرنا القربان الأقدس، وصلّينا برهة وكنّا نحدّق به، فلم يبدِ أيّ التفات. ثمّ خرجنا إلى رواق ضيّق فيه موقد من حجر غير مدقوق فشاهدنا فيه الحبيس الآخر الأب مكاريوس صوما المشمشاني يطبخ في قدر من فخّار، ولم يكن الحبساء يأكلون إلاّ مرّة واحدة في النهار عند العصر في محبسة عنّايا. وكان هذا الطعام يتكوّن من عدس وحمّص وفاصوليا وبرغل وغيرها من الحبوب، يدعى مخلوطة، وهو نوع من الشوربا، فرحّب بنا بوجه باش وابتسامة نقيّة تشفّ عن قلبه الطاهر الشبيه بقلب الطفل.

جلسنا على حجرين مدقوقين عند ساعد القنطرة الحجريّة. وعندما فرم البصل، الذي يوضع بعد قليه بالزيت مع الحبوب المذكورة، نادى الأب شربل فحضر حالا، فسلّمنا عليه، فأجاب بصوت منخفض بالكاد سمعناه، ونظر مطرق إلى الأرض، بكلمة واحدة: **السلام**. عندئذ أعطاه الأب مكاريوس مقلاة من حديد قد وضع فيها قليلا من الزيت والبصل المفروم وقال له: خذ حرقص هذا البصل على النار، فأخذه حالا دون أن يلتفت إلينا. وعندئذ ذهب الأب مكاريوس، فأتى بطبق من قش عليه صحنان فارغان وقليل من الخبز وشيء من الفرفحين والبقدونس وبضعة أرغفة –معروفة بطلامي الرهبان- بعضها مكسور وبعضها محروق، وقال للأب شربل: نقّ هذا الفرفحين. وتناول منه المقلاة وصبّها في القدر. ثمّ صبّ من المخلوطة في صحنين من الفخّار بينما الأب شربل ينقّي الفرفحين، فيضع أوراقه في صحن وأضلاعه يجمعها على طرف الطبق.

دعانا الأب مكاريوس إلى الأكل فاعتذرنا شاكرين. ثمّ قال لرفيقه الأب شربل: كل. فصلّى وبدأ يتناول طعامه متأنّيا، متربّعا على الأرض، صامتا وناظرا أمامه فقط. فأكل من أضلاع البقلة التي لا يأكلها الناس، ولم يأكل من أوراقها المبتلّة بالزيت والملح. ونزل الأب مكاريوس إلى الكرم قرب المحبسة، فأتانا بشيء من العنب الفاخر. وكان الأب شربل انتهى من تناول وجبته. واستمرّ على جلسته مكتوف اليدين، منحني الرأس صامتا، منتظرا الأمر. فقال له رفيقه: روح زور القربان الأقدس، ثمّ تعال اغسل الصحون والقدر. وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب. فودّعناهما والخشوع والتأثّر أخذ منّا مأخذه. ورجعنا إلى الدير منذهلين ممّا شاهدنا.

وفي صيف سنة 1898، كنت مدّة العطلة المدرسيّة في دير عنّايا برفقة الإخوة الدارسين. ذهبنا ذات يوم، نحو الساعة التاسعة صباحا، لزيارة الحبساء، فوجدنا الأب شربل في الكنيسة راكعا نصبا، على ذات الطبق، وفي نفس المكان، كما شاهدناه المرّة الأولى السنة الماضية. وبينما أنا أصلّي أمام القربان الأقدس كنت أحوّل نظري إليه، فأراه جامدا كتمثال، ومسبحته الورديّة بيده، ونظره محدق بالمذبح، فيخيّل لي أنّه مخطوف بالتواريّا، ولم يلتفت إلينا. وبعد أن صلّينا، وكنّا ننظر إليه متأمّلين أن يلتفت نحونا، ولم يبدُ منه أيّة التفاتة، أو حركة. خرجنا إلى فسحة أمام الكنيسة للجهة الغربيّة. وبينا نحن نتحدّث ونضجّ، فتح الحبيس الأب شربل باب الكنيسة ووقف صامتا وناظرا إلينا مكتوف اليدين، وعلى وجهه المشرق ابتسامة، وكأنّي به يقول لنا لا تضجّوا لئلاّ تعكّروا عليّ صلاتي في وحدتي. فتهيّبنا وخجلنا وتقدّمنا للسلام عليه، والتبرّك بلثم يده، وكلّما تقدّم أحدنا للسلام عليه، كان الحبيس يحني

[14] كان يزور، بكثرة، المصابين بداء الجدري المخيف، ليعزّيهم ويوزّع عليهم الأسرار، فتسرّب إليه المرض، وتوفّي عام 1906.

ركبته اليمنى وجسمه قليلا ويمسّ كلّ واحد منّا بطرف أصابعه بسرعة، ولا يمكّن أحدا من لثم يده. وكان يردّ: **السلام** بابتسام مشفوعا بكلمة واحدة فقط بصوت جدّ منخفض كأنّه تمتمة، فوقفنا دقيقة أمامه متخشّعين، وغلق الباب وعاد إلى صلاته، ونحن ابتعدنا إلى الحرش غربي المحبسة، نمشي على أصابع أرجلنا ونتبادل الحديث همسا لئلاّ نعكّر عليه صلاته في خلوته، وقد تولاّنا الخشوع والفرح برؤيته. تركت الإخوة ورجعت وحدي إلى الكنيسة، قصد أن أراه أو أكلّمه، فلم أجده. وذهبت في ممشى المحبسة، فلم أجده. جلت في المحبسة فلم أرَه. فصعدت إلى السطح، فوجدته جالسا على المحدلة، حذاء جدار الكنيسة –كأنّه تهرّب منّي–، وفي يده كتاب حياة مار أنطونيوس الكبير. فحال وصولي، دفع إليّ الكتاب قائلا: **إقرأ هذا الفصل**. فقرأته على مسامعه وأنا واقف أمامه. وحالما انتهيت من قراءة الفصل، أخذ الكتاب، دون أن يَنْبُث ببنت شفة، وذهب متواريا إلى الكنيسة. فقلت في فكري: إنّه أشغلني بالقراءة تخلّصا من محادثتي.

3- أستاذ لاهوت؟!

أسّس مدرسة عنّايا، على الأرجح، وعلّم فيها الأب أنطونيوس المشمشاني. وكان الخوري يوسف بن الخوري يوسف سعد الماروني من مشمش من مواليد 1876 جارا لدير مار مارون عنّايا ودرس اللاهوت على يد الأب أنطونيوس المشمشاني في الدير نفسه وارتقى إلى درجة الكهنوت في 31 ايار 1898. **وشربل كان يعلّم طلبة الكهنوت** في دير مار مارون عنّايا نفسه.

4- لا يملّ من قراءة الإنجيل

عام 1950، كتبت جريدة **La Croix**: إنّ شربل هو القدّيس حسب الإنجيل، فالمسيح كان مرشده الوحيد، كان شربل يستشيره ويصغي إليه. وكان لا يملّ من قراءة الإنجيل والتأمّل في حياة المسيح. فشربل شاهد صادق للإنجيل، فقد تشبّه بيسوع المسيح ومارس الفضائل الواجبة على تلميذ المسيح: كالطاعة والإماتة والتواضع والمحبّة والصلاة، التي نبتت على ماء الإنجيل النقي.

حادي عشر: إعتراف شربل

أ- تعريف

1- كشف الأفكار

كان شربل يكشف أفكاره يوميّا عملا بالقانون: "يكشف المبتدئ أفكاره لرئيسه ولمعلّمه، خارج الإعتراف... كلّ ليلة إذا أمكن... يجثو على ركبتيه أمام أبيه الروحيّ، بكلّ اتضاع وورع، كاشفا رأسه ومقبّلا الأرض... ويقول بكلّ احترام: **يا أبي إنّ قلبي غريب من الله... وكلّي نقص وخطأ أمام الله...** ويبتدئ في كشف أفكاره من صالح وطالح... ويطلب من رئيسه الإفادة والإرشاد، ويتمسّك بإرشاده ونصائحه".

2- إعترافات أسبوعيّة

كان يكره الخطيئة، ويهرب من أسبابها، حتّى البعيدة، وكان ينفر من ذكرها. وكلّ الذين عرفوه يشهدون له بأنّه لم يرتكب خطيئة عرضيّة قصدا. وما عُرف عنه في حياته أنّه خالف وصايا الله والكنيسة والقوانين قطّ، بل كان يتألّم من مخالفة الغير لها. ومع ذلك كان يحاسب نفسه كلّ مساء عن أعمال يومه كالتاجر الحكيم ليرى هل كان رابحا في ذلك اليوم أم خاسرا. فإن كان رابحا يشكر الله ويسأل نعمة الإستزادة من النشاط في العمل ليزيد ربحه وأجره. وإن كان خاسرا، ولو قليلا، يأسف على الخسارة، ويأخذ المقاصد الفعّالة ليصلح الخلل. وإعترافاته كانت متتالية في حياته العلمانيّة والرهبانيّة والكهنوتيّة، فكان يعترف، كلّ أسبوع مرّة. وكان فطنا حكيما، لا أثر عنده للوسواس لتعمّقه بعلم الروح الحقيقيّ، فما نبذ مشورة صالحة في حياته كلّها.

وكان له في دير كفيفان مرشدان: الأب نعمةالله الكفري، الذي أصبح رئيسا عاما فيما بعد، **والقدّيس نعمةالله الحرديني**؛ وكان مرشده، في بدء حياته النسكيّة، الأب أليشاع الحرديني. وبعد وفاة أليشاع، كان الأب ليباوس الراماتي، الذي نقل فيما بعد إلى محبسة دير القطّارة، وأخيرا الأب مكاريوس المشمشاني، الذي توفّي الأب شربل في حياته.

3- خدمة المؤمنين

أخذ الإذن لاستماع الاعترافات من البطرك بولس مسعد في 20 شباط سنة 1863. وكان يسمع إعترافات المؤمنين عندما يأمره الرئيس بذلك، إذ لم يكن مكلّفا بخدمة النفوس. ولكنّ الذين كانوا يأتون إليه قصد الإعتراف والاسترشاد، كانوا يشيدون بغيرته على خيرهم، وبتأثير إرشاداته بنفوسهم، إذ تنفذ إلى أعماق القلب، وتترك تأثيرا روحانيّا في النفس، كما شهدوا وأشادوا بفطنته ونصائحه الحكيمة، لبناء الآخرين، وتقدُّمهم في الحياة الروحيّة، فكان يرى بالروح أكثر من المعلِّمين، ولم يكن يبخل بنصائحه لمعاشريه عند اللزوم.

كان يحبّ كثيرا النفوس، ويتألّم كثيرا لابتعادها عن الله؛ لذا كان يصلّي لأجل الخطأة، ويعظهم بإرشادات خلاصيّة عندما يسمع إعترافهم، ويوبّخ توبيخا قاسيا عن الخطيئة، ويفرض تكفيرا عنها قصاصا صارما. وكان يسمع إعترافات النساء، عندما يأمره الرئيس.

ب- روايات وأحداث

1- يسكب في قلبه الأمل

وكان تأثير مثله على الغير بليغ جدّا، فكان يجتهد أن يزرع الرجاء في قلوب الآخرين، من الرهبان والعلمانيّين؛ وإذا مرض راهب في الدير مرضا ثقيلا، كان يطلب من الرئيس، بإلحاح زائد، أن يستدعي له الأب شربل ليُسلّحه بالأسرار الإلهيّة، من إعتراف وزاد أخير وما إليه، ليشجّعه، ويسكب في قلبه الأمل والرجاء، ليستطيع أن يغادر هذه الدنيا على رجاء القيامة؛ فكان يأتي ويمكث في جانب المريض الليل كلّه، جالسا على كرسي، ولا يفارقه إلاّ ليصلّي فرضه في الكنيسة، إذا لم يكن ثمّة من داع إلى مفارقته. وعندما كان يأمره الرئيس بالذهاب للصلاة على مريض كان يذهب بطيبة خاطر وبفرح.

2- وحده من الرهبان

جاء في رزنامة عنّايا: توفّي الأخ سركيس إهمج، في بيت أهله في إهمج، بسبب قصر، مسلّحا بالأسرار كافة بحضور الخوري يوسف عيسى **والأب شربل بقاعكفرا** في 14 أذار 1874.

3- مرشدا حكيما

شهد الأب يوسف إهمج: كان في حديثه الروحيّ فطنا، ومرشدا حكيما. وأذكر أنّه قال لي مرّة: **الكلمة التي تُسبِّب خطيّة لا تقولها، فإذا كانت خيرا فقلها، وإلاّ فلا**.

4- تخشّعت بمواعظه لي في الإعتراف

شهد الأب مبارك تابت: عندما خرج الأب شربل من الكنيسة ليدخل إلى غرفته، تلقّيته أنا وترجّيته أن يسمع إعترافي. فدخل الكنيسة وقال: **إتبعني**. وبعد الإعتراف أجلت النظر إلى سقف الكنيسة وحيطانها، فرأيت شقوقا في السقف، وفي الحيطان، ممّا يؤذن بسقوط السقف الحجريّ، فقلت له: يا أبانا أنتم تقضون الليل كلّه في هذه الكنيسة، وهذه المحبسة معرّضة للصواعق. ويكفي الرعد ليهزّها، ويسقطها عليكم. لماذا لا ترمّموها؟ قال: **ما لنا ولها**. قلت له: أنا سأقول لحضرة الأب الرئيس، وأنبّهه إليها حتّى يرمّمها. قال: **لا! لا تقل شيئا، وين يا إبني بدّي لاقي موضع أقدس من ها المذبح أموت عليه؟** تخشّعت بهذا الجواب، تخشّعي بمواعظه لي في الإعتراف. ثمّ خرج ودخل إلى الغرفة. ونحن انصرفنا.

5- صفات المعرّف مجتمعة فيه

شهد الخوري رميا: هو فهيم وقدير جدّا، يفرّح قلب من يعترف عنده بنصائحه وإرشاداته. وأنا قد اعترفت عنده مرارا عديدة، وإنّي أشتهي الآن من صميم الفؤاد أن أحظى بكاهن مثله لأعترف عنده كلّ أيّام حياتي، لأنّ ذاكرة الأب شربل نادرة الذكاء، بحيث يخال للمعترف عنده أنّ له معرفة بالغيب لتذكّره حالة المعترف مهما طال أمر رجوعه إليه في المرّة الثانية. وبالرغم من أنّه كان عالما ودقيقا في إرشاد النفوس، يعطي الدواء بحسب الداء بدون رحمة، فهو جاذب لقلب المعترف لأن يعترف عنده دائما بدون أن ينفر منه لشدّة توبيخه على فعل الخطيئة وفرضه القانون الصارم؛ وكانت صفات المعرّف مجتمعة فيه كلّها: كان **حكيما** جدّا في نصائحه وأسئلته وتوبيخاته؛ و**قاضيا** عارفا لاهوته الأدبيّ، معرفة ممتازة؛ و**طبيبا روحيّا** ماهرا يصف الدواء الشافي؛ و**أبا حنونا** يفتح للخاطئ ذراعيه، فيجعله مشغفا بالتوبة والإعتراف.

6- مؤثّرة جدّا

شهد اسكندر بك الخوري: كان يسمع إعترافات الرجال، الذين يطلبون ذلك منه، بصورة محدودة، ويرسلهم عادة إلى رفيقه في المحبسة. وكانت إرشاداته، في منبر التوبة، مؤثّرة جدّا على سامعيها، ومفيدة جدّا لخلاص النفوس، كما أخبرني بذلك والدي، الذي اعترف عنده حوالي سبع أو ثماني مرّات، وهو بعمر الخمسة والعشرين.

ثاني عشر: خادم الجميع (متّى 28/20)

أ- تعريف

يأمر القانون: "لتكن حركات الراهب وأعماله الخارجيّة التي تخصّه جميعها ذات دناءة وحقارة بالنسبة إلى إخوته". لذا عندما نفّذ شربل هذه الفريضة، لم يفهمه محيطه العلمانيّ وخاصّة الرهبانيّ، فكان الناس يزدرون به لحقارة ملبسه؛ والبعض من الرهبان كان يضحكون من سذاجته، لا بل البعض منهم كان يهزأ به وبشدّة تقشّفه، ومنهم ذلك الذي وضع له ماء في السراج؛ وكانوا يكلّموه بحدّة وينتهروه، لدرجة أنّ شربل، المعروف عنه بصمته وصبره الغريبين العجيبين، قال للحبيس "القدّيس" مكاريوس: **إذا كنت أنا حمارا، أطل بالك عليّ، احتملني لأجل المسيح**. فكان مثال المسيحيّ بتواضعه، عاملا كلّ جهده لتغطية فضيلته، واختفاء أعماله الصالحة. وكان يتكدّر ويضطرب من مديح الناس له. وكان مرآة التواضع، يهرب من الناس ومن الرهبان ذاتهم، ويحبّ الاختفاء والانزواء والصمت. فكان بشرا بهيئته، لكنّه كان عائشا في السماء.

فإذا كان أحد ينبّهه إلى أمر ما، ولو كان غير مذنب، يركع حالا، مكتوف اليدين، ويطلب الصفح، ورأسه إلى الأرض، ولا ينهض حتّى يُؤمَر، عاملا بقانون المبتدئ: "يلزمه أن يجثو سريعا صامتا مكتوف غير معتذر عن ذاته عندما يُوَبَّخ، ولا يقوم حتّى يأمره الرئيس فيأخذ بركته، ويذهب إلى عمله".

امتاز بوداعة، بحيث كان أودع من حمل، وألطف من الروح تجري في الأجسام، وكان **هو التواضع بالذات**، لا يتكلّم عن ذاته أبدا، وبالنتيجة كان كأنّه ميّت عن العالم؛ فقد تذلّل حتّى تلاشى، لو أمكنه تلاشيا تامّا، ظهر بلا إرادة، وبنوع ما بلا عقل، وبلا حواس، حقير في لبسه، في أكله، في نومه، في ركوعه، في فرشته، في غرفته، في شغله الشاقّ، وكان ناسيا ذاته.

ويرضى بالاحتقار بل يفرح إذا أحدا أهانه؛ ولم يكن يستحي بلبسه الزريّ، ولا بطعامه الفقير ولا بغرفته الحقيرة، ولا يأتي شيئا ممّا تتحاشاه كبرياء الإنسان. وما طلب وظيفة ممّا فيه ارتفاع على الغير. وكان دائما يطلب لنفسه النصيب الأقلّ، والموضع الأدنى. ويُسمع عن لسانه: **أنا لا أستحق أن أكون بين إخوتي الرهبان، ولا أنال كرامتهم، لأنّي دون الجميع**؛ ومن كلامه يستدلّ على تواضع عميق. فكان يحسب نفسه أحقر الرهبان، قلبا وقالبا، معتقدا كلّ حقارة وصغارة بنفسه ناسيا ذاته بالكلّية، ويعتبر نفسه خادما لكلّ من يشتغل معه في الحقل. وكان يختار أحقر الخدمات والأعمال، مثل الكناسة وغسل الصحون، ولم تكن هذه الخدم من خصائص الرهبان الكهنة، فورا وعن طيبة خاطر، وعندما كان جمهور الرهبان يتقدّم بتقبيل يديه تبرّكا منه، كان يبذل جهده كي لا يدعهم يقبّلونها.

ب- روايات وأحداث

1- "غُرِيبْ"

يوضح الأب مارون كرم: نبّهت المقاطعة أكثر فأكثر إلى التفرقة، وأصبح راهب المنطقة موقوفا على منطقته، لا ينقل إلاّ برضى رئيس المعاملة. فقلّ الإختلاط وزاد الجفاء، وأصبح الراهب الساكن خارج المنطقة، أو الدير المهيمنة عليه ضيعته، يعتبر نفسه غريبا. وكان بعض الرهبان يقول للأجنبي عن منطقته: شو جايبك لهون؟ ما بقى في خبز ببلادك؟

وكان الأب شربل في الدير غريبا عن المقاطعة. وحده من بلاد الجبّة، وكان طائعا طاعة غريبة لكلّ من في الدير. فكان الجمهور، لا الرهبان فقط، بل العلمانيّون أيضا يأمرونه على سبيل الإستهزاء، أو المزح أمورا عديدة، وهو ما كان يخالف أمرهم قطّ. وما كان أحد يدافع عنه ويحترمه إلاّ الرئيس، الذي كان يغضب على من يعذّب الأب شربل أو يستهزئ به. وأمّا الأب شربل فكان يشتغل ويصلّي ويطيع. ولا يصدر منه ما يدلّ على أنّه استاء من المستهزئين. وما كان تكلّم إلاّ في النادر جوابا على من يخاطبه. وفي هذا الإطار تصرخ تريز: أي احتقار على الضفّة الغريبة، لم يصبك لأجلي؟ أريد أن أحتجب على الأرض، وأن أكون الأخيرة في كلّ شيء لأجلك يا يسوع.

2- الله يقدرني عا الطاعة[15]

شهد حنّا الحسيني: لمّا كان عمّي القس عبدالأحد الحسيني رئيسا على دير قرطبا كنت معه شمّاسا، أقوم بخدمته. وأتينا يوما ما إلى دير عنّايا، وكان الرهبان والفعلة يحرقون أتونا وكان الأب شربل يشتغل معهم بتقديم الحطب. فالتفت الأب روكس حنّا المشمشاني، إلى الأب شربل- ولم يكن بعد صعد إلى المحبسة- وقال له مازحا على مسمع منّي ومن الحاضرين: لقد اتفق رأي الجمهور على أن نشلحك لقمة للأتون، حيث قلّ الغوف، لأنّ جسم إبن آدم يضوي أكثر من الحطب، ويقولون إنّ لحم البشر يضرم الأتون جيّدا، فيستوي الحجر جيّدا وسريعا. فما سمع الأب شربل هذا الكلام، حتّى ركع وقال: **الله يقدرني عالطاعة**. ومعنى ذلك: أنا مستعدّ للتضحية بالحياة في سبيل واجب الطاعة. فتأثّر المدبّر الأب الياس المشمشاني وانتهر الأب روكس قائلا: عيب عليك أن تتلفّظ بهذا!

[15] حسب الأب الحبيس يوحنّا الخوند: هذا تعبير يعني أن الأمر مستحيلا! يستعمله الرهبان حين يطلب منهم أمر مستحيل!

لماذا تهزل مع الأب شربل، ألا تعلم أنّ فيه روح الله، الله يرزقنا بركة دعاه. وطلب الأب روكس المغفرة من الأب شربل- بعد أن سمع توبيخ الأب الياس - فقال له: **الله يغفر للجميع**.

3- أنا أوّل الخطأة

لم يكن يشعر أحد بوجوده لشدّة محبّته للاختفاء. وعندما كان الزوّار يطلبون بركته وصلاته، كان يفعل ذلك دون أن ينظر إليهم، ويقول: **أطلبوا من الربّ أن يعطيكم حسب إيمانكم**. وإذا قيل له: أنت قدّيس. كان يتكدّر ويقول: **أنا أوّل الخطأة**. وكان في المحبسة يتعاطى كلّ الأشغال الزريّة، ويعمل ما يوطّي مقامه. فمع أنّه كان رئيس المحبسة، كان مقيّدا نفسه بطاعة رفيقه الأب مكاريوس، الأصغر منه سنّا. وكان هو بذاته يغسل الصحون، ويكنّس المحبسة، وإذا حدث أن الرئيس وبّخ أحد الرهبان بحضوره، أو نبّهه إلى أمر ما، وإن يكن غير مذنب، يبادر حالا فيركع على عادة الرهبان، ويطلب الصفح كأنّه هو المذنب. ولا ينهض حتّى يأمره الرئيس.

4- فضلة البسين

شهد الأب برنردس إهمج: أروي لكم حادثا رأيته بعيني، تأثّرت أعظم تأثّر، ولا أزال أذكره إلى اليوم بتأثّر واحترام وإعجاب. كان الأب شربل يأكل مع رفيقه وكنت حاضرا، وكان غذاؤهم، مدفونة بسليق. فلمّا انتهى الأب مكاريوس من الأكل مسح المقلاة بلقمة خبز كبيرة، ورماها على الأرض للبسّي. وكان البسين لم يكن جائعا، فلحس فضلات الطبخ عنها وتركها. وكان الأب شربل يغسل المقلاة والصحون، فرجع فرأى على الأرض تلك اللقمة محلّ الدوس فالتقطها ووضعها على رأسه، بعد أن نفض عنها الغبار، ورسم ذاته بإشارة الصليب وأكلها. وكأنّه ما شعر بوجودي لأنّه ما كان يرفع بصره أبدا. وتأكّدت أنّه ما كان ينظر إلى أحد في انخفاض بصره. لأنّه غالبا كان يسألني: **من أين أنت؟** ومع أنّي كنت أجيبه، كان يعود ثاني يوم فيسألني. لأنّه ما كان يرفع بصره إليّ.

5- موطنه السماء! (فل 20/3)

شهد الأب يوسف إهمج: كان يحبّ أن يُحْتَقَر من الجميع. وكان نظره منخفضا في جميع أطوار حياته، حتّى رفاقه وحتّى عن مشاهد العالم الطبيعيّة. ويوما كنتُ مع الأب نعمةالله مشمش وبيدنا منظارا، ننظر فيه بيروت. فمرّ بنا حاملا حبلا لنقل الحطب على ظهره. فقلتُ له: خذ هذه النظّارة ترى فيها بيروت، كأنّها أمامك. فأجاب: **لا، لا، ما لي ولهذه الأمور؟** وذهب إلى شغله. ويتابع الأب روكس مشمش: فعدتُ وقلتُ له: إتبعني إلى سطح المحبسة، فأطاع. قدمتُ له النظّارة لكي يرى بها بيروت. فقال: **تفرّج وحدك!** ورجع.

6- لا يضعوا تجارب

شهد حنا الحسيني: سمعت الأب الياس المشمشاني ينبّه على جمهور الدير أن لا يضعوا تجارب - سواء كان بالكلام أو بغيره- للأب شربل قائلا: هذا رجل الله، وفيه روح الله، فاحترموه. وكان الأب الياس يحبّه ويعتبره كثيرا لفضيلته النادرة. وقال أمامي مرّة أخرى: كثيرا ما حاولت أن أحوّل الأب شربل عن مزاولة الشغل الشاقّ في الحقل، إلى شغل خفيف في الدير، راحة لجسمه. وكان ينهي الشغل الذي أكلّفه فيه في الدير ويتوجَّه حالا إلى الحقل.

7- إهانات

- هنيئا لكم إذا سبّوكم واضطهدوكم (متّى 11/5)

بينما كان يتلو صلاة الفرض، دعاه الأب اغناطيوس المشمشاني وقال له بحدّة: أترك الصلاة وتعال إلى هنا، فلبّى صاغرا. واحتمل إهانات الآخرين وسخرياتهم، أحيانا، بكلّ تواضع وصبر وفرح. فمن يتّضع يرتفع والمتواضع القلب يجد راحة لنفسه ومن عُيِّر فإن أجره عظيم في السماء فلذلك يسرّ شربل ويفرح.

- إفرحوا وابتهجوا إنّ أجركم في السماوات عظيم (متّى 11/5)

شهد الأخ فرنسيس قرطبا: بينما كنّا نقطف عنب كرم المحبسة، أمرني الرئيس أن أذهب إلى بئر المحبسة وأملّي الجرّة. فوصلت إلى البئر، وربطت الحبل بإذن الجرّة بعجلة، ورميتها في البئر دون تأنٍّ. فالأب شربل كان ورائي يلاحظني وما شعرت به، فقال لي: **يا أخي مار أنطونيوس اختار الإفراز، وأنت ترمي الجرّة بعجلة تنكسر، وتروح خسارة ضدّ الفقر**. فأجبته بحدّة: رُح على كنيستك! قاعد في المحبسة وعامل حالك قدّيس! فأجاب بكلّ لطف ووداعة ورأسه منحنٍ: **إغفر لي يا أخي منشان المسيح**. وذهب كلّ منّا. هو إلى الكنيسة وأنا إلى الكرم.

- هكذا اضطهدوا الأنبياء من قبلكم (متّى 11/5)

شهد الأخ بطرس مشمش: وإذ كنت أحرث يوما في كرم المحبسة مع بعض أجراء الدير، كان الأب شربل ينهض العرايش من ممرّ الفدان، فاتفق أن مرّ على عريشة فكسرها، فقال الأب مكاريوس للأب شربل: ولو! هيك بتخلّي الفدّان يكسرا، شو عم تعمل؟ فإنّها كسرت بسبب إهمالك، فللحال خرّ الأب شربل على ركبتيه، وضمّ ذراعيه إلى صدره، وقال: **اغفرلي منشان المسيح!** مصلّيا مستغفرا على فعلته.

ثالث عشر: لا يُسمع صوته (متّى 19/12)

أ- تعريف

يفرض القانون: "يجب على الراهب أن يلازم السكون". لذا كان قليل الكلام جدّا جدّا. لا نسمع صوته إلاّ في قراءة الإنجيل وكلام التقديس وصلاة الخورس؛ لا يخاطب أحدا لا رجالا ولا نساء ولا رهبانا، وكان القانون متجسّما فيه. لا تسمع صوته في الشغل، ولا تراه مثلا متلهّيا مع زائر أو مكاري. ولا يلهو بشيء من أخبار الناس، ولا يسأل عن أحد، وإذا سُئِل أجاب بلطف وهدوء واختصار. والسهرة أي الوقت القليل قبل النوم، كان يصرفها بالسكوت، لأنّه كان قليل الكلام. وما كان يتحدّث، إلاّ إذا سُئِل مسألة لاهوتيّة أو روحيّة، فعندها بفيض بالجواب، ويتحدّث بطيبة خاطر. وفيما خلا ذلك، كانت معيشته أشبه براهب من رهبان السكوت. فلسانه لمخاطبة الله والصمت والإعتزال والهذيذ بالله، فهو راهب شغل وصلاة وسكوت، وتأمّل دائم في السماويّات، بحيث يَظنّ كلّ من رآه أنّه في عالم من غير هذا العالم. وكان في الكنيسة، وفي المحبسة مثل الملاك لا أحد يسمع صوته.

ب- روايات وأحداث

1- عند الضرورة

شهد الأب الياس إهمج: إنّ الصمت إلزاميّ في قانوننا، بعد صلاة الستّار، وعلى المائدة، وفي الكنيسة. فمن كان من الرهبان يخاطب الأب شربل في هذه الأوقات والأمكنة، ما كان يجاوب إلاّ عند الضرورة. وكان الرهبان يتمثّلون به، ويقدّمونه للمبتدئين مثلا وقدوة في حياته وبعد مماته. ولم يكن بين أفضل الرهبان من يضارعه في المحافظة على القانون.

2- تهتُ عن الطريق

شهد الأب أفرام نكد: ذهب مرّة إلى نعي في مشمش. ولمّا عاد تأخّر حتّى المساء. فسألته لماذا تأخّرت؟ قال: **تهتُ عن الطريق، وكان الضباب كثيفا فما شعرت إلاّ وأنا في حجولا، فرجعت أهتدي قليلا قليلا حتّى وصلت إلى الدير**. فقلت له: ألم تجد بشرا على الطريق؟! فقال: **وجدت كثيرين**. فقلت: لماذا لم تسألهم عن الطريق؟ فما أجاب جوابا. وبالحقيقة ما كان يسأل أحدا، ولا يخاطب أحدا ولو أضلّ الطريق. وعجيب أمره، فالنسّاك والحبساء ما عاشوا عيشته. ما رأيت مثله ولا أحد أخبرني، لا قبله ولا بعده، لا رهبانا ولا عوام ولا كهنة ولا مطارين. عجيب أنت يا الله في قدّيسيك، فأمر ذلك الأب عجيب غريب.

3- هل تمارس واجباتك الروحيّة

ومرّة أتى شقيقه من بقاعكفرا ليزوره فقرع بوّابة المحبسة، فذهب الأب شربل ليرى من الطارق. أجاب من الخارج: أخو الحبيس شربل، قال له: **إصبر حتّى أشاور الحبيس إذا كان يريد أن يفتح لك**. ورجع إلى رفيقه وقال له: **إنّ شقيقي على الباب أتريد أن أفتح له؟** أجابه: من كلّ بدّ افتح له. وكان كلّ حديثه مع شقيقه مقتصرا على هذه العبارة وهي: **كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ وهل تمارس جيّدا واجباتك الروحيّة مع عيلتك؟** ثمّ يصرفه في الحال.

4- كالقدّيس نستير

شهد الأب أفرام نكد: كان كالقدّيس نستير الذي عندما دخل الدير وجد على البوّابة حمارا، فقال مخاطبا نفسه أمام الحمار: نستير نستير، أنت وهذا الحمار سيّان، إذا كان هو يتكلّم، فتكلّم أنت في الدير. والأب شربل كما اختبرت بذاتي كان ذكيّا عارفا في اللاهوت الأدبي مدمنا على الدرس ومع ذلك كان كالقدّيس نستير حمارا في صمته، فيلسوفا في صلاته وسيرته، حبيسا ناسكا وهو في الدير.

5- إصغاء للحبيب (لو 39/10)

مع أنّ الأب شربل لم يكن من الغُفَّل، ولا من أصحاب السويداء العبوسين، الذين يكرهون مخالطة الناس. عاهد لسانه بأن لا ينطق بكلمة، إلاّ لتمجيد الله بالصلاة الجهوريّة، أو تلبية القريب في أمر يعود لمنفعته الروحيّة. ندر أن افتتح الكلام من ذاته، بل كان كلامه تقريبا دائما جوابا. لهذا امتاز بين الحبساء، لا بالمحافظة فقط على قانون المحبسة، بل بصمته الدائم وشغله المتواصل، وكان أشبه برهبان السكوت منه براهب لبناني. وكلّ أحد من الرهبان والحبساء كان يستغرب ذلك الصمت العميق المتواصل في الأب شربل.

6- لا يجاوبني

شهد موسى موسى: ولمّا كنت أساعده في اقتلاع القندول وقرامي الحطب، ما كان يفتح فمه، ولا يخاطبني بكلمة. وكنت لمّا أخاطبه في الحقل، إذا ضجرت من السكوت، لا يجاوبني.

7- ولا يتسلّى بشيء

شهد بطرس موسى: أنا عاشرت رهبانا وحبساء أفاضل، فلم أرَ شبيها للأب شربل. فبقيّة الحبساء كانوا، ولا يزال الأحياء منهم يحادثوننا عندما نزورهم، ويتسلّون بأخبار، وينظرون إلى وجوهنا. وإذا زارهم أهلهم يحسنون استقبالهم. أمّا الأب شربل، فما كان يحادث أحدا، ولا يتسلّى بشيء، ولا ينظر إلى وجه مخلوق.

8- يحسبه الإنسان أخرس

إنّ الأب شربل ملاك بجسم إنسان. وفيلسوف بلا تفلسف. وقدوة وقداسة وكمال. له لسان ويحسبه الإنسان أخرس؛ لكأنّه طفل صغير بيد أمّه، ولا يختلف عنه إلاّ بكونه لا يسمع له صوت.

9- يتكلّم في النادر

شهد الأب علوان: في المدّة التي قضيتها في مار مارون، ما استطعت أن أرى في الأب شربل الحبيس إلاّ الرجل الصامت المنفرد عن الرهبان، لا عن الناس فقط. فما كان يتكلّم أمامي لأروي لكم أخباره، ولا كان يتعاطى بشيء لأصف لكم معاملاته، فكان يشتغل مع المبتدئين أربع وخمس ساعات وهم يتكلّمون حوله وهو صامت.

رابع عشر: أفرح في آلامي (قول 24/1)

أ- تعريف

هذا ما يفرضه القانون: "يجب على الراهب أن يشكر الله في حال المرض أكثر من الصحّة موقنا أنّه افتقاد الربّ لنفعه". وشربل كان مصابا بوجع شديد دائم في أحشائه، الذي كان يشتدّ كثيرا في أيّام الثلوج، وهو لا يشتكي ولا طلب علاجا. ومع أنّ المغص المعويّ ما كان يفارقه، خصوصا في الشتاء، ما أطلع أحدا على حالته، ولا طلب طبيبا، وما أخذ مدفِئات في الشتاء، مع أنّ البرد، في محبسة مار مارون، قارس. وما قال مرّة أنا مريض. احتمل مضض آلامه بصبر المسيح وتواضعه عاملا جهده أن لا يدع أحدا يشعر بشدّة ألمه الشاقّ، فمهما يرد عليه من الله، أو من البشر يقبله بكلّ صبر وسكينة. وما كان يَستَعمِل دواء، وعندما كان يشتدّ عليه الوجع، ما كان يأخذ مسكِّنا، بل كان يقول دائما: **لتكن مشيئة الله**. وكان يحتفظ مدّة الشتاء، بلبس الصيف، رغم البرد القارس والثلوج، دون أن يصطلي كسائر الحبساء إخوته. إنّما يقضي وقته في الكنيسة يصلّي، وهو أغلب الأحيان جاثٍ على الأرض. وحياته كلّها كانت مجبولة بالأماتة، فألِفَها جسمه الطاهر، حتّى أصبح قهر الذات طبيعيّا فيه، بل ملاذا يرتاح إليه بعد تمرّسه به سنوات طويلة؛ فكان يلبس المسح الشعريّ، بصورة دائمة، وعلى اللحم، عوض القميص - موضع الفلانلا عند أهل العصر. وتساءل بطرس موسى كيف يستطيع أن يطيق هذا؟! لاسيما في فصل الصيف! وكان متمنطقا على حقويه بزنّار حديد مشوّك على اللحم، وكان يجلد نفسه.

ب- روايات وأحداث

1- أخذ بمجامع فؤادي

شهد الأب الحصروني: كنّا نفلح كرم المحبسة، أنا والأخ الياس المهريني، رئيس الحقل، والأجير سليمان المنزلي. وكان معنا أيضا الأب شربل، والأب مكاريوس رفيق الأب شربل في المحبسة. ولاحظت، أثناء الفلاحة الأب شربل ينكمش على نفسه، ويحني ظهره ويداه على خاصرتيه، ويئن أنينا يدلّ على شدّة الوجع، فسألت الأب مكاريوس: ما بال الحبيس؟ إنّي أراه مُتألِّما! فأجابني: حاكمو مغص كلويّ شديد. فقلت له: فليذهب إلى فرشته ونحن نطلب شغّيلا بدلا عنه. فأجابني الأب مكاريوس: هو يريد أن يقهر نفسه بمثل هذه الآلام والأتعاب. ولمّا قرب وقت الغداء ذهب الأب مكاريوس ليجلب لنا طعاما. وبقي الأب شربل وحده يدير الجفاني وراء ثلاثة أزواج بقر

رغم المغص الذي كان يمزّق مصارينه تمزيقا. فشاهد مرّة أن الفلاّح الذي قدّامي كاد يدوس العريشة فركض وردّ العريشة قبل أن يصلها فدّاني، وقد ازداد أنينه ممّا يدل على ازدياد وجعه. قلت له: شوي شوي يا معلّمي، على مهلك، أنا بوقّف الفدّان! أجابني بصوت نحيف متقطِّع أخذ بمجامع فؤادي قائلا: **يا معلّمي بيصير تعطيل على ذمّتي ضدّ الفقر**. وتابع شغله طيلة النهار مع ألمه.

2- فاغرورقت عيناي بالدموع

شهد الأب الحصروني: في شهر أيّار سنة 1897 أخذنا في فلاحة كرم المحبسة. ولمّا باشرنا في الفطور، بقي الأب شربل يشتغل في تعمير حيطان الكرم، فرجوت من رفيقه الأب مكاريوس ليدعوه لمشاركتنا في الأكل فقال لي: إنّه يأكل بعد الظهر. ولمّا أخذنا في الغداء بعد الظهر توجّه لعمار الحيطان كعادته. فالتمست من الأب مكاريوس أن يأمره ليأكل إشفاقا على ضعفه. فأجابني: بعدئذ يأكل وحده. وعند العصر أطلقنا البقر ليرعوا في الحرش. وبعد هنيهة عدت إلى المحبسة لأشرب، فرأيت الأب الحبيس يأكل ضلوع البقول التي تركناها على الأرض - فرفحين جوي- وتوازي أقلام الرصاص ثخانة، فجمعها عن الأرض وفرمها وأكلها. فاغرورقت عيناي بالدموع من هذا المنظر المؤثّر، وانحنيت باللائمة على الأب مكاريوس قائلا له: حرام عليك تترك الحبيس يأكل ضلوع الفرفحين، بعد تعبه الشاقّ ومرضه الأليم. فأجابني: هو يأكل مثل هذا المأكل مسرورا. فدعه وشأنه. فرجعت إلى نفسي قائلا: آه! أين نحن من فضائل هذا الأب، فحقّا إنّها تجسّمت فيه فضائل الآباء النسّاك في الإسقيط، وقد زاد على ما نقرأه في كتاب بستان الرهبان وكتاب الكمال المسيحيّ.

3- فأخذتني هزّة الإشفاق

شهد الأب الحصروني: وقد نظرته مرّة ينقل الحطب على ظهره من أسفل الحرش إلى سلسال الكرم. وكان يحمل حملة ثقيلة جدّا ويصعد بها إلى المحبسة، فأخذتني هزّة الإشفاق على شيخ تجاوز الخمسة والستّين عاما، يحمل أحمالا كهذه. فأصببت الملامة على رفيقه الأب مكاريوس الذي ما لبث أن تخلّص منها قائلا: هكذا يريد أن يقهر نفسه.

4- أمحبسة وسمن ورز

ومرّة قال له رفيقه الأب مكاريوس: أنت تشعر بوجع في الكلى، فدعني أعدّ لك شوربة رز بسمن. فأجاب بصوت منخفض: **أمحبسة وسمن ورزّ؟! لا**.

5- مع آلام يسوع

شهد داود داود: لمّا كنت أسأله لماذا ربط رأسه بجرزونة، ويده على المخلع بخيط شعر، كان يجاوبني أحيانا: **رأسي بيوجعني: مع آلام يسوع!**

6- وما أحد يدري بأوجاعه

طبخ الحبساء بعض البقول البرّيّة، وكأنّه كان بينها بعض الحشائش السامّة، فأكل الأب شربل، وتضرّر، وما فاه بكلمة تذمّر. وما كان أحد يدري بأوجاعه وأمراضه.

7- يدوس القندول برجليه حافيا

شهد موسى موسى: لمّا كان في المحبسة، كنت أراه بثيابه الممزّقة، حاملا حملة القندول (شُجيرة مليئة بالأشواك القاسية) ولمّا يحزمها بالحبل، يدوس القندول برجليه حافيا، فتسيل منها الدماء من الشوك.

8- كلسات صوف

أمره الرئيس مرّة ليلبس كلسات صوف خشن، حياكة بلادنا، ليرفع الرطوبة عن رجليه. لأنّه كان، مريض في معدته، فلبسها مرّة لكمال أمر الطاعة، ولم يعد يلبسها، طول حياته.

9- يصطلي قليلا

عندما كان يشتدّ البرد في فصل الشتاء. كان الأب مكاريوس يدعوه إلى المطبخ ليتدفّأ، وكان الأب شربل يطيع فيصطلي قليلا ويذهب. وعند الرقاد يذهب ويرقد في صومعته، مع أنّ رفيقه كان يرقد قرب النار لاشتداد البرد القارس في المحبسة.

10- لا يجوز لي أن أتلذّذ بالحلويات!

طلب إليه الأب مكاريوس رفيقه أن يغلي له بعض الحشائش المرّة، تسكينا لأوجاعه، فرضي معه **على شرط أن لا يضع في الركوة شيئا من السكّر**. فقال له الأب مكاريوس: إنّ الحشيشة مرّة لا يمكنك قبولها! أجابه الأب شربل: **لا يجوز لي أن أتلذّذ بالحلويات! وسيّدي يسوع، شرب الخلّ، على الصليب، في أشدّ عطشه وأوجاعه!**

خامس عشر: سلام دائم (يو 27/14)

أ- تعريف

كان في جميع أوقاته هادئا لطيفا، كأنّ كلّ شيء هنيء لديه، فشجاعته نادرة مصدرها السماء لا الأرض؛ فما اعترض مرّة على أحد، أو ماحك أو تذمّر من شغل في الصيف أو في الشتاء. وعندما كانت تسقط الصواعق على حربة المحبسة، ما كان يتحرّك في الكنيسة، حيث كان يصلّي. واحتمل كلّ المصاعب واضعا أمام عينيه غايته الفائقة الطبيعة. كان يتألّم من مغص، يظهر عليه أحيانا أوقات الشغل، ولا يتململ، مردّدا: **يا يسوع! يا عدرا!**. فكان رفيقه الأب مكاريوس يقول له: يا معلّمي روح ارتاح وصلّي أمام القربان. فكان يمتثل له. كان من عادته متى مَثُل أو دُعِي، يُجَيّي بكلمة: **المجد لله**. ويقف مكتوف اليدين إلى أن يؤمر بالجلوس. وإذا لم يُؤمَر بالجلوس، يبقى واقفا. كان هادئا، رصينا، دمث الأخلاق، وديعا كالحمامة، بل كان عين الوداعة، واللطف والرقّة. ومن ينظر إليه يحبّه حالا؛ وإذا كان، يُسبِّب له أحد إزعاجا ما، كان يحتمل ذلك بكلّ صبر وبشاشة أيضا.

ب- روايات وأحداث

1- قلبه وعقله في السماء (متّى 6/19-21)

لم يكن في حياته يسأل عن كثرة النذورات أو قلّتها، ولا عن مدخول المحبسة من النذور. ولا يتمنّى أن يكون الدير أغنى ممّا هو. ولا يفتخر بغنى الدير في أراضيه أو غير ذلك. ولا يتحدّث بأهل أو بأقارب، ولا يسأل إذا افتقروا أو اغتنوا، فما التفت إليهم. أو تعلّق بمال أو رزق أو أقارب. ولا يذكر له عملا يستحقّ الشكر. وما كان يرجو من أحد مساعدة. ولا يبذل لرئيس خدمة مخصوصة إكتسابا لرضاه والتفاته. ما تعاطى مع الناس قطّ، ومعاطاته مع رؤسائه مختصرة: يأمرون فيطيع بدون أدنى تردّد. وما كان يحزن، إذا نزلت مصيبة ما بالدير أو بإحد إخوانه، أو يفرح بترقّي أحد الآباء من معارفه في الرهبانيّة، أو بالأشياء التي تفرحه، فلم يستسلم لفرح أو لكآبة، بل دائما على حالة واحدة مهما انقلبت الأحوال، معتمدا على الله. وكثيرا ما يردّد هذه العبارة: **الله بدبّر الأمور، هكذا إرادة الله**. يصلّي لأجل خصب المواسم، لكنّه لم يكن يهتمّ لِمحْلٍ أو إقبال قائلا: **العناية الإلهيّة هي تدبّر**. وكان يقول دائما: **لتكن مشيئة الله، ماذا لنا في هذه الدنيا؟! نحن فيها مسافرون إلى الأبديّة**. وبكلمة قد كان قلبه وعقله في السماء.

2- صلّوا لأجله

كانت ثقته عظيمة بالله، كان يأتيه أهل المريض ضارعين باكين طالبين منه الصلاة لشفاء مريضهم. فيجيب بعض الأحيان: **مريضكم طيّب، صلّوا لله**. كأنّه استوحى إرادة الله وبلّغهم إيّاها. وأحيانا: **اطلبوا، صلّوا لأجله**. ويشاركهم في الصلاة. ويأمرهم **بوجوب الاعتماد على الله**، وأحيانا يعزّيهم وينصحهم **بوجوب الاعتصام بالصبر والتسليم لإرادته القدّوسة**. وكلّ مرّة يُؤتى إليه بذكر حالة مريض أو متضايق أو محتاج، كان يقول: **الله يدبّر فلنتّكِل عليه**؛ وإذا أحد طلب منه شيئا، **يقنعه بالإلتجاء إلى الله والتماسه منه**.

3- تناثر الجمر

كان كلّ حبيس يقدّس وحده، وكان الأب شربل يخدم القدّاس لرفيقيه الأبوين مكاريوس المشمشاني، والأب سمعان الإهمجي على التوالي، على أن يخدم له واحد منهما كلّ يوم، وذلك ليوفّر عليهما البرد القارس في الشتاء. وحدث مرّة، بعد أن خدم لكلّ منهما قدّاسه، وكان البرد قارسا جدّا، بسبب تراكم الثلوج. ذهب كلاهما يصطليان قرب النار، بينما كان هو يستعدّ للقدّاس، وبسبب الحرارة استولى عليهما النوم، وإذا بكانون النار يلتطم بالحائط فجأة، وينتثر الجمر والرماد عليهما، فاستيقظا مذعورين، وذهبا إلى الكنيسة، فوجدا الأب شربل متّشحا بملابس

التقديس، وواقفا منتصبا أمام المذبح، منتظرا من يخدم لـه القدّاس. وعند وصولهما لم يُظهِر أدنى تكدّر، ولم يفه بكلمة. وقد قدّرا أنّ هذا كان تنبيها لهما، ليذهبا لخدمة القدّاس.

4- يعمل كلّ ما يريح الرهبان

كان يرغب في أن يعمل كلّ ما يريح الرهبان، ويعود بالخير على مصلحة الدير، حبّا براحتهم ونجاحه، معتقدا ومتصوّرا أنّه بذلك يمجّد الله ويخلّص نفسه. كان متى شعر أنّ أحد الإخوة، المأمور بعمل ما خدميّ كالعجن والخبز بالفرن، يستأذن رفيقه بالمحبسة، عند شعوره أنّ هذا الأخ متعب بذاك العمل، أو مضطر لبعض الراحة، أو ملتزم لإتمام غير واجب، ويعمل عمل هذا الأخ بكلّ سرور، حتّى لو بقي من الصبح حتّى نصف الليل، لا يترك إخوانه إلاّ بعد إنجاز العمل، وهو صائم لا يذوق شيئا. وكلّ من كان يطلب منه شيء يقول له: **بأمرك يا خيّي**.

سادس عشر: فرح شربل: لم يَنْزعه أحد (يو 22/16)

أ- تعريف

كان دائما وديعا متهلّل الوجه فرحا بالله بشوشا، مسرورا بحالته، لا يتضجّر ولا يشكو من شيء، قانعا، صبورا ومسرورا؛ ولا ملل يعتريه ولا سأم، ولا حزن ولا اضطراب ولا خوف؛ ومارس التقشّفات بسرعة وسهولة وفرح واستمرار إلى آخر أيّام حياته وبثبات وبهجة نفس، فرحا في كلّ أعماله، ودائما مسرورا، بسرعة وارتياح، لا يتردّد ولا يتذمّر وثابتا في ممارستها.

وكان يعتبر نفسه خادما للجميع، فيقوم بفرح وسرور، ليس فقط بكلّ ما يأمره به الرؤساء بل بكلّ ما يُطلَب منه، حتّى المبتدئون والخدم، يطيع الخادم، وأجير الدير، طاعة صادرة عن فرح ونشاط، ويعتبر نفسه سعيدا، لكلّ خدمة يستطيع أن يقدّمها لأقلّ الناس، ويخدم، بفرح، العمّال الذين، كانوا أحيانا، يعملون في حقول الدير، أو في كرم المحبسة؛ ويقوم بأحقر الأعمال وأصغر الخدم بسرور وابتهاج؛ وكلّ ما يُكلّف به، من خدمات، أو أعمال، يقوم بها على أكمل وجه، وبفرح وسرور. ويفرح عندما يؤمر بعمل شاقّ، عوض عن بقيّة الرهبان، لا بل كان يسرّ سرورا عظيما بمثل هذه الأعمال التي تسهّل له اقتباس التواضع ويربح بها أجر الراهب؛ ولا تفارق البشاشة وجهه.

وعندما كان الرئيس يأمره بالذهاب للصلاة على المرضى، كان يذهب بطواعيّة وفرح ويصلّي لهم، ليمنّ الله عليهم بالشفاء والصحّة. وكان يستقبل المعترفين بسرور ولطف، ممّا كان يسهّل لهم الرجوع إلى الله.

وإذا حُدِّث عن أمر معجب أو مضحك، فإن جوابه مختصرا بإبتسامة لطيفة، وعندما كان يتحدّث في أمور لاهوتيّة: كان بشوشا في كلامه، عملا بالقانون: "لتكن مخاطبته مع كلّ أحد ببشاشة".

وفرح شربل كان ينتقل إلى محيطه، فيشهد الأخ بطرس مشمش: كنت أجد لذّة عظيمة في خدمتي لقدّاسه؛ ويؤكّد الأخ الياس المهريني: كنت أشاركه في صلاة الورديّة، وهو راكع يتلوها بكلّ لذّة وحرارة، تسري منه إليّ. ويضيف الأب الحصروني: في تلاوة المسبحة الورديّة معه، كنت أشعر بقربه بحرارة غير اعتياديّة تدبّ في نفسي، وبلذّة لم أكن أعهدها فيَّ من قبل؛ ويشرح الأب نعمةالله مشمش: كان الجميع، مع أنّه كان صموتا، يلزمهم مثله بالصمت والحشمة في الحديث، كانوا يسرّون بالشغل معه. ولم يكن ليلهو بمحبّة تلهيه أو تعيقه عن محبّة الله، بل كلّه عواطف محبّة نحو الله، متمّما واجباته بكلّ سرور. وما كان يجد لذّة ولا راحة ولا سرورا إلاّ في القدّاس والصلاة.

ب- روايات وأحداث

1- ألذّ من اللذّة

شهد التنّوري: رجوتُ الأب شربل على أثر وصولي إلى المحبسة، وبعد أن أطلعته على مأذونيّة قدس الرئيس العام أن يلقي عليّ مواضيع رياضة الكهنوت فقال لي: **أنت معلّم إسرائيل** (يو 3\9) **وتحتاج واحدا مثل الأب شربل يلقي عليك رياضة؟! ومع ذلك فأنا تحت أمرك بالذي تريد**. وألقى عليّ الرياضة. فتمنّيت لو طالت أكثر من أسبوع. وكنت بسماعي كلماته **كأنّي أتناول طعاما لذيذا وعسلا، لأنّ كلامه يخرق بالصخر. ويليّن الحديد. وهو عند سامعه ألذّ من اللذّة عينها!** ولذلك أخذت عهدا على نفسي أن أقضي أيّام العطلة المدرسيّة كلّ سنة معه في المحبسة، طالما هو حيّ يُرزق. وقضيت أربع سنوات متوالية معه بحسب قصدي. وكان يتلقّاني كلّ مرّة ببشاشة ملائكيّة.

2- وقال مبتسما

شهد الأب علوان: كان الأب شربل يساعدنا يوميّا في الحراثة بزراعة القمح، بطلب من رئيس الحقلة وأمر رئيس الدير. ففي أحد الأيّام، كنّا، نحن المبتدئين ورفاقي الفلاّحين، نفلح حقلا فوق العين، وقد انتهينا منه، ونقلنا

إلى حقل آخر، فأخذنا نحن الفدادين والمحارث، وبقي البذار والمعادير وسائر لوازم الفلاحة، على أن ينقلها الإخوة المبتدئون، والأب شربل وسائر العملة. ونظرا لما كنّا نعرفه من طاعة الأب شربل ونسمع عنه، أحببنا أن نمتحن فضيلته. فجمعنا كلّ أواني الحقلة، الموجودة معنا، أي المعادير وجرّة الماء، وإبريق الشرب، وقفّة البدار، وسطل الأكل، فطلبتُ من الأب شربل، على سبيل النكتة، أن يحمل الأغراض. فأجاب الأب شربل: **أمرك**. وكنت أحمّله هذه الأدوات، قطعة بعد أخرى، منتظرا أن يقول لي كفى: فلم يبدِ الأب شربل أدنى ممانعة ولا تذمّر قطّ، وهو يقبل ذلك بطيبة خاطر. فحمل المعاول على كتفه، وعلّق القفّة في الكتف الآخر، وحمل الجّرة في يده، والسطل في كوعه، بقي الإبريق فقلت له: إحمله. فقال: **كيف أحمله؟** فقلت: أدخل عروته بخنصرك واحمله، ففعل. وبقي على الأرض بعض أغراض ما كان يقدر أن يحملها، ولا يعرف أين يضعها. وقال لي: **"اشقع على هالجسم اشقع على جسده"** فضحك المبتدئون. ورآنا نضحك، فالتفت إلينا، وقال مبتسما: **الويل للذين يحمّلون الناس أحمالا ثقيلة، ولا يحرّكونها بإحدى أصابعهم!** قال ذلك وذهب بحمله راضيا مسرورا، ثم أخذنا الأوعية الباقية.

3- بفرح وسرور

تخلّى الأب شربل عن إرادته بالكلّيّة، حتّى تركها ترك مبغض لها، عملا بقول السيّد المسيح: "من لم يبغض كلّ شيء له حتّى نفسه، أي مشيئة نفسه، لا يقدر أن يكون لي تلميذا" أي مطيعا حقيقيّا. ولذلك كانت طاعته أشبه بطاعة الطفل الصغير لوالديه. فكان يسرع لتلبية الأمر دون سؤال، بل بفرح وسرور. وعندما ينتهي من العمل، يقف مكتوف اليدين أمام الآمر ويقول له: **قد انتهيت يا أبتِ** أو **يا أخي من هذا العمل، فماذا تريد أن أعمل الآن؟**

4- كان يقول مازحا

كتبت جريدة **La Croix**: كان شربل يطلب من رئيسه أعمالا متعبة. فكان ينقل الحجارة ويقلب الأرض البور دون مساعدة حيوان. فما كانت ساعات عمله تقلّ عن العشر في النهار، متحمّلا حرّ الصيف وبرد الشتاء. تشقّق جلد يديه، ومزّق الشوك كواحله وإبطيه، وكان يقول مازحا: **يجب أن أصبح خشنا**...

سابع عشر: حُبٌّ عجيب (يو 1/13)

أ- تعريف

كان يقول كلمة تبيّن داخل قلبه وهي: **إلهي لك قلبي**. فقد أعطاه هذا القلب بكلّيته. ولم يمسّه حبّ الأرضيّات يوما. وكانت نفسه ملتهبة بنار محبّة الله. وأعزّ الأوقات لديه كان ذاك الوقت الذي يصرفه أمام القربان الأقدس. ولا عجب فإنّ المحبّ يولع بملازمة حبيبه ويستعذب معاشرته. وقلب المرء لا يكون إلاّ حيث يكون كَنْزه؛ وجاء في الأمثال: الرجل تدبّ حيث القلب يحبّ. فضَّل محبّة الله على جسده الذي أماته حبّا لله. وبلغت محبّة الله فيه مبلغا جعله يحبّ أن يُحتقَر ويُحسَب كلا شيء. فلم يحفل كلّ حياته، باكتساب رضى رئيس أو صداقة أخ؛ لذا لم يكن لنفسه بشيء، بل كان بكلّيته لله. كان يخدم القريب بصلاته، لا لربح ثنائه، فلا أثر لمحبّة بشريّة بقلبه. وما كان يشكو أحدا من إخوته إلى الرؤساء، ولا أحد من الأجراء، بل وكان لطيفا مع الجميع. ومع إخوته في الشغل، كان يأخذ عنهم الشغل الشاقّ ليريحهم، كالخدمات الوضيعة، ونقل الحطب بدون أن يكون مكلّفا من الرئيس، بل لمجرّد محبّته لهم، عملا بقانون المبتدئ: "جاء ليُحِبّ الله والقريب، لا ليُبغضهم. جاء لِيَشقى ويُهان، لا لَيُمدَح ويَستريح. جاء ليَخدم غيره، لا ليُخدَم من الغير". وكان يصلّي لإرتداد الخطأة، وإهتداء الضالين، ولم يكن له أعداء. وأحيانا كان يؤخّر وقت قدّاسه، لكي يستطيع الرعاة البعيدين أن يحضروا الذبيحة الإلهيّة. وخصوصا في أيّام الأحاد والأعياد.

ب- روايات وأحداث

1- أسرة شربل (متّى 12/46-50)

جاء مرّة أخوه وأخته لزيارته بالمحبسة، فجاء إليه رفيقه فيها الأب مكاريوس يخبره بقدومهما والاهتمام باستقبالهما، فكان جوابه: **أنت أخي وأختي فاعمل لهما اللازم من حيث الأكل والشرب واصرفهما ليعودا إلى القرية، وقل لهما إنّي أصلّي لأجلهما لكي يخلصا من أشراك هذا العالم**، ولم يقابلهما.

2- أتريد أن تتغدّى؟

قدم الأب مبارك مسعد إلى المحبسة في وقت أكل الحبساء؛ فسأله الأب شربل ورفيقه: **أتريد أن تتغدّى؟** فأجاب بالإيجاب. وإذ كان الطعام فقط لاثنين، أي للأب شربل وللأب مكاريوس، فقد ترك الأب شربل غداءه للأب المذكور، واكتفى بما كان عالقا من الطعام، في كعب القدر. مع العلم أن الحبساء لا يأكلون، إلاّ مرّة واحدة في النهار.

3- إعملوا للقوت الباقي (يو 6/ 27)

إنّ الأب شربل، كان يصلّي كثيرا لأجل ارتداد الخطأة، ولأجل المرضى، ويسدي النصائح الخلاصيّة المعيّنة في الظروف المناسبة. وإنّي لا أزال أذكر كلمة قالها لي: **لا تهتمّ بهذه الدنيا أبدا، بل اهتمّ بالأخرة والدينونة، لأنّ الذي سيديننا عارف بكلّ شيء، ولا يحتاج أن يخبره أحد**. وكان شفوقا على الأنفس المطهريّة، لاسيما من ليس لهم من يذكرهم في هذه الحياة. فكان يذكرهم ويصلّي **ويدعو الآخرين للصلاة من أجلهم**.

4- شفقة عليها

شهد الأب الياس إهمج: أتيتُ، وكنت لا أزال صغيرا، يوما مع والدتي في تشرين الثاني إلى المحبسة لسماع القدّاس في المحبسة. وفي الطريق سقط علينا مطر غزير جدّا جعل الماء يتصبّب منا. فوصلت إلى المحبسة وثيابي وحذائي يقطر منها الماء. وعند وصولنا إلى المحبسة، دخلت إليها، وهيأت لوازم القدّاس، لأخدم للأب شربل. فنظر إليّ، ورأى الماء يتصبّب منّي فقال لي أن **أذهب إلى المطبخ لأنشّف ثيابي**. فقلت لا لزوم لذلك. فأشفق عليّ وذهب وأتاني بحذاء له لألبسه بدلا من حذائي المبلّل، ولكنّي لم أستعمله لأنّه كان كبيرا جدّا. وعندما ابتدأ القدّاس، وبخّر التبخيرة الأولى، رأى والدتي خارج الكنيسة، تسمع القدّاس، وهي مبلّلة كثيرا بالماء. فأشفق عليها، **وأشار إليّ أن أقول لها أن تدخل الكنيسة، وتسمع القدّاس من آخر الكنيسة**. فقلت لها ودخلت. وقد كان هذا أمرا غريبا، لأنّه لم يكن يسمح لامرأة بدخولها الكنيسة، ولكن الشفقة عليها، من شدّة البرد والرياح القارسة، دفعته إلى أن يسمح لها بذلك.

5- محبّته للرهبان

من أغرب فضائله النادرة، محبّته لإخوانه الرهبان. فإنّه لم يكن يندّد بحقّ أحد بل يتمّم واجباته بكلّ ورع. فكان صارما على ذاته رحوما على غيره. فقد قضى معظم أيّام رهبانيّته في دير مار مارون عنّايا محبوبا من كلّ الجماهير، على اختلاف المآرب والمشارب، بعدم تدخّله وتحيّزه مع هذا أو ذاك. وكان يسرع على كلّ عمل متعطّل في الدير. وقال عنه الأب أنطونيوس المشمشاني وهو رئيس الدير يومئذ: عندي في ديري راهبان ممتازان ليس فقط في رهبانيّتنا، بل في كلّ رهبانيّات الكنيسة، وهما الأب شربل والأخ الياس المهريني.

6- كما تخدم الأمّ طفلها

شهد الأب أفرام نكد: من عادة الرهبان في الماضي، أنّ الراهب الذي يكون له رهبان من قريته، أو من أهله يقيمون معه في الدير، يُخدَم في مرضه وشيخوخته. وكان في دير مار مارون رهبان عديدون. وكان إذا مرض أحد منهم أو شاخ وله رهبان يعتنون به، يكتفي الأب شربل بافتقاده كباقي الرهبان. وأمّا إذا كان راهب من الشيوخ أو المرضى الذين لا أحد لهم في الدير من أهلهم وأبناء بلادهم، فما كان يعود يفارقهم لا ليلا ولا نهارا، بل يخدمهم كما تخدم الأمّ طفلها. وأذكر أنّه كان في دير مار مارون قسّ من إهمج: الأب موسى الإهمجي، وكان عاجزا ومريضا. ولا يوجد من إهمج إلاّ القس أليشاع وكان عجوزا خرفانا. فمنذ مرض الأب موسى لازمه الأب شربل، وكان في الليل يرقد عنده على الأرض. وخرج صباح ذات يوم من عنده وجاء إلى الكنيسة ليصلّي ويقدّس، فرأيت عباءته على ظهره ملطّخة بالبصاق. فناديته قائلا: لا يليق أن تقدّس بهذه العباءة. فانتبه وغيّرها. وقد كان الأب المريض يبصق طول الليل ولا ينتبه أنَّ الأب شربل راقد عنده لحراسته.

7- شربل "المغروم"

كان قلبه مغرما بحبّه، ولا يطيب له العيش بدونه. ولسان حاله يقول دائما: **الله محبّتي وكفى**. وما كان يجد لذّة ولا راحة ولا سرورا إلاّ في الكنيسة أمام القربان الأقدس. وفي أيام الثلوج والبرد، عندما كان يستحيل عليه الشغل في الخارج، ولا يكون له شغل داخل الدير، يصرف وقته يحادث الله في زياراته الطويلة للقربان الأقدس. **والذي يحبّ يفتكر دائما بمحبوبه، ويطيل الإقامة معه**. والأب شربل كان يحبّ أن يطيل الإقامة مع القربان، بل كانت حياته كلّها مفعمة بالله، لأنّه كان دائما يفكّر فيه. وعندما يحادثه أحد، كان كمن استيقظ من سبات عميق، لأنّه في شغله اليدويّ الشاقّ كان دائما غائصا في التأمّل بالله.

8- محبّة بلا حدود

شهد الأب أفرام نكد: ما كان يظهر لي أو للأخوة المبتدئين معي من بقاعكفرا أقلّ ميل أو عطف، ولا يتكلّم معنا أبدا. ومرّة قال له رئيس الدير القس الياس المشمشاني: ألا تميل ميلا خصوصيّا يا بونا شربل وتعطف على المبتدئين الذين من قريتك أكثر من ميلك وعطفك إلى سائر الأخوة، فإنّ هذا ميل طبيعيّ في الإنسان. فأجابه بصوت منخفض كعادته: **كلاّ فإنّي لا أميل إليهم لا باطنا ولا ظاهرا، فإنّ كلّ الأخوة عندي سواء.**

9- لا يلتفت إلينا

شهد الأب روفايل نكد: ذهبتُ والأب افرام ابن قريتي بقاعكفرا للترهّب في دير عنّايا لاعتقادنا أنّنا نكون هناك مسرورين محظوظين لأنّ الأب شربل كان وقتئذ في هذا الدير، فيعطف علينا، ونأنس به. فكان الأمر بالعكس، فما كان يلتفت إلينا، ولا يتعاطى معنا. ولا نرى منه أدنى ميل أو عطف علينا، مع أنّنا من أبناء قريته.

10- شيعيٌّ يُبكيه (لو 41/19)

دخل الأب يوسف بيروتي على الأب شربل، أثناء وجوده في المحبسة، فوجده يبكي بكاء مرّا، ويلطم رأسه بيديه بتحسّر عظيم. فسأله عن السبب؟ فلم يجبه. فألحّ عليه ثانيا، وثالثا فقال له: **أخبرك تحت السرّ على أن لا تبوح به إلاّ بعد وفاتي: إنّ سبب بكائي، هو أنّ رجلا توفّي اليوم في علمات** (شيعيّ)**، وقد ذهبت نفسه إلى جهنّم**. وبعد قليل سُمِع إطلاق النار من علمات. وعُلِم أنّ رجلا غنيّا فيها، وكان مهاجرا في أميركا، قد توفّي.

11- حتّى الحيوانات

- يمسكون الحيّات بأيديهم (مر 18/16)

شهد الأب أنطونيوس نعمة: في أوان حراثة الكروم وتقليمها، ذهبت وجمهور ديري عنّايا، من رهبان وأجراء، إلى كرم المحبسة للشغل فيه. وحدث في أثناء ذلك أن رأينا حيّة رقطاء، ذات منظر مرعب، فأسرعنا إلى قتلها، وما استطعنا. فكانت تجول ميدانا في تلك الجلالي، وهي تصفر صفيرا كريها مفزعا، رافعة رأسها حينا، وحينا ذنبها. ولمّا أعيتنا الحيلة، واعترانا الخوف الشديد، إنتبهتُ وصرختُ: أين بونا شربل؟ نادوا عليه. وقد كان يشتغل وحده في منعطف من الكرم محجوبا عنّا، فأتى في الحال. ولمّا صار مقابل الحيّة، جمدت في مكانها، ووقف هو وقال: **لا تمدّوا إليها يدا**. وكان في يد كلّ منّا: هذا حجر، وذاك معول، وآخر مسّاس. فالتفت إليها قائلا، ومادّا يده: **روحي من هنا**. فانسلّت أمامه وما زال يومئ إليها بإشارة يده حتّى توارت، ثمّ عاد إلى عمله. فحمدنا الله على نجاتنا. وكان من عادته، ألاّ يقتل حيوانا، أو حشرة سامّة، ولو حقيرة، كالنملة أو العقرب، وذلك لرقّة شعوره، ولإفتكاره بأنّ الله هو الذي أوجدها، وهو يتدبّر بأمرها.

- يلهو الطفل والثعبان (اش 8/11)

شهد جرجس ساسين: وكنّا مرّة نفلح في كرم المروج المجاورة كرم المحبسة، وكان وقت أكل الحبساء. ودعي للأكل مع الحبساء، فظهرت أفعى كبيرة ودخلت في الحائط، فرمنا هدم الحائط وقتلها، فمنعنا عن ذلك. ووقف قرب الحائط، وقال: **لا أسمح لكم بقتلها، إنّ كلّ المخلوقات، سواء أكانت مسمّة أو لا. فالله لم يخلقها إلاّ لفائدة. فلا ينبغي قتلها!** وناداها بقوله: **إذهبي يا مباركة**. فخرجت الحيّة أمامنا وجاءت بيننا، وخرجت من باب الكرم، وكنّا نحو ثمانية فعلة، يعاوننا الحبساء بشغل الكرم.

- يسكن الذئب مع الحمل (اش 6/11)

شهد الأب سمعان أبي بشارة: لمّا كنت أخا تلميذا اصطفت في إحدى السنين في دير سيّدة ميفوق، ورقدت في غرفة الأخ برتلماوس أيطو، فرأيت فيها وفي الفراش والسرير بقّا كثيرا، لكنّه ضعيف ودقيق، ولم تلذعني منه بقّة واحدة، مع أنّه كان يسرح على وجهي ويديّ. فتعجّبت من هذا الأمر أشدّ العجب وسألت الأخ برتلماوس مستفهما مستغربا، فأجابني: ألا ترى قنّينة الماء المصلّي عليه الأب شربل على الطاولة في الغرفة؟ إنّي من حين ما رششت من هذا الماء في غرفتي هزل البقّ ولم يعد يلذع.

- يا حرام

شهد جرجس ساسين: كان في المحبسة قفير نحل، فسقط بعض نحلات في جرن الماء المعدّ لشربها، فجاء الأب شربل، وأخذ يرفع نحلة فنحلة، على رأس إصبعه، ويضعها في الشمس مشفقا عليها. فلسعته نحلة وغرزت حمّتها بإصبعه. فنَزع الحمّة، ورفع النحلة إلى الشمس لكي تنشّف جناحيها، وتطير. فقلت له: نزع الإبرة يا معلّمي من النحلة، يميتها. فقال: **صحيح، يا حرام**. ودخل الكنيسة.

ثامن عشر: حرّية شربل وجرأته

أ- تعريف

لم يكن يهمّه في الدنيا شيء، ولم يكن يهتمّ للخصوصيّات، فدأبه لإتمام الواجب، ولم يكن يهتمّ لاكتساب رضى أحد، بنوع خاصّ مطلقا؛ له جرأة في المحافظة على حقّ الله، لا يهاب بالحقّ وجه إنسان، ولا يحابي أحدا. ولم يكن عنده قيمة للكرامات، بل كان يفرح بالإهانة. لا يهمّه إن مدحه الناس أو ذمّوه. ومشهور عنه هذا الكلام: **ليس من مدح نفسه ومن مدحه الناس هو المزكّى، بل من مدحه الربّ**. وإذا زار الدير أحد الأساقفة أو الوجهاء، لا يأتي إلى مقابلته. وبالجملة قد كان عائشا على الأرض، وأفكاره وقلبه في السماء، لا يبالي بما حوله، كأنّه موجود وحده على الأرض في منفى، وهو عالم أنّ موطنه السماء.

ب- روايات وأحداث

1- غير متعلّق بشيء

وكان قلبه غير متعلّق بشيء حتّى ولا في عباداته الخصوصيّة، ولا في واجباته الروحيّة. فكان إذا دعته الطاعة، يترك صلاة الفرض، أو أيّ عمل روحيّ وربّما كان مسرورا به. وأذكر لذلك مثلا: بينما كان في إحدى الليالي يصلّي صلاة الليل في كنيسة المحبسة مع رفيقه بشكل علنيّ، جاءه رسول يقول له : الرئيس يطلبك. فلم يتردّد دقيقة واحدة. فترك صلاة الخورس، وذهب مع الرسول فورا إلى الدير ليلا. وتمّم في الدير أمر الرئيس، بأن صلّى على ماء ورشّه على قطيع ماعز للدير، كان يفتك به مرض المرارة، فارتفع عنه الوباء، وسلم من أذاه. وعاد إلى المحبسة، بعد أن إستأذن الرئيس بالعودة، إذ إنّ هذا كان ألحّ عليه أن يرقد في الدير.

2- من أين تدخل إلى نفسك الخطيئة!؟

كان يشتغل بالفرن ولم يكن يتكلّم، دائما صامتا، بينما الباقون يمزحون أحيانا. ولكن مع شدّة محافظته على الصمت بنوع دائم، ما كان يترك بعض الفرص الثمينة تذهب دون إعطاء أمثولة روحيّة للقريب، بشكل يدلّ على حكمة ممتازة ولا يجرح القريب؛ وله أجوبة قليلة نادرة لكنّها تنبئ عن معرفة تامّة لا فقط بأحوال الرهبانيّة بل بأحوال غيرها. فبينما كان يساعد الرهبان في الفرن في أيّام الشتاء، جاء الدير الخوري يوحنّا شحاده من قرية مشمش. وكان وكيلا بطريركيّا في بلاد جبيل، وجيها بمقامه، وجيها بعائلته، غنيّا له مداخلات مشهورة مع الحكّام وكبار البلاد، معتزّا بنفسه، جسيما مترفّها بمعيشته ترفّها لا ينطبق تمام الإنطباق مع بساطة تلك الأيّام، والحالة الكهنوتيّة. وكان ينظر إليه بعين الإعتبار، في كلّ نواحي كسروان وجبيل والبترون. فحينما جاء إلى الدير، كان مرتديا فوق أثوابه الكهنوتيّة فروا، ما كان يلبسه إلاّ الأمراء والممتازون. وكان الفرو سميكا. فدخل الخوري المذكور إلى الفرن لكي يتفرّج، ووقف يحدث الرهبان. فاتصل بهم الكلام إلى الخطيئة وأسبابها. وكان الخوري يقول هنيئا للرهبان فهم بعيدون عن أسبابها. وكان الأب شربل صامتا كعادته مصغيا، تتكلّم يداه بالشغل، وينطق بصمته بأبلغ النصائح والوعظ. فالتفت الجميع إليه إذ سمعوه يتكلّم دون أن يؤمر، على غير عادته ويقول، رافعا نظره قليلا إلى الخوري حنّا، وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة: **وأنت! من أين تدخل إلى نفسك الخطيئة!؟ فإنّها لا تصل إليك: فروك سميك!** فضحك الجميع وتغامزوا، لأنّهم رأوا في تلك العبارة، مغزى عميقا، وتنبيها حكيما للخوري المذكور. وبرهانا على أنّ الأب شربل كان في اعتزاله عن العالم، وصمته، وعدم مشاركته في الأحاديث المتعلّقة بالأمور الخارجة عن الرهبنة يفهم، بالإشارة، أو بكلمة صغيرة يسمعها، أهل عصره وأعمالهم. وكأنّه لم يكن راضيا عن ترفّه الكاهن الظاهرة علاماته في لبس الفرو، فغمزه تلك الغمزة.

3- "مطرح ما بيبطّلو بيوصّوا!"

تراكمت الديون على دير عنّايا في رئاسة الأب روكس مشمش (1865- 1871)، فكان يُشغل المبتدئين والشركاء أيّام الأحاد والأعياد لدعم اقتصاد الدير المنهار، فيوما ما قال الرئيس للأب شربل في الكنيسة: قدّس القدّاس الكبير. فأطاع حالا. وهو مشهور بطاعته في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. وكان من الواجب أن ينبّه في هذا القدّاس، على عيد بطالة سيقع في الأسبوع الذي سيليه، على أنّه أنهى القدّاس دون أن يجري التنبيه اللازم. وعند نهاية القدّاس ومنح البركة، تقدّم الرئيس وقال له: ما وصّيت على عيد الصعود يوم الخميس! أما تعلم أنّه بطالة!؟ وصِّ على الجمهور. إذ كان شركاء الدير يأتون لحضور القدّاس. فأجاب فورا بكلّ لطف واتضاع: **"يا معلّمي بطالة بمقامه: فالذين لا يبطلون الأحد والعيد لا يوصّى عليهم. مطرح ما بيبطّلو بيوصّوا"**. قال هذه العبارة لداع، وهو أنّ الرئيس كان يشغل المبتدئين أيّام الآحاد والأعياد أحيانا، وذلك لحاجتهم إلى قضاء أشغال الدير الكثيرة، وبسبب الضيق وغلاء المعيشة تلك السنة. ولم يكن الأب شربل يشاركهم في الشغل، ولم يكونوا يتجرّأون أن يدعوه إلى الشغل، في هذه الأيّام المقدَّسة هيبة من قداسته، واحتراما لفضيلته. لذلك أجاب الأب شربل بهذا الكلام في الكنيسة منتصرا لحقّ الله وشريعته الواجب حفظها غير خائف من أحد. ففهم الرئيس مُراد الأب شربل وانتبه إلى غلطه فكان كلام الأب شربل بهذا الأسلوب اللطيف، عظة بالغة للرئيس الذي فهم معناها جيّدا، وامتنع فيما بعد عن تشغيل المبتدئين والأجراء. وقد اعتبر الجمهور هذا التنبيه من صوت الله وفرحوا به.

تاسع عشر: عابد عادل

أ- تعريف

- **نحو ربّه:** كان يؤدّي له أفعال العبادة المتوجّبة من المخلوق نحو الخالق، على أكمل وجه. ويحافظ على ووصاياه. وكان دائما رافعا قلبه، وباسطا يديه نحوه، ليؤدّي له الإكرام الواجب، بثبات متواصل حتّى الموت.
- **نحو القريب:** لم يُسِئ إلى أحد، ولم يعتدِ على حقّ أحد، ولا يسبّب لأحد إزعاجا، بل كان يعتبر نفسه خادم الجميع وخادم ربّه الأمين. وكان شديد المحافظة على نذوره الرهبانيّة، ممّا فرض احترامه على جميع إخوته الرهبان، وكان عندما يَنْزل من المحبسة إلى الدير، ويجتمعون للسلام عليه، ويلثمون يده، وكان يعاملهم أحسن معاملة، ويكرّمهم بكلّ لطف وتهذيب؛ ولم يكن ليزعج أحدا من الناس، لا في حضورهم ولا في غيابهم، ولا بمالهم ولا بصيتهم، ولا بنوع آخر.

ب- روايات وأحداث

1- حتّى يخرج منها الجميع

كان يذهب إلى غرفته بعد صلاة الستّار. ويرقد في الظاهر، وقت رقاد الرهبان، ولكن في الحقيقة كان رقاده قليلا جدّا، فغرفته مضاءة –بشهادة الكثيرين- وهو جالس أو راكع يصلّي في كتبه. وكان يصرف أكثر ليله في الصلاة، كثيرا ما كان يرى في الكنيسة أثناء الليل حينما يكون جميع الرهبان نياما. وكان في الغالب موكلا في قرع جرس نصف الليل للصلاة، فكان يسبق الرهبان إلى الكنيسة. وبعد انتهائها، يعودون إلى الرقاد حتّى طلوع الفجر، وقرع جرس صلاة الصبح. فالأب شربل يأبى أن ينام، بعد الفراغ من صلاة الليل، مثل باقي إخوانه الرهبان، بل يستمرّ ساهرا مع ضوء القربان في الكنيسة، مختطفا بالتأمّلات العقليّة حتّى يبزغ نور الصباح ويجتمع الرهبان لتلاوة صلاة الصبح، فيستمرّ في الكنيسة حتّى يخرج منها الجميع.

2- صلاة للمبتدئين

إنّ رئيس دير الابتداء في الناعمة سنة 1888، زار الحبساء في محبسة مار مارون، وكان من جملتهم الأب شربل، فوجده مع رفيقه جالسا للأكل. ولمّا عاد إلى الدير، قال: إنّه طلب من الحبساء في مار مارون ليصلّوا لأجل المبتدئين، فوعدوه بذلك.

3- متّ عن العالم يوم ترهّبت (متّى 24/6)

شهد أليشاع نكد: لمّا توفّي جدّي، حنّا زعرور، شقيق الحبيس الأب شربل، وكانت وفاته في 25ك2 1898. وحيث لم يترك بنين إلاّ والدتي، والبنت لا تقدر أن ترث من والدها إلاّ نصف تركته. فزاحمها أنسباء والدها وادعوا أنّ النصف الثاني هو لهم، بما أنّ شقيق المتوفّي راهب وحبيس، وبموجب قانون الرهبانيّة لا يرث ولا يورّث. وقالت والدتي: بل إنّ عمّي الأب شربل يرث لها. وجاءت إلى دير مار مارون عنّايا، لتخبره بوفاة والدها شقيقه، وتطلب منه ورقة تنازل منه لها عن نصيبه لتركة شقيقه والدها، فرافقتها. وكان ذلك في أيّام الربيع. ولمّا وصلنا إلى محبسة مار بطرس وبولس، أُخبِر الأب شربل بقدوم والدتي، فلم يقبل أن يراها، بل دخل الكنيسة وأقفل الباب. فوقفت والدتي عند باب الكنيسة من الخارج، وهو وقف في داخل الكنيسة قرب الباب المقفل، وسألها: ماذا تريد منه؟ فأخبرته بوفاة والدها، وطلبت منه ورقة تنازل منه لها عن حصّته. وأخبرته بأن أقارب والدها يداعونها بنصف التركة. فأجابها على مسمع منّي: **يا ابنة أخي! أنا ما بقي لي معاطاة في العالم! أخي مات من بضعة أشهر، أمّا أنا فقد متّ عن العالم يوم ترهّبت، ونذرت نذوري الإحتفاليّة في دير مار مارون عنّايا منذ 45 سنة. والميّت لا يرث ولا يورّث! وهكذا كل راهب. لهذا مالك شغل معي. وأنا لا أستطيع أن أتنازل عن شيء لا يخصّني.** فرجعنا بدون فائدة. ويعلّق اسكندر بك الخوري على هذه الحادثة: أصبحت هذه العبارة آية، في تلك الناحية، يتناقلها الناس، دلالة على تجرُّد الأب شربل، وعدله وروحه الرهبانيّة الحقّة.

4- ويصلّي للأنفس المطهريّة

شهد الأخ الياس المهريني: إنّ الأب شربل كان يكثر من رسم إشارة الصليب المقدّس على وجهه.... فسألته: يا معلمي بونا شربل، لماذا تكثر اليوم من إشارة الصليب على خلاف عادتك؟ وهل من فائدة كبرى من الإكثار منها لأمارسها أنا ولا أحرم فائدتها؟ أجابه الأب شربل والبشر يطفح على وجهه: **إنّنا اليوم في جمعة الموتى. وإنّ في إشارة الصليب لكَنْزا عظيما من الغفارين. ويمكن لرابحها أن يحوّلها مساعدات لتلك النفوس المسكينة المعذّبة في المطهر وليس لها من يذكرها. فإنّك كلّما رسمت إشارة الصليب على وجهك بإيمان، وأنت في حال النعمة**

ربحت غفرانا. وإذا دخلت الكنيسة، أو خرجت منها. ودهنت رأسك بالماء المبارك. ورسمت إشارة الصليب، وكنت بحال النعمة، ربحت غفرانا كلّ مرّة. وإذا قلت يا مريم. ربحت غفرانا أيضا كلّ مرّة.

وإذا رسمت إشارة الصليب، مثلا، عشرين مرّة في النهار، ربحت غفرانات. وإذا قدّمت هذه الغفارين لراحة نفس أو نفوس معذّبة في المطهر، فكم تخفّ عذاباتها! وكم تربح من الأجور المضاعفة عن عملك هذا! وهل يسومك هذا تعبا أو شيئا من التعب؟ -كلاّ.

والإنسان يشتغل في أرضه ويسقيها من أعراق جبينه، وينتظر سنة أو معظم السنة، ليستغلّ فيها بعض الغلّة. وإذا أقبلت مواسمه يطير من الفرح. فأولى أن يكرّر استدعاء العذراء باسمها. وينـاديها باحترام: يا مريم، مئة مرّة في النهار، فيربح غفرانات. فلا يتعب، ولا يَنْزعج، بل يبقى في شغله العادي، فلا يتعطّل عليه شيء، فيستفيد أجرا، ويفيد الأنفس المطهريّة راحة، وتقصير زمان في عذابها. ويتحصّن بهذا الإسم العظيم ضدّ كلّ تجربة شيطانيّة. وإذا اعتاد الإنسان على إشارة الصليب، وعلى استدعاء العذراء، خفّت عنه التجارب بكلّ أنواعها. لأنّ إشارة الصليب وسيلة لطرد الشياطين. واسم العذراء لقهرهم ودحرهم في لجّة هلاكهم. وإذا سمعت منّي، إمسك عبادة دائمة لمساعدة النفوس المطهريّة، فتكون بذلك كأنّك تديّن الله. والكتاب المقدّس يقول: من يعطي الفقير يقرض الله. والله لا يضيّع أجر كأس ماء بارد يُسقى بإسمه. فكيف يضيّع أجر محسن كبير إلى أعزّ نفس لديه متألّمة. وخلاصها مكفول. وهي بحاجة إلى تقصير أيّام في حمّام تكفيرها!

عشرون: وفاء للحبيب

أ- تعريف

كانت طهارته ملائكيّة، وذلك ظاهر من تقشّفاته، وعدم إهتمامه بالمأكل أو الملبس أو المشرب. أمّا أثوابه الرثّة الفقريّة، فإنّها وحدها شهادة ناطقة بطهره؛ وكان يكره كلّ عيشة مرفّهة. وصار الأب شربل بتقشّفاته وإماتاته كخيال من الضعف والهزول. ليس فيه إلاّ الجلد والعظم. وقال الكثيرون: ما هذه عيشة إنسان، بل عيشة ملاك أرضيّ ماتت فيه الطبيعة البشريّة.

لا يرفع نظره بمخلوق، كائناً من كان، بل كان مطرقاً دائماً إلى الأرض، متجنّبا كلّ التجنّب، معاشرة الناس ومخالطتهم، لينصرف بجملته إلى الخالق؛ وإذا حدّث رجلا لا يرفع نظره إليه بل يلقي نظره إلى الأرض، ولو كان محدّثه راهبا. وكلامه مع الرجال لا يزيد عن بضع دقائق؛ وما رفع نظره إلى شيء، بل كان مطرقا ببصره إطراق المتأمّل في الكنيسة وخارجا عنها؛ ولا نظر إلى امرأة مطلقا، عملا بالقانون: "يجب على الراهب قمع الحواس مطلقا".

وما كان، لا في المحبسة ولا قبالها يوجد نساء، على الإطلاق. وكان يهرب منهنّ، مع ما هي عليه نساء هذه الجهات من الحشمة والبساطة في الأزياء، لاسيما في عصره؛ وكثيرا ما كان يصادف مرور بعض النساء بالطريق العام، إذ يكون متوجّها للحقل أو الكرم، أو لنقل الماء من العين للدير. فكان يغيّر طريقه حالا. وهذا اشتهر بالجوار، حتّى النساء عندما يرونه من بعيد يغيّرن طريقهنّ، ويحدن عن طريقه إحتراما له.

ب- روايات وأحداث

1- قدّاس الأحد

وما كان يسمح للنساء أن يدخلن كنيسة المحبسة أبدا. بل يأذن لهنّ بدخول الدهليز، أمام الكنيسة، عندما يعرف أنهنّ ما قدرن أن يسمعن قدّاسا، في غير محلّ، يوم الأحد. وعندما كان يأتي زوّار إلى كنيسة المحبسة، ومعهم نساء، كان يغادر الكنيسة ويَنْزوي في صومعته، إلى أن يعرف، أن الزوّار جميعهم، رجعوا إلى بيوتهم.

2- صيغة المُذَكَّر

شهد مارون عبود: أعرف أنّه عندما كانت تحضر بعض النساء، لطلب الماء المبارك أو غيره، ينادي، بصيغة المذكَّر، القادمة: **ماذا تريد؟** من نافذته داخل المحبسة. وبعدما يعلم الحاجة، يذهب إلى رفيقه فيخبره فيمضي لقضائها. ويتابع جرجس ساسين: صعدتُ مرّة إلى المحبسة، فوجدتُ امرأة خارج التصوينة، فسألتُها: من أنت؟ أجابت: إمرأة من بقاعكفرا، شقيقة الأب شربل، جئت لأزور شقيقي، فقل له أن يواجهني. فدخلت وأخبرته. فقال: **قلّ للأب مكاريوس**. فأمره الأب مكاريوس أن يقابلها. فوقف خلف الباب من الداخل، وهو مغلق، وأدار نحو الباب ظهره، وهي خارجا، فقال لها: **كيف حالك؟** خاطبها بصفة المُذَكَّر مع أنّها امرأة! ولم أعرف السبب! قال هذه الكلمة، وذهب إلى الكنيسة ولم يقابلها.

3- أين بنت البك؟

وقد أخبرتني والدتي، التي كان أبوها رشيد بك الخوري، مديرا لتلك المنطقة، أنّها ذهبت مرّة لزيارة المحبسة، مع رفيقات لها، من أقاربنا. فعرف بهنّ الأب شربل من رفيقه. فبعد زيارة الكنيسة، خرجن أمام المحبسة للاستراحة، وتناول الغداء. وإذا بالأب شربل، يطرق على الباب من الداخل، ويقول: **أين بنت البك؟** فأجابت والدتي: ماذا تأمر. عندئذ، فتح الطاقة الموجودة في نصف الباب، ومدّ يده، دون أن يرى والدتي أو تراه هي، وناولها صحنا من العسل. وهذه هي المرّة الوحيدة التي سمعت بها صوت الحبيس الأب شربل. مع أنّها كانت كثيرة التردّد على المحبسة.

4- وباركهنّ

وقد كنت مرّة في المحبسة، وكان جمهور من الرجال والنساء في الكنيسة، فجاء الأب مكاريوس وطلب من النساء أن يخرجن، لأنّ الأب شربل يريد أن يقيم الذبيحة الإلهيّة. فخرجن، ولكنهنّ طلبن أن يصلّي الأب شربل على رؤوسهنّ، فوقفن خارج الكنيسة، منخفضات الرؤوس وعليهنّ غطاء، ومدّ الأب شربل يده من نافذة الكنيسة وباركهنّ، ثم أقام الذبيحة.

5- الجسد كالحمار

كان يردّد دائما على مسامع الرهبان: **هذا الجسد كالحمار إن أشبعته بطر وإن جوَّعته ذلّ**.

6- ضعوا القنّينة وروحوا

عندما كانت النساء يأتين إلى المحبسة لطلب الماء المبارك، ويصدف أن يكون الأب شربل وحده في المحبسة، يجاوبهنّ من الداخل: **ضعوا القنّينة على الباب وروحوا**. ثم يتناول القنّينة عن الأرض بعد ذهابهنّ ويملأها ماء مباركا، ويردّها إلى محلّها ويتوارى. ولمّا كان يلتقي في الطريق بغتة بإمرأة ما، كان يجفل، ويغيّر طريقه حالا. ذاهبا على غير هدى بين الأشواك.

7- إلى أن يمرّ

شهد الأب الحصروني: كان اعتباره في نفوس النساء عظيما، حتّى أنّهن من تلقاء نفوسهنّ، عندما كنّ يعرفن أنّ الأب شربل سيمرّ في مكان هنّ فيه، يختفين من أمامه **إلى أن يمرّ**، وقد شهدت هذا بأمّ عيني. وأذكر هنا أنّي كنت مرّة أفلح في الحقل مع رئيس الحقل، الأخ الياس المهريني، الأجير سليمان المنزلي، غربي الدير لجهة الجنوب، وإذا ببعض النسوة من الشركاء راجعات من سماع القدّاس إلى بيوتهنّ. ولمّا نظرن الأب شربل آتيا إلى الدير من بعيد أسرعن إلى خارج الطريق. فسألت رئيس الحقلة المذكور عن السبب؟ فأجاب: ربّما يكون الأب شربل آتيا من المحبسة إلى الدير. قلت: وأيّ خوف عليهنّ منه، أجابني: هنّ يعرفن أنّه لا يريد أن ينظر النساء فيهربن من طريقه إحتراما له. وفعلا، بعد هنيهة، رأينا الأب شربل مقبلا من المحبسة إلى الدير. ولمّا غاب عنّا إلى الدير، عادت النساء إلى متابعة طريقهنّ إلى بيوتهنّ.

8- أتتني تجربة فضايقتني

ومرّة كان الأب شربل مقيما في حمي دير عنّايا –اللقلوق- لأجل تلاوة القدّاس الإلهيّ لرئيس حقل الدير هناك المدعو الأخ بولس مشمش رفيق الأب شربل في حراثة الحقل. فبينا كان هذا الأخ يحرث الأرض سمع الأب شربل، وكان بعيدا عنه قليلا، يصرخ ويستغيث كطفل صغير، فترك محراثه وأسرع ليرى ما عرض له فوجده سالما هادئا، فسأله: ما بك؟ فأجابه: **لا شيء**. فعاد الأخ إلى الحراثة، وما عتّم أن سمعه يصرخ أيضا، فتقدّم إليه وقال له: أأنت مجنون؟! لمَ هذا الصراخ؟ قل لي شو صايرلك؟! بقدر ساعدك بشيء؟ أجاب، بكلّ هدوء وبصوت خفي: **أتتني تجربة فضايقتني، اعذرني وصلّي لأجلي**.

9- لماذا هذه الفتلة؟!

شهد الأب الياس إهمج: أذابت محبّة الله في قلبه كل محبّة أرضيّة، حتّى محبّة الأهل. فإنّه لأجله تعالى، ولكي يتفرّغ لمحبّته، نقّى من قلبه حُبّ ذويه. فقد كنت مرّة ذاهبا لزيارة الحبساء في المحبسة. لأنّي كنت أقضي الصيف في دير مار مارون عنّايا، مع معلّمي الأب نعمةالله الكفري. وعند وصولي إلى قرب المحبسة، وجدت عددا من النساء منتظرات قدّام المحبسة. فحين وصولي ألقين عليّ السلام وقلن لي: نحن هنا من زمن طويل، وقد أتينا من محلّ بعيد من قرية بقاعكفرا، التي تبعد نحو يوم من هنا، لكي نرى الأب شربل، وهو لا يريد أن يقابلنا. فقلت: ومن أنتنّ؟ قلن: هذه أخته، ونحن برفقتها، فنرجوك أن تقنعه لكي يدع أخته المشتاقة إليه من زمن طويل أن تُقَبِّل يده

على القليل. فتأثّرتُ جدّا، ودخلت مسرعا على الأب شربل، وهو في الكنيسة، ورجوتُه أن يشفق على أخته المسكينة الآتية من محلّ بعيد، حتىّ تروي غليلها بلمحة واحدة لشخصه. فقال: **لا أخرج**. فعدتُ إليه ثانية، وقلت له: ترجوك أختك أن تمدّ يدك من النافذة لكي تقبّلها وتذهب كما وعدتني، دون أن تراك، مكتفية بقُبلة يدك. فقال: **لا أمدّ يدي من النافذة**. ثم عدت ثالثة، وقد أعطتني محرمة، لكي يمسحها الأب شربل على صورة القدّيسين بطرس وبولس شفيعي المحبسة، لتكون لها بركة وتذكار. وقلت له: ترجوك أختك أن تمسك هذه المحرمة بيدك، وتمسحها على صورة القدّيسين بطرس وبولس وتردّها إليها. فقال: **أنت امسح الصورة بالفوطة، وأعطها إيّاها**. وقلت للأب شربل: لماذا هذه الفتلة؟! فلم يردّ عليّ بكلمة. وعدتُ أنا، ووضعتُ المحرمة على عصا طويلة، ومسحتُ بها الصورة، التي كانت في محلّ مرتفع، وسلّمتُها لأخته التي رجعتْ إلى بلدتها بقاعكفرا حزينة باكية. وأنا قد ذهلتُ جدّا من هذه المعاملة القاسية، ولم أدرك لها معنى. وبعد خروجه من الكنيسة أخذتُ أحاججه قائلا: ما كان يحسن بك أن تردّ هذه الأخت المسكينة خائبة؟ أين عواطف الحنان؟! أين الشفقة؟! فلم يجبني بشيء. ففهمتُ من سكوته أنّه لم يعد في قلبه محلّ لمحبّة أرضيّة. بل لم يكن يختلج قلبه إلاّ بمحبّة الله.

10- وابنة أخيه أيضا

شهد عيد نكد: مرّة ذهبت أمّي وردة، بنت شقيق شربل، لزيارته في المحبسة، وكنت مريضا وفي سنّ العاشرة فذهبت برفقتها. فلم يقابلنا بل أخذني بيده وأدخلني إلى المحبسة. أمّا والدتي ورفيقتها المرأة المريضة التي أتت معها للإستشفاء، فلم يواجههما بل كلّمهما من وراء البوّابة. وذهبت والدتي مرّة أخرى لزيارة عمّها الحبيس في محبسة مار مارون. فكلّمها كلاما موجزا من داخل المحبسة، ولم يرَها، ولكنّها أصرّت على سماع قدّاسه. فسمح لها بأن تحضر قدّاسه من طاقة باب الكنيسة. وعند دورة الكأس، تقول وردة: إنّه رفع عينيه إلى العلاء حذرا من أن يقع بصره عليها.

واحد وعشرون: أسير[16] الحبيب

أ- تعريف

ما كان يعمل شيئا إلاّ بأمر الطاعة للسلطة التي تمثّل: الله، ولأجل ربح الأجر المعدّ للمطيع، عملا بالقانون: "يجب على الراهب أن يتّخذ رئيسه بمنْزلة المسيح". لذا طاعته عجيبة غريبة، ومن عادته أن لا يباشر عملا ما إلاّ إذا أُمِر به؛ فكانت عمياء، كطاعة العصا للأعمى، يُضرَب بها المثل؛ فكان إذا دعاه الرئيس، إلى أمر ما مهما كان، يترك عمله ويطيع فورا، فما تأخَّر عن إتمامه لحظة. ولا أذكر أبدا أن الأب شربل، عندما كان يؤمَر بشيء يخالف الطبع، ظهرت عليه علامات النفور أو الغمّ، بل كان دائما في حالة متساوية. وما اعتذر يوما بعذر ما لا صحّي ولا غيره، حتّى في الأمور التي كان بيّنا للجميع أنّه يجب الإعتذار عنها.

ولم تكن طاعته عن غباوة، أو عن عادة، بل عن تقوى وفضيلة، كما يطلب روح القانون. وكان نذر الطاعة مجسّما أمام عينيه، في كلّ حياته يمارسه كنذر وكفضيلة؛ ولو قدر أن يحبس نبضات دمه في عروقه، ويُخضعها لأمر الطاعة، لكان في ذلك أقصى مناه. وامتاز باحترامه الله. فمهما حدث في الكنيسة، لا يلتفت يمنة ولا يسرة. أمّا احترامه للسلطة فكان عنده في أقصى غاياته. وكان دقيقا في الحفاظ على طقوس الكنيسة، ورتبها المقدّسة. وكان يحتفل مع رفيقه في المحبسة بكلّ الزيّاحات في مواقيتها كلّ يوم.

ب- روايات وحوادث

1- تفعل حسنا

شهد الأب اغناطيوس مشمش: مرّة لبس ثياب التقديس، وابتدأ برتبة القدّاس -وكان آباء الدير قد تلوا قداديسهم ولم يبقَ سواه- فقال له الرئيس: إنتظر فإن أناسا آتون لحضور الذبيحة. فامتثل وظلّ على المذبح نحو ساعة. ثم دعاني لأخدم له القدّاس، وسألني **ما إذا كان وصل القادمون لحضور الذبيحة؟** فقلت له: إسمح لي حتّى أشعر الرئيس وأستأذنه. فأجابني: **تفعل حسنا**. وهكذا ظلّ منتظرا حتّى عاد الرئيس وقال له: قدّس.

2- عند الأب مكاريوس

شهد الأب نعمةالله مشمش: كنّا نطلب منه أكلا، فيقول: **لا أعرف، إذهب وكُلْ عند الأب مكاريوس**. ولمّا كنّا نطلب منه عنبا في الكرم، كان **يرسلنا أيضا إلى الأب رفيقه**. وكان إذا طلب عامل منه عنقود عنب في الكرم يقول:

---

[16] إنّ المحرّك الأساس في حياة شربل هو الحبّ. أطاع محبوبه يسوع، ومن يمثّله، فأُسِر بحبّه. أصمّ أذنيه عن العالم، ولسانه عن النطق، ليصغي للحبيب. عاش عفيفا عن النساء... وجمالات الطبيعة، ليكون وفيّا لعشيقه.

لا أعرف، أطلب من الأب مكاريوس. وما كان يعطي من رزق الدير ورقة عريش من ذاته، ولا استأذن رئيسه أبدا بشيء ليعطيه لأحد.

3- بقي رافعا المعول

شهد التنوري: بينما كُنت شمّاسا إنجيليّا أستعدّ لقبول درجة الكهنوت في رياضة بدير مار مارون عنّايا، كنت واقفا على أطراف المحبسة، والأب شربل يعمل في نكش الكرم قبالتي، فشفقت عليه وقلت للأب مكاريوس، الذي كان يحضّر الغداء قربي، أن يدعوه ليستريح، ويتناول بعض الطعام. فلمّا أصبح الطعام جاهزا ناداه الأب مكاريوس صارخا: أبونا شربل مرّة أولى فلم ينتبه. ثم أعاد النداء بصوت أقوى، وكان الأب شربل رافعا المعول فبقي رافعه بيده بانتظار ما يأمره به. ولمّا قال له تعال تغدّى، رمى المعول من يده حالا، وجاء.

4- طاعة مبتدئين

بينما كان المبتدئون مرّة في العمل، وقرع الجرس للصلاة، توقّف الإخوة عن العمل، وصلّوا دون أن يستدعوا الأب شربل للصلاة معهم، فبقي مثابرا على عمله. ولمّا سألوه لماذا لم يصلِّ معهم؟ أجابهم: **ما أمرتموني**. فظنّوا أنّه يهزأ بهم فاستاؤوا. وفي اليوم الثاني، لم يدعوه تعمّدا إلى الصلاة، فظلّ متابعا العمل. ففهموا حينئذ أنّه لا يعمل شيئا إلاّ بأمر الطاعة. وفي الواقع حالما أمروه في اليوم الثالث أن يشاركهم في الصلاة، ترك كلّ شيء، وأطاع.

5- على سبيل الفكاهة

قال الأب شربل يوما لرفيقه، الأب مكاريوس: **يلزمهم حطب في الدير، وليس هنا من حطب، من أين تريد أن أحتطب؟** فأجابه بحدّة، على سبيل الفكاهة: إذهب إلى الميحال وهو حرش، يبعد حوالي 3 ساعات مشي من المحبسة، فذهب الأب شربل إلى الجبل المذكور، واحتطب الحملة، وحملها إلى المحبسة. فدخل عند المساء تعبا، والعرق يتصبّب منه، وحملة الحطب على ظهره. فسأله الأب مكاريوس: من أين أتيت بالحطب؟ ولماذا تأخّرت؟ وأنت تعب هكذا؟! فأجابه: **من جبل الميحال، كما قلت لي**. فقال له: لماذا ذهبت إلى هناك والمحبسة محاطة بالأحراش؟ فاجابه: **ألم تقل لي أنت: إذهب إلى الميحال؟ أنت قلت وأنا أطعت!** فاستغرب الأب مكاريوس كيف أنّه تحمّل هذه المشقّة!

6- دون أن يسأل عن الغاية

طُلب مرّة إلى إهمج، بدعوة من رشيد بك الخوري، مدير الناحية، ليذهب ويصلّي على ماء منعا للجراد الكثير المنتشر في تلك الساعة. إذ كان مشهورا أنّه بصلاته، ينهزم الجراد. فأمره الرئيس بالذهاب. فمشى، دون أن يسأل عن الغاية، ولا اعترض بشكل من الأشكال، ولمّا وصل طلب إليه رشيد بك أن يصلّي على ماء، فصلّى بحضور جميع أهل القرية، وقفل راجعا. وحين آنَ وقت الحصاد، قَدِم نحو مئة شخص من قرية إهمج وحصدوا زرع الدير مجّانا، عرفانا للجميل.

ثانٍ وعشرون: رجاؤه توق للحبيب

أ- تعريف

كان رجاؤه بالله وطيدا جدّا، ويحسب الدنيا وما فيها كالنفاية ليربح المسيح. ولم تظهر عليه علامة من علامات الفرح أو الكدر، عندما كان يحدث تغييرات في الرهبانيّة، ولا يسأل إذا كان تَقَدَّم، في الرهبانيّة، أحد معارفه، ليتكِّل عليه. ولا يغتمّ لتغيير الرؤساء والموظّفين، واعتزال من كان منهم له التفاتة إليه؛ فكان كلّ شيء يحدث في الرهبانيّة، لا يؤثِّر بنوع من الأنواع، في حياته الروحيّة أو في أعماله الخدماتيّة؛ وما كان يكترث لأمور الدير إلاّ على قدر ما تأمره الطاعة، بالمحافظة عليها. فإذا رأى خللا في أمر لم تكلِّفه السلطة به، لا يتدخَّل فيه. فهو في الدير أو المحبسة موجود كأنّه غير موجود؛ أفكاره كلّها كانت متّجهة نحو الله. فما كان يسأل عن شيء، خربت الدنيا أم عمرت، وكلّ اهتمامه، كان منصرفا إلى خلاص نفسه، والصلاة لخلاص الآخرين. وهمّه الوحيد كان مرضاة الله. وفي هذا السبيل تَحَمَّل الصعاب والمشقّات، وشدّة القساوة على نفسه.

ب- روايات وأحداث

1- أكفأ منّي

ما اعتمد قطّ على لحم ودمٍ. وأذكر أنّه قيل له مرّة إنّ المدبّر يريد أن يسند إليك رئاسة. فأجاب السائل مستهجنا: **بالرهبنة كثيرون أكفأ منّي وأكثر أهليّة، ومن فضل الرهبنة التي تقبل خاملا مثلي**.

2- إعملوا لمجد الله

شهد الأب علوان: كان يعمل أعماله تمجيدا لله وللحصول على السعادة الأبديّة. وكان يردّد علينا: **إعملوا لمجد الله تعالى، فتكافأوا بالسعادة الأبديّة**. ورجاؤه هذا، كان يدفعه لإحتقار أمور الدنيا هذه الزائلة، وللقيام بالإماتات والتقشّفات؛ وكان دائما يردّد عليّ هذه الكلمة: **الدنيا زايلة شو بدّو يطلع منها**.

3- أنوار السماء أجمل

قال له أحد الرهبان مساء يوم: أنظر إلى مدينة بيروت، كيف تشعُّ بالأنوار. فلم يلتفت. بل قال: **إنّ أنوار السماء أفضل وأجمل**. ودخل إلى غرفته.

4- شغل لا أعرفه

زاره مرّة أخوه، وأراد أن يخبره عن أحوال بيتهم وأرزاقهم. فقال لأخيه: **هذا شغل لا أعرفه، ولا أريد سماعه**. وحمل معوله، وتوجَّه إلى الكرم. كان رجلا غير موجود في الدنيا إلاّ بجسمه. وحيث إنّ قلبه مثل عقله في السماء، ما كان يتأثّر، لا لفرح ولا لحزن.

ثالث وعشرون: ملجأ المؤمنين والمحتاجين (لو 18/3)

أ- تعريف

كان الناس يتوافدون إليه جماهير، يحملون صغارهم وبيدهم قناني الماء، ليصلّي على الصغار ويبارك الماء لأخذه لشفاء مرضاهم، ورفع البلايا عنهم، وعن مواشيهم وأملاكهم، محافظة عليها من الأمراض والأوبئة، ولزيادة خصبها وإنتاجها، ورشّه في البيوت. وكان يقابلهم بعاطفة المحبّة، ويرقّ لحالهم ويصلّي لأجلهم؛ وكان يصلّي على ماء، أو يسكُب من الماء المبارك قبلا، فتظهر من الماء قوّة غريبة. ولم يكن يأخذ مقابل ذلك أيّ مكافأة، ولم يقبل أيّ تقدمة، بل كان يقوم بكلّ ذلك حبّا بالله. وكان يقصده من كلّ النواحي أهل الأمراض، وأصحاب العاهات، والحزانى وكلّ من آلمته مصيبة ما، طلبا لنعم الله على يده، لاعتقادهم بصلاحه، وبأنّ الله يستجيب. ونساء مسلمات كثيرات، من جوار الدير، كنّ يضعن أطفالهنّ عند باب محبسة شربل طالبات لهم الشفاء والبركة. وما كان يردّ أحدا من الذين يطلبون مساعدته الروحيّة. وإذا زاره أحد في المحبسة كان يخرج منها لاهجا بقداسته مُتعَزِّيا برؤيته فرحا بزيارته، ومتأثّرا جدّا بتقواه.

ب- روايات وأحداث

1- على السكت

شهد يوسف سليمان: هو في اعتقاد الجميع عندنا قدّيس ونحن نلتجئ إليه، في أمراضنا ومصائبنا. وقد سَمّينا بإسمه تيمّنا، كما نسمّي بأسماء القدّيسين. وأنا أعتقد أنّ القدّيس شربل، قدّيس عظيم في السماء، يشفع بنا على السكت دون أن نشعر بإحسانه، كما كان يفعل على الأرض.

2- الكلّ: صورة المسيح

إنّ الأب شربل لم يتعاطَ مع بشر، إنّما محبّته لهم عرفت من صلواته لأجل المرضى، وذوي الأسقام وللمسافرين والمعوزين، وممّن طلبوا صلاته لمريض أو محتاج. كان قلبه يتأثّر شفقةً، ويتوسّل إلى الله بكلّ حرارة لكي يعطف على عبيده المصابين. أمّا من حيث علاقاته مع إخوته الرهبان في الدير، ومع الذين كانوا معه في المحبسة أو ربطته بهم علاقات ما، فلا أحد يجهل أنّ قلبه كان يضمّ الجميع على السواء، لا تمييز عنده بمحبّته لهم، الكلّ إخوته، الكلّ صورة المسيح يكرّمهم على السواء.

3- يُقدِّم له ما يأكل

وكان شفوقا عطوفا على الفقراء وشديد الشفقة على المرضى والمتألّمين، وعندما كانوا يأتون إلى المحبسة، أيّام البرد والشتاء، كان يقرّبهم من النار ليتنشّفوا من الماء الذي يكون بلّل ثيابهم. وكان محبّا للجميع، فقراء وأغنياء. ومع أنّ الأب شربل لم يكن يتعاطى مع الزوّار إلاّ الأمور الروحيّة لأنّ استقبالهم وإطعامهم كانا منوطين برفاقه. وإذا اتّفق أن زاره أحد في غيابهم، فقير أو جوعان، كان يطعمه ما أعدّوا له من القوت أي طعامه الخاص، الذي كان قليلا جدّا ويبقى هو بلا أكل. كان يشفق على الفقراء، ضمن حدود إمكانيّته. فإذا جاء فقير إلى المحبسة، كان يطلب إلى رفيقه أن **يُقدِّم له ما يأكل**. وفي أيّام الشتاء والبرد، كان يُدخِل الرجال إلى المحبسة، ليتدفّأوا قرب النار.

4- أنا خاطي

كان يجيب الناس، الذين يطلبون صلاته: **أنا خاطئ، صلاة القدّيسين تنيلكم مطلبكم؛** وعندما يطلب أحد نعمة روحيّة على يده كان يجيب: **أنا أحقر الناس، خاطي**. وعندما كان يقول له أحد: أنت قدّيس. ما كان يجاوب، بل ينتفض، ويهزّ برأسه ويعبس؛ فيحسب ذاته آخر الناس، وأكبر الخطأة.

5- اتكلوا على الله

ولمّا كان يطلب منه صلاة. كان يقول بهدوء: **صلاة القدّيسين، واتكلوا على الله هو بدبّركم،** ويبتعد عنهم. وعندما كان الزوّار يطلبون بركته وصلاته، كان يفعل ذلك دون أن ينظر إليهم، ويقول: **أطلبوا من الربّ أن يعطيكم حسب إيمانكم**.

6- "فيك تكون قدّيس"

لمّا كان أحد يطلب صلاته يقول له: **صلِّ أنت أيضا، أي فرق بيني وبينك، الله يسمع لك كما يسمع لي**. وللذي يقول له أنت قدّيس يقول: **متلي متلك، أي شيء يعيقك عن القداسة**.

7- يشفي بصلاته

كلّ ما مرض رشيد بك الخوري، مدير إهمج، يستدعي الأب شربل للصلاة عليه، لاعتقاده بقداسته. وهكذا كان يفعل أهل الجوار يطلبون صلاته عند المرض والشدّة. وكان تأثير تقواه على الجميع كبيرا؛ ويشفي الأمراض بصلاته. وكان من عادة أهالي إهمج أنّه عندما يمرض أحد في قريتهم، يهرعون إلى الأب شربل طالبين منه ماء مباركا؛ وكثيرون كانوا يسألونه الصلاة، وبصلواته تزول الأمراض والبلايا. ومن لم يستطيعوا الذهاب إلى المحبسة يستحضرون ماء مباركا منه وينالوا بواسطته الشفاء ممّا ألمّ بهم، وكلّ مريض يَدهَن أو يَشرَب من هذا الماء، يُشفى من مرضه.

رابع وعشرون: حُبُّ الصلاة

أ- تعريف

1- مناجاة الحبيب

يأمر القانون: "يجب أن يسبق الإخوة إلى الكنيسة، ويخرج منها بعد الجميع"؛ لذا حين نهوضه من الرقاد يذهب توّا إلى الكنيسة فيمكث فيها نحو خمس ساعات، ويبقى راكعا في الكنيسة حتّى تيبس ركبتاه، منتصبا لا يتعب ولا يتوكّأ، دون أن يلتفت يمنة أو يسرة؛ وكان يصلّي على القرّاية مع الجمهور، يشارك في جميع الصلوات اللفظيّة بأوقاتها في الشحيم الكامل، فيتلوها بكلّ تأنٍّ، كأنّه يُخاطِب بها ملكا رفيع الشأن، ماثلا في حضرته، منظورا بالأعين الحسّية، وهو غائب عن الحواس، ومطانيّاته متواصلة، وطورا بالصلاة العقليّة، وصلواته اللفظيّة كان لها عادات خصوصيّة، يصرف في تلاوتها نحو ثلاث ساعات في اليوم، يتمِّم قسما منها في النهار وقسما في الليل؛ وكان يلفظ صلواته في الفرض وبقيّة الصلوات كلمة كلمة، وكان في النهار يتلو فروضه راكعا، متأنٍّ في تلاوتها. وإذا لم يكن في الكنيسة غيره، وقت صلاة الخورس، يصلّي على القرّاية وحده بصوت عال.

وكان دائما يصلّي صلاة نصف الليل، ولا يتأخَّر عنها أبدا. ولقد تناهى في التقوى والقداسة، فكان نديم الله وسمير الملائكة. ولم تكن عبادته تقوم ببعض صلوات وممارسات تقويّة يتركها متى لم تعد تسمح له الظروف، بل بمحبّة شديدة لله تلصقه به فكرا وقلبا حتّى لا يبرح ذكر الله ذهنه مُصلّيًا كان أو عاملا أو آكلا أو نائما. وقصارى القول إنّه لم يكن يحيا لذاته بل لله؛ وما كان يأتي على لسانه ذكر شيء أرضيّ.

2- حبيب سرّ المحبّة

الذي يحبّ شيئا أو شخصا يفتكر فيه، ويكثر ذكره، وذكر أعماله. وإذا تيسّر له الإكثار من زيارته والإجتماع به، لا يتأخّر أبدا. كذلك الأب شربل كان **دائما صموتا لأنّه كان دائما يفتكر بالله محبوبه**، ولم يكن في قلبه موضع لغير الله؛ ففاق الحبساء بكثرة زياراته للقربان ليلا. وكان أينما ضاع الأب شربل في الدير، يوجد في الكنيسة؛ وكان يرى أحيانا أمام القربان، في انخطاف غائب عن الحواس، وكان يصعد من قلبه تنهّدات عميقة تشعر بمحبّته الشديدة للإله المحتجب في سرّ القربان. وكان يسمع تنهّده وحنينه؛ وهذيذه الروحي كان متواصلا، وهيئته تُليِّن الصخر، وتُلقي في الناظرين الخشوع والإهابة، والنور السماويّ يطفح دائما من وجهه.

3- حبيب المسبحة الورديّة

كان يصلّي الورديّة راكعا منتصبا بلا حراك، ويداه ممدودتان على صدره، على طبق كان حاكه هو بيده من قضبان الحيلان، قاسية محبوكة على شبه دائرة يسترها بقطعة عباءة سوداء، وكان يبقى على هذه الحال، كلّ مدّة تلاوة الورديّة المقدّسة.

ب- روايات وأحداث

1- ثوب السيدة

أوعز إليّ مرّة الأب شربل الحبيس أن أرسل إليه ثوبا مثلَّثا مؤلَّفا من ثوب السيّدة، والحبل بلا دنس، والآلام، ليلبسه. فصنعت هذا الثوب وأرسلته له مع رجل من قرية عربة قزحيّا وكان ذاهبا إلى دير مار مارون عنّايا، وقد أفهمته أن يأتيني بعلامة من الأب شربل وهي أن يذكر له بعض أسماء أقربائه في بقاعكفرا وينهيها إليّ، لأتأكّد وصول الثوب ليده. وقد رغبت إلى هذا الرجل أن يستحصل لي من الحبيس على بركة أو ذخيرة. فعاد الرجل ودفع إليّ ورقة صغيرة مطوية بدون ظرف وقال: إنّ الحبيس لم يرسل لك شيئا غير هذه الورقة. ففتحتها فرأيت فيها هذه الكلمات التالية بخطّه وهي: **الأب شربل حبيس مار مارون عنّايا راهب قزحيّا، طالبة بركة أو ذخيرة، بركة مار بطرس وبولس تحلّ عليك**. هذا كلّ ما بعث به إليّ. وقد فرحت فرحا عظيما بهذه الورقة التي هي بخطّ الحبيس بيده. وخطّ الورقة بالعربيّة وهو غير حسن. وقد أشارت عليّ رئيستي وقتئذ الأم زيارة الغوسطاويّة، أن أحتفظ بهذه الورقة قائلة لي: هذه الورقة بخط يد الحبيس هي ذخيرة أبقيها معك. فوضعت هذه الورقة ضمن رقعة من الجوخ، وعلّقتها في عنقي. ولمّا أرادت شقيقتي أن تسافر إلى أميركا، أعطيتها هذه الورقة نجاة لها من خطر البحر.

2- أنا هو (مر 50/6)

شهد الأب اغناطيوس مشمش: لمّا كنت في هذا الدير شمّاسا أوّلا ثمّ راهبا، كنت موكّلا بالسكرستيّا. وأحيانا أدخل إلى الكنيسة لأرى إذا كان الضوء موقدا أمام القربان، وإذ أفقت من نومي، في إحدى الليالي، قرب منتصف الليل، دخلت الكنيسة لأرى كبّاية الزيت الموقدة أمام القربان، فوجدتها منطفئة. فتلمّست في الظلام لأنيرها، فعثرت ببشر، فاضطربت. فقال لي ذاك البشر: **لا تخف! أنا!** فعرفته من صوته أنّه الأب شربل. كان راكعا نصف الليل في الكنيسة يتأمَّل.

3- ماذا يجري حوله؟!

شهد الأخ بطرس مشمش: كان مختطفا دائما بالتأمُّلات العقليّة مفكِّرا مستغرقا في السماويّات، ولاسيّما في تلاوة القدّاس الإلهيّ، وكلّ من رآه يتحقَّق بأنّ جميع عواطفه وجوارحه وتصوُّراته فيه تعالى، غير ميّال إلى شيء ممّا يتعلَّق بالأرض. ولشدّة تعمُّقه في تفكيره بالمولى سبحانه يذهل عن نفسه أحيانا كأنّه غير موجود في العالم. وتراه دائما صامتا هادئا هدوءا زائدا حتّى إنّه لا يعرف ماذا يجري حوله، يشهد بذلك سؤاله لي لمّا كان يشتغل معي في الكرم فقال: **كم زوج من البقر تفلح في الكرم؟** أجبته: ثلاثة. وإنّك كلّ النهار تشتغل معنا ألا تعلم كم زوجا من البقر في الكرم؟ فسكت، ولم ينطق بكلمة.

4- يخاطب الله مع الملائكة

شهد التنّوري: كنت أراه، في صلاته، كأنّه مخطوف عن حواسه. مستغرق بالله. وكأنّ لا يشعر بما ولا بمن حوله! وكنت أتوقَّف أحيانا بدوري أقوله بصوت خفيف، فيبقى ماشيا بدوره ودوري على السواء، كأنّه لا شريك له ولا مساعد له في إقامة الصلاة... فكنت أتصوّره كأنّه في سماء الله يخاطب الله وجها لوجه وفما لأذن، وقلبا لقلب. كأنّ جسده غير لاصق بالأرض. وأمّا روحه فكنت أتصوَّرها ممتزجة بالملائكة تؤدّي لله معهم التسابيح والتمجيد!

5- أسبوع الآلام

إذا استدعاه الرئيس وكرارجي الدير لمساعدته في الخبز، أو لمساعدة الجمهور في قيام الخورس في أسبوع الآلام لحسن لفظه ومهارته في القراءة، يهرول حالا ويقضي شغله في الدير صامتا.

6- سلّم إلى الله

شهد يوسف عبود: ذات يوم بينما كان إبني جرجس مريضا ومتضايقا جدّا، ذهبت إلى المحبسة، وطلبت من الأب شربل ماء مباركا، فقال لي: **أقعد الآن، الله يدبّر**. فكرّرت عليه الطلب، فقال: **عا مهل، سلّم إلى الله، والله يعوّض**. قال ولم يعطني ماء مباركا، فرجعت حزينا متعجّبا من رفضه الصلاة على الماء بخلاف عادته معي. ولمّا اقتربت من القرية، سمعت صراخا وعويلا في بيتي، فتحقّقت عندئذ من موت ابني هذا وتذكّرت كلام الأب شربل لي: **أقعد الآن الله يعوّض**. ورفضه الصلاة على الماء. فكأنّه عرف بالروح أن ابني مات وما أحبّ أن يخبرني بموته.

7- سفينة نوح! (يو15/17)

جاء الجراد في إحدى السنين بكثرة هائلة، فلم يبقِ على شيء. فأرسل الأب الياس مشمشاني رئيس الدير وأمر الأب شربل أن يأخذ ماء يصلّي عليه، ويرشّ على حدود أرزاق الدير لئلاّ يدخل إليها الجراد، فأطاع. ولكنّه نسي قطعة صغيرة داخلة ضمن أرزاق الشيعيّين. فجاء الجراد وأكل الأخضر واليابس، في كلّ تلك الجهات إلاّ أرزاق الدير. فما دخل إليها جرادة واحدة، بل بالأحرى ما مسّها الجراد، كأنّه ما دخل إليها قطّ، إلاّ تلك القطعة الصغيرة فقد حلقها حلاقة. ولم يبقِ منها عرقا أخضر بل قشّر شجر السنديان أسوة بباقي الأرزاق. ولا يزال الشيعيّون يردّدون ذلك. وتعجّب الناس في كلّ نواحي البلاد، لمّا رأوا كلّ سهول لبنان وتلاله وروابيه قد جردت من العشب والزرع وكلّ أخضر، وبقيت أرزاق الدير خضراء، ناجية من كلّ ضرر كأنّها سفينة نوح في وسط طوفان الخراب الشامل.

8- كرم وقف إهمج (يو 5/15)

شهد العويني: أرسل والدي، أخي بطرس راجيا الأب شربل، أن يحضر فيصلّي على الماء، ويرشّ على كرم وقف القرية، الذي كان باستلامه، والكرمة والزرع اللذين رشّ عليهما الماء المبارك منه، لم يلحقه ضرر من الجراد. ومع أنّ الجراد لم يبقِ على شيء في تلك السنة، وكان الإهمجيّون يأتون لزيارة هذا الكرم، ومن جملة الذين زاروه القس الياس المشمشاني رئيس الدير.

خامس وعشرون: إيمان شربل

أ- تعريف

كان إيمانه ظاهرا:

- في قدّاسه، يقدّس كأنّه يرى المسيح وراء الأشكال، ويخاطبه قلبا لقلب، متأنّيا، متخشّعا، شديد الاحترام، كأنّ الله تعالى هو أمامه.

- بإتقانه صلواته، بتروّيه في تأمّلاته. كان يتلو فروضه كلمة كلمة، بصوت خافت حنون. عندما كان يريد أحد الناس أن يحدّثه، كان يقتضي له بعض الوقت ليعود عن تأمّله ويفكّر بما يخاطبه به المحدّث، كأنّه مستغرق بالله. وعندما يتحدّث بأمور روحيّة تراه مضطرما غيرة، من فيض ما في قلبه من حرارة الإيمان، وما ظهر في حياته كلّها، ضجر في الأمور الروحيّة، أو عجلة أو كسل، بل كان النشاط رفيقه كأنّه يتلذّذ بأمور يشتهيها قلبه.

- في طاعته العمياء لرئيسه أو لمن يمثّله، وهذا برهان واضح أنّه يرى الله في شخص رئيسه، دون أن ينظر في استحقاق هذا الرئيس أو عدمه.

- في شغله، فلا يعمل شيئا من تلقائه، حتّى الأكل، حتّى النوم، لإيمانه الراسخ بأنّ صوت السلطة هو وحده صوت الله. وكلّ عمل من أعماله المزدان بالتروّي والنشاط، لسان ناطق بصدق إيمانه الحار. وآتاه الله موهبة علم الغيب، جراء إيمانه الحيّ، الخلاصة كان شعلة مضطرمة بإيمانه.

ب- روايات وأحداث

1- صاعقة

شهد شبلي شبلي: كان الأب شربل، عام 1885، راكعا منتصبا في كنيسة المحبسة غارقا في صلاته أمام القربان المقدّس، فانقضّت عليه صاعقة قويّة، أحرقت بدلة جديدة للقدّاس مقصّبة بالفضّة موضوعة على المذبح، ومرّت الصاعقة في نصف الكنيسة بالقرب منه، فمسّت طرف عباءته وأحرقته قليلا، ولم يُصَب بأذى وأذكر هنا، أنها سقطت حوالي الظهر. فقصد رهبان الدير، ليروا نتيجتها على المحبسة. وكنت أنا برفقتهم. فلمّا وصلنا إلى المحبسة، رأينا أنّ هذه الصاعقة قد حلّت بالمحبسة من الجهة الجنوبيّة، وقد سحبت حجارة عديدة من ناحية حفافي

الكرم، مرَّت بها، ودخلت كنيسة المحبسة، فأحرقت وجوه المذبح، وبدلات كانت عليه. ونقلت الكأس من محلِّه إلى مكان آخر. وكذلك أُصيبت بعض الصور بضرر. وفتحت الأبواب، ودوَّخَت من رائحتها، رفيقي الأب شربل الآخرين. وكانا شبه فاقدي الوعي في المطبخ، حيث يصطليان من شدّة البرد. ولمّا أفاقا ظنّا أنّ الأب شربل قُتِل، وذهبا بسرعة إلى المعبد، فوجداه يصلّي كما كان في وضعه الأوّل، كأنّ شيئا لم يحدث، قبل نزول الصاعقة، إلى أن وصلنا. فقال له الرئيس، الأب عمانوئيل الجاجي: ولو يا أب شربل؟! ما فيكش طفّيت الشراشف والبدلات؟! فأجابه: **يا خيِّ أيش بدي طفّي؟! هب طف ما في شي**. أي أنّ الحريق حدث بسرعة البرق. ولم يستطع المقاومة. وقد بقي في صلاته.

2- ظلّت مواسم قزّ الدير سليمة

شهد الأب نعمةالله نعمة: لمّا كنت رئيسا على دير مار سركيس قرطبا، كان المحل يصيب مواسم قزّه من مدّة ثماني سنوات، وإذ تكون فاطرة في الدور الرابع بعد مرور تسعة ايّام عليها، يسري إليها الموت. فأرسلت أحد الرهبان إلى الأب شربل الحبيس، في محبسة عنّايا، فأتاني بماء مبارك رششناه على القزّ فطابت وبعد عنها الموت، وظلّت مواسم قزّ الدير سليمة من الفناء مدّة ثلاث سني رئاستي عليه وصاعدا.

3- أقبل موسمي في تلك السنة

شهد يوسف عبود: وفي إحدى السنين، حلّ الوباء في موسم الحرير في بيتي بسبب رداءة ورق شجر التوت، واصفرّ الدود وطفر على حافة الأطباق، وبدأ يسقط على الأرض. فأسرعت عندئذ إلى المحبسة، وأتيت بماء مبارك من الأب شربل، ونضحت به الدود، وفي الحال رجع إلى مكانه على الأطباق، وشرع يأكل ويهدر كعادته. وقد أقبل موسمي في تلك السنة إقبالا عظيما بفضل الأب شربل.

4- لا تحكِ عن ذلك أبدا (مر 44/1)

شهد سابا عبيد: كثرت الفئران في بيتي، في إحدى السنين، وأخذت تلتهم دود الحرير، وكادت تفنيه. فأتيتُ بماء مبارك من الأب شربل، ونضحتُ به الدود. وفي اليوم الثاني، تفقّدتُ الأطباق، فوجدتُ الفئران مرتمية عليها وهي ميّتة. فمضى واحد وأخبر الأب شربل بهذا الحادث. فقال له: **لا تحكِ عن ذلك أبدا**.

5- بغلة الدير

ومرّة عرض لبغلة الدير مغص، فارتمت على الأرض، وجحظت عيناها، وأشرفت على الموت. فعمل لها الرهبان والمكاري جملة وسائط بقيت على حالها. أخيرا استدعوا الأب شربل، فوقف فوق رأسها يصلّي. وما أتمّ صلاته حتّى قفزت البغلة واستوت واقفة.

6- أأنا إله لأمنع الموت (مر 18/10)

كان رجل من عائلة شموتي، البترون، يملك قطيعا من الغنم، أُصيب بمرض فتّاك بداء الروجة (كذا) فمات القسم الأكبر من قطيعه. فسمع بشهرة الأب شربل فأتى يطلب منه ماء مباركا يرشّه على قطيعه. وعندما وصل إلى الأب شربل، وعرض عليه طلبه، أجابه الأب شربل في بادء الأمر: **أأنا إله لأمنع الموت**. فهمّ عندئذ الرجل بالرجوع، لكنّ الأب شربل عاد فسأله: **هل معك وعاء للماء؟** وبارك على الماء وأعطاه إيّاه. فرشّه على قطيع الغنم. ولم يعد يموت منه ولا رأس. ثمّ فيما بعد، كان يربّي هذا الرجل دود القزّ في البترون. أخذ يلاحظ كلّ يوم نقصا كبيرا في الدود، كأنّ حشرات تأكله. فحمل ماء ورجع إلى شربل طالبا أن يباركه له، فباركه. ورشّ به الدود فوجدوا كثيرا من الحشرات التي كانت تأكله مائتة، أي فئران وأكباب شوك وحيّة كبيرة.

7- إمكانيّة القدّيسين

شهد الأب الحصروني: طالعت في زمن إبتدائي سير القدّيسين، وخصوصا كتاب الكمال المسيحيّ للأب رودريكوس اليسوعيّ، وكنت أرتاب في إمكانيّة بعض حوادث وفضائل تنسب إلى حبساء أو قدّيسين، وكنت أعتقد في ذلك غلوّا. وأنّ مثل تلك الأمور تفوق المقدرة البشريّة. ولكن لمّا عاشرت الأب شربل، وخبرت فضائله بذاتي عن قرب، تيقّنت أنّ نعمة الله تصنع العجائب في النفوس. وأنّ كلّ ما قيل وكتب في القدّيسين هو دون ما شاهدته بعيني في ذلك الجبّار، الأب شربل.

سادس وعشرون: قدّاسه ذروة حبّه

أ- تعريف

1- في الدير

يشرح قانون المبتدئ: "الكاهن، في القدّاس، هو نائب المسيح، والتقدمة هي جسد ودمّ سيّدنا يسوع المسيح حقّا... وفي القدّاس 3 عبادات: - التأمّل بآلام المسيح - تقدمة الذبيحة لله الآب - التناول الروحيّ... وللمناولة يلزم 6 أشياء: الإعتراف النقيّ، تلاوة فعل الإيمان. أرجو أنّ تمحى كلّ خطايا البشر بنقطة من دمك، أحبّك، فعل الندامة، غير مستحقّ، والشكر بعد التناول الروحيّ أو السريّ".

ونظرا لأهميّة القدّاس: كان يسمع كلّ قداديس إخوانه الكهنة، ولدى نهايتها يبتدئ هو بقدّاسه؛ وكان يقدّس أحيانا على مذبح مار جرجس الذي في الحائط الجنوبيّ، وأحيانا على مذبح السيّدة في الحائط الشماليّ، وأحيانا على المذبح الكبير، إذا أمره الرئيس. وكان في قدّاسه متأنّيا متخشّعا. كان يستمر في تلاوة قدّاسه نحو ساعة، وأحيانا أكثر مناجيا العزّة الإلهيّة. ولم يكن يضجر أحد من سماعه ولو طالت مدّته. وكان متأنّيا في تلاوته، يفهم الإنجيل كلمة فكلمة، لا يرفع صوته كثيرا؛ لكنّ البعض كانوا يهربون من خدمة قداسه لأنّه كان يطيل التأنّي به؛ وبعد القدّاس يعود إلى محلّه خلف الباب، ويركع نصبا قدر ساعتين، على الأرض صيفا وشتاء.

2- في المحبسة

كان يركع نصبا قبل القدّاس قرب الباب، في الشتاء على طبق قصب منعا للرطوبة، وفي الصيف على الأرض؛ كان يقدِّس عند الصباح في أيّام الشغل، وقبل الظهر بساعتين يقدِّس يوم الأحد أو الأعياد؛ وكان جمهور غفير يأتي لسماع قدّاسه والفوز ببركته، وكان يدهش الحاضرون لما يرون في شخصه من التأنّي ودلائل الخشوع، متمّما حركات الذبيحة بصوت منخفض وتهيّب. وبعد القدّاس يركع في الكنيسة نصبا مستغرقا في الشكران. وينصرف بعدها إلى الشغل في الكرم. وحياته كلّها، كانت استعدادا للقدّاس وشكرانا.

3- وجها لوجه

كان دائما كالمختطف عند دعوة الروح القدس، فبعد التقديس، ينظر إلى القربان الأقدس أمامه مُتهيّبا، كأنّه يشاهد عيانا الإله المتأنّس المحتجب؛ ويخاطب شخصا عظيما أمامه يراه بأمّ العين، وعندما يرفع بيده القربان الأقدس تاليا: "أبو دقوشتو" يظهر بمظهر المتهلّل بالروح، كأنّه يشاهد الله وجها لوجه.

4- النظافة

كان نظيفا، وخاصة عند القدّاس، إذ كان محتفظا بعباءة وحذاء لائقين، يلبسهما أثناء الذبيحة الإلهيّة، ثم يخلعهما عند نهاية الذبيحة. وكان ما يستعمله من منشفة وصابونة وحذاء أثناء التقديس، لا يستعملها بغير أعمال إحتراما للذبيحة. وأمّا يديه فكان قبل القدّاس، يعتني بتنظيفها، وغسلها بشكل غريب؛ ويعتني بنظافة أواني الكنيسة أشدّ العناية.

ب- روايات وأحداث

1- كالمغناطيس

شهدت مريم شمعون: لمّا كنت فتاة كنت أجيء من إهمج مع أهلي، فنسمع القدّاس في المحبسة كلّ أحد وعيد. وكنّا نسمع قدّاس الأب شربل غالبا، وما كنت أراه إلاّ في القدّاس. فعائلتنا تقول إنّ أصل تأسيس المحبسة من أخ من عائلتنا. وإنّ لنا ميلا خصوصيّا، بل ولعا في محبسة تذكّرنا بعمّنا. كذلك في الصيف، كنّا نصطاف في العويني قرب المحبسة حيث لا يوجد كنيسة. فضلا عن أنّ قداسة الأب شربل، كانت تجذب النفوس إليها كالمغناطيس. فكانت كنيسة المحبسة لا تخلو من زوّار عديدين كلّ أحد وعيد. **والذي كان يحضر منّا قدّاس الأب شربل، كان يتأثّر جدّا، وما يعود له قلب يخرج من الكنيسة، خصوصا عند تلاوته الكلام الجوهريّ فكان يُليّن القلب بخشوعه وصوته الحزين** (المتقطّع بسبب البكاء).

2- هل أنت تأكل مخلوطة؟!

كان أحد الكهنة يقدّس في المحبسة بعجلة، تقدّم الأب شربل بعد القدّاس وقال له: **لماذا تعجّل هكذا؟! هل أنت تأكل مخلوطة؟!**

3- تناولي القربان (مر 22/14)

شهد اليشاع نكد: ذهبتُ مع والدتي وردة، فوجدنا الأب شربل في المحبسة. فلم يشأ الحبيس أن يقابل والدتي، فطلبَتْ أن تُقَبِّل يده. فأجابها من داخل الكنيسة، والباب مقفل: **تناولي القربان المقدّس، في القدّاس، فيكون في فمك وقلبك إبن الله بالذات، وهو يكفيك. وماذا ينفعك تقبيل يدي متى ما كان إبن الله في قلبك؟!**

4- تسقط الدمعة من عينيه

كان بمحبّته نارا ملتهبة. وكثيرا ما كان يبدو على المذبح، وكأنّ في صدره موقد نار حامية. فتبرق عيناه وتَنْزل دمعتاه، وتحمرّ وجنتاه، وتصعد التنهّدات من صدره كأنّها بخار حام، كأنّه يرى المسيح بعينيه. فلذلك كان يذرف الدمع بغزارة. ويضيف العويني: عندما كان يلفظ **هذا جسدي!** أو **هذه كأس دمّي!** كانت أحيانا، تسقط الدمعة من عينيه. فقد انتبهت إلى ذلك مرّتين. وفي إحداها سقطت الدمعة على الصمدة. وبعد أن تناول الجسد، وشرب الدمّ، وغسل أصابعه، رأى أثر الدمعة على الصمدة. فظنَّ ذلك نقطة دمّ من الكأس فاضطرب. فقلت له أنا، عندما رأيته ينظر إلى ذلك الأثر مضطربا، أي شيء بك؟ هذه دمعتك سقطت من عينيك بعد كلام التقديس. فظلّ مضطربا وبعد القدّاس، حمل الصمدة وذهب إلى الدير عارضا الأمر لرئيسه لراحة فكره.

5- يعضّ الكأس

كان يبادر إلى الصلاة، ومناجاة الله في الكنيسة كإنسان مولع ولعا شديدا. وكانت هذه المحبّة تظهر في قدّاسه بدموعه، وخصوصا عندما كان يشرب الدمّ، ويتناول الجسد، كان يُرى كمن يأخذ ألذّ شيء في الدنيا، ويشرب شرابا سماويّا؛ لذا كان في آخر مدّة حياته عندما يشرب الدمّ، يعضّ الكأس ولا يعود يتركه من فمه، إلى حدّ أن يبقى أثر لأسنانه فيه.

الفصل الثالث: نحو السماء (يو 1/13)

أوّلا: حمل أوجاعنا (متّى 17/8)

1- شفاء أخ بطرس جوّاد مشمش

كنتُ مصابا بوجع في صدري ومعدتي من سنتين وأكثر، حتّى إذا أردت أن أتلو السلام الملائكي، أتوقَّف مرّتين من ضيق نفسي، الذي يشبه مرض الأزما. وقد عالجني الأطبّاء، فلم أستفد شيئا. وكنت لم أزل متعبا في الليل والنهار، إلى أن صلّى عليّ الأب شربل. ففي الحال فارقني الألم، وما عدت شعرت به قطّ في حياتي. وأنا كنت أشتغل شغلا يدويّا صعبا، ولم أزل أواصله وأنا الآن في سنّ الستين.

2- إنقاذ ابنة من الموت! (لو 7/11-17)

شهد يوسف عبود: بينما كانت أختي مريم تجمع حشيشا من فوق صخر عالٍ يدعى شير الكنيسة، أي كنيسة إهمج، زلّت قدمها فهوت من أعلى الصخر الذي يبلغ علوّه تقريبا عشرين مترا، وسقطت على الأرض لا تعي ولا تتحرّك ولا تتكلّم. وقد رُضّ جسمها، وتشوّه وجهها، وأمسى باردا مصفرّا وسكن نبضها، فحملها الأهالي بقطعة بلاس إلى البيت، وقد ظنّوها ميّتة. وعندما عرفت بهذا الحادث، أسرعت في الحال، إلى محبسة مار مارون عنّايا، وأنا في حال اضطراب، أفقدني الرشد تقريبا. وأخبرت الأب شربل الحبيس بما جرى طالبا أن يتضرَّع إلى الله لأجلها، ويصلّي لي على الماء لأعود به إليها. ولمّا رآني مضطربا هذا الإضطراب قال لي: **إنّ أختك طيّبة وتُشفى. خذ هذا الماء المبارك ورشّه عليها**. وإذ رجعت إلى البيت، وجدتها على حالها غائبة عن الإدراك، ورأيت الناس يضجّون حولها ويبكون لأعتقادهم أنّها ماتت. فنضحتُها بالماء الذي باركه الأب شربل، فدبَّت الحرارة بحسمها، وفتحت عينيها وتكلّمت. وبعد مضيّ يومين نهضَت من الفراش معافاة وشفيَت تماما.

3- شفاء أخرس (مر 7/32-37)

شهد الأخ فرنسيس قرطبا: لي أخ يدعى أسعد حنّا سالم، مرض بعارض فجائي حصل منه ربط لسانه مدّة نحو شهرين. فكتب لي أهلي إلى دير عنّايا، فأمرني الرئيس أن أذهب فأزوره. وكان ظنّ الناس في قرية قرطبا أنّ مرضه جنون، وأشاروا عليّ بأخذه إلى دير قزحيّا، حيث يُقسَّم على المجانين. أمّا أنا فأتيت إلى المحبسة. ورجوت الأب شربل أن يصلّي على رأسه، ولكن بشرط أن تُخبِرني إذا كان يشفى أو لا. فقال: **أدخله على الكنيسة**. فأدخلته إليها. وركعته على درجة الخورس، فأتى الأب شربل بالإنجيل والبطرشيل في عنقه. فوضع الإنجيل على رأسه وأخذ يتلو منه نحو 3 دقائق. ثم أخذ إبريقا من تنك فيه ماء مبارك، وصبّ في كفّه وسقاه. وقال لي: **لا تخف، سيُشفى**. ثمّ خرجنا من المحبسة، أنا وسابا طنّوس موسى وأخي الأخرس. فلمّا صرنا على مسافة عشر دقائق. صاح أخي بصوت عالٍ وقال: يا أخي. ثم أخذ ينادي رهبانا كانوا قادمين إلى المحبسة من بعيد بأعلى صوته: يا أخ بطرس ميفوق. يا فلان. ثم أخذ يرتّل مُتهلِّلا كلّ ذلك النهار حتّى وصل إلى بيته في قرطبا.

4- وأخرس آخر

شهد موسى موسى: عندي ولد راهب في ميفوق يدعى الأخ بطرس كان يُسمّى قبل الرهبانية طنّوس. هذا وُلد ولم ينطق لحد عمر الثمان سنين مع أنّه كان يسمع. وكنّا في غمّ شديد بسبب أنّه أخرس، فأتيت إلى محبسة مار بطرس، وطلبت من الأب شربل، أن يصلّي عليه فصلّى. فابتدأ من ذلك الوقت ينطق تدريجيّا، وهو الآن يتكلّم كباقي الناس.

5- مجنون إهمج (مر 1/5-20)

شهد بطرس موسى: كنت أسكن مع رجل إسمه جبرائيل يوسف سابا من إهمج، فهذا لما تزوّج طرأ عليه عارض جنون، أدّى به إلى أسوأ الأعمال حتّى نغّص عيشة والديه - وقد حدث له هذا العارض بعد زواجه من ابنة من إهمج بالرغم من والديها- وكان يمزّق ثيابه ويسبّ ويشتم، ويخرج عاريا في الحقول. ذات يوم كان بعيدا عنّي قليلا، رأيته عاريا من كلّ ثيابه، وبيده مسدّس قد صوّبه إلى صدره، وأطلقه عليه. إلاّ أنّ الرصاصة زلّت، فأخطأته. فركضت أنا إلى بيته، فرأيته يكسّر حبّات مسبحة امرأته ويسبّ دين الورديّة. وإذ كنت إشبينه، فقد نصحت ذويه أن يأخذوه إلى الأب شربل. وكانوا يريدون أن يأخذوه إلى مغارة مار أنطونيوس قزحيّا، حيث جرت العادة بأخذ المجانين، لحصولهم على الشفاء. وعملا بنصيحتي، أحضر جبرايل عاريا من كلّ ثوب. وتعاونّا أنا وبعض ذويه عليه، واقتدناه مرغما إلى محبسة مار مارون. وبوصولنا أمام كنيسة المحبسة، تمنّع عن الدخول، وعبثا حاولنا إدخاله إليها. فأمره الأب ليباوس أحد الحبساء فلم يطع. فدخلت أنا وأخبرت الأب شربل بالواقع، فخرج إليه، وانتهره قائلا: **أدخل إلى الكنيسة**. فدخل دون أقلّ ممانعة، لكنّه جلس بدون احتشام. فقال له الحبيس: **إركع منتصبا**. فركع مكتوف اليدين مثل الملاك. فتلا الحبيس الإنجيل على رأسه، وصلّى عليه، فشفي حالا. وعند الصلاة نزلت دموع جبرايل، ونظر إلى أهله الحاضرين وقال: اعطوني ثيابي. وخرج من الكنيسة صحيحا عاقلا. وهو اليوم في أميركا.

6- إنقاذ أطفال من الموت

شهد الخوري بولس مخلوف: إنّ والدي نوحا ذهب مرّة لزيارة أخيه الأب شربل في محبسة عنّايا فأعطاه كتاب مار أنطونيوس لكي يعلّقه في عنقي. فعلم ابراهيم حنّا مخلوف من بقاعكفرا، وهو ابن عمّ والدي فطلبه من والدي ليعلّقه في عنق ولده نعمةالله. وقصّة هذا الرجل هو أنّه كان كلّما ولد له ولد يموت بعمر سنة، وقد مات له ثلاثة بنين. فخاف على ولده نعمةالله أن يموت بهذا العمر، فاستدرك وأخذ هذا الكتاب من والدي لعلمه أنّه من الأب شربل، وعلّقه في عنق ولده نعمةالله فعاش الولد ونجا من الموت وهو اليوم في أميركا. وبقي ابراهيم محافظا عليه، يعلّقه في أعناق أولاده لينجوا من الموت، فنجوا.

7- إنّ ابنك حيّ! (يو 4/50)

كان يوسف أنطون جبرايل، من كفربعال، مريضا والحمّى عليه منذ عشرين يوم لا يعي. فركض جرجس بطرس الذي كان مكاري الدير، وهو ابن عم المريض، إلى المحبسة ليطلب صلاة الأب شربل، والماء المبارك منه، وقبل أن يصل إليه رأى الأب شربل على الباب، فبادره هذا بقوله: **على مهلك، فإنك حالما ترجع إلى البيت ترى نسيبك المريض مرتاحا صاحيا جالسا في فرشته**. وهكذا كان. فتعجَّب المكاري كيف أنّ الأب شربل عرف قصده، قبل أن يطلب منه شيئا، وكيف أيضا عرف بارتياح المريض.

8- إنّ ابنه بخير! (متّى 15\28)

أتى مارون أبي رميا من طورزيّا إلى الأب شربل، في المحبسة، ليصلّي لابنه المريض، ويعطيه ماء مباركا ليرشّه عليه، لأنّ الولد كان في مرض شديد، وغائبا عن الوعي من جرّائه. فبعد أن قابل مارون المذكور الحبيس شربل، والتمس منه الصلاة عن ابنه واستلم الماء المبارك عاد مسرعا إلى بيته، ولمّا شاهده الأب شربل مسرعا بلهفة وقلق، أشفق عليه وقال لرفيقه: **أدعه وقُلْ له ليذهب على مهل لأنّ ابنه بخير**. ولمّا وصل الرجل إلى بيته، وجد ابنه واعيا وبحالة حسنة، بعد أن كان الطبيب، واكيم بك من جبيل، قد قطع الأمل من شفائه.

9- عاقر ترزق

شهد نعمة المدوّر: زرتُ المحبسة التي كان يقطنها الأب شربل بقاعكفرا المعروف بحبيس عنّايا وذلك قبل وفاته بنحو ثلاثة أشهر. وغاية زيارتي من حيث أنّ امرأتي ظريفة لم تكن تلد. وكنت أرجو أنّي بزيارة هذه المحبسة يرزقني الله أولادا بصلاة الأب شربل الحبيس. وبوقته دفع إليّ رفيقه، الأب مكاريوس، بركة من الحبيس الأب شربل. وبعد عودتي إلى بيتي في بسكنتا بأربعة أشهر حملت امرأتي وولدت بنتا وبعدها 3 بنات وولدا ذكرا.

10- شفاء ابنة العويني (مر 7/24-30)

شهد العويني: رزقني الله بنتا بلاها الله بداء "الفرحة" فما عاد أمكنها الرضاعة. فصلّى الأب شربل عليها فشفيت وباشرت الرضاع.

11- من لمسني؟ (مر 5/30)

شهد الخوري جبرايل جبرايل: كانت مريم، أرملة مخايل نعمة من إهمج، مصابة بنزيف دم منذ أكثر من 3 أشهر، تعالجت لدى الأطباء المرحومين نجيب بك الخوري من إهمج، وواكيم نخله من جبيل، وجرجي باز من جبيل، فلم تشفَ. كلّفتني أن آخذ ريال مجيدي إلى الأب شربل تقدمة، ليرسل إليها زنّارا مباركا. فأعطاني منديلا، أخذه عن صورة الورديّة التي كانت في كنيسة المحبسة. وقال فلتتزنَّر به فتشفى. وأمّا الريال، فلم يستلمه منّي بيده بل قال لي: **حطّه على المذبح، حتّى يكون أتى الأب مكاريوس، ويستلمه**. وأمّا المرأة فعندما تزنَّرت بالمنديل، وقف نزف دمها وشفيت حالا.

12- ماء مبارك في الدواء

وكان سابا العويني يأخذ الماء المبارك من الأب شربل، ويمزج بذلك الماء الأدوية التي يعطيها لمرضاه. وكان المرضى يستفيدون كثيرا.

13- أخوه البكر

شهدت وردة مخلوف بنت شقيق شربل: أنا لم أعرف الأب شربل، عمّ أمّي شخصيّا، إذ لم يكن يأتي إلى القرية، أيّام ترهُّبه، وإقامته في المحبسة. وأنا أيضا، لم أذهب إليه في الرهبانيّة، ولكنّ جدّي حنّا زعرور، شقيقه، وقد كنت أنا يتيمة، وربيت عنده، كان يُخبِر عنه. كان في أيّام المرافع، يذكره قائلا، وهو يبكي: نحن نأكل اللحم، ومسكين خيّي لا يأكل لحما أبدا. وفي أيّام العنب كان يردّد لنا بتأثُّر: نحن هون ناكل العنب، وخيّي اللي عندو كرم، بيشتغل فيه، وعنبو بيتحَمَّل بالعدال، وما بيمدّ يده إليه، وما بيدوقو. وقد جلسنا يوما لتناول الطعام. ووضع أمامنا كبّة نيّة. وعندما رآها، اغرورقت عيناه بالدموع. وقال: كيف بدّي آكل لحم، وهالقسّيس (شربل) لا يأكل منه؟ لفظ هذه العبارة وأصرّ على رفض تناول لقمة واحدة من الكبّة. ولمّا شاخ، وأقعدته الشيخوخة، كان يبكي أغلب الأحيان، ويقول: إنّي قصّرت ما بقيت أقدر زور خيّي بونا شربل! ولمّا أشرف على الموت، إجتمع أهله حوله، وكنت أنا معهم، فالتفت إلينا وقال: إنّي مرضت وسأموت، وقد رأيتكم كلّكم حولي فتعزّيت، وهالقسّيس عندما يموت، من تُرى يجلس حوله؟ فأجبناه: إنّ الله، لن يتركه! ومات في 25 ك2، يوم إيمان مار بولس، قبل 11 شهر من وفاة شربل، ودفن إزاء كنيسة القدّيس سابا في بقاعكفرا.

ثانيا: القدّاس الأخير

1- عرض له عارض

شهدت كفا زوجة العويني: ذهبتُ في يوم أحد مع جملة أناس لحضور الذبيحة الإلهيّة في محبسة مار مارون، وبدأ الأب شربل بالقدّاس، وما انتهى من كلام التقديس على الخبز حتّى عرض له عارض؛ فنهض الأب مكاريوس رفيقه وساعده لكي يجثو على مركعه في الكنيسة، فاستراح. وبعدها نهض، وعندما وصل إلى رفع القربان، تيبّس. وإذ طال بقاء القربانة مرفوعة بين يديه أكثر من المعتاد، تقدّم رفيقه في المحبسة، فلحظ وتأكّد أنّه متيبِّس. فأخذ القربانة برفق من بين يديه، ووضعها على الصينيّة، وأجلسه بمعاونة الأخ بطرس خادم المحبسة على كرسي في جانب المذبح. وبعد نصف ساعة عاد الأب شربل إلى حالته الأولى، ورجع إلى المذبح وأكمل الذبيحة الإلهيّة، بالرغم من مرضه.

2- لا تذهبوا

وتابعت كفا: أتيتُ في الأحد الثاني، مع بعض نسوة لسماع القدّاس في كنيسة المحبسة. ولمّا دخلناها، وجدنا فيها الأب شربل ساجدا يصلّي. فاستفسر لنا رجل عن الوقت الذي تقام فيه الذبيحة، لأنّ البرد كان شديدا، لا يمكننا الإنتظار. فأجابنا: لا تذهبوا بدون أن تسمعوا القدّاس، فإنّ الأب شربل يحتفل في هذا اليوم بالقدّاس قريبا فانتظروه. وبعد انتظارنا قليلا، لبس الأب شربل أثواب التقديس، وبدأ بتلاوة الذبيحة الإلهيّة. وقبل أن يلفظ كلام التقديس عاوده ذاك العارض. فنُزِعت عنه البدلة وبقي في الكنيسة. ولمّا عزمنا على الخروج والذهاب إلى بيوتنا، قال لنا الأب مكاريوس: لا تذهبوا! إنّ الأب شربل حدث له وجع قلب، فمتى ارتاح يتمّ القدّاس. ولمّا استراح نهض وبدأ بتكملة الذبيحة.

3- جميل هذا الطفل

وبعد أن تلا كلام التقديس، رأت راحيل إبنة يوسف سابا، وهي فتاة صبيّة، طفلا جميلا مكان القربانة عندما رفعها الحبيس، فصاحت بخالتها: أنظري يا خالتي، كم هو جميل هذا الطفل! فأسكتتها خالتها (كفا) واضعة يدها على فمها - أي فم راحيل- لئلاّ يحدث ضجّة في الكنيسة، فيتكدّر الحبساء.

4- يا أب الحقّ

وما بلغ إلى رفعة الكأس والقربان، حيث يتلو الكاهن الصلاة التي أوّلها "أَبُو دْقُوشْتُو" (يا أبا الحقّ) حتّى عاوده العارض نفسه بشدّة. فاستمرّ بدون حراك، مدّة بضع دقائق، والكأس والقربان مرفوعتان في العلاء، فلحظ الأب مكاريوس بغتة أنّ لونه قد تغيّر واصفرّ، وأنّ رجليه قد تسمّرتا في موضعهما كأنّ العارض عاوده. فوضع الأب مكاريوس البطرشيل على عنقه، وتقدَّم مرتجفا وقائلا له: إرخِ الكأس والجسد من يدك. وكان الأب شربل متمسِّكا بهما أشدّ التمسّك، وهو جامد كالصخر بدون حراك. فكرّر القول عليه أوّلا وثانيا: إرخِ الكأس من يدك يا بونا شربل. أعطني الجسد. أتركه لا تخف. وبالجهد الجهيد فتَّح أصابعه وأخذ الكأس منه والقربان ووضعهما على المذبح، وأجلسه على مركعه في الكنيسة. نظرنا الأب مكاريوس بعد وقوع هذا الحادث فرأينا وجهه محمرّا كالدم وهو يرتجف من الخوف. ثمّ بعد أن استراح قليلا، عاد ليتمّم الذبيحة.

5- الحبيس يفسخ الولد

بينما كان يكسر الخبز على المذبح قبل التناول، شهقت راحيل بالبكاء. فسألتها خالتها: لماذا شهقتي!؟ فأجابت: ألا ترين الحبيس يفسخ الولد بيده!؟ فأسكتتها من جديد، وتابع الأب شربل قدّاسه كالعادة، حتّى شعر برجفة، ووجع قلب، فنادى الأخ بطرس جوّاد المشمشاني رفيقه الأب مكاريوس المشمشاني الحبيس، الذي تقدَّم إليه، ثمّ رفع البدلة عنه وأجلسه على مركعه في الكنيسة؛ فَسأَلَتْ كفا الأب مكاريوس بعد أن طال جلوسه: هل يمكنه أن يعود إلى إتمام القدّاس؟ فأجابها: لا أظنّ، فانصرفت. وبعد أن استراح، ثالثة، جاء ليكمّل قدّاسه.

6- شَرِب الدم

شهد الأخ بطرس مشمش: وعاوده العارض عند مناولة الدمّ، فمنعه. هنا كمش الكأس بشدّة، وضمّه إلى حافّة شفتيه وأسنانه. وبقي في هذه الحالة حتّى أتى رفيقه الأب مكاريوس، وصار يشدّ لكي يَنْزع منه الكأس. فانتزعه منه بصعوبة، وكان قد شرب الدمّ.

7- أريد أن أقدّس

نَزعوا عنه ملابس التقديس، وحملوه إلى المطبخ، وكان غائبا عن الحواس، ومع ذلك لم يزل يكرّر كلمات القدّاس. **أبو دقوشتو** ثم: **يا يسوع ومريم ومار يوسف**؛ ووضعه رفيقه على بلاس شعر ليدفئه، لأنّ البرد كان شديدا، والثلج متراكما بعلو متر ونيّف. فبقي في المطبخ، ولمّا غطّوه بلحاف، كان يلقي اللحاف بعيدا؛ وكان لمّا يفيق بعض الأحيان، من غيبوبة، فيقول: **"أريد أن أقدّس، أعدّوا لي لوازم القدّاس"**. وكان يقول أيضا بالسريانيّة: **"شَبَح لموريو مِن شمايو شَبحوي بمرومي"**، (سَبِّحُوا الرَبَّ مِنَ السَمَاوات، سَبِّحُوهُ في الأَعالي) و**"يا ربّ ارحمني"**، ولم يزل يكرّر هذه الكلمات مدّة الستّة الأيّام الأخيرة من عمره.

ثالثا: أيّامه الأخيرة

1- لقمة خبز مبلولة

شهد الأخ فرنسيس قرطبا: عُيِّنت لخدمته، في مرضه الأخير، حتّى وفاته. جلَّ ما كان يأكل، من بعد الإلحاح، لقمة خبز مبلولة أو قليل من شوربة الخضر بزيت. ورفض بتاتا الحليب واللبن واللحم. وفي كلّ مدّة مرضه، لم يرفع عنه لا الإسكيم، ولا العباءة، ولا المسح، ولا الزنّار. وكان ملازما حالة واحدة في تلك المدّة متمدّدا على بلاس، لا يتململ، ولا يصرخ، ولا يسمع منه إلاّ كلمة: **"يا.. يا.. يا.. الله"**. وكانت شفتاه تتحرّكان متمتمة بكلمات (سريانيّة) لم أفهمها. وعندما كان يُفهَم أنّه في حاجة، من حاجات الطبيعة (الخروج أو البول) كنتُ أُقدِّم له الوعاء، وحالما أرفع عباءته، كان يضطرب ويرفع صوته ويده الصحيحة، مظهرا الإباء، قائلا: **لا..لا..لا..** فكنت أقول له: أنا أخوك، لا تخف. فيسكت. وأرتّب له قضاء حاجته.

2- يبارك ...رغم آلام مبرّحة

وكانت يده تبارك كلّ من يدخل، ومن يطلب دعاه، وكان صامتا ساكنا لا يسمع منه أنين ولا تململ، بل كان متقبّلا مصابه بصبر عجيب، مع ما يقاسي من هذا المرض آلاما مبرّحة... متجلّدا مسلِّما كلّ التسليم للمشيئة الإلهيّة ويستنجد بالقدّيسين بطرس وبولس، المبنيّة على إسميهما كنيسة المحبسة، إلى أن بلغت وطأة المرض منتهى الشدّة، فغاب عن الهدى.

3- سمعان القيرواني (لو 26/23)

شهد العويني: لمّا دُعيتُ لعيادته وتمريضه، وذلك قبل وقوع الوفاة بيومين، لم يكن صاحيا بل غائبا عن الرشد. وكنت ألحظ منه بين آن وآخر، بعض كلمات تحتوي على ذكر اسمي **يسوع ومريم**، واسم **مار يوسف**. وكان معي بساعاته الأخيرة، حضرة الخوري مخايل أبي رميا الذي أنا استدعيته لمساعدته الروحيّة، وأخذ بركته. وبقينا عنده أكثر ليل 24ك1سنة 1898. وبعد عودتنا إلى بيوتنا عند الصباح رجعنا قرب الظهر إلى المحبسة.

4- حبّه الملتهب!

شهد الخوري رميا: كان يردّد، بحبّه الملتهب، كلّ مدّة وجودي عنده: **أبو دقوشتو. واسم يسوع ومريم ومار بطرس. ولم يكن يكتفي بالكلمة الأولى من باعوت مار يعقوب، بل يقوله كلّه أو أكثره، مرّات متوالية**. وأنا كنت أقرأ له صلوات المنازعين.

5- خمرٌ ممزوجة بمرّ (مر23/15)

يأمر القانون: "إن طال مرض الحبيس فإمّا أن يعاد إلى الدير، وإمّا أن **ينقطع عن أكل اللحم، ويقتبل الموت نظير حبيس حقيقيّ**". لذا عندما أمر الدكتور نجيب بك الخوري أن يعطى له شيء من مرق اللحم، لتتقوّى قواه المنحطّة، لم يشأ أن يتناول المرق بعدما شمَّ رائحتها وتأفَّف وتململ. ولمّا أبلغوه أمر الرئيس، الأب أنطونيوس المشمشاني، أذعن وأخذ قليلا.

6- ويقرآن له الكتب الروحيّة

ثم **طلب بأن يُسرع إليه الأب مكاريوس** رفيقه بالمحبسة، **فطلب إليه أن يمنحه الحلّة الأخيرة**؛ فاقتبل الأسرار الإلهيّة، بمنتهى الورع والخشوع، من يد رفيقه الأب مكاريوس، والخوري مخايل أبي رميا الإهمجي، اللذين كانا يتناوبان في خدمته، ويقرآن له الكتب الروحيّة؛ عملا بالقانون: إذا كان الحبيس مريضا فليوجِّه إليه أخوه كلام التعزية لإزالة ضجره. وليكن كلامه مفيدا لشفاء أوجاع النفس وازدياد الحبّ الإلهي.

7- البركة الأخيرة

شهد الأخ بطرس مشمش: ولمّا بدأ بالنزاع ذهبتُ من الدير إلى المحبسة، فرأيته ممدَّدا على فرشة خارج غرفته وحوله جمهور من الرهبان والعلمانيّين. فكنّا نسمعه يقول دائما: **يا يسوع يا مريم**، ولمّا لم يعد يطاوعه لسانه على النطق الكامل، كان **يلفظ إسميهما متقطِّعا**، فتقدّمت وجلست بجانبه؛ وطلبت بركته، فرفع يده ليباركني، والتفت نحوي، وبقيت يده مرتفعة، وتوقَّف عن رسم إشارة الصليب. فكرَّرت الطلب، ولم أنل مطلوبي مدّة نحو ثلاث دقائق؛ فأخذ ينظر إليّ ويضع يده على رأسه، فتعجّب كلّ منّا لإشارته هذه ولم يفهم أحد مغزاها. فخال للخوري رميا أنّ السبب، هو ارتفاع إسكيمي عن رأسي قليلا، بنوع أنّ شيئا من شعر رأسي الأشقر كان ظاهرا، فهمس في أذني لأغطّي رأسي بالإسكيم، كما يجب! وأرخيت قلنسوتي على وجهي حتّى غطّت عينيّ، فتبسَّم عندئذ ببسمة خفيفة وباركني. فانذهل كلّنا من هذا الأمر، فإنّه لم يكن يريد أن يرى راهبا رافعا قلنسوته عن وجهه ولو قليلا! وعندما كان في حالة الإحتضار، كنت في قربه فألقى يده عليّ وهو غائب عن حواسه. وإذ عاد إليه رشده، انتفض مرتعبا، وأبعد يده عنّي.

8- وأغمي عليه من شدّة البكاء (متّى 75/26)

وعند النفس الأخير صرخ العويني بالأب مكاريوس: إرفع يدك وامنحه الحلّة. فما استطاع رفعها من كثرة البكاء على فقده، فخرج خارجا وبدأ يشهق باكيا، وأبى التقدّم إليه، وظلّ واقفا بعيدا، وأغمي عليه من شدّة البكاء، فناب عنه الخوري رميا بواجب المحبّة نحو المنازع، وكان مغتبطا، للحظ الفريد الذي حصل عليه، بخدمة نزاع هذا القدّيس، وأعطاه الحلّة الأخيرة.

9- في يديك أستودع روحي (لو 46/23)

وكان حاضرا في ساعة نزاعه الأخير الخوري مخايل أبي رميا، ووكيل الدير الأب مارون مشمشاني، وسابا طنّوس موسى، الأخ فرنسيس قرطبا والأخ بطرس جوّاد المشمشاني. فقال له الوكيل: هل تريد أن ندعو لك الطبيب من جبيل؟ فأومأ برأسه أن: **لا**. ثم فتح فمه وأطبقه، ومال رأسه منحنيًا وأسلم روحه الطاهرة بهدوء وسلام؛ وهو يقول: **يا رب في يديك أستودع روحي**. وكانت ميتة فاضلة ذات وقار نتيجة حياة صالحة، بعد أن بقي بين حيّ وميّت مدّة ستّة أيّام.

10- سكتة دماغيّة

كان سبب وفاته سكته دماغيّة، وصادف وقتئذ وفاة البطرك يوحنّا الحاج، يوم السبت في 24 كانون الأوّل سنة 1898، ليلة عيد الميلاد الشريف. وكان له من العمر نحو 65 سنة. ويقول العويني: بعد وفاته تلوتُ مع الخوري مخايل طلبة العذراء، وساعدنا بتلاوتها الأب مكاريوس والأخ بطرس رفيقه في المحبسة. ثم توجّهتُ إلى بيتي يرافقني الخوري مخايل، بعد أن وجّهنا رسولا للدير يخبرهم بالمصاب.

رابعا: نحو القبر

1- إقتسموا ثيابي (يو 24/19)

شهد الأخ فرنسيس قرطبا: أردنا أن نَنْزع عنه ثيابه ونلبسه غيرها. فاعترض الأب مخايل مشمش الذي كان معنا وقال: دَعْ يا أخي حتّى يأتي الرئيس، لئلاّ يقولوا: الذين نزعوا ثيابه أخذوا تركته. فقلت له: والَووو!! هيدا حبيس أيش معه! ونزعنا عباءته، فظهر تحتها مسحه: بلاس من شعر، يجلّل يديه وصدره، حتّى فخذيه. ولكنّه وصله بخرقة عباءة من مرفقيه حتّى ساعديه لئلاّ يراه أحد؛ ووجدنا المسح عليه لاصقا بجلده. وعند نزعه كان يتناثر ويتمزَّق من شدّة العرق، وطول الزمان[17]، وورثه عنه الأب مكاريوس رفيقه، وأورثه للأخ بطرس جوّاد المشمشاني؛ ورأينا إسكيمه الذي ما رفعه عن رأسه، وقت مرضه مربوطا بخيط شعر على عنقه. والشقفة البيضاء التي تكون تحت العباءة، متدليّة على الظهر لتحفظ الإسكيم على الرأس كانت مفقودة، إذ رثّت من كثرة العرق وطول الزمان. وعوضا عنها، كان متّخذا رقعة عباءة مثنّاة، محشوّة بشيء سميك ثقيل، فقلنا: هذه دراهم الحبيس!! وفتحناها لنرى ما يوجد طيّها، فرأينا حجارة رقيقة وضعها الحبيس، ليحفظ بثقلها إسكيمه على رأسه، ويتأذّى من وخزها في قيامه ورقاده. فتأثّرنا جدّا. ورأينا جسمه هزيلا كما كان، وبه آثار عقر بمحلّ الزنّار الحديدي الذي كان يلبسه أيّام حياته، وهو بعرض 3 أصابع، وانتزع الأخ بطرس جوّاد مشمش سلسلة كان يحملها الأب شربل في عنقه، ويحمل بها صليبه وقونة.

2- الليلة الأخيرة

وأغمضوا عيني الحبيس وأطبقوا فمه ووضعوا يديه على صدره وأمسكوه بهما الصليب المقدّس رفيق حياته وجهاده. وكانوا يردِّدون: مات القدّيس! هنيئا له! الله يرزقنا ميتة مثل ميتته! الله يرحمنا بشفاعته! ونقلوا جثمان الحبيس إلى كنيسة المحبسة، ووضعوه ممدّدا على الأرض، أمام المذبح فوق بلاس من شعر الماعز. وقد أداروا وجهه إلى الغرب نحو الشعب.

وبات الأب شربل ليلة عيد الميلاد سنة 1898 في الكنيسة حسب عادته التقويّة، وما حاد عن عادته، إلاّ أنّه في تلك الليلة الأخيرة كان راقدا رقاد الموت، ونفسه كانت مستيقظة باليقظة الأبديّة. وكان يسهر على الجثمان، رفيقه الأب مكاريوس والأخ بطرس جوّاد مشمش والأخ فرنسيس قرطبا، وجمهور من رهبان دير مار مارون، الذين حالما عرفوا بوفاة الأب شربل، أسرعوا إلى كنيسة المحبسة يقبّلون يديه، وقد صرفوا هزيعا من الليل راكعين قربه يصلّون.

وكان يقول الساهر للآخر: إذا كنا نحن تضايقنا هنا من ليلة واحدة في هذا الشتاء القاسي، فكيف استطاع أن يعيش في هذه المحبسة 23 سنة؟! هنيئا له! إنّه يلاقي الآن أمام الله أجر استشهاده العجيب المتواصل.

3- ميلاد 1898

إنّ الثلوج المتراكمة كانت قد قطعت الطرق، وتراكمت مترا ومترين في بعض الأماكن، وكان الرهبان محتارين يقولون: هل يمكننا غدا أن ننقل جثمان الأب شربل إلى مقبرة الدير، في هذا الطقس الشديد القساوة والكثير الثلج؟ وهل يمكننا أن ننعي الأب شربل إلى الجوار في هذه الحالة؟

فكأنّ ملائكة الله، الذين سبق فبشّروا في تلك الليلة رعاة بيت لحم بميلاد مخلّص العالم، هم أنفسهم بشّروا في القرى المجاورة لعنّايا بأن قد ولد في السماء الأب شربل! فبكّر سكّان دير مار مارون والشركاء، وسكّان القرى المجاورة، فرأوا الثلج يتساقط. فظنّوا أنّهم لن يستطيعوا الوصول إلى المحبسة، والمشاركة بنقل جثمان الأب شربل إلى دير مارون. واعتقدوا أنّ من في المحبسة سيضطرون إلى دفن الأب شربل في صحن كنيسة المحبسة نفسها. تدثّر بعض الشركاء بالثياب الشتويّة، ولفّوا رؤوسهم بكوفيّات لم تترك ظاهرا من الرؤوس إلاّ العيون. وانتعلوا

---

[17] نادرا ما كان الإنسان يستحم، في عصر شربل... مرّة في السنة، وأحيانا كلّ حياته... في البيت تعيش العائلة في غرفة واحدة... قرب الحمار (سيّارة العائلة) والبقرة والدجاجة (مصدر أكل العائلة) من هنا نفهم لماذا انتشر الطاعون في أوروبا في العصور الوسطى... وسائر الأمراض ...خاصّة الجلديّة... والقمل والصيبان والبقّ حشرات منتشرة في الماشيّة وفي الإنسان عشيرها... بغياب المبيدات الحديثة...

الجزمات التي تبلغ الركب. وحمل كلّ واحد منهم رفشا لجرف الثلج بجرأة نادرة، ليصلوا إلى قدّيسهم ليحملوه وينقلوه إلى الدير. وعند الساعة الثامنة تجمّع قسم من الشبّان في المحبسة، وعند التاسعة جيء بمحمل وهو عبارة عن 3 ألواح تسمّرَت على خشبات بارزة من الجانبين لتكون محامل على أكتاف الحاملين وفرش عليها بلاس. وجاء الأب مكاريوس الحبيس والرهبان والإخوة وحملوا الجثمان ووضعوه على المحمل. وحمله الأب مكاريوس والدموع تذرف من عينيه. وحمل معه الرهبان والشبّان على أكتافهم، وهمّوا بالإنحدار من المحبسة إلى دير مار مارون على طريق وعرة كان الشبّان قد فتحوها، وتساقط الثلج يهدّد بسدّها مجدّدا. وكان الجمهور متخوّفا من سقوط المحمل، بجثمان الأب شربل، على الطريق من صعوبة السير عليها ومن تساقط الثلوج. فقال لهم الأب مكاريوس الحبيس: أمشوا على خيرة الله! لا تخافوا فالأب شربل يُسهِّل لنا الطريق!

4- نقله إلى الدير

فلمّا حملوه وخطوا به خارج المحبسة، نحو الدير، انقشعت الغيوم أمامهم، وظهرت الشمس. بينما كان وراءهم الثلج متساقطا! وسار الحاملون بالمحمل وهم لا يشعرون بتعب ولا بمشقّة كأنّ الطريق مفروش بريش النعام وكان الجمهور يقول: أعجوبة من عجائب الأب شربل! ونقلوه إلى الدير، وهناك وضعوه في الكنيسة على نعش حسب عادة الرهبان. وكان الرئيس غائبا.

5- صلاة الجنّاز

على الساعة الثالثة بعد الظهر، أقيم الجنّاز في الدير، ولم يكن حاضرا سوى الرهبان والشركاء بسبب الثلوج المتراكمة، ومتاولة من حجولا وجوارها، وسيماء الحزن والكآبة على وجوههم مكبّرين المصاب بوفاته. هؤلاء حضروا تبرّكا واحتراما؛ فكانوا يركعون أمامه، ويقبّلون يديه، ويأخذون من ثيابه، وشعر لحيته، نتفا، ليحملوها أو يضعوها في بيوتهم كبركة. فكانت الحفلة بسيطة، لكنّها مؤثّرة جدّا. وكان الحاضرون يردّدون كلمة الكتاب المقدّس: كريم لدى الربّ موت أصفيائه؛ ولم يؤبَّن الأب شربل، فكأن الأب شربل أراد أن يموت "على السكت" إتماما لحياته المليئة بالتواضع.

6- المقبرة

محلّ المقبرة شرقيّ الكنيسة. وهي بطول 6 أمتار وعرض3. وجدارها الغربيّ ملقى على جدار الكنيسة الشرقيّ. وهي مقسومة مقبرتين، مفصولة الواحدة عن الأخرى بحائط حجريّ من الشرق إلى الغرب، وسطحها تراب. ولكلّ واحدة من المقبرتين، باب في الحائط الشرقيّ، مطمور بالتراب. وإنّ المقبرة الجنوبيّة، هي التي دفن فيها الأب شربل.

7- الدفن

شهد رهبان: أراد قسم من الرهبان أن يدفن لوحده في محلّ خصوصيّ، لأنّ المقبرة العموميّة كانت طافحة بالماء، لا يجوز دفنه فيها لأنّه قدّيس، وألحّوا لنضعه في تابوت حفظا لذخائره. والقسم الثاني، وفيه وكيل الدير، أبوا إلاّ أن يدفن في المقبرة العموميّة، وفق نصّ القانون، وقال الوكيل: إذا كان قدّيس فهو يحفظ ذاته.

وانحدرنا إلى المقبرة بقدر درجتين من الخارج. عندها حفرنا أمام بابها، لأنّ الأرض خارج الباب مسلّطة على المقبرة تنحدر نحوها انحدارا قويّا، والبلاطة المسدود بها الباب غير محكمة الزوايا، ومن الباب ينحدر الداخل إلى المقبرة بدرجة، فغرقنا في الوحل والماء، والدلف من سطحها؛ وتتسرب إليها المياه من كلّ جهة؛ فأرضها أوطى بكثير من سطح الأرض الخارجي التي حولها، ولا يزال مغمورا بالوحل والمياه أكثر أشهر السنة. وكان يدخل الواحد بعد خروج الآخر؛ وكان الإفريز، داخل المقبرة، يعلو نحو ربع ذراع عن الأرض، خاليا من العظام والجماجم؛ فكلّ العظام الكثيرة، نقلت وجمعت لزاوية في المدفن؛ فوضعنا لوحين فوق الحجارة، وقطعة من بساط شعر ماعز. وقد فُعِل ذلك للأب شربل، لما كان من علوّ مكانته الروحيّة، في قلوب الجميع. وخوفا من أن تغمره المياه، والأوحال نظرا لعلوّ الأرض حول المقبرة. ووضعنا جثمان الأب شربل ملفوفا بعباءته، كعادة الرهبان؛ ولم يكن يخطر ببالنا أنّه لن يبلى. وكان عندئذ فكّه الأسفل مربوطا بمنديل إلى رأسه، ليظلّ فمه منطبقا. فنَزع أحد العلمانيّين المنديل، وبقي فمه مفتوحا. ونحن قلنا التراب للتراب، وجميع الذين كانوا حاضرين دفنه، قالوا: هنيئا له فهو قدّيس راح على السماء بثيابه.

8- نسينا الرفش

لمّا خرجوا من المقبرة وضعوا البلاطة على الباب وطمروها بالتراب والثلج، وتلا آباء الدير الصلاة الأخيرة؛ وقال أحدهم: آخ! نسينا الرفش في المقبرة. فأجابه واحد من العلمانيّين: لا بأس فقد تعوَّد رفاق الأب شربل في الحقل، أن يتركوا له في آخر النهار الرفوش والفؤوس والصند والنير ليحملها كلّها إلى الدير.

9- الجنّازات والقداديس والورديّات المفروضة

يأمر القانون: "إذا توفّي الراهب في دير فليكتب رئيسه إلى الرئيس العام وإلى بقيّة رؤساء الأديرة ويخبرهم بوفاته من غير إمهال لتتقدّم عنه القداديس والصلوات كالعادة". وعملا بالقانون نرى رهبانا كثرا، حسب الشهادات، قد صرّحوا بأنّهم قاموا بالواجب، وسُجِّل في دفتر قدّاسات دير عنّايا: 10 قدّاسات عن نفس الأب شربل بقاعكفرا.

10- بكاء مرّا

بكاه الأب مكاريوس بأحرّ الدمع لأنّه فقد بفقده أبا رحيما، وأخا شفوقا ورفيقا، وخادما له مطيعا يأنس بقربه ويستوحش ببعده، فيؤلمه غياب ذلك الملاك السماويّ عن عينيه، ويذكره فيشتدّ حنينه إليه، ولكثرة حزنه عليه ظهر له في الحلم أنّه بحالة سعيدة في السماء! وكان هذا الأب الفاضل يقول: أنا لست مستحقًّا أن أكون في هذه المحبسة التي عاش فيها الأب شربل القدّيس! ويخبر عيد نكد: رأيت والدتي مرّة تبكي بكاء مرّا. فسألتها عن السبب، فأجابت: مات عمّي بونا شربل، وقد توفّي في قطاعة الميلاد، أيّام البرد والثلوج! ويقول التنّوري: كم كان تأثّري عظيما عندما بلغني نعيه! وقد ذرفتُ دموعا غزيرة فترة غير قصيرة!

11- هنيئا لك يا بونا شربل

شهد الأباتي العنداري: عندما ورد نعي الأب شربل، على الأب نعمةالله القدّوم الكفري، وكان نائبا عامّا للرهبانيّة، وكان مشهورا بعلمه وفضائله. وكان يومئذ مقيما في دير كفيفان، قال لرئيس الدير، ومدير مدرستها أمامي، إذ كنت بقربهم وأسمع حديثهم: هنيئا لك يا بونا شربل، قد عرفت أن تكتسب السماء.

خامسا: نور القيامة

1- النور العجيب

شهد بعض شركاء الدير: من بعد دفنه، منذ الليلة الأولى، كنّا نشاهد المقبرة من بيوتنا المقابلة الدير، على مسافة عشر دقائق صوب الجنوب، ضوءا لامعا، يختلف عن الأضواء العاديّة، يشبه ضوء الكهرباء، يظهر ويختفي، ولو مهما بقينا ننظر إليه، يبقى على وتيرة واحدة، فقال البعض بادئ الأمر، قد يكون ذلك برقا!

وكنّا نشاهد قبّة الدير، وحائط الكنيسة الشرقيّ، المحاذي للمقبرة، كلّه، أحسن ممّا نراه في النهار. وكنّا نأتي إلى الدير، ونخبر الرهبان، فلا يصدّقوننا! وما كان يعيرونا التفاتا! ولمّا أخبرنا الرئيس لم يصدّق! وقال لنا عندما تشاهدون النور فليحضر أحدكم ويخبرني، أم اعطوني علامة. فأعطيناه علامة بإطلاق النار عند مشاهدة النور. فكان الرئيس عند طلق البنادق يخرج خارج الدير مع رهبانه، وقليل منهم من شاهد شيئا. وذهب الرئيس، القس أنطونيوس المشماني، إلى بيت طنّوس شحادة المقابل للدير من الجهة الجنوبيّة، ورأى بنفسه.

وبقينا نرى هذا المشهد العجيب، كلّما سهرنا عند جيراننا المقابل بيتهم للمقبرة. وكان جميع الساهرين هناك يرونه؛ وقد تكاثرت هذه الاشاعة، وتكرّرت، هذه المشاهد ليليّا مدّة شهر ونصف؛ ولمّا نمى الخبر إلى الجوار، تسارع الكثيرون من قرية مشمش، وإهمج، وكفربعال، ومن قرى الشيعيّين مثل حجولا، وراس قسطا، ومزرعة العين وغيرها، ليشاهدوا النور، وكانوا يرونه ويؤكّدون للرهبان ولسواهم الرؤيا. وقد شاهده أيضا الشركاء: طنّوس شحادة والياس أبي سليمان ومغامس من كفون؛ وقد رأت رجا الأنوار من مشمش نفسها، بما أنّ بيتها كان على قمّة مطلّة على دير مار مارون عنّايا.

2- رزنامة عنّايا

والرئيس كان غائبا عن الدير مدّة مرض الحبيس ووفاته؛ وما مرّ أسبوع على وفاته حتّى عاد إلى الدير، وركع على الوحل عند القسم الجنوبيّ من المقبرة حيث دفن الأب شربل، وأخذ يصلّي؛ فجثا الرهبان وراءه، لمّا علموا بقدومه. ولمّا انتصب على قدميه، قال: خسرنا في الأب شربل الحربة التي كانت تردّ الصواعق عن الرهبانيّة، وعن الطائفة وعن لبنان! وأخذ رزنامة الدير وكتب: إنّه في اليوم الرابع والعشرين من كانون الأوّل، سنة 1898، توفّي لرحمته تعالى، **الأب شربل بقاعكفرا الحبيس**، بداء الفالج، وتزوّد بواجبات الموتى، ودفن في

مقبرة الدير، وله من العمر 68 سنة، بزمان رئاسة القس أنطونيوس مشمشاني. **وما سيجريه بعد موته**، يكفي عن الإسهاب بحسن سيرته، وبالأخصّ حفظ نذوره، حتّى نقول: إنّ طاعته ملائكيّة لا بشريّة.

3- وبعض الرهبان لم يروا

شهد بعض رهبان الدير: إنّ بعض الشركاء، المقابلة بيوتهم للدير، كانوا يشاهدون الضوء بعد موته. وعرفنا منهم أنّهم شاهدوا نورا لامعا على المدفن مرار عديدة؛ وسمعنا أنّه كان يظهر في الليل شهب نار خارجا من المقبرة. أمّا نحن فلم نرى شيئا بذاتنا. وظلّ حديث النور يتكاثر. وكان الناس يتوافدون لزيارته، لأنّهم كانوا يعتقدونه قدّيسا في حياته. وكانت هذه الوفود تأتي من القرى المجاورة في بدء الأمر، إذ شاع في الجوار، أنّ نورا ينبعث من قبره.

4- بهرني الأب شربل

وفي إحدى الليالي، في آخر السهرة، أمر الرئيس، الأب أنطونيوس المشمشاني، الأخ بطرس مشمش، بأن يستقي له ماء للشرب من العين الواقعة خارج الدير، فأخذ جرّة صغيرة وقنديلا وخرج. وأبطأ أكثر من ثلث ساعة، مع أن المسافة كلّها لا يقتضي لها أكثر من خمس دقائق. فلمّا أبطأ كثيرا فتحوا اليوان الشرقيّ، المطلّ على العين، ونادَوه. فأجاب من قرب المقبرة: قد ظهر لي الأب شربل على شبه كوكب، وما عدت أقدر أن أرجع لأنّه قد انطفأ الضو الذي كان معي فحملوا إليه فانوسا، فرأوه جالسا على باب المقبرة، وثيابه ملطّخة بالوحل والجرّة في يده سليمة، وهو يرتجف. وقصّ عليهم، أنّه حين نازلا من العين، طلع عليه من باب المقبرة شهب نار بهيئة كوكب مختلف الألوان فبهره، وسقط على الأرض.

5- الأب شربل حمار

كان طنّوس شحادة من إهمج، شريك الدير وأجيره يخدم بقرات الدير، مصابا بألم في زلاعيمه وخاصرته وكتفيه؛ وتعالج مدّة نحو سبع سنوات من العويني وغيره، فلم ينجح به علاج. فمرّ عليه، ذات يوم، جمهور من الزوّار القادمين من قرطبا، لزيارة ضريح الأب شربل، إستشفاء من أمراضهم. فضحك طنّوس المذكور، هازئا من ذلك. فأجابه الأخ الياس المهريني ومن معه في زراعة البصل: لا تقل هكذا. فكرّر كلامه الأوّل أي: يا قليلي العقل أي متى صار شربل قدّيس؟!

ولمّا تكاثر القادمون الطالبون شفاعته. قال له البعض صلِّ للأب شربل يشفيك. فقال لهم: أأطلب الشفاء من هذا المجدوب؟ لا أعتقد بقداسته! بل أطلب من جحشتنا، ولا أطلب منه! فقامت إليه امرأته تشتمه بقولها له: يا كافر!

وبعدما رجع من الحقل وعشَّى البقرات، تخايل له أنّه يرى شبحا أمامه، فاقترب منه، فإذا هو الحبيس وفي عنقه بطرشيل، بوجه عابس، وبيده عكاز؛ فقال له: **ماذا كنت تقول عنّي في الحقل اليوم؟** ووضع يده على عنقه. فأجابه مضطربا: لم أقل شيئا، بل كنت أمزح، لكن دخيلك اشفيني! وارتمى عليه صارخا: يا أبانا دخلك، فلطمه بعكازه، حيثما كان يشعر بالضيقة والوجع. فأحسّ بألم من ضربته في خاصرته، وفي صدره، وبين كتفيه ثلاث وخزات قائلا: **"الأب شربل حمار"**، عند كلّ وخزة، وتوارى عنه. وبالحال فارقته أوجاعه كلّها.

6- ...وصاروا أصدقاء

وبعد سنة، شعر طنّوس في إحدى الليالي، بعارض خطر، اعتقد أنّه يؤدّي بحياته، فاستغاث بالرهبان، فلم يجبه أحد. فالتجأ إلى الأب شربل، فظهر له، ولمسه بيده، على الخدّ قائلا له: **قم لا تخف**. فقام من ساعته سالما.

7- محمود حماده أو أبو سبتا

وحدث أن حضر في 8 شباط، عشيّة عيد مار مارون شفيع الدير مدير ناحية المنيطرة في طورزيّا، الشيخ محمود حماده، شيعيّ من علمات، ومعه بعض عناصر من الدرك، وغايته البحث عن بعض الأشقياء، الفارّين من وجه الحكومة، من حجولا. وكان بين هؤلاء العناصر عنصر مسيحيّ كاتب للمديريّة معهم يدعى عبدالله معوّض؛ فظنّ أنّهم مختبئون بالاحراج المجاورة للدير، فربطوا خيولهم في العويني، وتوجّهوا لناحية الدير ليلا؛ ولمّا وصلوا إلى مكان قريب من الدير، وكانت ليلة ممطرة مظلمة، ما عاد أمكنهم مواصلة السير إلى حجولا، فرجعوا إلى جهة الدير. ولمّا أطلّوا عليه من بعيد، رأوا نورا يبدو أوّلا ضئيلا، ثمّ يشعّ ويلمع شبه الكوكب قرب باب الدير شرقيّ كنيسته ليلا، يتلألأ مرتفعا على شكل دائرة ثم يغيب.

فظنّ أوّلا أنّ الأشقياء مختبئون هناك، وتلك علامات منهم يتخابرون بها، فتوسَّم خيرا بالقبض على الأشقياء بالدير. وعند وصوله للدير، إختفى النور! وكان قد طوّق الدير بعناصره. فأسرعوا إلى حيث شاهدوا النور، فلم يجدوا شيئا. فقرعوا باب الدير؛ فجاوبهم من الداخل الأخ بطرس ميفوق: "البوّابة مقفلة، والساعة متأخّرة، والرهبان نيام. ليس وقت ضيافة". فقالوا: "إفتح لنا، ومتى عرفتنا لا تشارعنا!" ولمّا فُتِح لهم، سألوا وفتّشوا، فلم يجدوا سوى سكان الدير! وسمع الشركاء قرعا على بوّابة الدير في ساعة متأخّرة من الليل، فأتوا ليروا ما الداعي إلى ذلك، فرأوا بو سبتا، مدير الناحية الشيعي الشيخ محمود حماده ومعه خمسة عناصر. فاجتمعوا كلّهم في غرفة وكيل الرئيس الأب مارون مشمش. فسأل المدير الرهبان: لماذا لم تفتحوا لنا حالا؟

- أجابوا: لأنّا كنّا نياما.

- قال: كيف أنتم نيام؟ وأنا مع أنفاري شاهدت النور من الجهة الشرقيّة، قرب البوّابة مرّات يظهر ويغيب، دلالة على أنّه يوجد في الدير من كان مستيقظا.

- فقالوا: عندنا، حيث رأيت النور، مقبرة مدفون فيها حبيس هو الأب شربل. والشركاء وغيرهم رأوا نورا فوق المقبرة في بعض الليالي!

- فأجابه الشيخ محمود: والله! بأوّل فرصة تصحّ لي سأخبر غبطة البطريرك بهذه المسألة! وأنشرها في الجرائد! فإنّي أنا قد عرفت، بموت مطارين وبطاركة، ومررت بقبور كثيرين، وما شاهدت مثل هذا المشهد الذي بهر أعيننا! وقد عمل محضرا بما شاهد، وأرسله إلى غبطة السيد البطريرك الياس الحويك. وتحقّق أنّ النور لم يكن منبعثا عن قنديل أو نار أشعلت بل كان صادرا من قبر الأب شربل.

سادسا: لن تدع صفيّك يرى فسادا (مز 10/16)

1- مغامرة في عيد مار مارون سنة 1899

شهد بعض رهبان الدير: في ليل اليوم التالي، لمجيء محمود حماده إلينا، نزلت أنا (الأب علوان) والأخ الياس المهريني، وسابا العويني، ومكاري الدير. وكان الرئيس في جبيل. وفتحنا القبر، فوجدناه مليئا بالماء، إلى مستوى اللوح، المرتكز على حجرين، الذي كان عليه جثمان الأب شربل. وأرض القبر الترابيّة، كانت متوحّلة جدّا. ووجدنا الجثمان ملفوفا بمشلح رهبانيّ. وكان المشلح ثوبا مهترئا، ومغطّى بالدود من عند العنق حتّى الرجلين، فشكرنا الله، لأنّ الدود موجود على الجثمان ولم يمسّه؛ فهو كراهب نائم على ظهره، جامع يديه على صدره وهو صحيح سالم، ولكنّ الدلف كان يسقط على وجهه، من سقف المقبرة، ومن شلال مزراب الكنيسة، ومزراب سطح الدير؛ فأثّر على لحيته وأنفه وشفتيه، بأن اقتلع قسما من الشعر وثغر اللحم؛ ولكنّ عينه اليمنى مبيضّة قليلا، وخائرة نوعا عن الأخرى وأُتلِفت؛ فأخذ سابا العويني خشبة، وقحط بها الدود عن مشلح الأب شربل. فأرجعناه كما كان، وأقفلنا الحجارة. ثم إنّ وكيل الدير، أرسل يُخبر الرئيس بما حدث، كما أنّ المدير الشيعي كان أخبره بالنور الذي شاهده ورجاله في الدير ليلا.

2- محاولات خطف

وعندما تكاثرت الإشاعات عن النور الذي يخرج من المقبرة، وأخذ الزوّار يتقاطرون من قرى عديدة مع مرضاهم، ومنهم من كان يهجم على باب المقبرة ليفتحها، ويأخذ بركة من جثمان القدّيس. وكان الزوّار يتقاطرون من جهات مختلفة عديدة. وتوصّلوا إلى أن فتحوا المقبرة بالقوّة، وعاينوا الجثّة، وكانوا يأخذون منها من شعر لحيته، أو من أظافر يديه، أو من ثيابه، أو من تراب المقبرة شيئا على سبيل البركة. فطلب الرهبان من الرئيس، أن يفتحوا القبر. فأجابهم وفق طلبهم.

3- أمام الرئيس

شهد بعض رهبان الدير: فتحنا المقبرة، فوجدنا جثّة الأب شربل غير بالية. وثيابه محفوظة، مع أنّ العفونة على أثوابه ووجهه، وكلّ جثمانه، كانت تكسوه كثوب ثان بسبب الدلف والماء والرطوبة، وتعجّبنا. فدخل الأخ بطرس مشمش والأخ جبرايل المشمشاني، وسابا طنّوس موسى والأخ بطرس ميفوق والأخ جبرايل ميفوق وكثيرون. فوجدنا جثمان الأب شربل كما وضعناه يوم دفنه، ووجدنا ثيابه ناشفة. فكشفنا عن صدره وباقي جسمه، فرأينا العفونة تغطّيه، وكان باطن قدميه في حياته المكلكل لكثرة الشغل، وقلّة العناية قد سقط وأنتثر من موضعه، وبقي محلّهما بغاية النعومة والطراوة كأرجل الأطفال. فالتقط الأخ الياس المهريني الجلدتين المنتثرتين من عقبي رجليه. وكان جسمه وعضلاته كلّها طريئة مرنة كما كان في حياته. وقال لنا الرئيس: أمسكوا الجثّة بإصبع الرجل، فإذا انقطع أتركوه. وأمسكه اثنان واحد بيديه وواحد برجليه، وهزّوه ليروا إذا كان مخلّعا. فوجدوا أنّه لا يزال متماسكا سالما كأنّه حيّ. فأمر الرئيس بخروجنا من المقبرة، وإقفالها.

4- استَغْرَبْتُ

شهد الأخ بطرس ميفوق: وجدنا الرفش، الذي نسيناه في المقبرة، وقت الدفن، مهترئة عصاه. وعرفنا جثّة الأب شربل هي هي ذاتها. وأذكر جيّدا أنّ سرواله كان ناشفا، لا ماء عليه، بل بقع دم من الجثّة! ويضيف الأخ بطرس مشمش: استَغْرَبْتُ واستَغْرَبَ جميع من كان معي كيف أنّ الجثّة والثياب لم تبلَ في تلك الأوحال مع أنّ عصا الرفش، وهي من خشب قد اهترأت! من كثرة الماء والرطوبة.

5- شفاء العويني

كنتُ مصابا بوجع في ظهري أثر سقوط صاعقة في بيتي منذ سنتين. وقد تعالجتُ بكلّ الوسائط ولم ينفعني علاج. وبقيتُ محدودبا قليلا والوجع لا يفارقني، وإذا مشيتُ بضع ساعات، كنت أضطر إلى راحة يومين. فعندما سمعتُ بأمر غبطته بفتح المقبرة، بادرت إليها آملا بالشفاء، نظرا لشدّة ثقتي بقداسته. فمسحتُ يدي على ظهره وصدره، وفركت ظهري بما علّق عليها من جثمانه الطاهر، قائلا له "هالخطرة خطرتك" أي الآن وقتك، أنت متّ على يدي، ولم أطلب منك شيئا، فالآن اشفني. رافقتُ الرهبان إلى إهمج، لحضور جنّاز داود يوسف سعد، ماشيا ذهابا وإيابا نحو ساعتين. فعند رجوعي إلى البيت قالت لي إمرأتي: أراك مرتاحا غير تعب كعادتك، هل شفاك الأب شربل؟ فانتبهتُ كمن صحا من غفلة، وتفقّدتُ موضع الألم من جسمي، وصرتُ أقوم وأقعد، وأميل ذات اليمين والشمال، فلم يكن بي شيء ممّا كان من الوجع.

6- حدل السقف

عاد الرهبان إلى الرئيس يلحّون عليه، ليسمح لهم أن يرفعوا الجثّة من المياه، ويدفنوها في حنية الكنيسة، في محلّ ناشف، ليقيها من الرطوبة والفساد، فأبى ذلك عليهم. وأرسل فعرض الكيفيّة لغبطة السيّد البطريرك، ملتمسا منه الإفادة عمّا يجب فعله. وقد عرض له أيضا ما كان من أمر الأنوار وغيرها. وأنّه ما عاد يستطيع أن يردّ الزوّار عن المقبرة. فردّ أمر غبطته بوجوب إبقاء الجثّة في مكانها، ورفع المياه من حولها، وبرفعها عن الأرض، وبأخذ الإحتياطات اللازمة، لمنع تسرّب المياه إلى المقبرة. ففتحت المقبرة، ودخل الرهبان، ورفعوا المياه، ووضعوا الجثّة على لوحين فوق جحشين من خشب، وتزّبوا سقف المقبرة، وحدلوها منعا للدلف.

7- ماذا أعمل؟

وعاد الرئيس يكتب إلى البطرك: أعرض أنه في 24 من ك1 هذه السنة الماضية توفّى ولدكم الأب شربل بقاعكفرا الحبيس هنا بمحبسة ديركم عنّايا. وما برح مدفنه يضيء ليلة ليلة أو ليلة بعد ليلة. وكثيرون الذين نظروا هذا النور المنبعث على شبه منارة بحربة فإذا أضاء لهذه الجهة أظلمت تلك. فالجوار والرهبان، وإن يكن ربّما لهذا النور علّة طبيعيّة، فنظرا لصلاح حياة المتوفّي، وعمله في حياته بعض عجايب، لم يرتابوا بأنّه صادر عن مبدأ إلهيّ، لاسيّما بعد الكشف على الجّثة منذ أربعة أيّام، ووجودها سليمة من كلّ عطب، مع أنّ غيرها من الجثث بلي. ولمّا كان المحلّ رطبا، رأيت أن أجعله في تابوت مطلّى بالزفت. وإذا أذنتم غبطتكم أن يوضع في مخبأ في حائط الكنيسة لا رطوبة فيه، فيكون أوفق لحفظ جثّته. وفي كلّ الأحوال الأمر لغبطتكم.

سابعا: خارج المقبرة

1- إخراج الجثّة

صدر أمر غبطته برفع الجثّة من المقبرة ووضعها بمحلّ منفرد لا يزورها أحد البتّة. ففتحت المقبرة ثانية، وأخرجت الجثّة من موضعها، بحضور القس مارون المشمشاني، وكيل الدير والقس أنطون المشمشاني، والقس يوسف المشمشاني والحبيس الأب مكاريوس رفيقه في المحبسة، والأخ بطرس المشمشاني، والأخ الياس المشمشاني والقس يوسف الإهمجي. ثمّ وضعت في صحن الكنيسة على الأرض، ريثما يعدّ لها محلّ خاص خفيّ عن العيون. فطلب الرهبان أن ينزعوا عن الجثّة الأثواب، التي كانت عليها منذ الوفاة، وأن يمسحوا العفونة عنها، فرفض القس مارون الوكيل، وتُركت الجثّة في الكنيسة إلى الصباح.

2- نور حول الجثّة

شهد الأب فرنسيس السبريني: في الليل زار الأخ الياس المهريني حسب عادته القربان نصف الليل، وبعد تلاوة المسبحة الورديّة وصلوات الزيارة، جاء إليّ مسرعا، وأيقظني قائلا، وهو يرتجف: نظرت شيئا غريبا لم أره في حياتي قطّ، قم وانظر. ألا وهو نور يتدفّق من باب بيت القربان، ويطوف حول جثّة الأب شربل، ثمّ يتعالى إلى الثريّا، ويعود إلى بيت القربان. فأسرعت معه إلى الكنيسة فلم أرَ شيئا. فأخذت في الجدال معه، فأخذ يؤكّد لي،

ويدلّني بإصبعه، كمن يرى شيئا عيانيّا ماثلا أمامه. ويؤكّد الكثيرون: لمّا رفعت جثّة الأب شربل من المدفن، لم يعد يظهر ذاك النور على القبر.

3- الماء سابحا تحت الجثّة

شهد العويني: وصلتُ إلى الدير، فقابلني جمهور الدير قائلا: اليوم طرد الأب شربل القس مارون وكيل الدير، ولم يدعه يقدّس في الكنيسة، إذ قد جاء باكرا يتلو الذبيحة الإلهيّة، فتضايق جدّا من الرائحة المنبعثة من العفونة. فدخلنا إلى الكنيسة، فوجدنا الماء سابحا تحت الجثّة، ورائحة العفونة منتشرة بقوّة. فحملنا الجثّة من الكنيسة إلى ممشى الدير، ووضعناها على بساط شعر، ونزعنا عنها الأثواب، ومسحنا العفونة عنها بملحفة خام للدير، حفظتها عندي في البيت، وكانت رائحتها في بادئ الأمر عفنة، وما عتَّمَت أن استحالت إلى رائحة ذكيّة. وقد حفظتها ككَنْز ثمين، وكان كثيرون يطلبون قطعة منها، على سبيل البركة، فأعطيهم. وبعد شهر سرقت من بيتي، فأسفت كثيرا لفقدها.

4- حالة الجثّة

وجدنا الجثّة سليمة في جميع الأعضاء، من قمّة الرأس، إلى موطئ القدم، ليّنة طريّة ناعمة مرنة، كأنّ روحه باقية فيها. وكان شعر حاجبيه، وشعر رأسه، وشعر لحيته محفوظا مع بعض الشيب، وشعر صدره أيضا؛ وعلى اليدين آثار عفن أبيض ناصع شبه القطن، وعلى وجهه أيضا؛ لونها مسودّ، غائرة البطن. بها آثار عقر بمحلّ الزنّار الحديدي،إنّما لا جرح بها؛ وعندما مسحنا العفونة عن الجثّة، ظهر الوجه واليدان كأنّ صاحبها حيّ راقد؛ ولا أثر للفساد عليها، وإنّما كان ينبعث منها بعض الرائحة الكريهة؛ وقد نزعنا الأثواب، ولم نحتج في نزعها إلى تمزيقها، لأن أعضاءه كانت مرنة تطوي كأعضاء الحيّ، وغسلنا عنها الوحل. فوجدنا جثمان الأب شربل سليما تماما وبلونه الطبيعيّ. وركبتاه كانتا مكلكلتين كركب الجمال، ولمّا أزيل الوحل عنها انسلخ الكلكال وظهرت ركبتاه لحما طريا، وألبسناه غيرها، بعد أن وضعناه على السطح كلّ النهار عاريا، كي ينشف من الرطوبة.

5- خرج دم وماء (يو 34/19)

شهد العويني: عرفتُ أنّ الرهبان عزموا على إخراج الجثّة، ووضعها في الشمس على سطح الدير، أو إرجاعها إلى المقبرة. وسبب ذلك أنّ الماء، كان ينضح من الجثّة والروائح كانت تتصاعد منها كريهة. فجئت إلى الدير، بعد مدّة قصيرة، لا أتذكّرها تماما، وكان جمهور الدير كلّه حاضرا، وبطرس سابا الخوري من إهمج، وكان يتعاطى الطبّ القديم، فأنزلت الجثّة من محلّها، وحُمِلت إلى سطح الدير، وفرش تحتها حصير، وعرّيت من الأثواب كلّها، معرّضة للشمس وللهواء. فقلت للرهبان متأثِّرا: لماذا تعرّضون الجثّة هكذا؟ أكتبوا لغبطة البطرك ليأمر بما يراه مناسبا لأنّ رأي الطبيب بطرس سابا، بوضع الجثّة في الشمس، ودهنها بالسبيرتو لا لزوم له، لأنّه ليس في الجثّة فساد. فأنتم ترون كل عضو بها سليما، حتّى أعضاء التناسل. وأخذت أقلب الجثّة أمامهم، فلم يكن فيها أدنى فساد. وتابع الأب فرنسيس السبريني: وخز العويني الخاصرة بسكّين جراحة، فحالاً خرج الدمّ منها ناشبا. وأخذ في الحال حنجورا كبيرا وملأه من الدمّ، حفظه معه؛ وكان الدمّ أحمر قانيا. فوبّخ الرهبان العويني المذكور، وأسرعوا فأخذوا قطنا ونشفوا الدمّ، وسدّوا الجرح، فانقطع الدمّ.

6- كنت عالما من شفاهم

يتابع العويني: رجعت بالحنجور إلى بيتي، وبقي عندي نحو سنة. وكنت كلّما أعطيت علاجا لمريض، أغمس شريطة أو قشّة في هذا الحنجور، وأحرّك بها العلاج معتقدا أنّه أحسن دواء للشفاء، لاعتقادي الراسخ بقداسة الأب شربل. وبأنّه لا بدّ من الشفاء بشفاعته. وكثيرون منهم يعودون إليّ شاكرين لشفائهم، وأنا في سرّي كنت عالما من شفاهم؛ وكان القس يوسف الإهمجي شقيقي مريضا، وقد إستعصى شفاء مرضه على الأطبّاء الماهرين، فطلب إليّ هذا الحنجور مؤمّلا الشفاء بواسطته، فأعطيته إيّاه، ولم يرجعه إليّ.

ثامنا: في "المنبش"

1- في الشمس

شهد رهبان: وقبل أن نضع الجثمان في "المنبش" أصعدناه من مدفنه إلى سطح الكنيسة، ووضعناه هناك في تابوت معرّض للشمس، لأنّه عندما أخرجناه من قبره كان كلّه مرطّبا، فاعتقدنا أن الشمس تنشّفه. وكان في ذلك اليوم شمس حادّة. وعند المساء نشّف قليلا فغيّرنا له الثياب؛ ثمّ وضعناه أوقاتا عديدة متقطّعة على سطح الدير في الشمس، ولكن هذا لم يجدِ في تجفيف الجثمان بل بقي يرشح. ويوضح الأخ بولس لحفد: أنا نظرت الجثّة، مرّة على سطح الدير معرّضة، وكنت ساعتئذ ولدا أرعى بقر الدير في الحقل المقابل للدير، ولا أعلم لماذا وُضِع ذاك النهار على السطح، ولحداثتي لم أهتمّ بهذا الأمر.

2- خوفا من أن يسرقه المعجبون

أُلبس الجثمان فوق الثياب الرهبانيّة كتّونة بيضاء، ووضع في تابوت خشب بسيط دون غطاء، في محلّ صغير، واقع في أعلى جدار الكنيسة الشماليّ، بين العقد والحائط الخارجيّ عند رأس الدرج، المعدّ لوضع الفحم الضروريّ لخدمة القدّاس، وللألبسة الكنسيّة القديمة. ويسمّى هذا المحلّ "منبشا"؛ وسدّ المدخل بحجر وطين، حيث لا يستطع أن يصل إليها زائر أو ناظر، وخوفا من أن يسرقه المعجبون بفضائله وقداسة حياته، ولكي لا تخلط جثّته مع بقيّة الجثث فتبقى معروفة. وكان الناس يأتون أفواجا من جهات عديدة، ومن قرطبا لزيارة الأب شربل، وكانوا يلقّبونه بالقدّيس. وما كان يسمح لهم الرهبان، أن يزوروا جثّته في "المنبش". وبقيت الجثّة في "المنبش" نحو سنتين، إلى أن نقلت إلى غرفة منفردة، قرب بوّابة الدير.

3- شفاء طفل أخرس (مر 7/31-44)

جاء مرّة ولد أخرس مع أبيه، من جهات الفتوح، وكانت جثّة الأب شربل موضوعة في "المنبش"، فأصعد الرهبان الوالد مع ولده إلى حيث الجثّة، إجابة لإلحاحه الشديد. ولمّا انتهى إليه، جثا وصلّى ولمس يد القدّيس مع إبنه وقبّلاها. ورجعا وفيما هما منحدران على الدرج المعتمّ، صرخ الولد الأخرس خائفا: أبي، دخلك هدّيني. فصرخ الوالد قائلا: الشكر لك يا قدّيس شربل.

4- رشح خارج "المنبش"

وكان يخرج من الجثّة في "المنبش" دم وماء بغزارة، هو مزيج من الدم الأحمر والأبيض يتغلب فيه الأبيض على الأحمر، ويسيل على الدرج وينتشر في الكنيسة بشدّة؛ وتتصاعد رائحة الدم، فتضايق الرهبان؛ وما كان ينبعث منها رائحة، إلاّ بعد خروجها.

تاسعا: بيد الأب يوسف الكفوري

1- على سطح الدير

شهد الأب يوسف الكفوري: بعد وصولي بيومين سلّمني الرئيس جثمان الأب شربل، ففتحتُ التابوت الذي لم يكن محكم القفل، فوجدتُ الأب شربل بأثوابه الرهبانيّة. وشعرتُ برائحة غير كريهة وغير مقبولة، ووجدتُ الجثّة محفوظة سليمة كأنّها جثّة راهب ميّت من ساعة. وبعد ثلاثة ايّام أنزلتُه من المدرج ووضعتُه في غرفة شماليّة غربيّة. ومن هنالك، كنتُ في الليل أحمل الجثّة، مع الأخ إيجيديوس التنّوري، وأضعها على سطح الدير عريانة، قصد تعريضها للهواء، ليجفّ الدمّ الذي كان يرشح بغزارة من ظهره وخاصرتيه: وهذا الدمّ كان غزيرا جدّا. فأنا كنتُ أضع تحت الجثّة وألفّها بشرشفين أبيضين، فكلّ يوم أغيّرهما فأراهما مبلّلين بالماء والدمّ كثيرا، وعليهما ظاهرة بقع الدمّ الذي كان أكثر من الماء. وندر أن يبقى الشرشفان يومين بلا تغيير. وكنتُ أرى الجثّة ترشح عرقا لزجا من كلّ مساماتها. وبقيتُ أعرّض الجثّة للهواء في الليل نحو أربعة أشهر؛ والهواء الشرقي الناشف الذي كان يجفّف الأرض، وأحيانا يؤثّر في الأشجار الحيّة، لم يؤثّر في الجثّة، بل بقيت على حالتها؛ وكان يعثر بها بعض الرهبان فيرتعبون؛ وكنتُ أفعل ذلك برأي نفسي، لأنّ الرئيس كان متغيّبا بين الصرود والسواحل، في أملاك الدير. ولمّا رأيتُ نضح الدمّ من صدره بكثرة، لم يوقفها التعريض المتواصل للهواء الناشف، على سطح الدير، مدّة تقرب من أربعة أشهر، من أواخر الربيع إلى أواخر الصيف، فكّرتُ في نزع إمعاء هذه الجثّة، لعلّي أتوصّل إلى إيقاف نضح الدمّ، الذي كان يشغلني يوميّا، لتغيير شرشفين. والحجّة أنّ مقبرة الدير تتسرّب إليها المياه لاسيّما في الشتاء، وحيث أنّ الأب شربل دفن فيها إبّان الشتاء. وكانت الجثّة غائصة في المياه، فظننتُ أنّ المعدة وسائر الأحشاء مُتشرّبة ماء، فاعتقدتُ أنّه إذا رفعت ينقطع الرشح.

2- يريدون بأيّة واسطة إيقاف الرشح!

شهد العويني: أوّل ما أُخرِج جثمان الأب شربل من المقبرة، كان يرشح ماء محمرّا كغسالة اللحم، وبغزارة. ثمّ كانت تلك المادّة برشحها تفسد. وكان الرهبان يريدون بأيّة واسطة أن يوقفوا ذلك، لا أعلم لماذا؟! فلهذا سألوا بطرس سابا أحد الأطبّاء القدماء أن يرى الجثّة، فرآها ووصف لها الوضع في الشمس لتجفّ. فوضعوها مدّة، وأنا أيضا دهنتها بالسبيرتو الذي وصفه الطبيب المذكور. ثمّ أعيدت الجثّة إلى محلّها أي تابوت قديم، غير الحالي، وكان بلا طبقة مكشوفا في حجرة أرضيّة. وظلّ يرشح الجثمان، وزاد رشحا.

3- لإعادة دفن الجثّة!

شهد الأب يوسف الكفوري: كان الزوّار يتقاطرون بكثرة، وبعضهم يشكون من رائحة غير طبيعيّة، تنبعث من الجثّة. وكنت أشعر بهذه الرائحة، وكنتُ أحيانا أرشّ في أرض الغرفة، وعلى التابوت بعض روائح عطريّة،

وكلّ الكميّة العطريّة التي رششتها، لا تتجاوز 3 حناجير. وارتأى الأب الياس المشمشاني إعادة دفن الجثّة فخالفه باقي الرهبان؛ حينئذ استشرتُ الرئيس الأب مخايل التنّوري، فارتأى إرجاعها إلى المقبرة. فقلتُ له: لا يليق بسمعتنا إرجاعها إلى المقبرة، بعدما اشتهر أمر إخراجها منها، والعجائب التي يصنعها. وعندي أن ترفع الأحشاء منها، لعلّها تجفّ، فلا يعود فيها دمّ ولا رائحة. وأظنّ أنّه قال لي: إفعل ما بدى لك.

4- العمليّة الجراحيّة!

تابع الأب يوسف الكفوري: فشاورتُ العويني، المقيم في جوار الدير، فقال لي: لا أتجاسر على مسّ جثمان الأب شربل، لأنّه كان يصنع عجائب في حياته، فأخشى أن يضربني بموت أولادي. فقلتُ له: نحن لا نقصد بِنَزع إمعائه إهانته، ولكن إيقاف هذا الدمّ فأطاعني؛ وتعاهدنا أن لا نبوح بهذا السرّ لأحد؛ فدخلتُ برفقة سابا بالنهار، ولا أذكر الساعة، وشقّ بسكينة بطن الجثّة من جهة الخاصرة تحت الأضلاع، ومدّ يده، وأخرج الأمعاء: الكرش والمصارين، فإذا بهما ككرش ومصارين خروف مذبوح في تلك الساعة، لأنّي رأيت بهما الفرث التي توجد عادة في إمعاء الحيوانات بعد ذبحها. ولكن لا أثر للفساد أو للدود فيها. ورائحتها كرائحة النضح الذي ينضح من الجثّة، ولا أذكر أنّي شعرت برائحة كريهة. فوضعتُ تلك الأمعاء بصفيحة كاز إعتياديّة، ولم يخرج دمّ من الشقّ الذي فتحناه من الجثّة، ولا أتذكّر إذا كان نزف من هذه الأمعاء دمّ وماء؛ ووجدنا القلب، والرئتين، والكبد، والمرارة سليمة، كالمعلاق الذي يرى سليما، في جوف خروف، عندما يذبح حالا. الماء الملوّن بالدم، ينقِّط منه بكثرة؛ وحملناها إلى خربة كنيسة بلا سقف تسمّى مار جرجس. وهنا حفرنا في الزاوية ودفناها، وكان ليلا؛ وقلتُ في ذاتي: إذا أخذت الجثّة إلى روميه لتثبيت شربل قدّيسا، يكون بقي عندنا شيء منها؛ وطمرتُ التنكة مغطّاة. وبعد حين كلّفتُ الأخ إيجيديوس التنّوري، الذي كان برفقتي أن يكشف عن تلك الأمعاء. فكشف وقال لي: إنّه وجد التنكة فارغة. وقد أخبرت الرئيس، عندما جاء، بما فعلتُ.

5- العويني يوزّع بركات لمرضاه

وذهب العويني وحده فيما بعد وحفر وأخذ الأحشاء! وهذا ما أخبر به، أمامنا، الأخ طانيوس القاضي، أنّ سابا وضع الأحشاء في دست وغلاها، وصار يوزّع منها بركات لمرضاه كما يبان أيضا من سؤال لجنة التحقيق: والشائع أنّك كنت تستخدم دمّ هذه الجثّة بالعلاجات التي تصفها لمرضاك. وأنّهم كانوا يشفون بتلك الواسطة! فيجب أن تكون الكميّة التي أخذتها كبيرة! والحرقة بقيت في قلبه إذ يقول العويني: أتذكّر جيّدا أنّي نزعتُ القلب والقصبة السوداء، ورأيتُ القلب أحمر يقطر دما ممزوجا بالماء. ولا رائحة له البتّة ومن ذلك الوقت وعملي أمام عيني، دائما: قد لمتُ ذاتي كيف أنّي لم أحتفظ بذلك القلب في بيتي كَنْزا ثمينا، وأنا طلبتُ منه بإلحاح أن يسمح لي بالقلب، أو بقسم ممّا نزعناه، فلم يسمح.

6- بقي الرشح

شهد الأب يوسف الكفوري: أجريت العمليّة، فما استفدتُ شيئا، لأنّ الجثّة بقيت على حالها، تنضح دمّا وتعرق مادّة لزجة. فلا رائحة في الجثّة، بل في ما ينضح منها؛ ولا علم من أين يأتي هذا الرشح والرائحة! وما عاد فيها إلاّ الجلد والعظم؟! فكلّ ذلك يدلّ دلالة كافية أنّ أمر هذه الجثّة غريب عجيب، جعلنا وجعل العموم يعتقدون كلّ الإعتقاد بقداسة الأب شربل، وأتى بالزوّار من كلّ ناحية لطلب شفاعته.

وكنتُ أشعر برائحة قويّة قبل أن أغيّر أثواب الجثّة المبلّلة والملطّخة بالدم، وبعد تغييرها وإبدالها، بأثواب نظيفة، كانت الرائحة تقلّ، وتبقى قويّة على الأثواب المنتزعة عن الجثّة. هنا جاء محامي الإيمان بكتّونة بيضاء، موضوعة على جثمان الأب شربل، وبقيت أسبوعا، ونزعت عنه أمس عند فحصها، والكشف عليها. فشمّ الأب الكفوري رائحتها، وقال هذه الرائحة القويّة ذاتها، التي كنت أبذل جهدي لأزالتها، والبقع الموجودة على هذه الكتّونة الحمراء اللون مع إصفرار قليل، هي كهذه، ولا فرق إلاّ في البلل، كان أكثر.

7- نزع الدماغ

في الفحص الطبّي وُجِدت الجمجمة مفتوحة عند مؤخرة الرأس، وقد قطع العظم بآلة حادة ولم يوجد أثر للنخاع فيها. وشهد الأب يوسف الكفوري:أعتقد أنّ ذلك قد جرى من أحد الزوّار على سبيل البركة لاغير، في مدّة السنتين والثمانية أشهر التي استلمت فيها جثمان الأب شربل. ولولا شدّة حرصي في المحافظة عليه، لكان الزوّار تنازعوه قطعا قطعا للبركة، خصوصا عندما اشتهرت عجائبه، ورشح الدمّ والماء منه. ولاسيّما أعجوبة مخلّع طبرجا. **وأكثر الزوّار كانوا يعرفونه حيّا، ويعرفونه يجترح العجائب معهم في حياته،** فلذلك كانوا يحاولون أن يحصلوا على تذكار منه، ليلجأوا إليه بواسطتها كلّما نزلت بهم ملمّة. ويلوح لي أنّ سابا العويني، ربّما يكون فعل

ذلك لشدّة اعتقاده بقداسة الأب شربل ليستعمل تلك القطعة في أدوية للحصول على الشفاء لمرضاه، لكونه كان ولا يزال أكثر الناس ثقة وإيمانا بقداسته ومقدرته على العجائب؛ ولا أبني ظنّي على شيء سوى أنّ سابا كان شديد التمسّك بالأب شربل. كثير الإحترام لفضائله لكونه كان يعرفه معرفة حقيقيّة ويعتقد بمقدرته على صنع العجائب. وكان سابا بعد موت الأب شربل، كلّ ما ركّب دواء لمريض يصلّي له مرّة أبانا والسلام لشفاء مريضه بشفاعته. وكان أيضا يكلّفني أن أمسح له جثمان الأب شربل ببعض خرق، ويأخذها لبيته. فلهذا ظننت أنّ سابا ربّما يكون، بعد أن غادرتُ دير مار مارون، قد نزع النخاع من الجمجمة! أو كما يعتقد محامي الإيمان: قلّة دين من الأطبّاء، فنزعوا دماغه خلسة.

8- ترميم العين ورأس الأنف

شهد الأب يوسف الكفوري: وضعتُ قليلا من الجفصين أو مادّة أخرى نظيره في عينه الشمال، وعلى أعلى أنفه، لأنّه لمّا كان في القبر كان الماء ينزل عليه من سقف المقبرة خاصّة على عينه وأنفه، فأوجد فيهما تشويها قليلا من كثرة التكرار. فبالمادّة الجفصينيّة أرجعتهما إلى شبه حالتهما الأولى. ولم يكن فيهما أثر للبلاء. وبقي الجثمان من حين استلامي إيّاه، على أثر اخراجه من القبر إلى حين تركي إيّاه، على حالة واحدة من حيث ليونة الجلد قبل تجويفه وبعده. ولم أشعر بفرق على الإطلاق وهذا كان عندنا السرّ الغريب.

9- قلّة فطنة

إنّ الرهبان لم يضعوا الجثّة إلاّ في محلاّت تعجّل في فسادها، إن في المقبرة، وإن في الحجرة الأرضيّة. وأنا، مع أنّي أعتبر نفسي من الذين يفهمون، قد شوّهتُ الجثّة، بما أجريتُه فيها، بقلّة فطنة وسذاجة، إن بوضعي لها في الليل مدّة أربعة أشهر على السطح معرّضة للهواء، وإن بنَزعي الأحشاء منها.

10- طرد الجراد (لو 5/4-7)

حلّ الجراد بأرض الدير بغتة من كلّ الجهات، وذلك قبل الغروب بساعتين. ورغم مكافحة الرهبان والشركاء، غطّى الزروع والأشجار. فاستدعى الرئيس مخايل التنوري، الأب مكاريوس حبيس الدير، وقال له: إنّ الأب شربل طرد الجراد من جوار الدير بحياته. أمّا أنت فعليك أن تأخذ وعاء، وتغسل به يده، وتذهب وترش بغسالتها على زروع الدير والتوت والأغراس قدر مكنتك. فائتمر الأب مكاريوس، وعمل بإشارة الرئيس. وفي الصباح، قام الجراد فارّا محلّقا عن أملاك الدير. واستلفت روعنا عن حادث مع أحد شركاء الدير سابا زهره، فهذا الشريك، لمّا كان الحبيس يرشّ الماء بين الزروع، قصد أن يرشّ بقطعة من الأرض من زرع الشريك المذكور، فمنعه عن دخولها قائلا: أنا أحميها، فلا تعطّلها بالدوس. فعند آخر تحليق الجراد بالفلا، سقطت شرذمة منه على تلك القطعة، والتهمتها عن آخرها. ولم يجده لا القواس، ولا حرق البلاّن أو القندول حولها نفعا. أما بقيّة الأملاك فلم يلحقها أذى مطلقا. بل أكل الأعشاب البريّة حتّى قشور الأشجار البريّة. فكان حلول الجراد لمنفعة الملك لا لضرره.

11- شفاء من شلل كلّي (متّى 9/1-8)

شهدت مريم زوين: مرضتُ، على أثر ولادتي عبلا إبنتي البكر، بمرض في يديّ ورجليّ وسائر جسمي. فأمسيتُ، من جراء هذا المرض، يابسة مثل قطّوع الحطب، لا أتمكّن من تحريك يديّ ورجليّ. وبقيتُ على هذه الحالة أكثر من نصف سنة. وكنتُ أشعر في تلك المدّة بآلام وأوجاع مبرّحة. وكانت تخدمني في مرضي حماتي جليلة. وأذكر أنّه عندما كانت طفلتي تصرخ، وليس من يقدّمها لي لأرضعها، كنت أنحني عليها، وأتناولها بفمي، وأصعدها إلى صدري فترضع، إذ كنتُ عاجزة تمام العجز عن تناولها بيديّ.

ومرّة وقعت الطفلة عن صدري فلصقَتْ بكانون الجمر الذي كان على جانبي. تأثّرتُ جدّا وأجهدتُ نفسي لأقوم وأخلّصها، فكنتُ كمن يشعر في حلمه أنّه يريد أن يمشي وهو نائم لا يتحرّك. فإنّي حاولتُ مرّتين وثلاث أن أتحرّك، لأنّي كنتُ أرى ابنتي الوحيدة على وشك أن تحترق، فلم أستطع حراكا. لذلك صرخت بأعلى صوتي. فجاء رجل يدعى فارس لحّود كان على السطح يحدل في الشتاء وانتشلها. فليس مرضي مرضا عصبيّا يشفى بالتأثّرات الوهميّة، لأنّ لا تأثير يمكنه أن يهيّج أعصابي وعواطفي الوديّة، ويستفزّني إلى الحركة ونسيان أوجاعي، مثل وقوع طفلتي في كانون موقدة النار، والإضطرار لسرعة إنقاذها، ومع ذلك لم أتحرّك قليلا. وعدم مقدرتي أثّر في صحّتي وزاد في مرضي. ولم يكن الشلل والوجع في يديّ ورجليّ فقط، بل في كلّ جسمي، وفي فكّي الأسفل، لذا ما كنتُ أقدر أن أذوق طعاما، سوى الحليب مدّة ثلاثة أشهر. وقد استعملتُ علاجات كثيرة من أطبّاء متعدّدين فلم أستفد شيئا. فاستسلمتُ أخيرا للحزن والبكاء، ويئستُ من الشفاء.

وفي ذات يوم دخلت إليّ امرأة شيعيّة من قرية فرحِت تطلب صدقة، فسألتني: ما بكِ؟ فأخبرتُها باكية عن مرضي فقالت لي: بالقرب منّا يوجد قدّيس، يصنع عجائب، إسمه القدّيس شربل، في دير مار مارون عنّايا، فاذهبي

وزوريه تشفي من مرضك هذا. وكان في قريتنا في ذلك الحين، الأب روكس مشمشاني، فاستدعيته وسألتُه ما إذ كان صحيحا حديث هذه المرأة الشيعيّة؟ فأجابني: نعم صحيح. وشجّعني على المجيء إلى زيارة القدّيس شربل. فمن ساعتي صمّمت النيّة على زيارة ضريح القدّيس ونذرتُ له. وبعد قليل أخبرتُ زوجي بنذري وبعزمي على الزيارة. فأسرع وأتاني بمكاري، نقلني على بغل لدير عنّايا. فجئتُ برفقة خالتي وردة، وتضايقتُ من سفري وتألّمتُ كثيرا. وكان المكاري يسند من جهة، وخالتي ومعها امرأة أخرى تسنداني من جهة ثانية، كلّ الطريق. وما كنتُ في مرضي هذا أقدر أن ألبس ثيابي أو أُغيّرها بذاتي، ولا أن آكل، بل تقوم بكلّ ذلك حماتي.

وعندما وصلتُ إلى هذا الدير، أنزلوني عن البغل عند المقبرة، وكنتُ أبكي من وجعي وتعبي وحالتي، لأنّ ركوبي على البغل من قريتي يحشوش إلى هنا، مسافة خمس ساعات في تلك الحالة، هدّ جسمي هدّا، وهيّج أوجاعي. فكنتُ أصلّي وأطلب من القدّيس بحرارة أن يشفيني ويرجعني ماشية. وأُدخِلتُ إلى المقبرة، حيث كان قبلا جثمان القدّيس. وجاء الرئيس حضرة الأب مخائيل التنّوري، فتأثّر جدّا لحالتي، وشجّعني قائلا: قوّي إيمانك، إنّك ستشفين في هذا النهار. وأحضر لي ماء من غسالة يد القدّيس، وخرقا عليها دمّ ناضح من جسمه. فدهنت خالتي وردة والإمرأة التي معي كريمة بنت عازار كرم من يحشوش بالماء والخرق جسمي ويداي ورجلاي. وكانت أعضائي، بعد التيبّس الذي حصل فيها، ارتخت بحيث ما عدت أقدر أن أطبّق كفّي. وكان جسمي مرتخيا كأنّ به شلل، ولاسيما على المفاصل والمخالع. فحالما دُهِن لي، كما ذكرتُ، وأنا في المقبرة شعرت أنّ يدي اليمنى اشتدّت، وصرت أستطيع أن أضمّ أصابعي وأتوكّأ على يدي، ويدي الشمال التي كانت أشدّ ارتخاء وشللا وألما، كنت أشعر كأنّ الألم يتجرّد منها، وصرتُ أتمكّن من التوكّؤ عليها قليلا. وكنتُ أحسّ في المقبرة أنّ جسمي كلّه يشتدّ، وتيقّنتُ أنّي أُشفى بشفاعة الأب شربل، وخرجتُ من المقبرة وحدي. وبعد قليل ركبت راجعة دون أن أتناول أكلا وشربا، وكنت لا أزال صائمة من يحشوش، إذ نذرتُ أنّي لا آكل ولا أشرب حتّى يشفيني. وكان أكلي وشربي الصلاة والبكاء. وكان الرئيس يزيدني أملا بتنشيطه وتقويته إيماني. ولمّا ركبتُ لم أحتج أن يسندني أحد كما حدث في مجيئي، وكنتُ أشعر أنّ يدي الشمال تنمّل فقط. ولمّا وصلنا في الطريق إلى قرية سنّور، لم أعد أشعر بألم أو أدنى وجع. وفجأة تأكّدتُ أنّي شفيتُ، فحرّكتُ يدي ورجلي كعادتي. ومن عظم فرحي، نزلتُ عن البغل، ومشيتُ وحدي قسما من الطريق، نحو ربع ساعة، ووصلتُ إلى بيتي في النهار عينه، بريئة من مرضي تماما بفضل وشفاعة القدّيس شربل. ومن ذلك الحين، أصلّي للقدّيس شربل يوميّا. وفرح بي اقاربي، وكان ذلك اليوم يوم بهجة وسرور عندهم.

12- مكرسح طبرجا (مر 2/1-12)

شهد جرجس ساسين: رأيت مخلّع طبرجا، يوم أتوا به إلى ضريح القديس شربل، محمولا على مركوب، ومحزّما ومسنّدا بمخدّات. فأنزلوه على بوّابة الدير، وهو لا يقدر أن يحرّك لا يده ولا رجله. وكنتُ حاضرا لمّا وضعوه في البوّابة. ثمّ حملوه إلى الغرفة الموضوع بها ضمن الدير للجهة الشماليّة الغربيّة. واسمه بشارة أنطون القزّي. وعلى ما فهمتُ من رفاقه أنّه من صغره مصاب بداء الفالج، وفي عمر ال15سنة اشتدّ عليه المرض واقعده عن المشي وأمست يده اليمنى يابسة بدون حراك. وبعد أن بقي مدّة وجيزة، أنزلوه إلى البوّابة حيث وُضِع أوّلا. فبدأ يحرّك يديه ورجليه بسهولة يمدّها ويردّها، على مرأى منّي، ثم ذهبوا إلى قريته. وفي الربيع التالي، رأيته قادما إلى الدير ماشيا فسألته: أنت الذي تدعى بشارة القزّي الذي أتيت في الصيف الماضي إلى هذا الدير، فأجاب: نعم أنا هو، قد شفيت من مرضي، وأنا آتٍ الآن لزيارة الشكر للأب شربل، وأنا لولاه ما مشيت كلّ حياتي. وكلّ سنة يأتي مرّتين في الصيف وفي الربيع، جامعا بعض نذورات للأب شربل يؤدّيها ويعود دون أن يأكل. وسألته لماذا لا تأكل في الدير؟ فأجابني: أنا هكذا ناذر! ويضيف الأخ فرنسيس قرطبا: وإذ كنتُ في الدير متولّيا خدمة الزوّار، جاء إليّ بشارة القزّي من طبرجا، حاملا قفّة على ظهره فيها نذورات، من حبوب وشرانق وغيره. سلّمني إيّاها قائلا: هذه جمعتها صدقات للدير، إقرارا بفضل القدّيس شربل عليّ، عرفانا بجميله! وكان الرئيس كلّ سنة يقول له: يا ابني خذ ما جمعته من النذور لك، لأنّك فقير.

ويخبر عيد نكد: وقد طلب بشارة أن يزور البيت الذي ولد وتربّى فيه الأب شربل. فسألناه عن السبب. فأخبرنا أنّه كان مكرسحا وشفاه الأب شربل، وأنّه يطوف كلّ سنة في قرى لبنان، ويخبر بفضل القدّيس، ويجمع الصدقات ليقدّمها له. فاحتفلنا به، لاسيّما والدتي. وظلّ يتردّد على بقاعكفرا، لهذه الغاية، نحو ثلاث سنوات.

عاشرا: المَنْزول

1- النساء خارجا

حملت عاطفة الإيمان المؤمنين على الحجّ إلى دير عنّايا، مشيا على الأقدام، من مسافات تزيد عن الخمسين كلم. وبين الزائرين: النساء والأطفال والمرضى والفقراء، الذين ما كان بوسعهم أن ينتقلوا على ظهور الدواب، بل على أرجلهم لفقرهم. ومنهم من كان يسير إلى عنّايا حفاة، ليرحمهم الله، ويمنّ عليهم بشفاء مريض لهم، أو من داء

مستعصٍ، أو من عاهة مزمنة كالعرج أو الصمم أو الشلل. وكان الزوّار يبلغون إلى دير عنّايا، بعد مسيرة يومين أو ثلاثة منهوكي القوى، ولا يجدون مأوى يأويهم، والدير في برّيّة. وقد حُرّم دخول النساء إليه، حتّى إلى الكنيسة. ولم يكن فيه محلّ لقبول الغرباء، إلاّ قبو مظلم على يمين الداخل إلى الدير من بوّابته الوحيدة الواقعة في الطابق الأسفل. وكان القبو يدعى المنْزول أو المضافة. فكان الزوّار ينْزلون في تلك المضافة، فيدخل الذكور إلى كنيسة الدير، والإناث كنّ يبقين في المنْزول، وكنّ يسمعن القدّاس بوقوفهنّ عند نافذة الكنيسة، الواقع في حائطها الجنوبيّ، أسوة بما كانت تعمل نساء الشركاء في عنّايا.

2- إلحاح الزوّار

كان الزوّار من الذكور يلحّون ليروا جثمان الأب شربل ويتبرّكوا بلمسه، فكان الرهبان يجيبونهم: مستحيل! بما أن الجثمان مدفون في "المنبش". والبطرك منع عليهم تعريضه إلى أنظار المؤمنين خوفا من إداء العبادة. فكان الزوّار الذكور يجثون عند الدرجة الأولى من سلّم "المنبش" أو الكنيسة بقرب حائطها الشماليّ الداخليّ، ويصلّون ويتضرعون. أمّا الإناث فكنّ يركعن خارج الدير بقرب حائط الكنيسة الشماليّ، وهنالك تحت قبّة الفلك، كنّ يبكين ويبتهلن ويصلين ويقبّلن الحائط، ويجمعن من تراب الأرض ويأخذنه بركة لهنّ ولمرضاهنّ يحملنه إلى بيوتهنّ.

وأشفق الرهبان على الزوّار، وكان القس يوسف الكفوري، في طليعة المشفقين عليهم. فصار يسمح لبعضهم من الذكور بالدخول إلى "المنبش" ويريهم جثمان الأب شربل في تابوته الحقير. فكان الزائر الذي يرى الأب شربل في تابوته سليم الجثمان يتعزّى ويعود من زيارته سعيدا، ويروي للناس أنّه رأى الأب شربل، فإذا به كأنّه حيّ نائم! فشقّ على النساء أن يحرمن من مرأى جثمان الأب شربل، فكنّ يطلبن من الرهبان بدموع غزيرة، ليمكّنوهنّ من ذلك.

3- المنْزول يصبح معبدا

مرّت سنتان على هذه الحالة وعدد الزوّار يتكاثر، وإلحاحهم للسماح لهم بمشاهدة جثمان الأب شربل يشتدّ. فاقترح الأب يوسف الكفوري، في مجمع ديريّ، أن يتحوّل المنْزول إلى معبد صغير لتمكين النساء من سماع القدّاس فيه وأن يوضع جثمان الأب شربل فيه ضمن خزانة مقفلة تكون واجهتها من الزجاج، فيتمكّن الزّوار من مشاهدته. وهو يكون مسؤولا لمنع أي تكريم ممنوع من الكنيسة. وعرض القرار للأب العام فطلب موافقة البطرك. وتحوّل المنْزول إلى معبد صغير لسماع القدّاس أيّام الآحاد والأعياد.

وأنزل الرهبان الجثّة من موضعها إلى حجرة أرضيّة خارجيّة، على يمين الداخل في بوّابة الدير الشرقيّة. ووضعوا في تلك الحجرة مذبحا نقّالا، في أيّار 1901، بأمر الرؤساء، لإقامة الذبيحة الإلهيّة عليه للنساء الزائرات ونساء الشركاء؛ فالنساء، في أيّام البرد، لا يقدرن أن يسمعن القدّاس من الشبّاك الخارجي للكنيسة. ولا يستطعن الدخول إلى الكنيسة بسبب الحرم.

4- وصف الجثّة

شهدت وردة مخلوف: بعد سنتين من وفاة الأب شربل، جئت لزيارته أنا وخالتي وردة، ومعنا نساء أخريات من بقاعكفرا. ففتحوا لنا التابوت، ومددت يدي، ومسكت بها يده، فكانت طريئة مثل الحشيش، وكان جثمانه صحيحا سالما، ولحيته على حالها، ووجهه مورّدا، ورقبته عرقانة، وقد وضعت يدي، ومررتها على رقبته وشعره؛ ويضيف العويني: فما يرشح من الجثمان الطاهر، هو تقريبا على نسق واحد بالفصول الأربعة. وأنا كنت أرى الثياب التي عليه مرطّبة أشبه بثياب الحيّ العرقان، ولا تخلو رائحته من العفن والنتن؛ وفي كلّ مدّة يغيّرون له ثيابه ويغسلونها، كما يغسلون ثياب الأحياء. ويشرح الأخ بطرس ليان: كنت أنزع عنها الأثواب بأوقات غير معيّنة، أحيانا كلّ أسبوع، وأحيانا كلّ أسبوعين، أو شهر. وفي الصيف، أضطر لتغيير الأثواب أكثر، إذ أن النضح تنبعث منه الرائحة عن الأثواب بشدّة. والذي أعرفه أنّها لا تزال الجثّة في مكانها إلى اليوم سليمة تنضح عرقا؛ يزورها الناس، ويعتقدون كما اعتقدنا أنّها محفوظة بأعجوبة، لأنّ الأب شربل كان قدّيسا؛ وهذا الاعتقاد ليس اعتقاد الموارنة فقط بل الشيعيّين المجاورين والمسلمين.

5- الجثمان واقفا

وأعدّ الأب يوسف الكفوري خزانة واجهتها من زجاج ونقل إليها جثمان الأب شربل فوضعه فيها. وأوقفه على قدميه ضمن الخزانة، يسنده عكّازان تحت إبطيه. وكان دائما يرشح السائل، وكانت تُغيَّر ثيابه كلّ مدّة. وكانت تتألّف عندئذ من ملابس الراهب العادي مع بطرشيل على عنقه. وكان القسم الأعلى من الخزانة من الزجاج المغطّى بخشب يفتح ويغلق على طريقة الأباجور.

ويشهد الأب مبارك تابت: رأيت تابوتا من خشب مسندا إلى حائط في الغرفة، وجثمان الأب شربل منتصبا على قدميه في التابوت. وكلّ جسمه لا يزال كأنّه حيّ، إلاّ أنّ عينيه كانت مغمّضتين، ووجدت عليه قميصا أبيض على طول قامته مبلّلا بالعرق الطريق. أخذت يده لأقبّلها، فإذا هي ليّنة أكثر من يدي. وحرّكت أصابعه فتحرّكت كأنّه حيّ. وجلده ليّن، ولونه إعتياديّ طبيعيّ، تعلوه صفرة الموت فقط. وكان فرح المؤمنين البسطاء، بإيقاف الجثمان على قدميه، عظيما. إذ كانوا يتمثّلونه حيّا واقفا بينهم، بعكس الرهبان فما كان جميعهم راضين عن ذلك الموقف، لأنّه إن دلّ على شيء فعلى فكرة صبيانيّة تعرّض جثمان الأب شربل للاحتقار.

6- شفاء طفلة وإقامة طفل من الموت (يو 11/1-44)

شهدت مريم شمعون: عندي إبنة، إسمها أستير، أصابها، في سنّ الثالثة من عمرها، مرض الأطفال، يدعى فرحة أو هزّة حيط. وكانت تغيب عن رشدها. فأخذتها لسابا الطبيب العربي فعالجها دون فائدة. ولمّا طال أمرها، وخفت عليها من كثرة النوبات، نذرتها للقدّيس شربل فشفيت، وانقطعت عنها نوبات الفرحة. ثم رزقت غلاما على رأسها فعاش سنة ومات في 17 نيسان حوالي 1901. ثم رزقت بعده غلاما آخر، ولمّا أكمل السنة، مرض كأخيه في الميعاد نفسه 17 نيسان. وبقي مريضا أكثر من ثمانية أيّام، بمرض أخيه ذاته يغيب عن الوعي، وبما أنّه طفل ما كنّا نفهم مرضه ولكنّه كان منقطعا عن الرضاعة. وقد انتشر فيه المرض تدريجيّا. ففي الأيّام الأولى كان يستفيق قليلا ويرضع قليلا. ثم تضايق للغاية وانقطع عن الرضاعة وغاب. ولمّا قطعت الأمل من شفائه، وبانت أشارات أنّه سيموت كأخيه، وضاقت حيلتي، حملته إلى القدّيس شربل. قلت آخذه إلى القدّيس شربل الذي كنت أسمع قدّاسه في محبسة مار بطرس، وكان **قدّاسه يليّن قلبي ويؤثّر فيّ ويخشّعني**. حملت الصبيّ وحدي ومشيت. وما أردت أن يحمله أحد عنّي حتّى الله يشفق على تعبي ويخلّيه لي. وأنا في الطريق لاقتني امرأة شفقت عليّ وحملته عنّي. ونحن في الطريق صادفنا امرأة ثانية، كشفت الولد وقالت: إلى أين تأخذوه؟! لا تتعبي نفسك! فالطفل ميت! وأخذت أصيح وأبكي إذ رأيت طفلي على يدي ميّت، لا يبدي حراكا. فنظرالمرأتان إليه وأخذتا تقرصانه بقوّة وتحركانه ليبدي علامة حياة فما أبدى ولا علامة. وهممت باكية أن أعود به، إذ قلت ما الفائدة من الذهاب للزيارة وقد مات! فشجّعاني، وجئنا بها لإتمام الزيارة لعلّ الأب شربل يشفيه. وكنّا في فرشع، وهي مزرعة تابعة مشمش تبعد نحو ساعة عن الدير. فقلت لحاملة ابني: على نيّة الله، نذهب إلى الأب شربل. وصلنا إلى الدير، فدعوت إبن عمّي الأب الياس إهمجي، فانحدر إلى الحجرة الموضوع فيها جثمان الأب شربل فرآني راكعة قرب التابوت أبكي، ومعي امرأتان واقفتان عند الباب. وعلى درجة المذبح الموجود في الحجرة، يوجد ابني الميت ملفوف بثيابه! فقال: أنت مجنونة؟! كيف أتيتِ بهذه الجنازة إلى هنا؟! فتأثّرت منه، ولم أجاوب. فقالت له المرأتان: جاءت إبنة عمّك بطفلها المريض لتزوّره للأب شربل، وتطلب شفاءه بشفاعته. فدخل الحجرة فرأى الطفل مطبقا فمه ميّتا. فقلّبه مرارا وفتح فمه، فَفُتِح. ولم يجد ولا شعر أنّ فيه حياة! وقلت لرفيقتي: إطرحي الولد على الأرض مثل ما يوضع الميّت، أي وجهه إلى البحر، في قرب تابوت القدّيس على درجة المذبح، وفكري: إذا كان الأب شربل قدّيس يقيمه. حيئذ فتح الأب الياس التابوت، وغسل يد الأب شربل بماء، وفتح فم الولد بملعقة البخّور، وسكب منه في فم الطفل، أوّلا، وثانيا، وفي المرّة الثالثة، ابتلع الطفل الماء، وعادت إليه روحه. فشهقتُ ومن معي! وأمسكوه شمعة بيده، ثم ناولني إيّاه، أرضعته فرضع. وأخذت أبكي من الفرح، وعدت إلى بيتي مسرورة، بعد أن أتيت حزينة باكية، أدغدغ الولد، أنا والإمرأة التي حملته معي وما أحسّ. وهو الآن شاب بملء الحياة والعافية.

7- يدٌ خفيّة

كان رجل الله الأب ابراهيم الحاقلاني، يحدل سطح غرفته الواقعة للجهة الجنوبيّة، في دير عنّايا. هبّت عاصفة شديدة عندما وصل إلى حافّة السطح دون أن يدري، فسقط مع المحدلة إلى أسفل، من علو نحو 40 م. عرف إخوته الرهبان بالأمر فهبّوا إلى نجدته. إنّما أخذهم العجب الشديد إذ وجدوه راكضا نحو بوّابة الدير، دون أن يلحقه أذى. ولمّا سألوه منذهلين كيف تمّ معه ذلك؟! قال: لمّا هويتُ مع المحدلة صرختُ حالا: يا بونا شربل دخلك! فشعرتُ كأنّ يدا تَحملني وتضعني على الأرض، بعد أن أبعدَتْ المحدلة عنّي!

حادي عشر: في الكابلاّ

1- نقل الجثمان

صنع الدكتور جورج شكرالله لشربل تابوتا لائقا من خشب الجوز، وحمّله بطرس ضاهر على البغل من بيروت، في أوائل خريف 1909، وطلب من الرهبان أن يضعوه في مكان لائق؛ ونقل الجثمان إلى غرفة أكبر من السابقة واقعة جنوبيّ الأولى، هي حجرة أرضيّة على زاوية الدير الشرقيّة الجنوبيّة، على يسار الداخل من البوّابة، لا يوجد غيرها. أرضها مدقوقة حجريّة. وهي معقودة بالحجارة أيضا، وكان الجثمان في تابوت شبيه بخزانة، فوُضِع في زاوية أفقيّا وكان هذا التابوت مقفلا؛ وقد حضر نقل الجثمان جمهور من الجوار ومن الشركاء. ولم

تدوّن أي كتابة على قبر الأب شربل عند دفنه أو بعد نقله. ويشهد الأب بطرس دميان: كنت حاضرا يوم نقل الجثمان إلى الكابلاّ. ألبسناه كتّونة، ولكنّ جثمان الأب شربل، كان يرشح سائلا خاصا كان يبلّل الكتّونة وسائر ملابسه، فنضطّر إلى تغييرها كلّ بضعة أيّام. والناس كانوا يتوافدون لزيارته، فيلثمون يده ويتباركون منه التماسا للشفاء من أمراضهم، واستجلابا لبركات الله عليهم بشفاعته.

2- شفاء كلوة

شهد حوشب نكد: لقد شعرت، بعد الحرب العالميّة الأولى، بألم شديد في خاصرتي. فدخلت المستشفى الأميركي في بيروت، حيث مكثت أربعين يوما، أجري لي أثناءها عمليّة جراحيّة استخرج فيها من كلوتي اليسرى بحصة، فخرجت معافى. وبعد سنة، عدت أشعر بذات الألم في ذات الموضع. فأتت أمّي وشقيقتي غالية، إلى دير مار مارون عنّايا. وهناك زارتا ضريح الأب شربل، وصلّيتا بحرارة ملتمسين لي الشفاء. وقد طلبت والدتي من أحد الرهبان، أن يعطيها طوقا يمسّ جثمان الأب شربل، لكي أضعه في عنقي التماسا للعافية. فأجابها الراهب أنّه سيعطيها ما هو أثمن من الطوق. وأعطاها قطعة قماش كانت تحت عنق الأب شربل، وغسل يد الأب شربل بعد أن أخرجها من التابوت، برفعها قليلا ووضع ماء الغسل، في قنّينة صغيرة، سلّمها إلى والدتي. وعند رجوع والدتي بالماء المبارك وبالقطعة القماش، وضعت القماش في عنقي وشربت من الماء. وبعد ليلتين رأيت في الثالثة، أنّي قد انتقلت إلى بيت الأب شربل حيث رأيت في الحلم راهبا، لم يكلّمني ولا كلمة. وفي النهار، أخرجت بحصة بحجم حبّة اللوبياء الكبيرة. وبعدئذ ارتحت من وجعي، ولم أعد اشعر به حتّى الآن.

3- عاقر تلد

ويضيف حوشب: عند مجيء والدتي، إلى دير مار مارون عنّايا، التقاها أحد مواطنيها، نعمة يوسف نعمة، الذي كان متزوّجا بابنة عمّه، منذ 27 سنة دون أن يرزق ولدا. فأعطى والدتي نصف ليرة، كتقدمة للدير، على أن تأتيه ببركة من الأب شربل، عسى أن يرزقه وزوجته ولدا. وقد حملت والدتي، لنعمة وزوجته حنة، بركة مثل التي حملتها إلي. ولم يمضِ بعد ذلك سنة حتّى رزقا ولدا ذكرا، هو وحيدهما، واسمه طانيوس.

4- زيارة القبر

إنّ الزوّار عديدون ومن جميع الجهات والأمم والشعوب. والتجاؤهم إلى شربل كالتجائهم إلى القدّيسين، لاعتقادهم بقداسته وصلاحه. وبعض أصحاب الطروش يخصّونه بشيء من مواليد ونتاج ماعزهم وحيواناتهم، ويأتون بها أمام قبره وما وقف منها كان للدير، وما عاد للقطيع ذهب به صاحبه لأنّه له. وإنّ كثيرين من الطوائف المسيحيّة والغير المسيحيّة يتقاطرون لزيارته للاستشفاء من مرضهم، وكثيرون عندما يطلّون فوق الدير عند البيدر، كانوا يدبّون على الأربعة، أي على الأيدي والأرجل.

5- عندي اولاد زغار

ان مريم زوجة بطرس ابي موسى من شخنيا كانت مصابة بداء النقطة وكان الدكتور جورج شكرالله يعالجها ويستحضر لها الادوية من اوروبا على مدة طويلة دون ان تستفيد شيئا. اتى زوجها الى زيارة شربل وقال له: دخلك اشفي لي ها المرأة لان عندي اولاد زغار يحتاجون لخدمتها وقال له واني على استعداد لصب ارض الكابلّه (حيث يوجد جثمان شربل) بالباطون، ثم عاد الى بيته. وفي الليل ابصر في الحلم 3 رهبان في الطريق احدهم وكان سائرا في الوسط وفي عنقه بطرشيل وهر الاب شربل فركض اليه قائلا له: دخيلك يا اب شربل اشفيلي ها المرا فقال له: خلص شفيت ما عادت تمرض وبالفعل فقد شفيت المرأة حالا وتماما.

6- أخذت يده ووضعتها على عيني المريضة

شهد عقل الحائك: حصل لي في 6\8\ 1903، مرض عصبي بعيني اليمنى فكانت ترف رفّا على عدد الدقائق وعجز أطبّاء بيروت عن شفائها، فسمعت بخبر القديس شربل فذهبت إليه وزرته فوجدته موضوعا بتابوت في إحدى غرف الدير، فأخذت يده ووضعتها على عيني المريضة. وبعد مدّة وجيزة زال ألمها ورجعت صحيحة.

7- أهم من أطباء بيروت

شهد طانيوس موسى من إهمج: حصل لي وجع أليم جدّا في كتفي واستمرّ مدّة في هذه الحال واستعملت له العلاجات فلم أستفد شيئا. أخيرا عزمت هلى الذهاب إلى بيروت برفقة عمّي سابا. وفي طريقنا عرّجنا على عمّي الأب يوسف في دير عنايا وأخبرنه أني ذاهب إلى بيروت لمعالجة ألم كتفه عند أطبائها. فقال له عمّه الأب يوسف: عندنا هنا طبيب أهم من أطباء بيروت وهو الأب شربل! زره وخذ منه بركة تشفّ. فدخلت الكابلا حيث جثمان شربل وصليت. ثمّ أعطاني الأخ بطرس مشمش زنّار أثواب التقديس بعد أن وضعه على جثمان شربل فتزنّرت به وعدلت عن الذهاب إلى بيروت. وثاني يوم نهضت سالما وواصلت أشغالي وما راجعني المرض.

8- فتحت مريم عينيها

شهدت رحمة زوجة بطرس موسى من إهمج: مرضت مريم حفيدتي بالحمى الخبيثة واشتدّ عليها المرض فافقدها الحس. وقد عالجها جدها سابا فلم تستفد وأمست أخيرا كأنّها ميتة. فنذرنا إضاءت سراج زيت أمام جثمانه لأجل شفائها. ولمّا أضأنا الزيت أمام جثمان شربل فتحت مريم عينيها وطلبت الأكل وفي الحال فارقتها الحمّى وشفيت.

ثاني عشر: شفى جميع المرضى (متّى 16/8)

1- شفاء الأخ يوسف ميفوق

شهد الأب يوسف إهمج: إن الأخ يوسف ميفوقي علق بزلعومه عظم وهو يأكل. فتألّم منه كثيرا نحو أسبوع. فاستدعينا نجيب بك الخوري، فأخذ يحاول إخراج العظم، فلم يجد له أثرا، ومع ذلك لم يزل الأخ يتألمّ. إلى أن جاءني ليلة ما وصرخ قائلا: دخيلك! كدت أموت من الوجع! فقلت له: يا أخي ماذا تريد أن أعمل لك؟ خذ كبّاية زيت وأضئها عند نعش الأب شربل لعلّه يشفيك. ففي الحال أخذ الكبّاية وأضاءها عند التابوت وراح يصلّي راكعا مسندا يديه عليه. فعندها تنحّم فخرج العظم من زلعومه فأراني إيّاه، وحفظته معي مدّة، وطوله طول الإبرة، رفيع شبه الخيط.

2- شفاء أب الياس إهمج

حدث مرّة أن شعرت بألم شديد جدّا، وأنا جالس، في جنبي الأيمن بغتة في الليل آلمني كثيرا. ولم أستطع المشي بدون عصا، فنظرت إلى محلّ الألم، فوجدت اللحم نافرا من موضعه كما لو كان دقّ في جنبي مسمار. فقمت على مهل، أجرّ ذاتي على العكاز جرّا. وذهبت إلى ضريح الأب شربل، وكان عندئذ جثمانه في الكابلاّ الصغيرة. فغسلت يده بالماء، ودهنت موضع الألم فشفي حالا، وعدت إلى غرفتي بدون عكّاز.

3- شفاء من حمّى التيفوئيد (مر 1/ 29-31)

شهد الأب علوان: ولمّا رجعت من عنّايا إلى قزحيّا، وجدت أحد الأخوة الأخ برتلماوس أيطو مريضا بحمّى التيفوئيد مشرفا على الموت، فأخبرته عن الأب شربل، وأعطيته قطعة من قلنسوته، كانت على رأسه في المقبرة أخذتها على سبيل البركة فوضعها على رأسه بأمانة، وصلّى. وفي اليوم الثاني شفي.

4- شفاء مكرسح

شهد شبلي شبلي: وأنا شخصيّا قد أصبت بمرض العصبي في ركبتي. وقد وصلت تقريبا إلى حدّ الكرساح. وتعالجت لدى الأطبّاء، أذكر منهم الدكتور العنيسي من جاج، والدكتور نجم من لحفد، دون أيّة نتيجة. فالتجأت إلى شفاعة الأب شربل، وأخذت ماء مباركا على ضريحه، وقماشا لمس جثمانه، وشربت الماء ومسست ركبتيّ بالقماش، فشفاني الله.

5- شفاء سابا العويني

كنت شعرت بألم شديد في معدتي بشهر آب من سنة 1925 فتعالجت عند الدكتور جرجي شكرالله، ولم ينفعني علاجه الأوّل، ولا الثاني، ولا الثالث. وأشار عليّ أن أنزل وإيّاه إلى بيروت، لأجل التصوير الداخليّ. وكان ظنّه كظنّي، أنّ المرض سرطان، فأجبته غدا نفكّر بالمسألة. وغادرته، وانفردت لوحدي أناجي الأب شربل، وأسأله الشفاء، ونذرت له نذرا طفيفا أي قرشين. وفيما أنا نائم، حلمت أن الأب شربل حضر عليّ، وحرق رقعة من أثوابه، وأذاب رمادها بالماء وسقاني إيّاه. فأفقت من نومي متألمّا كثيرا وكان الصبح قريبا. فغادرت فرشتي، فصادفت أخي، الأب يوسف إهمج، مهتمّا لتقديم الذبيحة. فقلت في نفسي سأحضرها، وأذهب لزيارة ضريح الأب شربل، وما قدرت أن أحضر الذبيحة كلّها من شدّة الألم. فهرولت ماشيا لزيارة الضريح. ولما شاهدتني زوجتي وأولادي وابنة أخي، لحقوا بي فأدركوني قرب القبر. فهناك بعد أن صلّيت، ووفيت نذري، أخذت من الأخ المولّج بخدمة الجثّة، قطعة من أثواب الأب شربل، وأحرقتها على طبقة علبة تنك، معدّة لخزن البرشان، وأذبت رمادها بالماء، على شبه ما تراءى لي بالحلم، وشربت الماء. وعدت إلى بيتي شاعرا بخفّة الألم، وعرّجت بطريقي على بيت ابنتي، مريم زوجة طانيوس بطرس موسى ابن أخي لأرتاح، فعرضت عليّ الطعام، وكنت من 17 يوما لا أستطيع قبول الطعام إلا نادرا، فقلت لها لا بأس أحضري، فقدّمت لي خبزا وطعاما، كوسى محشي. فأكلت رغيفا كاملا مع محشايتين. وتابعت طريقي لبيتي، والألم يخفّ رويدا رويدا حتّى المساء. فأكلت أكلا صحيحا، ولم أعد أشعر بالألم.

6- شفاء أب يوسف إهمج

أنا كنت مصابا بمرض في زلاعيمي، مدّة ثلاث سنوات ونيّف، وقد استعملت علاجات من الدكتور جرجي شكرالله، ونجيب بك الخوري وجبرائيل الطويلي، فكنت أحصل على بعض الراحة، وكان الوجع يعاودني، إلى أن أخذت خرقة من بدلة الأب شربل، ووضعتها في عنقي. وقد مضى عليّ ثلاث سنوات ولم أشعر بوجع قطّ. والخرقة لم تزل حتّى الآن في عنقي.

7- شفاء من مرض عينين (يو 9)

شهد يوسف ناصيف: أصابني وجع شديد في عيني، ورافقه احمرار فيهما، إلى أن صارتا مثل بركة دمّ. وعندما أفيق من النوم، كان العمص (ناتج عن إصابة بالرمد، وهو التصاق الجفنين بمادّة لزجة) في جفني يقبضها، فلا أستطيع أن أفتح جفني، إلاّ بالغسيل بالماء وأمّا نظري فبقي سليما. وكان الوجع والعمص يخفّان عنّي في شهور الشتاء. والألم، من أوّل الربيع إلى أواخر الخريف، كان يعاودني بشدّة، وبقيت على هذه الحال ثلاث سنوات. وكان يعالجني سابا طنّوس موسى، واستشرت نجيب بك الخوري الطبيب القانونيّ، فلم أستفد شيئا. فنذرت للقدّيس شربل إذا شفاني أقدّم له نصف ليرة سوريّة. وكلّ سنة أشتغل يوما مجّانا في رزق الدير، وأعطي شهادتي للجنة، بشفائه لي. ثمّ أتيت فزرته وغسلت عيني بماء غسالة يده، وأخذت الماء معي، وظللت نحو عشرة أيّام، أغسل عينيّ. فزال العمص حالا، وفارقني الوجع تماما، بعد عشرة أيّام. وقد مضى عليّ أكثر من شهر ونصف (**سنة 1926**) وما عدت شعرت بألم، ولكن لا يزال في عينيّ أثر الإحمرار.

8- شفاء مشلول

شهد موسى موسى: لي ابن خال يدعى جرجس ريشا، من إهمج، كان مصابا بشلل نصفيّ، وما عاد استطاع المشي، رغم وسائط الأطبّاء العديدة، مدّة سبعة أشهر. فطلب قطعة من أثواب الأب شربل، ووضعها على وسطه، فشعر حالا بتحسّن، وشفي تدريجيّا، والآن هو بملء العافية.

9- شفاء أخ بطرس جوّاد مشمش

حصل لي تيبّس وتشنّج في كتفيّ، حتّى لم أعد أستطيع أن أحرّك يديّ. فذهبت إلى ضريح رجل الله الأب شربل، وفتحت تابوته، وتناولت رقعة صغيرة أمررتها على يده الطاهرة، ثمّ على كتفيّ، فزال عنّي الألم تماما.

10- شفاء امرأة يوسف الخوري من عمشيت

شهد الأب يوسف إهمج: إن امرأة يوسف الخوري عمشيت، أصيبت بمرض عاصٍ، سبّب تشنّجا ويبوسة في أعضائها. فأخذوها إلى بيروت مرّتين أو ثلاثة، وألّفوا لجنة أطبّاء بدون جدوى. زرتها مرّة فأخبرتني بعدم جدوى الأطبّاء في مداواة مرضها. فقلت لها: أنا أرسل لك خرقة من كتّونة الأب شربل، ولي الأمل بشفائك. ففعلت وكانت هذه الخرقة الدواء الشافي كما قالت لي هي مع أهلها.

11- في نيويورك

ابتليت، بطرسية زوجة ناصيف سعادة من حصارات- جبيل، بمرض الكلي لازمها 7 اشهر في الولايات المتحدة، فأرسلت الى مستشفى مريم العذراء في مدينة ناتين ماس في نيويورك فاقامت فيها مدّة من الزمن ولم تحصل على الشفاء. لا بل قطع أطبّاء المستشفى الماهرون الأمل من شفائها. ففي ذات يوم وهي بضيق شديد خطر لها أن تنذر نذرا للقديس شربل لعلّه يزيل عنها مرضها الشديد فحالما نذرت هذا النذر شعرت براحة تامّة وعادت إليها عافيتها الأولى. وكان ذلك في 20\11\.1920

12- وكانت رقبته منحنية

شهدت فولة أرملة نعمة ديب من غوما في 15\8\1925: إن ابني نعمة الموجود حاليا في أميركا، عام 1902 كان في عمر الرابعة عاجزا عن المشي لارتخاء أعصابه وكانت رقبته منحنية لجهة الشمال ولا يستطيع الالتفات من جهة إلى أخرى. وقد رآه عدة أطباء منهم المرحومان الدكتور انطون بك خيرالله جران والدكتور أمين أفندي توما البترون، وقد بقي على هذه الحال دون أن يستفيد شيئا من علاجهما نحو 5 اشهر. وفي ذات ليلة سمعت في الحلم صوتا يقول لي: ادفعي لي ربع مجيدي حتى أشفي لك ابنك وإلا جهدك ما تحكميه ما رح يصح! وعندما نهضت في الصباح أخبرت الخوري بولس فارس من غوما وأخبرته بالحلم. فقال لي: يوجد راهب قديس في دير عنايا انذري له فيشفي ولدك. فنذرت له الربع مجيدي وطلبت منه شفاء ولدي فشفي في الحال واستقامت رقبته واشتدّ عصب رجليه ومشى لأوّل مرّة، فأخذته إلى دير عنايا لزيارة القدّيس شربل ووفيت النذر.

13- انتعش وبدأ بالرضاع

شهدت مرّة أرملة بطرس الغبري من إهمج في 10\9\1925: إنّ أقمت في بيت الخوري حنا شحاده من قرية مشمش بصفة مرضع لابن شقيقه. ففي ذات يوم أتينا بالولد إلى محبسة عنايا لأجل تنصيره في كنيستها وكان برفقتنا أم الولد ووالده وجدته وعمّه الخوري يوحنا المذكور. فبعد انتهاء حفلة تنصيره نزلنا من المحبسة إلى الدير لنتبارك من جثمان الأب شربل الذي كان أخرج من القبر حديثا. فلمّأ فتح تابوته واقتربنا منه شممنا رائحة غير طيّبة منبعثة من جثمانه. وبعد هذه الزيارة مشينا في طريقنا إلى مشمش، ولمّا ابتعدنا مسافة عن الدير مرض الولد فجأة وجمدت عيناه وأخذ يئنّ وامتنع عن الرضاع فخفنا عليه خوفا شديدا. فاستدرك عندئذ عمّه الخوري وقال لجدّة الولد: إنّ ما أصاب الولد هو بسببك ناتج عن قلّة إيمانك بقداسة الأب شربل وعن قولك: إنّ رائحة جسمه بشعة... فآمني بقداسته واطلبي منه شفاء الولد. فلمّا سمعت جدّته هذا الكلام سجدت على الأرض وبدأت تطلب متضرّعة إلى الأب شربل والدموع تتساقط من عينيها أن يشفى الولد ممّا ألمّ به ونادمة على ما فرط منها. ونذر أهل الولد للأب شربل نذرا طالبين إبراءه ورجع واحد منّا إلى الدير ووضع النذر وأتى ببركة من جثمان الأب شربل، فحالما وضعنا هذه البركة على الولد انتعش وبدأ بالرضاع كعادته وشفي.

14- جاد عليها ب3أولاد وبابنة

شهد يوسف عبود من إهمج 10\9\1925: بعد أن أخرج جثمان شربل من المقبرة، ذهبت امرأتي لزيارته وطلبت من الله بشفاعته أن يرزقها ولدا. فاستجاب الله طلبتها على يد صفيّه وجاد عليها ب3أولاد وبابنة.

15- امتنع عن الأكل

شهد حنا الحسيني في 15\11\1925: مرض أسد ابن ابنتي وهو بعمر 8 سنوات بمرض المعدة فضعف جسمه واصفرّ لون وجهه وامتنع عن الأكل. وبقي على هذه الحال نحو 9 أشهر، فأخذته ووالدته إلى إهمج لمعالجته عند سابا العويني فما وجدناه. فقالت أمّه: إنّي عدلت عن تطبيبه عند الأطبّاء وعزمت على تطبيبه عند القديس شربل. فسرنا إلى دير عنّايا وزرنا جسد القدّيس ووضعنا له نذرا على نيّة شفاء الولد. وبعد رجوعنا إلى بجّة ومضي بضعة أيّأم شفي الولد من ألم معدته تماما ولم يعد يشعر بأدنى ألم فيها ورجع يأكل كعادته.

16- مشيا على الأقدام

شهد طنوس لطيف من فتقا فتوح كسروان في1\7\1926: لما كان ولدي الياس مريضا بداء الصفيرة ومصابا بضعف المعدة وكان طبيبه الأخير الدكتور خليل كرم من غزير. ولما لم يستفد شيئا من العلاجات وكنّا بحالة قلقة من نحوه، وإذ كنت نائما نحو انتصاف الليل الخامس عشر من شهر كانون الثاني ألهمت بأن شفاء ولدي المذكور مقيّد بزيارة جثمان الأب شربل. فنهضت فورا من فراشي ونذرت بأن أحضر وولدي في اليوم الأول من شهر تموز المقبل إلى عنايا مشيا على الأقدام للتبرك من جثمان شربل. اخبرت ولدي بكل ما حدث معي وبشرته بقرب شفائه. وهكذا كان فإنه تماثل للشفاء حالا وفارقه المرض تماما. وإتماما لنذري حضرت وإيّأه في اليوم المعيّن إلى دير عنّايا.

17- فقدت السمع باذنها

شهد موسى غانم من لحفد مدير قضاء جزين في 29\9\1926: حوالي سنة 1900 اصيبت شقيقتي مرتا وهي بعمر 8 سنوات (وهي اليوم في اميركا) فأصابتها صدمة في احدى اذنيها وبسببها فقدت السمع باذنها هذه تماما. عرضتها على بعض الأطباء ولم تستفد من العلاجات. فطلبت مني شقيقتي ان أرسلها لزيارة القديس شربل. وفي حال وصولها الى الموضع الموضوع فيه جثمان شربل ودخلوها الباب شعرت بطنين قوي في أذنها المصابة وبالحال عاد اليها سمعها.

18- فرزقه ولدا

شهد الأب بطرس زهرة في 9\10\1926: إن يوسف بطرس ابي ناصيف من ميفوق بقي لم يرزقه الله مدّة 13 سنة بعد زواجه. فنذر لرجل لشربل فرزقه ولدا سماه نعيم وفي العماد شربل.

19- بعد ربع ساعة

شهدت مريم بركات من يحشوش في 17\10\1926: نبت لابني وديع، وهو بعمر السنتين والنصف، خراج في عنقه، فأتت به أمه هذه إلى دير عنايا لزيارة الأب شربل. وبعد وصولي مع حماتي إلى الدير أخذ أحد الرهبان ولدي وأدخله ودهن عنقه من جسم شربل. وبعد ربع ساعة أرجعه إليّ معافى حتى اني لم أعرف المحل الذي كان فيه الخراج.

20- فخاف أهلي على حياتي

شهدت ديبة زوجة نعمةالله ابراهيم من لحفد: مرضت على أثر ولادتي ابني اسطفان سنة 1926 بمرض حمّى النفاس التي لازمتني مع السعال وضيق الصدر، فلم أعد أقوى على التنفس وبقيت على هذه الحال نحو شهر، فخاف أهلي على حياتي واستعملوا لي علاجات ووسائط لم أستفد منها. فنذرت أخيرا لشربل وانقطعت عن تناول الدواء فشعرت بالراحة، ولم يمضِ علي اسبوع حتّى قمت لأشغالي. وقد حضرت لزيارة شربل أدب على يديّ ورجليّ فقدّمت نذري وشكرت الله.

ثالث عشر: آثار شربل

1- مِسْحُ شربل وماء مصلّى عليه

شهد الأخ بطرس مشمش: أخذتُ المسح الشعريّ الذي كان يلبسه في المحبسة، ووزَّعت منه بركات حدث بواسطتها عدّة حوادث من شفاء أمراض مختلفة! ويؤكّد عيد نكد: عندنا ماء مصلّى عليه منه في حياته، لا نزال نتبرّك منه حتّى اليوم، وهو محفوظ ككَنْز ثمين في بقاعكفرا.

2- إهمال فادح!

شهد الأب يوسف إهمج: لا يوجد من ثيابه الرثّة التي كان يلبسها، أو من البلاس الذي كان ينام عليه شيء. هذه كانت كلّ آثاره وثروته في الدنيا. وأمّا غرفته في الدير، التي يذكر بعض الرهبان الشيوخ، أنّها كانت مخصّصة له، فهي مهجورة يوضع فيها الحطب والأغراض القديمة، وحالة الإصطبل أنظف منها. وأظنّ إذا دخلتم إليها، تسخرون منّا لقلّة اكتراثنا بذكر القدّيس شربل. وصومعته في المحبسة لا أظنّها أحسن حالة من هذه.

ويضيف الأخ بطرس ميفوق: لا ذكر له لا في الدير ولا في المحبسة، ولا اسم، ولا حُفِظ من ثيابه. ولا أحد يعرف أنّه كان مقيما في الدير، أو في المحبسة، إلاّ الرهبان الذين عاصروه وسمعوا به. أمّا في هذه الأمكنة، فلا اسم له وجثمانه المحفوظ هنا، لا يعرفه إلاّ الذين عرفوه حيّا وميّتا. ويؤكّد الأب نعمةالله مشمش: لولا الشيعيّون، لربّما ما كان تنبّه الرهبان بالكفاية. وجلّهم بسطاء، وهم وأنا في أوّلهم مقصّرون، في حقّ الأب شربل بتأخيرنا إلى اليوم في الفحص عن فضائل الأب شربل السامية، وعجائبه المشهورة. ومن دلائل تقصيرنا، أنّا لم نحفظ شيئا من ثيابه، ولا غير ذلك.

3- بركات

شوّه الزوّار قسما من اليدين والأظافر، إذ كانوا يَنْزعون منها بركة يحملونها معهم. وشعر رأسه ولحيته لم يبقَ منه إلاّ القليل، إذ أخذه الزوّار أيضا، فما كان يزوره واحد، إلاّ وينتف قليلا من شعره، ليأخذه بركة!

ويقول الدكتور جورج شكرالله: طلبت من الرهبان بركة من هذا القدّيس، لمزيد احترامي له، فأعطوني قطعة قماش من الثوب الذي يمسّ جسمه في التابوت، وعليه بعض بقع من المصل الراشح. والزوّار الذين يطلبون بركة، يعطون قطعا من هذا الثوب - الذي يضطر الرهبان لتغييره كلّ أسبوع على الأقلّ- بعد الإلحاح الشديد، أو من رقاقيع يلمسون بها جسمه، أو قليل من الماء من غسالة يده، أو من بخّور الكنيسة.

4- الزوّار

جاء الزوّار الرسوليّون[18] فلمّا رأوا الجثّة، تعجّبوا وقالوا: إنّهم لم يروا مثلها قطّ. وركعوا عند التابوت وصلّوا. والزوّار العاديّون كانوا يجثون عند تابوته ويصلّون، وكان الرهبان أحيانا يتضايقون من الزوّار، إذ إنّ الاهتمام بهم، وبضيافتهم في هذا الدير المنفرد، كان يكلّفهم اهتماما خاصا ونفقات.

رابع عشر: الدكتور جورج شكرالله

1- دهشتُ!

أنا لمّا رأيته، لأوّل مرّة، دهشتُ، حيث لم يمرّ أمامي، كطبيب، حادث كهذا، ولا سمعت بمثله قطّ، ولا قرأت في كتب الطبّ عن حادث مثله. كذلك فحصتُ من ذاتي مندفعا بعامل الرغبة العلميّة، لعلّي أهتدي إلى سرّ حالة هذه الجثّة. وجدتُ إذ فحصتُ كلّ الجثّة أنّه غير بال، وأنّ بعضا من عضلاته بقيت على حالها الطريّة. وقسما من مفاصله ليّنة تطوي، وأنّ قسما من شعر رأسه ولحيته لم يزل موجودا، رغما عمّا نزع منه، ممّن كان يأتيه زائرا قصد البركة. أمّا باقي أعضائه، فإنّي لم أرى مفقودا منها سوى عينيه التي تعطّلت بسبب المياه، التي كانت تتساقط

[18] الآباء غليادور وغالان وفرنسيس ماريّا، وكانت منوطة بهم الزيارة الرسوليّة على الرهبانيّة.

حينما كان في المقبرة. وهذا التعطيل، هو بالأحرى تشويه. ولمّا فحصتُ البطن ألفيته كباقي بطون الجثث، لم أرى فيه تشويها ظاهرا، ولا شعرتُ بأنّه فتح. غير أنّه جفّ قليلا من مرور الزمن عليه.

2- البلازما أو مصل القروح (لو 44/22)

والأغرب من كلّ ذلك، الأمر الذي حيّر عقلي، وهو أنّي نظرتُ بعيني بُقَحا على ثيابه البيضاء، هي متسبّبة عن مادّة لزجة نضحت من مسام جسمه، لونها وسماكتها، لون وسماكة المصل الطبيعي، الذي ينضح من الأجسام الحيّة التي تعتريها القروح. وهذه المادّة نفسها، بعد خروجها من المسام، رائحتها كرائحة المواد المصليّة، التي تَنْزف من الجسم بداع مرضي كداعي الأمراض التي تعتريه.

ولم تكن تتصاعد منها رائحة كريهة، بل رائحة عفونة. وكانت الجثّة طريئة كأنّها ساعة موت الأب شربل. وكانت ترشح عرقا، فكنّا نمسح فوطا على الجثّة، ونبقيها معنا بركة. وملأ العويني حنجورا من العفونة والعرق وبقي الناس، عندما عرفوا أنّه معه حنجور فيه بركة من جثّة الأب شربل، يأخذونه ويستشفون به عند حلول مرض ما.

3- لغز الجثة!

سأله محامي الإيمان: هل يمكن لأسباب طبيعيّة، كشدّة البرد، وكثرة الماء. أو لأسباب سابقة للموت، كانقطاع الناس عن أكل اللحوم، والإقلال من الأكل، وإماتة الجسد، والاقتصار على البقول من الطعام، أن يسبّب شيئا من ذلك في الجثّة بعد الموت؟

أجاب: ما اختبرت بذاتي، ولا قرأت، أنّ هذه العلل توجد في الجثّة مثل هذه العوارض. فإنّي بعدما فحصت هذه الجثّة، سألت أطبّاء قادرين في بيروت، وفي أوروبا، إذ سافرت مرّات. وما أحد استطاع أن يفيدني شيئا، فهذه الحادثة فريدة، لم يقع مثلها، تحت يد طبيب ما، ولم يقدر أحد أن يفيدني عمّا إذا كانت حادثة نظيرها قُيّدت في التاريخ الطبّيّ. وإنّي لم أزل أُنَقِّب للوصول إلى معرفة حادثة، جرت في العالم، تشير إلى وجود جثّة حفظت حالتها كهذه.

4- مستحيل!

وسأله أيضا: أتعتقد أنّ حالة هذه الجثّة طبيعيّة، أو فائقة الطبيعة؟ أو لا تظنّ أنّ أحد الرهبان الماهرين، قد توصّل إلى اكتشاف دواء يحفظ هذه الجثّة؟

فأجاب: إعتقادي الشخصيّ المبنيّ على الدرس والاختبار، بعد أن فحصتها مرّة ومرّتين كلّ سنة، منذ 17 سنة تقريبا (سنة 1909) هو أنّ هذه الجثّة محفوظة بقوّة فائقة الطبيعة. وأمّا أنّ أحد الرهبان قد يكون اكتشف دواء لحفظها على هذا الشكل فأجيب أوّلا: إنّه لو صحّ ذلك لاستحقّ ذلك المكتشف هذا الاكتشاف الغريب، إعجاب العالم العلميّ وإكرامه. ويكون فاق العالم باستور، داهية الطبّ. لأنّ علماء الطبّ يبذلون قصارى الجهد، لكي يكتشفوا دواء يحفظ الجثث، ولم يتوصّلوا إلى ما يحفظها سليمة بلا رائحة كريهة أكثر من أسبوعين. وأمّا الرشح الحاصل في هذه الجثّة، فما خطر على بال أحد من العلماء في الطبّ أن يفكّر فيه. فضلا عن أنّ مثل هذا الاكتشاف، يستحيل مع وجود الرشح. من المعلوم، أنّ في الرجل الحيّ السليم مقدارا من الدمّ معدّله خمس ليترات. ومعلوم أيضا أنّ من هذه الكميّة، لا يوجد مصل، أعني مادّة قابلة الارتشاح، إلاّ ثلاث ليترات، بمعدّل الستّين في المئة. وأمّا الأربعون الباقية، فهي ما بين أملاح وكريات دمّ، وموادّ جامدة. فإذا قيل، إنّ ما ترشحه الجثّة هو المصل الطبيعيّ الذي بقي في الجسم بعد موته، وإذا تعدّل أنّ مسامّ الجسم تفرز غرامين أو غرام كلّ يوم، فتكون كمّيّة المصل المفروز، فاقت كمّيّة المصل المحفوظ في جسمه، وقت مماته. كما يجب أن تنتهي بعد مرور ثماني سنوات من موته، هذا إذا اعتبرنا أنّ المصل الراشح يحفظ جميعه، ولا يتبخّر منه قدر ما يكون محفوظا. فالذي لاحظته على الجثّة، من هذا المصل الراشح يوميّا لا يقلّ عن غرام. وأنا أقول إنّ المصل الذي يرشح يوميّا من جثّة الأب شربل يستحيل أن يكون غراما واحدا فقط، لأنّ الكميّة التي نراها على جثّته، لو كانت غراما واحدا، لما كانت ظهرت بهذه الغزارة.

وأجيب ثانية: أنتم أدرى منّي بمقدار تهذيب الرهبان الطبّيّ الفنّيّ، وخصوصا رهبان هذا الدير، الذين يصرفون نهارهم في الحقل، لا يعرفون غير الصلاة والشغل اليدويّ. وأنا أعتقد أنّ بساطة الرهبان، وقلّة إكتراثهم، وعدم إعتنائهم بحثمان الأب شربل، كان كافيا وحده لجعله يبلى، لو لم يكن هناك قوّة فائقة الطبيعة.

وقلت أيضا إنّي في الحرب شاهدت أناسا ماتوا جوعا، بعد أن صرفوا أيّاما طويلة دون أن يقتاتوا بشيء. وكانت أجوافهم فارغة يابسة، ولم يمضِ على موتهم سبع ساعات، حتّى دبّ الفساد فيهم. كذلك من المرضى في

الحمّى، الذين يعيشون قدر 25 يوما على الماء فقط، والماء يفرزه الجسم، ومع ذلك بعد موتهم تفسد أجسامهم بعد بضع ساعات. والبرد يساعد على الفساد مع المياه والرطوبة والهواء. والتعرّض للحرارة كذلك. فجميع هذه العوامل، لا تكون سببا لعدم الفساد بل سببا له. وجميع هذه العوامل إجتمعت على جثمان الأب شربل. ولو فرضنا أنّ الرهبان اهتدوا إلى طريقة التحنيط المصريّة القديمة، من أين لهم أن يجعلوا هذه الجثّة ترشح مصلا. وأقول بكلمة واحدة، إنّ جثمان الأب شربل محفوظ بقدرة إلهيّة، وإنّي مستعدّ أن أدفع جائزة عشرة آلاف فرنك -وهو مبلغ كبير بالنسبة لاقتداري- لمن يستطيع أن يحفظ جثّة في حالة كحال هذه الجثّة.

5- غير ممكن طبيّا!

وسأله محامي الإيمان: ألا يمكن أن يتسبّب هذا الرشح من حقن مصليّة تحقن بها الجثّة؟

فأجاب: هذا أمر لا يمكن وقوعه طبيّا. لأنّ هذا المصل يكون في جسم الإنسان، ولا يمكن تركيبه في الصيدليّات. فأنا قد درستُ الصيدلة قبل الطبّ، ومارستها مدّة من الزمن، ومعي شهاداتي القانونيّة من مدرسة ليون. فمن هو الإنسان الذي يعطي دمه مدّة 27 سنة، ليحقن بمصل هذا الدمّ حثمان الأب شربل. زيادة على ذلك، فإنّ عمليّة فرز المصل عن الدمّ لا يمكن أن يقوم بها غير إختصاصيّين، عندهم جميع الأدوات اللازمة، لتحضير هذا العمل. فلو تمّ ذلك، ما كان يمكن أن يبقى سرّا. ومَن مِن الرهبان الذين تعرفون بساطتهم، يستطيع لو حصل على هذا المصل، أن يستعمله. ولنحسب أنّ كلّ ذلك توفّر، فإنّه يستحيل حقن الجثث، بعد مرور 27 سنة[19] على الوفاة، بل يستحيل بعد شهر، لأنّ العروق والأوردة التي تمرّ بها الحقنة، تتصلّب بعد الوفاة بقليل، ويستحيل أن ترشح، لو أدخلت في طريقة من الطرق، لأنّ المسامّ مسدودة.

6- يؤخِّر الفساد فقط!

وسأله أيضا: هل تجويف الجثّة بنَزع القلب والمعلاق فقط ينتج عنه مثل هذه الحالة أو ماذا ينتج عنه؟ أجاب: نزع القلب والمعلاق، لا ينتج عنه شيء من هذا. إنّ نزع الأمعاء التي يبتدئ فيها الفساد، يؤخّر الفساد إلى حين.

خامس عشر: فحوصات أخرى

1- الكلس الحرّاق!

استدعي، الدكتور نجيب بك الخوري، ليفحص هذه الجثّة، قبل سنة 1910. ففحصها وأمر أن يوضع تحت القدمين إذ كانت موضوعة في خزانة، منتصبة على القدمين، كلس حرّاق، قصد امتصاص الدمّ الراشح والمادّة الناضحة وتجفيف الجثّة، ففعل الرهبان. وبعد حين عاد هذا الطبيب الذي لم يكن وقتئذ مارونيّا إلاّ بالاسم، فوجد الجثّة على حالها. فأمر بأن يرفع الكلس من تحت القدمين، وقال: وضعت الكلس لإعتقادي أنّه يُفسِد الجثّة، ولكن أرى هذه الجثّة محفوظة، بقوّة لا تصل إليها المعارف الطبيعيّة العلميّة. ولا شكّ أنّ لقداسة الأب شربل يدا في ذلك.

2- غير موجودة في قانون الطبّ

شهد الأب يوسف إهمج: عام 1910 عيّنت رئيسا لدير مار مارون عنّايا، وكان جثمان الأب شربل في زاوية الكنيسة في تابوته. وإذ كان رشح السائل لا ينقطع، إستدعيت الدكتور جورج شكرالله، الذي كان صديقا لي، وجارا لبيت والديّ. والدكتور نجيب بك الخوري من إهمج، والدكتور واكيم نخلة من جبيل، ودكتور أرمني آخر وجميعهم قد توفّاهم الله. إستدعيت هؤلاء الأطباء إلى دير مار مارون عنّايا، وعند حضورهم نقلوا الجثمان إلى غرفة من غرف الدير قرب الكنيسة. ووضع على شرشف فوق طاولة، وفحصه كلّ منهم على حدة. وكان في الغرفة مع الأطباء، سابا وأنا. ثمّ فتح الأطبّاء جثمان الأب شربل من كعب الصدر إلى الصرّة ليروا سبب رشح السائل، وبعد أن دقّقوا في داخله عادوا فألبسوه ثيابه. وخرجوا وقد سمعتهم يتحدّثون عن المادة التي ترشح من جسمه. فقال الدكتور شكرالله: إنّي أقدّم مبلغ خمسين ليرا عثمانية، لمن يبيّن لي ما هي هذه المادّة التي ترشح؟ وما هو سبب رشحها؟ فأجابه الدكتور نجيب بك الخوري: أنا لا أعلم. وكذلك أجاب الطبيب الأرمني. ومن سؤالي لهم كان جوابهم أن هذه الحالة غير طبيعيّة، لا نستطيع أن نعطي عنها جوابا فنّيّا. وأحدهم جورج شكرالله قال: لا تسألنا عن أشياء سماويّة غير موجودة في قانون الطبّ الأرضيّ.

3- الدكتور الياس العنيسي

[19] من وفاة شربل سنة 1898 إلى شهادة الدكتور شكرالله سنة 1926.

شاهدتُ في دير مار مارون عنّايا جثّة الأب شربل. فعند اقترابي من الصندوق الموضوعة فيه شممت رائحة جسميّة لا يمكن التعبير عنها، فهي نظير كلّ رائحة منبعثة من الأجسام الحيّة. وبعد نظري إلى الجثّة والتأمّل مليّا وإمعان النظر بها وجدتُ مادّة خارجة من مسامّ الجسد، الأمر المستغرب والغير الممكن تعليله طبيعيّا في جسم بلا حراك من سنين عديدة. وراجعتُ الكشف على الجثّة مرارا عديدة بأوقات مختلفة ولم تزل هي هي. تحريرا في 1926/10/16.

4- فحوصات سنة 1927

فُحِصَت الجثّة، فوُجِد أنّ لونها في مجموع الجثمان أحمر مصفرّ، والجلد يابس في القسم الأكبر، غير أنّه طريّ في بعض أقسامه كاليد والظهر. العضلات ممتصّة، وامتصاصها يظهر جليّا تحت الجلد الذي يغطّيها. والجلد، فإن يكن قاسيا، فإنّه ينضح مادة لزجة، لونها كلون المصل الجامد، ورائحتها كرائحة المصل المايل إلى الفساد، كأنّ هذه المادّة تفسد بعد خروجها من المسام الغير المنظورة، ولا يزال موجودا في الصدر والذقن والرأس، وفي اليدين أيضا، وفي كافّة الأقسام التي ينبت فيها شعر، كميّة من الشعر غير قليلة، والشعر الذي كان وقت حياته. وهذا الشعر متمسِّك في جسمه، متمكِّن كما في جسم الحيّ. والعنق تظهر أقسامه من عظام وغضروف وجلد، كما في الأجسام الميّتة، قبل أن يدبّ فيها فساد. والعينان والأنف متشوّهة قليلا، بفعل سقوط الدلف من سقف المقبرة، حيثما كان محفوظا بها. والعظام محفوظة جيّدا حتّى الأظافر، كما في الأجسام الحيّة. ويظهر جليّا من تحريك البعض من أعضائه، أنّ المفاصل لا تزال تتحرّك وتطوي، متى حرّكت وطويت. والصدر والظهر لا يزالان بهيئتهما كما يكونان بُعَيْد الموت. والبطن ضامر، ويوجد شقّ مستطيل من أسفل الضلوع حتّى الفخذ الشمالي، بطول 20سم وعرض10سم. وهو شقّ فُتح اصطناعيّا بيد بشريّة. وعلى البطن محلّ الزنّار، يوجد أثر لزنّار حديديّ اللون، وظاهر بأكثر من لون الجثّة، ربّما يدلّ على أنّ الأب شربل كان يتمنطق في حياته بزنّار من حديد. وأعضاء التناسل لا تزال ظاهرة. ويوجد أثر تكلكل على الركبتين، يدلّ على أنّه كان يركع كثيرا عليهما. ويوجد في أخمص الرجلين، وفي اليدين خصوصا اليسرى، وهي الأقسام المعرّضة للنظر واللمس تخديش وتنسير في الجلد، يظنّ أنّها منتثرة بيد بشريّة. واللحم الظاهر تحت التنسير أبيض ضارب إلى الحمرة الفاتحة. وفي أسفل الجمجمة ثقب طوله 4 سم بعرض 1سم مقصوص بالسكين. وكلّ تشويه بالجثّة هو فعل يد بشريّة، ما عدا العينين والأنف، فتشويههما بسبب وكف المياه، بعد تكبير الشقّ الذي أجراه الدكتور جورج شكرالله في البطن من الشمال إلى اليمين، ومن الوسط إلى جهة الرأس في الصدر، فُتِح الجوف فوجد أثر قليل لأحشائه، أمّا الأمعاء والكرش والمعلاق فهي منتزعة لا وجود لها. أمّا النسيج الجلدي وما تحته، فلا يزال مرنا طريّا، محفوظة طبقاته الطبيعيّة. وفتح هذا النسيج أمام اللجنة، فشاهدت طبقاته سليمة كأنّها طبقات نسيج حيوان ذبح من يومين، ولم يفسد.

سادس عشر: حتّى العام 1950

1- دفن الجثمان

سنة 1927 وضع جثمان الأب شربل في القبر، بأمر من الكرسيّ الرسولّي، وقد تمّ ذلك ضمن الجدار الداخليّ للدير، في الطابق السفليّ، في جانب البوّابة للجهة القبليّة، في قنٍّ للدجاج سابقا، بعد أن طيّنت حيطان السرداب الأربعة الداخليّة بمجبول الكلس والرمل، تغشّت بورقة من الترابة الإفرنجيّة، وغطّيت أرضه بقشرة من الترابة نفسها وبيّضت الحيطان والسقف بالكلس، وصار السرداب قبرا جديدا. وبقي هناك من سنة 1927 إلى نيسان 1950. وكتب على القبر في الحائط هذه العبارة فقط: هذا ضريح الأب شربل.

2- منديل القدّيسة فيرونيكا

صدر أمر من قدس الأب العام يومها، أن يفتح باب للكنيسة ويُسمح للنساء بالمرور عبره إليها - لأنّه كان محرّما على النساء الدخول إليها من قبل- طلب إليّ الأب الرئيس بطرس أبي يونس أن أقوم بأعمال الحفريّات تجهيزا لإنفاذ الأمر وكان ذلك في بدايات شهر شباط سنة 1950.

وفي نفس الوقت، رأى بعض الزوّار، رطوبة في أسفل الجدار الذي ضمّنه التابوت، فنبّهوا رئيس الدير. فخاف رئيس الدير والرهبان أن يكون تسرّب إلى القبر ماء من المطر، أو من السطح، فيضرّ الجثمان. فأتى الرئيس برفقة عمنايل عمانايل، الساعة العاشرة ليلا وبدأوا بالحفر. سأل عمنايل عمنايل الرئيس: ما رأيكم إن حفرتُ لأعاين ما يوجد تحت القدّيس؟ فأجابه: إفعل ما يحلو لك.

يشهد عمنايل: بدأتُ بإخراج الحجارة، ونحن أساسا بدأنا المشروع بحجّة التحقّق ممّا إذا كانت الرطوبة قد ألحقت الضرر بقبر القدّيس وجثمانه. رفعتُ بعض الأحجار وفتحتُ القبر، نزلت والقنديل في يدي، فوجدتُه ناشفا من كلّ جهاته، ووجدتُ الماء يرشح من التابوت وقد استحال منه بِرْكَة. ووجدتُ الجثمان والأثواب كلّها مبلّلة بالماء. ووجدتُ التابوت مهترئا، والماء هو عرق الجثمان، وقد تجمّع في التابوت، وأكل الزنك فانثقب واندلق الماء إلى الخارج، فرشح من الحائط، وشاهده الناس. طلبت من الرئيس أن يأتي بوعاء العماد من الكنيسة مع بعض الرقع من القماش. وبان لي إنسان!! أجل إنسان!! رجل ميت! يد طبيعيّة ليّنة، فتجرأتُ وقبّلتها! وكانت اليدان ترشحان ماء وكأنّي به إنسانا حيّا يعرق، أنا أمسح عرقه وهو يزيد عرقا وتصبّبا! وقطعتُ من لحمه ما يقارب العشرين سم بعرض خمس، طمعتُ فاقتطعتُ خزعة أخرى أقصر من السابقة ووضعتُها في جيبي، وانتزعتُ من فمه نيبين وسنّا. ثمّ أتى الرئيس **ومسح وجه ويدا شربل بقطعة قماش أبيض فانطبعت صورته عليه**. وقفّلنا القبر.

وفي اليوم التالي ذهبنا إلى بيروت وأطلعنا الرئيس العام العنداري على ما قمنا به، فلام الرئيس على عمله هذا دون إجازة السلطة. فاعتذر قائلا: إنّه لم يكن له قصد إلاّ معرفة من أين يأتي الماء؟ خوفا من أن يأتي من الخارج، فيفسد الجثمان. وأعلم الرئيس العام لجنة التحقيق بما فيها محامي الايمان الخوري منصور عواد بما جرى. وفي اليوم التالي هرع الناس إلى عنّايا بشكل جنونيّ، لم نعرف كيف عرف هؤلاء بما جرى، وبالآلاف، لزيارة جثمان الأب شربل، وجرت عجائب وأشفية كثيرة بشفاعة الأب شربل ذكرتها الجرائد وتسجّلت في سجلاّت الدير. ومن يدخل الدير اليوم يرى قرب البوّابة غرفة مليئة بالعكّازات التي تركها العرج الذين نالوا الشفاء بشفاعة الأب شربل دلالة على شفائهم عرفانا بالجميل.

3- كفن السيّد المسيح

يشرح الأباتي العنداري: عندئذ قدّمت عريضة إلى السيد البطريرك أن يعيّن لجنة للكشف على الجثمان. فتعيّنت لجنة من الدكاترة: يوسف الحتّي وشكري ميلان وتيوفيل مارون. وفي 22 نيسان من السنة ذاتها 1950، حضرت اللجنة وهيئة الرئاسة العامّة أي الرئيس العام والمدبّرون، والمطران عقل النائب البطريركي، واحتشدت جماهير غفيرة، دون أن نعلم كيف تسرّب إليها الخبر. وكان محامي الإيمان الخوري منصور عوّاد حاضرا ففُتِح القبر، وأخذوا التابوت إلى الكنيسة، وفتحه الأطبّاء أمام من ذكرناهم، فوجدوا الأثواب كلّها، والفراش الذي كان موضوعا عليه الجثمان، والمخدّة، وبدلة التقديس كانت كلّها مبلّلة. وبعضها مهترئ، وهي كلّها محفوظة في دير مار مارون. وقد تحقّق الأطبّاء بأنّ الماء الذي بلّل الجثمان، وكلّ ما في التابوت لم يكن من الخارج، بل كان مصدره جثمان الأب شربل. فقطعوا قطعة صغيرة من الجثمان يصير فحصها في المختبر الطبّيّ. ووضعوا محضرا دقيقا بكلّ ما شاهدوا وعاينوا. وبعدما رفعوا الجثّة، التي وضعوها عارية على شرشف لفحصها، **وجدوا ملامح جسم القدّيس على الشرشف، كما انطبعت صورة السيّد المسيح على الكفن لحظة القيامة**.

4- ماذا وجد في القبر وفي التابوت؟

وُجد الجثمان يعرق. الدم الأحمر يتجمّع على الجثمان نفسه ثم على أثوابه الكهنوتيّة، والدم الأبيض يتجمّع في التابوت إلى أن غمر الجثمان والأثواب، وامتلأ منه التابوت إلى ما فوق كتفي الجثمان فاهترأ قسم من بدلة القدّاس وعلا الصدأ البوق الذي وضع فيه المحضران واهترأ أيضا قعر التابوت الخشبي ومن ثمّ قعر التابوت الزنكي الخارجي وانشقّ هذا تحت رجلي الجثمان وفاض منه الدم الأبيض على الحجر الذي تحت القدمين من الجهة الغربيّة وسال على مصطبة أرض القبر من الجهة الغربيّة وتجمّع على الجدار الغربي ومنه تسرّب إلى الخارج. والدم الأسود متجمِّع على جلد الجثمان جميعه متجمِّد عليه والجثمان لا يزال طريّا في داخله وإنّ اليدين والرجلين تنطويان على المخالع.

5- معاينة الجثمان وإقفال القبر

بعد الكشف على الجثمان ألبسوه أثوابا جديدة، وحلّة تقديس غير التي كانت عليه. وأرجعوه إلى التابوت نفسه، وإلى القبر، وسدّوه بالحجارة والإسمنت، بعد أن كانوا ختموا التابوت بالشمع الأحمر، ووضعوا الأثواب التي كانت عليه عند محامي الإيمان كوديعة، مع قسم من التراب الذي كان مجبولا بالسائل الذي كانت تفرزه الجثّة. وفي شهر آب 1950 أعادوا فتح القبر، والكشف على الجثمان أمام لجنة إكليركيّة، مؤلّفة من المطران بولس عقل، ومحامي الإيمان الخوري منصور عوّاد، والخوري (المطران) عبدالله نجيم ومن الأبّاتي العنداري الرئيس العام، ومن مجلس المدبّرين وجمهور من الكهنة والرهبان، وأمام لجنة الأطبّاء المؤلّفة من الأطبّاء السابقين في اللجنة السابقة ومعهم الدكتور مرشد خاطر عميد كلّية الطبّ في دمشق، ودكتور أرمني جاء خصّيصا من مصر ليشهد هذا الكشف، ومن الدكتور الياس خوري الذي كان وزير الصحّة آنذاك، وغيرهم من الأطبّاء. وكان حاضرا أيضا،

قائمقام كسروان توفيق حيدر، ومرافق رئيس الجمهوريّة سابقا منصور لحّود وعقيلة رئيس الجمهوريّة السابق السيّدة لور خوري وغيرهم. وبعد أن أقسم أعضاء اللجنة اليمين في معبد الدير، فتحوا القبر أمام هذا الجمهور، وأخرج التابوت، ودخل الأطبّاء القبر يتقدّمهم الدكتور مرشد خاطر، وفحصوا الجدران، فتحقّقوا من أنّها ناشفة، ولا سبيل لدخول المياه إلى القبر منها. إنّما وجدوا رشحا سائلا، بلون الخمر، تحت التابوت من جهة الرجلين. ففتحوا التابوت، فوجدوا ثياب الأب شربل، والبدلة التي يتّشحها، والفراش الذي كان تحته مع الوسادات كلّها مبلّلة بالسائل الذي كان ينضحه جثمانه، وعلى إسكيمه نوع من العفن. أمّا الجسم فكان لا يزال، كما وضعوه، على سلامته. وبعد أن قطع الدكتور تيوفيل مارون قطعة صغيرة من صدر الجثمان ووضعها في حنجور زجاج، كان يشاهد عليها من جهة القطع قطرات سائل العرق الدمويّ، وشاهد ذلك كلّ أعضاء اللجنة وجمهور من الحاضرين. وعلى أثر ذلك ألبس الجثمان أثوابا وبدلة جديدة. وضع تحته فراش ووسادات جديدة أيضا. وختم التابوت، وأعيد إلى القبر الذي سدّ كما كان. وقد نظِّم محضر دقيق بكلّ ما تقدّم، وقّعه الأطبّاء واللجنة الإكليركيّة. وقد وضعت، نسخة عن هذا التقرير في التابوت، والثانية استلمها محامي الإيمان. وعندما فُتِح القبر في 23 نيسان سنة 1950، وُجِد الظرف المعدني الذي كان وُضع فيه التقرير عن حالة الجثمان عند دفنه سنة 1927 مهترئا. وعندما لُمِس، تفتّت. أمّا التقرير نفسه فكان لا يزال سالما، ما عدا بعد أطرافه التي كانت ملوّثة، ومصبوغة بلون كستنائيّ نتيجة وصول العرق إليها.

6- عرض الجثمان وزيارات

عندما نقل للمرّة الأخيرة، بأمر السلطات الكنسيّة، سمح بعرضه. فزاره بطرك السريان الكاثوليك الكردينال تبّوني والكردينال أغاجانيان وفريق كبير من إكليروسهما؛ ومطارين والمطران نجيم وعقل وباقي مطارين الطائفة المارونيّة. والبطرك أنطون عريضة واحتفل بالذبيحة الإلهيّة في محبسة مار بطرس وبولس نهار عيدهما.

وتوافدت الجماهير عديدة من كلّ طبقات المجتمع كبارا وصغارا أمّيّين ومتعلّمين مسيحيّين وغير مسيحيّين من لبنان والدول العربيّة ومن أوروبا وأميركا وأطراف المعمور كافّة، إلى زيارة ضريحه. وقسم كبير من الزوّار هم من المرضى بأمراض متنوّعة، ومن المصابين بعاهات ومشاكل، ويحتاجون إلى العون والمساعدة الإلهيّة. ومن جملة الزوّار الرئيس بشارة الخوري ووزراء ونواب ورجال دولة، ومن كلّ المذاهب المسيحيّة وغير المسيحيّة. ولا تزال الوفود تتوارد إلى زيارته وخصوصا في أيّام الأحاد والأعياد مدفوعة باعتقادها بقداسة الأب شربل، وفعاليّة شفاعته بالنسبة للأشفية العديدة التي أجراها الله على يده.

سابع عشر: صورة شربل

1- راهب شفّاف الجسم!

شهد الأخ الياس نوهرا إدّه: نهار الإثنين في 8 أيّار سنة 1950، يوم عيد مار يوحنّا الإنجيليّ، شفيع جمعيّتنا، توجّهت بأمر رئيس مدرسة الرسل جونيه، المختصّة بجمعيّة المرسلين الأب (المطران) يوسف مرعي، إلى زيارة دير مار مارون عنّايا، برفقة الأب بطرس شلهوب، والأب ساسين زيدان، وجمهور الإخوة الناذرين والمبتدئين والطلبة من أبناء جمعيّتنا المرسلين اللبنانيّين مع الخدم، وعددهم 40 شخصا، وكنّا في أوتوبيس المدرسة. فوصلنا إلى دير مار مارون عنّايا الساعة الثانية عشرة. فزرنا الكنيسة وضريح القدّيس شربل وزرنا الدير. وكان الحشد كبيرا، وعدد المرضى والمبتلَين بعاهات كثيرة كبيرا أيضا، والصلوات في الكنيسة متواصلة، والجماهير في زحمة تشارك في الصلوات بإيمان وحرارة. ونحن زيّحنا مار مارون، ثمّ القربان المقدّس. وبعد ذلك صعد قسم منّا إلى محبسة مار بطرس، وأحببت أخذ صورة شمسيّة لبعض الإخوة الذين كانوا برفقتي: المبتدئ يوسف أنطون من عبرين، وإلى يمينه الطالب حنّا غصن من دار بعشتار وورائه شجرة ملاصقة للمحبسة، وإلى يمينه فتى كان في زيارة المحبسة قال لنا أنّه من حوقا يدعى يوسف طنّوس، وإلى يمينه الأخ بولس يزبك من قرطبا وقد جلس أمامه الأب الياس أبي رميا إهمج، وكيل المحبسة. وقد التقطت لهؤلاء الأشخاص صورة شمسيّة بآلة تصوير ماركة "كوداك بروني". وفي 9 أيّار ظهّرنا الصور، ظهر أمام الفتى الذي هو من حوقا، صورة راهب جليل قد برز، في جلال، رأسه ووجهه ولحيته البيضاء، وإسكيمه على رأسه، ويده اليمنى منظورة الأصابع وهي مسودّة كأنّها مومياء. والراهب شفّاف الجسم، مرتدٍ بعباءة راهب سوداء كسائر الرهبان اللبنانيّين، تظهر من ورائه، من خلال

جسمه الحجارة والأعشاب التي على الأرض، كأنّ الراهب أمامها من زجاج. وظهر جنب الفتى من حوقا من أسفل لحية الراهب إلى قرب ركبته. وقامة الراهب منظورة جيّدا وهو راكع، وأقرب إلى آلة التصوير من الشابّين الواقفين وراءه، وظهر على إسكيمه بياض الصدريّة التي يرتديها الفتى الحوقاوي، كأنّ الإسكيم أيضا هو شفّاف.

2- أنا بدّي اتصوّر معكم!

شهد يوسف طنّوس: زرتُ محبسة شربل في 8 أيّار سنة 1950، فإذا بزوّار من رهبنة الكريم يقولون لي: إذا أردت تتصوّر معنا؟ فأجبتهم: لا مانع، ووقفت مكتّفا. فإذا براهب يخلق فورا أمامي، ويقول لي: **"أنا بدّي اتصوّر معكم وأقعد قدّامك"** فأخذ الأخ الياس نوهرا إدّه صورة ، فحالا توارى الراهب. وعند تظهير الصورة، ظهر راهب فيها لم ينظره غيري، قال عنه عارفوه أنّه القدّيس شربل.

3- هذه هي صورة الأب شربل!

وقد قدّم محامي الإيمان، الخوري منصور عوّاد، بالتعاون مع رئاسة الرهبانيّة اللبنانيّة العامّة، وخاصّة الأبّاتي يوحنّا العنداري، هذه الصورة لكلّ من: أليشاع نكد، وهو إبن وردة بنت حنّا شقيق الأب شربل، والأخ جرجس نعمة لحفد، والأب الياس مشمش، والأب يوسف إهمج، والأخ بطرس خليفة ميفوق، والأخ بولس يونان مشمش، والأب أنطونيوس نعمة، والخوري يوسف سعد خوري من مشمش، والجميع عرفوا القدّيس شربل في حياته، وأكّدوا، بعد حلف اليمين، أنّ هذه هي صورة الأب شربل، وتمثّله متألّما ومنازعا في آخر حياته، ويده تشبه يد جثمان القدّيس شربل. والسيّدة نهاد الشامي تقول: إنّ هذه الصورة هي صورة الأب شربل.

4- الأبّاتي اغناطيوس التنّوري

كتبت مجلّة **طريق القداسة**: أخذنا صورة الأب شربل مكبّرة، وجمعنا نحوا من 30 صورة من آباء الرهبانيّة القدماء، وجعلناها بين تلك المجموعة من صور الآباء. وقمنا أمام التنّوري نرجوه أن يفيدنا عن إسم كلّ أب من أصحاب تلك الصور. وتلك حيلة لنرى إن كان يعرف صورة الأب شربل... إلى أن وصل إلى صورة الأب شربل، فأخذها بيده وبدأ يتأمّلها. يبعدها حينا عنه ويحدّق النظر فيها. وحينا يقرّبها ويحدّق النظر فيها أيضا. ولم يلبث طويلا وهو يبعدها ويدنيها حتّى هطلت الدموع من عينيه غزيرة. وبدأ يُقبّل تلك الصورة حتّى بلّلها بدموعه الغزيرة. ونحن على يقين تامّ أنّها الصورة العجائبيّة التي ظهرت بعدسة المصوّر.

فسألناه: أتكون هذه الصورة يا أبانا، لأحد أقربائك، أو لأحد أعزّائك، حتّى تأثّرتَ من رؤيتها هذا التأثُّر البليغ؟ قال وهو يشهق بالبكاء كالطفل: لا، هذه صورة الأب شربل. من أين جلبتموها؟ الأب شربل لم تؤخَذ له صورة في حياته!

5- العلامة الفارقة!

يشرح الأباتي العنداري: لهذه الصورة علامة فارقة يعرفها جميع الذين كان شهودا يوم 22 نيسان سنة 1950 عند الكشف عن جثمان شربل في دير مار مارون عنّايا وهي أصابع يد جثمان الأب شربل اليمنى السليمة من الفناء فقد ظهرت في الصورة كما هي في تابوته حاليّا كأنّها ملتقطة عنها مباشرة.

6- لا تعتمد الرهبانية إلاّ على هذه الصورة!

ويضيف العنداري: قد عرضنا الصورة مجدّدا على مصوّرين عديدين ليقولوا كلمتهم الفنّيّة فيها وخاصّة بما أنّ بعض الأشخاص الذين لهم إلمام بالتصوير الشمسي قد أكّدوا أنّ الصورة بشكلها الحالي هي نتيجة مشهدين التقطا على صورة واحدة قبل تظهير المشهد الأول؛ فكانت نتيجة أبحاثنا، أنّ الصورة حقيقيّة، وأنّ جميع ما قيل بشأنها لإنكارها، أو لإيجاد الريب فيها، ناجم عن قلّة خبرة في مسائل التصوير، أو عدم تدقيق في هذه الصورة. فنحن نعرض هذه الصورة على الرأي العام كصورة حقيقيّة لشربل. والرهبانيّة لا تعتمد إلاّ على هذه الصورة، ولا تعرف لشربل صورة غيرها، وكثيرين ممّن ظهر لهم شربل في رؤيا خاصّة قد أكّدوا عندما نظروا هذه الصورة أنّها صورة شربل الذي ظهر لهم. ونزيد على هذا كلّه أنّه لا يوجد في الرهبانيّة اللبنانيّة ولا في غيرها شخص بهذه الهيئة!

ثامن عشر: أفيض روحي (أع 17/2)

1- شفاء معاق ومشلولة

ويشهد العنداري: عندما فُتِح القبر في 22 نيسان 1950، رأيت، ونحن في الممشى، شابا من ميفوق يدعى أميل بطرس، وهو يتوكّأ على عكّازين، بسبب عاهة في ركبته. فقلت له أن يطلب شفاعة الأب شربل. وبينا كنّا في الكنيسة لفحص الجثمان، وإذا بنا نسمع تصفيقا وهرجا في الخارج. وعند تقصّي السبب، عرفنا أنّ الشاب المذكور قد شُفي من عاهته. وقد عرفتُ أيضا أنّ رجلا من بمريم لا أذكر اسمه يشتغل في التلفون، مرّ يوم الكشف على الجثمان بدير مار مارون عنّايا. وإذ لم يتمكّن من الدخول إلى القبر، مسح برنيطته بالحائط تبرّكا، ورجع إلى بلدته بمريم. وكانت له ابنة شقيق مشلولة، أي لا تستطيع المشي. فعلم أهلها أنّه كان في دير مار مارون عنّايا، فسألوه إذا كان يحمل بركة ما من هناك، فأخبرهم أنّه لم يستطع الدخول، واكتفى بمسح برنيطته بالحائط، وأعطاهم البرنيطة، ليلمسوا بها الفتاة المشلولة. وعندما مسحوها بالبرنيطة برئت وقامت تمشي.

2- تفطّرت قلوبهم (أع 37/2)

وكانت الجماهير تتوافد لزيارة الضريح من كلّ الطبقات، ومن كلّ المذاهب من العلماء والبسطاء، من الحاكمين والمحكومين لزيارته، قصد الاستشفاء من أمراض وعاهات مستعصية. والأعجوبة الكبرى أنّ كثيرين، ممّن كانوا من عشرات السنين ابتعدوا عن قبول الأسرار، وخصوصا سرّ التوبة، كانوا لدى زيارتهم الضريح، يستوليهم الخشوع والتوبة، ويقتربون من الاعتراف بالدموع.

3- شفاء مَنْزوفة (مر 5/25-34)

شفاء إمرأة أخ الأب لطّوف العنداري من نزيف أصابها لمدّة سنتين وشارفت على الموت، فشفيت بشفاعة الأب شربل.

4- شفاء من داء المفاصل

إن نعمة يوسف ابراهيم، من شركاء دير مار مارون، وكان عمره نحو 5 سنوات، أُصيب عام 1941 بداء المفاصل. وقد عرضه والداه على الأطبّاء، فقالوا: إنّ شفاءه من هذا الداء، يقتضي وقتا طويلا. فالتجأت والدته إلى شفاعة الأب شربل، وطلبت أن تعطى بركة عن ضريحه. فأعطيتها قماشا من أثره، وماء مسّه قماش كان على الأب شربل. فأخذت هذه البركة، ومسحت مفاصل الولد بالقماش المبلول بالماء المبارك. وحالا ابتدأ الولد يحرّك مفاصله. وفي اليوم الثاني أصبح معافى.

5- وراء الربّ يسوع (متّى 29/20...)

كتب الأب فاللوم اليسوعي: ذهبتُ أنا بنفسي إلى جبل جبيل. كان المشهد رائعا: عشرات الأتوكارات، ومئات السيّارات تقلّ الجمع الغفير. هذا ممّا يجعلني أفكّر بتلك الجموع التي كانت تتدافع، منذ الفي سنة، وراء الربّ يسوع... إنّ لمشهد يترك في النفس انطباع إيمان عميق! فأنا أعتقد أنّ ثمّة معجزات اهتداء تضاهي معجزات الشفاء.

6- أَلْسِنة ناريّة حمراء (اع 2\3)

قد تخطّت حوادث الشفاء حدود لبنان ومصر والأردن وسوريا ألى أميركا وأوروبا، وصار شربل حديث العالم كلّه. وزوّار الضريح لا يقلّون يوميّا عن 5000 وأيّام الآحاد والأعياد يرتفع إلى 15000 وقد تجاوز 40000يوم العنصرة! وفي ثاني العيد وأمام هذه الجماهير المحتشدة من جميع الأنحاء، وعلى مرأى منها شفي الكثيرون من الذين حُملوا إلى ضريح الأب شربل طلبا للشفاء من عللهم المستعصية شفاء عجيبا فجائيا. وأكّد نحو 5000 شخص من الذين وقفوا لجهة الضريح الشرقيّة في العراء يوم عيد العنصرة أنّ قبر الأب شربل أضاء في رابعة النهار بنور سماوي جلي ناصع البياض، ما عتّم أن انقلب إلى ألسنة ناريّة حمراء اللون، كتلك التي هبطت على الرسل من السماء في علّية صهيون، فعمّ الفرح والخوف والبكاء جميع المشاهدين، وباركوا الله في شربل.

7- عَجِيبِه بِتْنَيْن!

هذه الأعجوبة جرت مع فؤاد، شقيق الأب الحبيس يوحنّا الخوند، بعد أن بقي في الغيبوبة العميقة أي الcoma ما يزيد عن سنتين، فكانت أعجوبة مزدوجة: شفاء فؤاد ويصبح اسمه شربل، وطبع صورة شربل في قلب الأب الحبيس ليكون راهبا فاضلا في كلّ أطوار حياته، توّجها في خطى شربل حبيسا في محبسة مار أنطونيوس- طاميش، منذ 17\1\1998.

حْدَعْشَر سِنِي عُمْري دَخَلت الرَّهْبَنِي ... وِبْدَيْر غُوسْطا طالِب بْتالِت سِنِـــي
لمَّا ظَهَر مـارْ شَرْبل وقَبْرُو سَطَـعْ ... بالنُّور وتوزَّعْ عَجَايب عَ الدِّنِـــي
وخَيِّي إِلُو سِتْتَين غافي بْلا وَجَـعْ ... وِبْلا وَعِي عَ فَرْشتُو بنَومُو الهَني!...
وما عادْ يُوعى والأَمَـل مِنُّو انْقَطَـعْ ... كِعْيُو الأَطِبَّا بْهَيكْ حالِه مُزْمِنِـــي
جِلْد وعَضْم بِالبَيت ما عاد شِي نَفَـعْ ... خِدْمِه إِلُو بْدَير الصَّلِيب مْأَمَّنِـــي

أَحَد قْرَايِبْنا كانْ بَـعْدُو عَ السَّمَـــعْ يُوسف شِكْري بْرُوح حِلْوي مُؤْمِنـي
زَارْ شَربل عَ القَبْر صَلّى ورَكَـــعْ وجَاب قِطْني بْعَرَق جِسْمُو مْرَوْحَنـي
وعِ جْبِين خَيّي مَسَح بِالقِطْنِه وخَشَعْ حَدُّو بْحَرارَه وطَلَب مِنْ رَبُّو الغَنِـي
باللّيل خَيّ وعِي ونَادى مْنِ الفَـزَعْ: إِمّي! أَنا وَيْنْ؟ ودَخِيلِك شُو بِنِـــي!؟
رَكْضِتْ لَحَدُّو الراهبه وقَلْبا هَلَـــعْ مِشْ سامعَه هالصَوْت جَدّ ووَلْدَنـــي
صارتْ بلُطْف تطَمّنُو بْغِنْج ودَلَـعْ تَ راق بَالُو وبَاتْ رُوحُو مطَمَّنـي
ويَا فَرْحتي لمَّا مُناظِرنا اطَّلَـــعْ ع قِصّتُو بصَفْحِة جَرِيدِه مْدَوَّنـي
ولَمَّا سَأَلْني تأَثَّر كتير ودَمَـــعْ بسِيَّارتو لعِنْدُو أَخَدْني ورَدّنـي
وساعَه بقينا عِنْد خَيّي وانطَبَـــع مَارْ شَربل بْقَلْبي وْلَهْلَق بَعْدنـي
مْنِ الإِبْتِدا للتَّلْمَذِه عُمْري قَطَـــعْ وبْنِعْمِة الكَهْنُوت رُوحي مْزَيَّنـي
هَيدِي عَجِيبه تَانِيه كيف اجتَمَـــعْ فِيّي أَنا اللّي كانْ "شيطاني" كـبـير

وهلّق متل شربل حبيس برهبني

8- علق العكازين عند القبر

شهد نجيب تابت: ذهبت لزيارة شربل وكان عند قبره مقعد يتوكأ على عكازين ويتسول في فرن الشباك حيث بيته. لمس بلاطة القبر ودهن يده على فخذيه ونام ليلة حد القبر وعند الصباح قام يقفز كالغزال وعلق العكازين عند القبر.

9- حتى شوهت نظر عينيه

شهد الاب مبارك تابت عام 1955: ان عبدو ابن ابن اخي في عمر 14 سنة، ولد معه درنة بأعلى خديه وكانت تكبر حتى شوهت نظر عينيه. وكان الاطباء يقولون انها لا تشفى بدون عملية جراحية. ذهب ابوه مشيا على الاقدام من بيروت- فرن الشباك حافيا الى قبر شربل وعاد حافيا ورجع ثانية برجاء ان ابنه يشفى وزارا كلاهما قبر القديس ورجعا وفي اليوم الثاني اخذت الدرنة تتوارى وبعد مدة زالت تماما.

10- تشكر شربل الذي هداها الى الدواء

شهد الاب مبارك تابت عام 1955: ابنة اخي نجيبة زوجة جورج كونفورتي ساكنة بيروت ظهر في خدها حبة وهي في دير الراهبات اللعازاريات في بيروت وبقيت تعالج هذه الحبة وهي تكبر وتنمو حتى امتدت في كل خدها الى نصف فمها ولم يبقَ في بيروت طبيب ولا لجنة أطباء أتت من اوروبا الا وعاينها ولم يقدر احد على شفائها. ذهبت الى دير مار مارون عنايا واقامت جانب قبر شربل تصلي وتبكي وتطلب ان يشفيها وبعد 3 ايام وجدت انها لم تشفَ فقالت للقديس: انا احب ان ابقى هنا حتى اشفى ولكن ما معي فرصة اذا كان ما بدك تشفيني دلني عا طريقة اشفى فيها. رجعت الى بيتها وفي الدار التي كانت تسكنها طابق اعلى وهي تسكن في السفلي ولها صديقة في الطابق الاعلى، عند دخولها للباب عندما صعدت لتراها وجدت في يدي جارتها الطفل كتابا صغيرا اخذته من يده وفتحته فاذا فيه دواء وصف لمثل هذه الحبة التي في خدها اخذته وعرضته على طبيبها من عائلة حكيم ونظر في الدواء فقال لها حسن جدا لم يخطر ببالنا استعملي هذا الدواء واستعملته وبعد ايام قليلة اصبح خدها يقرب الآخر، وجاءتني الى دير البرامية ترينا خدها لافرح معها واشكر معها شربل الذي اهداها الى هذا الدواء.

11- داء المفاصل

إن نعمة يوسف ابراهيم، من شركاء دير مار مارون، وكان عمره نحو 5 سنوات، أُصيب عام 1941 بداء المفاصل. وقد عرضه والداه على الأطبّاء، فقالوا: إنّ شفاءه من هذا الداء، يقتضي وقتا طويلا. فالتجأت والدته إلى شفاعة الأب شربل، وطلبت أن تعطى بركة عن ضريحه. فأعطاها الاب انطونيوس نعمة قماشا من أثره، وماء مسّه قماش كان على الأب شربل. فأخذت هذه البركة، ومسحت مفاصل الولد بالقماش المبلول بالماء المبارك. وحالا ابتدأ الولد يحرّك مفاصله. وفي اليوم الثاني أصبح معافى.

12- صاحت من فرحها وزغردت

شهد جرجورة عون من جديدة المتن في 5\5\1950: اصيب ولدي طانيوس بمرض ذات الرئة بعمر 6 أشهر، وقد عالجه الدكتور شكري الحصري فتماثل للصحة يوما واحدا. ثم أصيبت الرئة الثانية بذات المرض وأمست حالة الولد في خطر مداهم. وبعد معالجة شهرين زال عنه الخطر، إلا انه بقي بحالة من الضعف تكاد تسبّب له أمراضا عديدة. وقد عالجه كثير من الاطباء منهم الدكتور فيليب شديد الذي أخذ له صور عديدة على الأشعة الكهربائية للوقوف على سبب هذا المرض الذي احدث للولد يبسا في يديه واعوجاجا في رجليه. فتبين من

هذه الصور انه مصاب بضعف في العظم. وعبثا حاول الاطباء معالجته بالأدوية والإبر فلم ينتفع شيئا، لا بل ساءت حالته ولم يكن يقدر على المشي إلا بجهد وتعب شديد، وكان يعرج من الجنبين وقد انتفخ بطنه ويبست يده اليمنى بحيث لا يستطيع ان يرفعها إلى فمه، حتى اضطر ان يأكل بيده اليسرى. وبقي على هذه الحال إلى سمعنا بعجائب شربل، وتأكّدنا صحّتها بالأعجوبة التي أجراها مع عقل واكيم الذي أسكن وإياه في بناية واحدة.

وفي 5 أيار سنة 1950 توجهنا إلى عنايا وملء قلبنا الايمان والثقة بالله بأنه يستجيب طلبنا بواسطة خادمه الاب شربل. وكنّا 8 أشخاص بينهم السيد تشرفنكا التشكوسلوفاكي المولد واليهودي المذهب. ولمّا وصلنا إلى الدير رأينا الجماهير محتشدة هناك ولم نستطع الوصول الى القبر إلا بشق النفس. فلما بلغناه سجدت أمامه وأشرت إلى ولدي طانيوس أن يجثو قرب الحائط الموضوع وراءه الجثمان، وأخذت ألمس حائط القبر هذا بيدي وأدلك بها جسم الولد وأمسد أعضاءه المتجمّدة وأصلي بحرارة وخشوع قائلا: ربي! ان كنت أنا خاطئا لا أستحق أن يستجاب طلبي فانظر إلى هذا الطفل الذي لم يبلغ السبع سنوات بعد وليس له من ذنب يستحق لأجله القصاص. أعطف عليه واشفه بشفاعة الأب شربل. وقد لقنت الولد أن يطلب من الله الشفاء بواسطة عبده الأمين الأب شربل. وبما أن الجماهير الغفيرة المتراصة هناك ترغب كلها بالوصول إلى القبر اضطررت أن أفسح المجال لغيري فانسحبت مع ولدي طانيوس. وفيما هو سائر أمامي شاهدت كتفيه جالستين ومشيته اعتيادية، فظننت أني أرى ذلك بتأثير الوهم وشديد رغبتي في شفائه. وعندما رأت زوجتي ابنها يمشي صحيحا صاحت من فرحها وزغردت.

13- سأصلي وحدي

شهدت منتهى ضاهر من بكاسين: أصبت بالحمى وأنا بعمر سنة فتركت في كتفي اليسرى حدبة تكبر بمرور الايام. ولما زرت ضريح شربل في 11 ايار 1950 وقفت بعيدة عن القبر لشدة الازدحام وقل له: أن لست مزعجة كغيري اني أتلو لك يا قديس شربل مرة ابانا ومرة سلام طالبة منك ان توفق ولدي اختي اليتيمتين. وانا شخصيا لا أطلب منك شيئا لاني بلغت الخمسين ولم يبق لي من العمر الا القليل. واحفظ عيني لاستطيع القيام بعملي (وهو حرفة الخياطة). ثم عدت الى بيروت دون ان اشعر بشيء. وفي ليل 15 ايار رأيت في الحلم اني في كنيسة محاطة باقربائي، فقلت لهم: شاركوني في الصلاة. فاجابوا: اننا في شغل لا نستطيع معه مشاركتك. فقلت لهم: مع السلامة فاني أصلي وحدي. ثم استيقظت عند الساعة الرابعة والنصف وأخذت ارتدي ملابسي عند المرآة وشدّ ما كانت دهشتي عندما رأيت حدبتي قد اختفت.

14- زحتينا بصلاتك لو بدها تشتي كانت غيمت!

شهدت حسن المحيّر من الشويفات في 14\5\1950: كانت رجلي اليمنى أقصر من اليسرى. وهذا القصر من وقت ولادتي، وكنت أمشي متعوجة وأشعر بأن عظم وركي اليمين نافر، وهذه العاهة كانت تؤلمني جدّا وأتأثر عندما أرى رفيقاتي يسرن سيرا طبيعي وأنا أسير معوجة. وعندما ظهرت عجائب شربل وأخبرني بها ابن عّي قلت له: أتستهزئ بي؟ فأكد لي هذه الحقيقة. ومن ذاك الحين بدأت بأن أصلي وأطلب من الله تعالى أن يشفيني من عاهتي هذه على يد خادمه شربل.

ففي إحدى الليالي بينما أنا نائمة صرخت بأن شربل في بيتنا دون أن أنظره. وفي 8 أيار 1950 ذهبت وشقيقتي وابتي عمي واولاد عمي الى دير عنايا، ولما وصلنا إلى قرب 1000م أوقفت السيارة وسرت مشيا على الأقدام توا إلى القبر. وهناك جثوت على ركبتي وقلبي ممتلئ إيمانا وثقة بالله تعالى بأنه يستجيب طلبتي. ومكثنا هناك نحو نصف ساعة ثم صعدت إلى الكنيسة ورقدت فيها لاننا وصلنا الى الدير نحو الساعة 7 مساء، ومكثنا في الكنيسة نصلي ساعات. وفي الصباح تقدم الجمهور الى تناول جسد الرب تقدمت فتناولت معه. وبعد المناولة شعرت وأنا أصلي بألم شديد في وركي. ثم رجع فزرت قبر شربل وخذت عنه بركة وترابا وماء مباركا ولشدة ايماني سففت ترابا عن الضريح وأتيت ببركة منه فربطتها على جنبي المريض المريض ومسحت بلاطة القبر بمنديلي وأخذت أمسح به جنبي المريض. وعندما أردت مغادرة الدير ذهبت الى القبر ايضا وقبلت حائطه قائلة لشربل: أنا ذاهبة فلا تنسني. ورجعت الى بيتي وانا اصلي واتضرع الى الله تعالى كما كنت أفعل ذلك من قبل. وأما ألم جنبي فبقي كما شعرت به وانا في الكنيسة. وفي 10 أيار حلمت في رقادي أنه يجب علي ان اسخن الزيت المبارك الذي جلبته معي وامسح به فخذي فلم أفعل في بادئ الامر. وقد توجهت لزيارة أحد أقربائي برفقة والدتي ولا يزال الالم يرافقني دائما.

وعندما كنت أمسح جنبي بالماء المبارك كنت أسمعه يطقطق. وفي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر رجعنا الى البيت وكنت أصلي في الطريق فلامتني والدتي قائلة: زحتينا بصلاتك لو كان بدها تشتي كانت غيمت. أما شقيقتي عفاف فكانت تشاركني في الصلاة. فأجبت والدتي: حرام عليكي أن تشككي فايماني لا يزال كما كان، واني سأشفى باذن الله.

ولما وصلت الى البيت سخّنت الزيت ومسحت به فخذي وأتيت بصورة سيّدة الوردية وبشمعتين جلبتهما عن ضريح الاب شربل وأشعلتهما أمام الصورة التي كللها العرق فصرت ألمسها وأمسح فخذي وعادت الطقطقة اليه. أخيرا قست رجلي فوجدتهما متساويتين وصت أمشي كباقي الناس. واني واثقة كل الثقة بان الله قد استجاب طلبتي بشفاعة شربل.

15- تارة تصلي وطورا ترتل

شهد بدوي نصر من طرابلس في 24\5\1950: عندما ولدت ابنتي جوليات كانت على اتم عافية. ولما مشت شعرت ووالدتها بأنها تمشي بعرج، فافتكرنا بان العرج ناتج عن صغر سنها. وحينما بلغت السنة الثانية ازداد عرجها، فتحققنا بأن رجليها غير متساويتين، فعرضناها على صديقنا المخلص الدكتور عبداللطيف بيسار ففحصها مدققا واوجب اجراء عمل جراحي لها، فأجراه بكل عناية وتدقيق، وعدنا بالابنة الى البيت فبقيت 6 اشهر طريحة الفراش وهي تتلوى من الالم، وفي نهايتها انتزع الدكتور رباط الجفصين فوجد العملية غير ناجحة، فأجرى لها عملية ثانية اضطرت جوليات بعدها ان تكون طريحة الفراش مدة 6 اشهر ايضا، وفي نهايتها رفع الرباط وشدّ ما كان حزنه عندما رأى العملية الثانية فاشلة، فقال: اني ذاهب الى المانيا وبعد رجوعي احري لها عملية ثالثة وربما تكون ناجحة. فلم ترضَ بذلك والدتها. ومن نحو سنتين عرضنا ابنتنا جوليات على الدكتور فريشو في بيروت فبعد ان فحصها فحصا دقيقا قال: بانه يجري لها عملية ولا يضمن شفاء الابنة بعدها، وأنه يستعمل طريقة يبقي العرج على حالته بنوع انه لا يزداد في المستقبل وتضطر عندئذ ان تلازم الفراش 3 اشهر، فرفضت الابنة وقالت: ان الله يعينني ويزيل عرجي تدريجا وانا متكلة عليه. وظلت الابنة على هذه الحال الى آخر نيسان 1950. وفي 5 ايار ذهبت مع والدتها وشقيقها لزيارة قبر شربل فمكثوا هناك ساعتين وعادوا الى طرابلس. وفي 19 ايار توجهت جوليات مع شقيقتها الى بيروت وهناك اجتمعت ببعض سيدات يرغبن زيارة شربل. فذهبن جميعا في 20 ايار واقمن في الدير طول ذلك اليوم. ولما اردنالرجوع الى بيروت رفضت جوليات العودة مع شقيقتها، بل بقيت في الدير راغبة في الرقاد والسهر والصلاة هناك، فاحيت تلك الليلة بالصلاة الى الله بايمان وحرارة وخشوع متضرعة اليه بان يستجيب صلواتها ويمنّ عليها بالشفاء بشفاعة خادمه شربل. وكانت تارة تصلي وطورا ترتل. وعند الثالثة بعد منتصف الليل احتفل بزياح السيدة العذراء فركعت جوليات على ركبتيها ولم تكن قبلا تستطيع الركوع، الا على ركبة واحدة. عندئذ شعرت برعدة قوية شملت كل اعضاء جسمها فخافت من ان يكون اعتراها ضرب من الحمى، فاخذت تبكي. ثم ذهبت الى قبر شربل طالبة منه ان يراف بها وقالت بحرارة: دخيلكيا بونا شربل. انا راضية بما كنت عليه، ارجعني الى اهلي كما كنت واشفِ هؤلاء المرضى المطروحين امام قبرك. واستمرت هذه الرعدة التي اصابتها نحو ساعة. ولما بزغ الصباح رجعت جوليات مع بعض الرفقاء الى طرابلس وهنا شعرت بتغير تام في جسمها، وعادت رجلاها الى الحالة الطبيعية متساويتين واصبحت سليمة متعافية تمشي بسهولة دون انزعاج بشفاعة القديس شربل الذي نشكر الله لاجل ابنتي المديونة في كل حياتها.

16- العميان يبصرون والعرج يمشون والمرضى يشفون (لو 7\22)

كتبت جريدة **العمل** في 1\6\1950: نكتفي بسرد تفاصيل ثلاث معجزات حصلت يوم الخميس على مرأى من الجماهير الغفيرة التي تؤمّ الدير في كلّ ساعة من ساعات النهار وبينها الرجال الدبلوماسيّون وكبار الموظّفين ورجال الدين والدنيا وأفراد الأسر المعروفة.

- الآنسة ماري معلوف

هي من زحلة ومن سكان حي الرميلة بيروت كانت تشكو قصرا في إحدى قدميها يبلغ ثمانية سنتيمترات. توجّهت إلى دير مار مارون يوم الخميس وما كادت تقوم بالزيارة التقليديّة لقبر القدّيس حتّى عادت رجلها إلى طبيعتها ولم تعد تشعر بأي نقص وجاءت إلى منزلها في بيروت وهو الآن محطّ الزائرين.

- سعيدة أسعد فرحات

هي من الجرمق (النبطية) عمرها 17 سنة ولدت مشوّهة ومحدودبة الظهر لا تستطيع الإنتصاب. قامت بزيارة القدّيس شربل يوم الخميس وسجدت أمام القبر وأخذت تصلّي قائلة: "لا أذهب قبل أن اشفى" ولم تلبس أن انتصبت وراحت تمشي بين الجماهير كأنّها لم تكن فيها أيّ علّة.

- محمّد يمشي

كان مصابا بالشلل في قدميه. ولا يستطيع السير إلاّ بواسطة عكّازتين وبعناء كلّي. قام يوم الخميس بزيارة القدّيس شربل. وما لمس القبر حتّى شوهدت العكّازتان تسقطان على الأرض والرجل ينتصب على قدميه وسط ذهول الجماهير ويمشي مسرعا دون مساعدة أحد وقد توجّه إلى الدير وطلب إلى رئيسه أن يقبله راهبا بين رهبانه فاعتذر وطلب منه أن يعود إلى أهله وذويه.

17- المير قيصر أبي اللمع

كنتُ مصابا بقرحة بالمعدة، وكنتُ دائما أراجع ما آكله. ويرافق ذلك نزيفا دمويا. وكنتُ أقضي أشهرا عديدة من السنة طريح الفراش في حال تلف. زرتُ وعدتُ، وها قد مضى على ذلك سنتان، ولم يعاودني قيء، ولا نزيف وقد زالت الحمضة من معدتي وكانت في الماضي مستديمة قويّة تحرق زلاعيمي حرقا. وقد تعالجت عند أطبّاء كثيرين، وما حصلت على نتيجة إلاّ من زيارتي للقدّيس شربل.

18- طلب قطعة قطن مبلولة بالزيت

شهد الدكتور اسكندر الغريب في 6\6\1950: ان حفيدي سامي نجل ولدي الياس كان اصيب في سنته الثانية من عمره بشلل الاطفال في رجله اليمنى واخذ بعد شفائه من الحمى يسير على اصابع رجله حفظا للتوازن وتجنبا للعرج، فحصل من جراء ذلك بروز في اعلى قدمه الى الامام مكونا شبه قنطرة، فصرنا نضع كعبا بعلو 4 سم لحذاء رجله. واليوم هو بعمر 12 سنة قد بلغ والده بان الآنسة جوليات نصر قد شفيت بعد زيارتها ضريح شربل من عرج كان أصابها في طفوليتها، فطلب منها قطعة قطن مبلولة بالزيت المقدس الذي احضرته معها، فدهن رجله المشلولة فعادت الى حالتها الطبيعية وصار يمكنه السير على كعب رجله وزالت قنطرة قدمه وخلعنا حذاءه وهم اليوم يمشي والقدمان متساويتان، فشكرنا الله على هذه النتيجة الخارقة.

19- كالمجنونة

شهدت مريم عاقوري من عجلتون في 9\6\1950: كنت أشعر بالم شديد في رأسي من 18 سنة، وكان هذا الالم يسبب نوبا عصبية يجعلني كالمجنونة وكانت تنتابني في بادئ الامر كل شهر مرة، أخيرا اصبحت تتكاثر فتصيبني بعض الاحيان كل ساعة مرات كثيرة. وقد عالجني الدكتور جان كركريان طبيب مستشفى قلب يسوع من نحو 10 سنين ، وقد اجرى عملا جراحيا في رأسي واستخرج منه كمية من العمل لا يستهان بها تقدر نحو نصف كيلو، فارتحت مدة 8 اشهر تقريبا ثم عاودني النوب فراجعت الطبيب كركيان المذكور مرارا فوصف لي حقنا جلدية وادوية متنوعة فلم تنفعني شيئا. اخيرا عرضت نفسي على الدكتور فيليب توما من نحو 4 سنوات فبعد ان فحصني مرتين، أفاد بانه لا يمكن شفائي، فعدت الى الطبيب كركريان ثم الى الدكتور منير كنعان الذي وصف لي حقنا جلدية لتسكين الالم فاخذ بالاشتداد بل من التناقص وعاودني النوب بعنف وشعرت بألم في العظمة التي هي قرب الاذن لجهة الشمال فكنت لا استطيع الاكل ولا الرقاد ما لم اسند هذه العظمة المريضة بيدي. ثم وصف لي الطبيب منير كنعان حقنا جلدية لم استفد منها.

وبهذه المناسبة اتتني ابنة اخي بقطنة مغموسة بالزيت والماء المباركين عن ضريح شربل. فلما دهنت رأسي بهذا الزيت وشربت من هذا الماء، أحسست في الحال بزوال الالم.

20- بقيتُ 10 دقائق عند شربل

شهد الشيخ محمود تقي الدين في 10\6\1950: بدأت أشعر منذ 4 سنوات، بنقص في سمع اذني اليمنى كان يتزايد على مر السنين الى ان كدت اصاب بصمم تام بها. وقد عرضتها على الطبيب اليفر منذ سنتين ثم الطبيب دياب اللذين اجمعا على ان الطبلة مثقوبة ولا يرجى لها الشفاء. وقد دفعني هاتف أعلى لم اتمكن من مقاومته الى الذهاب الى عنايا حيث توجهت وزرت ضريح شربل طالبا شفاعته. بقيت هناك زهاء 10 دقائق ثم عدت الى بيروت دون ان أشعر بشيء غريب. وبعد بضعة ايام تيقنت اني اصبحا اسمع باذني المريضة.

21- ولشدة الالم يفقد رشده

شهدت جورجيت زوجة جرجي الزغبي في 23\6\1950: اصيب زوجي من 6 سنوات بضعف في اعصاب رأسه أورثه أرقا ملازما، وكان يحدث له نوب في رأسه كل يوم مرتين وارتجاف في جسمه، ولشدة الالم يفقد رشده ولا يعود يعرف ماذا يعمل ولا ماذا يقول، وقد هزل جسمه من قلة النوم.

وقد عالجه الاطباء: موريس نصار وحنا الشمالي ومارون شبر مدة 6 سنوات ولم يستفد شيئا. وصرح لنا الدكتور حنا الشمالي ان مرض زوجي غير قابل للشفاء. وعندما ظهرت عجائب شربل، ذهبت وزوجي برفقة جمهور من الناس الى دير عنايا لزيارة ضريحه هناك فكثنا نحو نصف ساعة وقفلنا راجعين. ومن ذلك الحين شفي

زوجي وأصبح ينام نوما هنيئا الليل بكامله، وقد فارقته الرجفة والدوخة واضطراب العقل، ويتمتع زوجي الآن بالصحة الجيدة.

22- إدخال ضريح شربل في دليل السياح

كتبت جريدة **لسان الحال** في حزيران 1950: تصل في شهري تموز وآب قوافل من السيّاح إلى لبنان قادمين من أميركا ومختلف أنحاء أوروبا وآسيا. وقد صرّح بعض كبار ممثلي شركات السياحة في لبنان، إلى مندوبنا، أنّ تعديلات أدخلت مؤخّرا على منهاج زيارتهم للبلاد اللبنانيّة؛ وقد أضيف على الأمكنة الأثريّة وخلافها زيارة ضريح شربل في مار مارون عنّايا، وقد انتشرت أخباره في جميع أنحاء العالم. هذا وقد أصدر الزعيم الخطيب قائد فيلق الدرك العام آمرا بإنشاء مخفرا للدرك بجوار الدير مؤلّف من عريف وأربعة دركيّين، وبإنشاء مخفر آخر بالمنيطرة على طريق الدير لتأمين حركة المرور للجماهير التي تتجمّع على الطرق ليل نهار لزيارة الدير.

تاسع عشر: الآيات تتبع المؤمنين (مر16\17)

1- رأيت الأب شربل

شهد نعيم غاوي من وادي شحرور: كان لي الحظ بأن عيّنني الدكتور الياس الخوري وزير الصحة في دير عنايا عام 1950. كانت الجماهير متراصة في كل مكان، داخل الدير وخارجه، وكان المرضى يملأون الردهة الموجود في جدارها جثمان الأب شربل. أتى مرة شاب أرمني يناهز الثالثة عشرة، بعد أن قضى ردحا طويلا في المستشفى الأميركي ليعالج من داء السل العظمي. وكان يصحبه والده حاملا معه شهادات المستشفى المذكور لإثبات خطورة حالته. ما كان يستطيع أن يأتي بحركة. لذلك حمله أبوه، وساعده الأب يوسف خشان حتى بلغ القبر. ثاني يوم أخبرت أن هذا المريض يشعر بألم في قلبه يكاد يقضي عليه، فأسرعت إليه. عبثا حاولت إقناع أبيه ليحمله إلى غرفة التمريض، لكي يستطيع الطبيب الإهتمام به. فكان يقول بحزم: الأفضل لابني ان يخسر الحياة ولا يخسر مكانه بقرب القبر...

في نفس الليلة، قرب منتصف الليل، وصل إلى الدير 4 بوسطات من دير القمر وجوارها. نزل الزائرون ودخلوا الكنيسة بالتراتيل. ولما شرعوا بزياح الصورة أراد أحدهم أن يقدم كتاب الصلوات لراهب شيخ كان قد دخل صحبتهم إلى المعبد ظنوه من سكان الدير ليتلو الصلاة المختصة بالكاهن. بغتة استولت على الحضور دهشة عظيمة. وحبس الخوف أنفاسهم. ماذا حدث؟ لما دنا الزائر من الراهب غاب الراهب عن العيان بغتة!

كنت عندئذ قريبا من الكنيسة. لما لاحظت هذا السكوت العميق المفاجئ أسرعت إلى نافذة الكنيسة لأرى ماذا حدث، ظانّا أن أحدهم قد أغمي عليه، كما كان يحدث أحيانا. وقبل أن أبلغ النافذة شاهدت راهبا خارجا من الكنيسة، وقد مرّ بقربي حتى تماسكت كتفانا. وإذ عرفت ما حدث من أحد الحضور، أسرعت إلى الخارج لأستكشف أمر هذا الراهب العجيب، حالما حولت وجهي نحو المحبسة رأيته أمامي سائرا نحو الشرق، فأسرعت نحوه، وصوّبت عليه قنديل الكهرباء. إلا أني حالما أدركته ومسّت يدي ثيابه، وقفت منذهلا، حتى كاد الخوف يفقدني شعوري، فقد اختفى الراهب بغتة من أمامي. وإذ كنت حائرا في أمري، متطلعا هنا وهناك، نظرت فوق المحبسة لمعانا غريبا يبهر الأنظار. وبينما أنا على هذه الحال من الاضطراب إذا بي أسمع لجهة الضريح هتافات وتصفيقا حادا. ركضت لأرى ما جرى فوجدت الشاب الأرمني قد شفي تماما.

2- هددوني بقطع لساني

شهدت وهيبة خليل شيعية من بافلي صور في 1\7\1950: كنت سجينة في سجن جديدة المتن سرقت حقيبة يد نسائية من غرفة مديرة سجن النساء. ولما سئلت عنها انكرت وحلفت باسم الاب شربل باطلا باني لم ارها. فطلبت مديرة السجن من الاب شربل ان يظهر عجائبه بسارق الحقيبة. ولما ذهبت للقيلولة بعد الظهر، استيقظت بعد نصف ساعة رايت في الغرفة راهبا متشحا بثوب اسود وبيده عصا اقترب مني وقال لي: مدي لسانك. فمددته فضربني بيده عليه وبقي ممدودا، وعبثا كنت احاول ارجاعه الى داخل فمي. وكان مفتولا ملتصقا بشفتي لجهة الشمال، وخارج فمي بطول 5سم. وكنت لا استطيع الكلام. فذهبت الى مديرة السجن فاقتادتني الى ضابط السجن، فلما رآني اعتقد انها حيلة مني فارجعني الى السجن. ولما انتشر الخبر حضر الدكتور حنا الرياشي وشرع يستعمل الوسائط لارجاع لساني الى الداخل مهددا اياي ورئيس المخفر بقطع لساني ان لم ارجعه فلم استطع، وذهب تهديدهم ادراج الرياح. والدكتور انطون رزقالله ايضا لم يستطع ارجاع لساني. وبقيت على هذه الحال 3 ايام. ولما وصلت الى سجن الرمل ولساني ممدود ولا استطيع الكلام ابدا، اعطتني مديرة السجن بركة من شربل لاضعها في عنقي، فعلقتها. فانحلت في الحال عقدة لساني وعاد الى داخل فمي وصرت اتكلم كالعادة.

3- كنت أهزأ بعجائب شربل كأنها خرافات

شهد محمد على مروة، شيعي من الزرارية - الجنوب: دخلت السجن في 9\11\1948 وكنت صحيح الجسم، إلا اني كنت اشعر ببعض امراض عصبية. ولما دخلت السجن وكثرت علي الهموم لاني صاحب عيلة، شعرت بالم في جسمي وضعف في عيني اليسرى وذلك من نحو 5 اشهر وكانت اصبع يدي اليمنى يابسة. وقد تعالجت عند الدكتور الحتي والدكتور جوزف فرحات والدكتور البير زبوني رئيس المعاينة الطبية في اوتيل ديو. اخيرا بعد معالجة طويلة انطفأ نور عيني اليسرى وما عدت ابصر فيها مطلقا، وحصل ورم في مفاصل جسمي من نحو شهر، فسمعت بعجائب شربل، فكنت أهزأ بها في بادئ الامر كأنها خرافات، وقد اعتقدت انها دعاية لجمع المال. أخيرا عندما طالعت الصحف وقرأت العجائب الكثيرة ورأيت صور المرضى الذين نالوا الشفاء بشفاعة شربل، آمنت بقداسته ونذرت له نذرا 50 ل ل، وقد كلفت الممرضة افدوكا صليبا ان تزور ضريحه وهذا نصه بالتقريب: انا رجل سجنت ظلما وفقدت نظري وعجزت في صحتي، للك انااستجير بالله وبالقديس شربل، فاذا شفاني من امراضي وخرجت من السجن يكون له بذمتي 500 ل ل، واذا كنت مجرما فاني لا احب ان اخرج من السجن الا أعمى وكسيحا. وواصل 50ل ل مع افدوكا...

ذهبت الممرضة الى دير عنايا صحبة الراهبة رئيسة المستشفى والعريف شفيق بيضون رئيس المخفر، فاستبشرت خيرا في ذهابهم. وعند رجوعهم في المساء اعطوني بخورا وماء وترابا وقطنة مسحت على ضريح شربل. فأخذت امسح بها عيني وموضع الوجع والورم وكل جسمي بعد ان بللتها بالماء المبارك الذي اتوني به. وبعد ان مسحت عيني ومر عليها نحو ساعتين فاضت بالدموع وكان مضى عليها 4 اشهر بدون ان تدمع، فاستبشرت خيرا. وعندما استيقظت باكرا في اليوم الثاني شعرت وتحققت ان جسمي شفي تماما ولم يبق من اثر للورم ولا لاي الم وصار بامكاني تحريك اصبعي اليابسة كالعادة. اما عيني فقد بدأت بالتحسن يوما بعد يوم. وها اني الآن اقرأ بها الخطوط الثخينة وهي آخذة بالتماثل للشفاء.

4- عرج ظاهر

ايفون وجانيت حنا انطون روكس من البترون، كانتا مصابتين منذ ولادتهما بعرج ظاهر، وبعد زيارتهما ضريح شربل عام 1950، عادتا الى بيتهما صحيحتين. وقد عالجهما الدكتور توفيق ساره من البترون وغيره من الاطباء ولم تشفيا.

5- شفاء الياس ليشع من راس بعلبك

روى أميل الخازن: جئت لزيارة دير عنّايا والتبرّك من ضريح الأب شربل في 24 تموز 1950 مساء. وحوالي الساعة العاشرة ليلا صعدت مع عائلتي لزيارة المحبسة، تقدّمت للاعتراف وندمت على خطاياي وعدت إلى الدير حوالي الساعة 12 وتابعنا الصلاة حتّى الصباح دون راحة. حضرت القدّاس وصليت بحرارة وكرّرت اعترافي ثمّ تناولت القربان المقدّس وحضرت القدّاس مرّتين. وعند الوداع قصدت الضريح وخطر لي أن أستجدي الغفران بحرارة فصليت وطلبت من الأب شربل أن يمنحني نعمة تلويث محرمتي بشيء من عرق جسده ودمه وبعد برهة رأيت الحائط يتدفّق قطرات من الماء في هذا الطقس الجاف فألصقت محرمتي حيث كنت أشاهد القطرات فتلطخت بنقاط يزهو لونها ويميل إلى ما يشبه الدم الجاف فتدحرجت دموعي فقبلت بلاطة الضريح شاكرا. واعتبرت أنّ هذا العمل نحوي كان بمثابة تشجيع لتوبتي ولمثابرتي عليها وعلى الإيمان الكامل بالله وبوصاياه وبممثليه وبالكنيسة المقدّسة.

وحوالي الساعة 9 وأنا واقف بالقرب من ابني هادي البالغ من العمر 14 سنة في باحة الدير الداخلية شاهدت رجلا ومعه طفل يبلغ 6 سنوات تقريبا يتنقل بمساعدة الرجل على عكازين تحت إبطيه فشجعني إيماني - ولا أدري كيف أقدمت على ذلك- وصرخت بابني هادي قائلا: أتريد يا ولدي أن ترى هذا الغلام الكسيح يمشي فابتسم وصرخ: نعم. فحملت الولد بين يدي ودخلت الضريح، وطلبت من الولد أن يستجدي عطف الأب شربل وأخذت بدوري أصلي وطلبت من الأب شربل شفاء هذا الولد دلالة على منحي الغفران وعلى قبول توبتي. وبقيت هكذا برهة 10دقائق وأنا ألتمس بحرارة وإيمان ثمّ أنزلت الولد من بين يدي وشعرت بأنّ هاتفا يهتف بي بأنّه شفي ورميت عكازتيه جانبا وصرخت به امشِ وحدك بحماية الأب شربل ولا تخف. فمشى الولد بشيء من البطء أوّلا ثمّ أخذت مشيته تتحسّن بسرعة فخرج إلى ساحة الدير وصعد بعدها لوحده الدرج المؤدّي إلى الكنيسة. وكان قد سقط عن ظهر الجمل وتكسرت رجلاه، وأصبحت حالة الولد عسيرة. وشكرني والده.

6- لا يرى بعينه البتة

شهدت ليندا زوجة طانيوس الأوسط من وادي شحرور في 27\5\1952: أصيب ولدي عبدو البالغ من العمر السنة السابعة بضربة حجر على عينيه من 4 سنوات ونصف حين كان مع ابن عمه يلعبان بفرط اللوز. فاسودت عينه من حينه. ثم مع الوقت انجلت عينه، لكنه أمسى لا يرى فيها البتة. وكنت حزينة جدا لهذا السبب فنذرته للبار الأ شربل وقصدت زيارة ضريحه في أول فرصة تتسنى لي. وإذا بالفرصة مؤاتية اليوم حيث جمهور من بلدتي أتوا لزيارة الضريح المكرم. فحضرت مع ابني عبدو إلى الدير وقدمته أمام بلاطة الضريح وعلمته أن يطلب من الأب شربل شفاء عينه. فطلب بلسانه الطفلي وبكى، وإذا به ينظر ما يخايل أمامه. فجربته بأن أطبقت له عينه الشمال التي يرى بها وقدمت أمامه مواضيع مختلفة فكان يميزها ويسميها بأسمائها. وكان جمهور الزوار قد تجمع حوله فكان كل منهم يقدم له شيئا ليميزه فكان يميز كل ما يوضع أمام عينه. أشكر الله على نعمته ولشربل على شفاعته.

7- لا يوجد بيني وبين الموت إلا خطوة واحدة

شهدت الأخت سان جورج من راهبات القلبين الأقدسين في 18\5\1952: عمري 35 سنة، ومن 18 سنة شعرت بوجع في المعدة والأطباء ما كانوا يعرفون المرض. فأخذ يتزايد، وكانت علاجاتهم تزيد الأوجاع. عملت عملية الزائدة ومع ذلك بقيت أوجاع المعدة. ثم سنة 1948 أجريت لي عملية مزدوجة القرحة والمرارة. وما شعرت براحة البتة. فكنت دائما بانزعاج لا اذوق طعم النوم منذ 15 سنة، بسبب الآلام الشديدة للغاية حتى لا أقدر أن أعبر عنها... في 10 ت2 1951 ابتدأت الآلام المتواصلة ليلا ونهارا مع استفراغ شديد كان يدوم أكثر من ربع ساعة وبغزارة. وبعد هذا الاستفراغ كنت أشعر بضعف متزايد وأوجاع أليمة جدا مع عدم مقدرة على الأكل. وهذا كان يدوم أكثر من 3 أيام. ومع ذلك كنت أواظب على التدريس لأن الحياة في نظري كانت، سواء أن قصرت أم طالت، إنما الواجب في اعتبار هو كل شيء.

في 5\1\1952 قرر الطبيب فرج سعاده أن أواجه الدكتور بعقليني لأن الأوجاع كانت تظهر له متأتية من قرحة جديدة. واجهت الدكتور بعقليني بصحبة الأخت كونسطات فتأثر وأمر بصورة على الكهرباء. وقال لرفيقتي: مسكينة هذه الراهبة!

بعد يومين شعرت في نفسي بدافع يدفعني أن أطلب من الأب شربل أن يوقف هذا الاستفراغ ويترك لي الأوجاع فأزوره طالبة هذه النعمة. عرضت فكرتي لحضرة أمي الرئيسة الأخت إيزابيل غريب، فنزلت عند رغبتي. وثاني يوم، رغم الثلوج، توجهت بصحبة أخواتي الراهبات وبعض التلميذات إلى عنايا، ثم صعدنا بعد الظهر إلى المحبسة. كنت أصلي وأطلب من كل قلبي شفائي. وبعد هذه الزيارة ما استفرغت أبدا حتى مرضي الأخير الذي كان شبقة قوية.

في 12\3\1952 بعد أن حكمني في جبيل الدكاترة طويلة وشامي وشهيد وسعاده نزلت إلى المستشفى الفرنسي. كانت الحرارة قوية علي والسعال رغما عن العلاجات والإبر. دخلت المستشفى وقضيت فيه 19 يوما بدون جدوى بل ازدادت علي أوجاع الصدر والمعدة والاستفراغ مع الحمض على طول الخط. الصور على الكهرباء عديدة: للصدر وكلوة اليمين والمعدة. وقد صرح الدكتور بعقليني أمام الأطباء والراهبات كالأخت جرمان والممرضات: أسهل على الله أن يخلق خلقة جديدة من أن يشفي هذه الراهبة. فإن كلوتها عاطلة والرئة اليسرى و4 قروح في المعدة. تركت المستشفى بزعل لا مثيل له بعد أن صرّح الدكتور بعقليني لأخواتي بأنه لا يقدر أن يعمل لي شيئا... وفي 16\5 بقيت علي النوبة من الساعة الخامسة صباحا حتى الحادية عشرة والنصف ظهرا، إنّه لا يوجد بيني وبين الموت إلا خطوة واحدة.

في 17\5 توجهتُ مع الأخت جوزفين ماري إلى عنايا إلى أبي الحنون البار الأب شربل حيث طلبت منه شفائي بأمر الطاعة لأن هذه هي إرادة رؤسائي أن أشفى. كان ذلك نهار سبت. رغبت أن أنام على القبر فمنعتني أختي نظرا لشدة البرد ولضعفي الزائد. ثاني يوم صباحا شعرت بآلام شديدة منذ الساعة الرابعة حتى الثانية عشرة إلا ربع وكأن مجرى كهربائيا سرى في ظهري. وفي كل تلك الأوجاع بقيت في الكنيسة وسمعت 7 قداديس. وكنت أصلي بكل ثقة وحرارة قائلة: يا مار شربل يا حنون إشفِ المرضى أجمعين! يا مار شربل يا مطيع بدك تشفيني بأمر الطاعة... الساعة الثانية عشرة رغم كل أوجاعي شعرت بجوع شديد فأكلت رغيفا كاملا مع لبنة مع أني في المدة الأخيرة كنت آكل رغيفا في الخمسة أيام. في الساعة الواحدة سمعت القداس الأخير ثم توجهت مع أختي إلى المحبسة مشيا دون وجع. بعد الظهر شعرت أن رفيقتي تحب الرجوع إلى جبيل وتخاف أن تتركني وحدي لئلا أنام على الضريح فانضرّ. اعتمدت أن أذهب معها وخرجنا إلى الساحة لنرى سيارة إذا بحضرة الرئيس يلتقي بنا فيقول لنا: لا تذهبي حتى تشفي تماما. سأحضر لك هذه الليلة فرشة فتنامين على الضريح. سمعت هذه الكلمات فاهتز قلبي طربا إذ تأكدت شفائي الكامل. دخلت القبر مع أختي الساعة التاسعة والنصف. نامت هي وأنا ظليت أكتب مواعيدي

للأب شربل: 1 الطاعة نظيره لأنه شفاني بأمر الطاعة. 2 التضحية 3 الحياة القانونية... وضعت هذه المواعيد على بلاطة الضريح مع محرمة بيضاء مسحت بها البلاطة مرارا. ثم تمددت على الفراش وأنا أطلب من الأب شربل قائلة: يا أبي الحنون شربل إنك شفيتني باستحقاق دم يسوع. ولأنك شفيتني أرجوك أن تعطيني علامة حسيّة لهذا الشفاء. الساعة الثانية عشرة شعرت براحة كلية في جسمي وأخذت أعرق. وأنا في هذه الحالة بين نائمة وواعية إذ بصراخ شديد: يا مار شربل دخلك اشفيها! فتح الباب بقوة ودخل جمهور من علمانيين ورهبان ومعهم امرأة مريضة مقطوع الأمل منها. كانت الساعة الواحدة بعد نصف الليل. نهضت وأخذت الفوطة من على بلاطة القبر ومسحت وجه المريضة ثم تفرست بهذه المحرمة فنظرت فيها بقعة حمراء كلون العرق الناضح من جثمان الأب شربل... عرفت عندئذ أنه استجاب رغبتي وأعطاني علامة حسية لشفائي فشكرته من كل قلبي والدمع يهطل من عيني. عدت الإثنين مع أختي بفرح لا يقدَّر.

8- شفاء من بلغمة في الدماغ في اذار1952

إن نزيهة ابنة نقولا العجيل من بحديدات البالغة 11 سنة قد أحست بغتة بانحلال في ركبتيها وضعف في نظرها. مكثت 8 أيام في مستشفى الخندق الغميق فأجمع أطباؤه على أن معها كيس ضغط في الدماغ. وأثبت ذلك صورة صنعها الدكتور فؤاد صبرا المتخصص بتصوير الدماغ في المستشفى الأميركي. حكم الأطباء أن لا بد لشفاء هذه البنت من عملية قص الجمجمة. وهذه العملية لا يقدر عليها إلا أطباء باريس. وبما أن حالة أبيها المادية لا تمكنه من ذلك بقيت الإبنة تزداد ألما يوما فيوما، حتى إنه بعد 4 اشهر عرضت لها نوبة ظلت 5 ساعات حتى ظن الجميع أنها ماتت فشرعوا يبكونها. ذكر أبوها عندئذ الأب شربل فهرع إلى أمام صورته وشرع يطلب منه أعجوبة بكل إيمان وثقة. ووعده أنه يزوره ويقدم له ما يستطيعه إذا شفيت ابنته. ثاني يوم فاقت الإبنة وشفيت تماما.

9- شفاء من كسر في الجمجمة في 16\11\1952

شهد مجيد الحاج من عينطورة المتن: كان ابني يشتغل معي فوق عينطورة. مساء بينما كنا عائدين إلى القرية التقينا بسيارة شحن ملآنة ركابا من معارفنا. دعا بعضهم ابني يوحنا ليصعد معهم إلى السيارة وأمسكه بيده بينما السيارة بقيت سائرة. وبما أنهم لم يقدروا أن يوصلوه غلى صندوق السيارة أفلت من أيديهم فارتطم رأسه بحديد السيارة وأصيب بجرح بليغ داخل الجمجمة. وجدناه فاقد كل وعي فاسرعنا دعونا الطبيب من ضهور الشوير. فحصه هذا وقال: إن جمجمته مكسورة ولا أمل بحياته إنما نخاطر به ونرسله إلى الكلية الأميركية. في هذه الكلية عالجه الدكتور الأرمني جودياك، فحكم حالا أن المريض لا رجاء منه إنما إن شاء أهله يعمل له عملية مخاطرة. ظل في العملية 3 ساعات فنظف له الجمجمة وطمن أهله على رجاء يعود إلى التكلم. بقي المريض في المستشفى 16 يوم دون إفادة. عندئذ أجمع الأطباء أنه ما بقي أمل بصحته فاشاروا غلى أهله أن يأخذوه. لما سمعت والدته ركعت واستنجدت بالقديس شربل وأبوه يساعدها ويعد الأب شربل بزيارته حافيا. بعد أن تركه الأطباء ووضعته أمه تحت حماية الأب شربل بساعتين عادت الحياة إليه وصار يتحرك. وبعد 3 أيام صار يتكلم ولم يطول حتى غادر المستشفى إلى البيت بكل صحة.

10- لا تخافي!

شهدت لينا اليمني: إن ولدي البالغ من العمر 3 سنوات ونصف، قد أصيب بفتق بجهة اليمين، وهبط المصران بقوّة إلى كيس البيض، فأحدث انتفاخا وتمدّدا كبيرين، ممّا جعل الخطر يزداد يوما عن يوم. أخذته إلى الطبيب العسكري برجاوي، فوصف لي زنّارا، فعملت بإشارته مدّة 3 أيّام، فازداد الخطر والفتق اتساعا. توجهت إلى الدكتور الجرّاح أنيس مخلوف، وبعد فحصه الولد، حكم بأنّ المصران معقود، ويجب إجراء عمليّة بمدّة 3 ايّام! وإلاّ أصبح الولد في خطر الموت! وطلب أجرة يده 200ل ل. ولمّا كنّا من الطبقة المتوسطة، نعيش من راتب زوجي، ولا طاقة لنا بدفع هذا المبلغ، لجأنا عندئذ إلى الدكتور شهاب الدين، فوعد بالمساعدة في أوتيل ديو، وحكم على الولد بإجراء العمليّة. وقبل أن نبدأ بشيء من هذا حملت الولد أنا ووالده وكامل عائلتنا، وذهبنا إلى دير عنّايا في 11 أيلول 1950، وطرحنا الولد على قبر شربل، وسألناه بمحبّته للفقراء والمرضى أن يشفق عليه. ويشفيه دون احتياج إلى الأطبّاء. وقد دهنّا الولد بالزيت والماء المباركين، وبخّرناه ببركات الأب شربل، وزنرناه بزنّار منه، وكنّا في الدير ليلة ونهارا. وكنّا قد نذرنا أن نقضي هناك 3 ايّام مع لياليها، على أنّ وظيفة زوجي لا تسمح بذلك. وعند رجوعنا إلى البيت ظهر لي في الحلم راهب شيخ يرتدي البياض، ووبّخني قائلا: **لماذا لم تنيّمي الولد 3 ليال أمام الضريح؟ قومي خذيه. وافعلي ما أمرتك به، وترَي أنّ الولد يشفى. فلا تخافي!** وفي الصباح وجدت الولد بحالة طبيعيّة.

11- نجحت العمليّة

شهد يوسف عساف الشويفات في 6ت2 1950: من 5 أشهر أصابني وجع شديد في رأسي، فذهبت إلى الدكاترة: زبوني والياس بعقليني وكيوان، فصوّروني وقالوا لابني شاكر: إنّنا نشخّص أنّ في رأس أبيك سرطانا. فلا طبّ له مطلقا! بقيت تلك المدّة أتعذّب بالإبر المسكّنة والأقراص لأجل النوم قليلا لأنّي كنت أحسّ أنّ وخزات سكاكين تدخل في دماغي. وقد سحبوا لي 12 صورة، وكلّها دلّت على أنّ في الرأس سرطانا ظهر ممسكا بالدماغ بشكل السرطعون المخيف.

ومن شهر، بينما كنت أتغدّى على الطاولة مع عائلتي، أصابني عارض نوبة قويّة، فوضعتُ يدي على جبهتي، ووقعتْ اللقمة من يدي، وصرختُ: إليّ بالطبيب، وغبتُ عن الوعي. فأتى الدكاترة: كاركيان وأجريان ونعسان وزبوني وكيوان ورزق، فأقرّ الجميع: أن لا صحّة لي! وكنت أخرج كلّ شيء تحتي من دون وعي. ولمّا كان جورج بك حميري جارا لنا أشار أن يأخذني إلى الكلّيّة الأميركيّة رأسا. ولمّا وصلتُ كنتُ بحالة موت غائبا عن الوعي والشعور؛ فصرّح الدكتور راجنيان لولدي: إنّه من العبث وجود أبيك هنا! لأنّه بعد ربع ساعة يفارق الحياة، ولم يرد أطبّاء الكلّيّة أن يجروا العمليّة! فعندئذ رجع ولدي إلى جورج بك حميري الذي تلفن لرئيس أطبّاء الكلّية قائلا: وإن يكن في العمليّة خطر الموت فأجروها له لأنّه على الحالتين مائت، وربّما نجحت. وكان ذلك في أواخر تشرين الأوّل سنة 1950. وفي الحال حملوني إلى غرفة العمليّة وأنا غائب عن الوعي مطلقا، وعيناي جامدتان، والشخرورة على صدري. وكان الأهل والأصحاب، خارجا حاملين صور مار شربل، راكعين على الأرض، هاتفين مولولين، ويقولون: يا مار شربل ابدل السرطان بدم. ووضعوا صورة مار شربل على زجاج غرفة العمليّة مكرّرين: ابدل السرطان بدم.

فشقّ الأطبّاء أوّلا جهة اليمين فوق الصدغ فلم يجدوا شيئا، فقطّبوها 3 قطب. ثمّ انتقلوا إلى جهة الشمال وفتحوا 38 قطبة، ونزعوا العظمة، وظهر أنّ شيئا أسودا فاحما مخيم على النخاع فنزعوه بواسطة الإبرة فإذا هي كميّة 120غراما من الدم الأسود. عندئذ ترك الدكتور جاركيان رئيس الكلّيّة الأطبّاء وخرج إلى الجمع يقول بصوت جهوري: إنّ القدّيس شربل بدّل لكم السرطان بدم! لقد نجحت العمليّة! وبقيت تحت العمليّة ساعتين. وبعد 3 ساعات وعيتُ في المستشفى، قمت ومشيت كأنّي لا مرض بي وطلبتُ الرجوع إلى البيت.

12- فقير، وعيلتي مؤلّفة من 9 أنفس!

شهد شاكر مخلوف: بصفتي شغيل فاعل، وبينما كنتُ أنقل شوالا ثقيلا في معمل إدوار- نهر الكلب- شعرت بألم في ظهري استمرّ معي مدّة طويلة. وكنتُ أحسبها برقة ظهر، فطال الأمر نحو شهرين، في هذه المدّة كنتُ أراجع أطبّاء: منهم أميل جعجع وأبو رجيلي وغيرهما. فقالا لي: يلزمك عمليّة. وتصوّرت في أوتيل ديو فقالوا: يلزمك عمليّة لأنّ خرزات الظهر زائحة عن بعضها بعض. راجعت مجبّرين اثنين، فقالا لي: يلزم لك عمليّة. والثاني قال: يلزمك زمان طويل لتشفى. فتذكّرت حينئذ، وأنا فقير، وعندي عيلة مؤلّفة من 9 أنفس، أنّ القدّيس شربل يشفي الكثيرين، وأنا من ضيعته ومن عيلته، فيجب أن ألتجئ إليه، وكنت لا أستطيع المشي إلاّ باستنادي إلى العصا. فحالما نويت زيارة قبره تلاشى الوجع من ظهري، ورميتُ العصا، ومشيتُ كأنّي لم يكن بي ألم مطلقا. وزرتُ القبر زيارة شكر لنعمة من الله عن يد قدّيسه شربل.

عشرون: إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (متى 28\19)

1- شفاء الطفل ابن حسن رميحي في صيف 1952

حسن رميحي من قرية قرقريا قرب قرطبا وقع ابنه البالغ السادسة من عمره عن سطح عال فتحرك دماغه. عاينه الدكتور فارس سعيد في قرطبا فلم ير سبيلا لشفائه. أخذه أبوه إلى مستشفى الدكتور حبيب الخوري في بيروت فأعاده الأطباء ليموت في بيته. وإذ كان أهله في الطريق وجدوا الولد قد ابتدأ بالنزاع فكلفوا المدعو يوسف فرنسيس من جنّه الذي كان برفقتهم ليمر بالمدعو محمود نصر الدين الموجود بقرب علمات على كوع المشنقة ليدعوه إلى حضور الدفن. لما بلغوا قرطبا سمعت امرأة غطاس كرم أهله يبكون عليه فأسرعت وأخذت الولد الفاقد كل علامات الحياة وبعد أن حرضت أبويه ليؤمنا بالأب شربل دهنته في بيتها بماء عن ضريحه. استعاد الولد حالا وعيه ونادى: ماما! عاد الجميع أدراجهم إلى دير عنايا ليعمدوا الولد ويشكروا الأب شربل. ولما وصلوا إلى كوع المشنقة وقفوا ليعلموا محمود نصر الدين لئلا يذهب إلى الدفن. وصادفوا هناك المدعو يوسف الخوري بطرس فقصوا عليه الحادث ورجوه ليذهب معهم إلى الدير ليكون عراب الولد.

2- شربل في العراق

شهدت نوره كركجي: إنّ ولدي نوال البالغ من العمر 4 سنوات، مرض بالحمّى الخبيثة، وكان عمره 25 يوما. فنزلت على أعصاب رجليه. فنزلت وكربجت أصابعهما، وتقوّس ظهره بصورة جعلته كالقوس. ودخل نشاف في أعصاب الدماغ، وامتدّ إلى كلّ أطراف جسمه، فأمسى بحالة يرثى لها. فكنتُ إذا أردتُ أن أجلسه على الأرض يقع إلى جهاته الأربع، وكان يتألّم جدّا بهذه الحالة طيلة حياته كلّها. وقد عرضه والده على جملة الأطبّاء كلّهم الموجودين في البصرة وغيرها، وحتّى عرضه أخيرا على الدكتور ترد الإنكليزي والدكتور دافيس طبيب الشركة النفطيّة في كركوك. وكانت ناحية من بيتنا كالصيدليّة لكثرة ما جلبنا من الأدوية. ورغم كل هذه الجهود لم يستفد الولد مطلقا. أخيرا جئنا به إلى بيروت، وعرضناه على الأطبّاء، ومن جملتهم الدكتور الإختصاصي بالأطفال فيليب شديد سنة 1949، وبعد المعالجات العديدة بقي الولد على حاله، بل يزداد تعبا من جراء المعالجة.

وقد قرّر والده أن يذهب به إلى لندن، ولكن لمّا شاعت أخبار شربل وعجائبه الممتازة حملناه هذه السنة 1950، وجئنا قاصدين ضريحه المقدّس مرّات عديدة فأصبح بقوّة الله وشفاعة شربل يتماثل إلى الشفاء مرّة زيادة عن أخرى، حتّى استقام ظهره تماما، وزال اعتقال رجليه زوالا تامّا، ورجع إلى حالته الطبيعيّة، وفارقه ألم رأسه المتواصل مدّة عمره، واستعاد صحّته كاملة، وعادت إليه قابليّته، وقد كان أوّلا لا يعرف الأكل، وإذا وضعنا في فمه لقمة بقيت مدّة 24 ساعة في فمه لا يعرف أن يبلعها، فأصبح اليوم يأكل جيّدا، وينام نوما طبيعيّا هادئا. وتابعت: إنّ القدّيس شربل ظهر لولدي في اليقظة أمام جموع كثيرة في المحبسة، في 27 حزيران 1950، وكنتُ طلبتُ من الأب شربل أن يحلّ الزنار الموجود على رجلي ولدي. فبدا يخاطب الولد بصوت عال سمعه الجميع، وشاهدنا كفّا مع معصمها على رجل نُوال الذي بدأ يبكي. وبعدئذ وجدنا الزنّار مفكوكا عن رجل الولد. وقد نزع له جواربه.

3- شربل في البرازيل
ـ قرحة وضعف قلب

كتبت جريدة **الأخبار** البرازيليّة: يقيم في مدينة بيرون بيرس في ولاية ساو باولو رجل يدعى فيكتور كيماوي يشغل وظيفة مدير الصحّة والإسعاف في تلك المدينة، وكان مصابا بقرحة معديّة مستعصية، وشفي منها قال: أصبتُ في قرحة في المصران الثاني عشر deodenum منذ أكثر من 15 سنة. تعهّد معالجتي أطبّاء كثيرون اختصاصيّون، كما أنّي اتخذت الحماية الكافية بالمأكول والمشروب، فذهبت كلّ جهودي عبثا دون فائدة. وفي غضون هذه المدّة اعتراني مرض في القلب أيضا. اشتدّت عليّ وطأة المرض اشتدادا اضطرني أن أدخل أحد مستشفيات مدينة سان أندريه عن يد مديره وهو جرّاح شهير واختصاصي بأمراض المعدة. وبعد أن أخذ صورة لمعدتي بالأشعة، حكم بإجراء عمليّة جراحيّة بعد 4 أيّام تتخذ في أثنائها الاحتياطات اللازمة للعمليّة وفي الساعة المعيّنة اجتمع حولي عدّة أطبّاء، وبعد فحصي وجدوا قلبي لا يقوى على احتمال العمليّة، فقرّروا عدم إجرائها وتركوني في حالة من اليأس حيث من جرائها لا أخرج من المستشفى حيّا.

وفي تلك الليلة زارني صديق من اللبنانيّين، وإذ رآني في تلك الحالة، هدّأ روعي قائلا لي: هناك طبيب يشفيك كما شفى الكثيرين وهو حاضر غائب! حيّ ميت! وقصّ عليّ سيرة الأب شربل. **فنذرتُ له أنّي أعترف وأتناول القربان المقدّس كلّ يوم جمعة من الشهر** لمدّة 9 أشهر. وبدأت بتساعيّة لقلب يسوع على يد صفيّه شربل ليستمدّ لي نعمة الشفاء.

نمتُ تلك الليلة نوما هادئا، واستيقظتُ صباحا أشعر بالجوع، فطلبتُ الطعام وأكلتُ بشهيّة دون أن أشعر بألم كما كنتُ أشعر سابقا، وعلى أثر ذلك تركتُ الأدوية والحماية عن بعض المأكولات، وأخذتُ أتناول كلّ ما تشتهيه نفسي، فمضى عليّ 3 أيّام دون أن أشعر فيها بشيء من الألم لا في معدتي ولا في قلبي. غادرتُ المستشفى، وعدتُ إلى محلّ إقامتي مواصلا عملي في إدارة الصحّة، وقد مرّ أكثر من سنة وأنا في نشاط وصحّة تامّين، رغم أنّ عمري ناهز الخامسة والستين، **ونلتُ مع صحّة الجسد صحّة النفس.**

ـ طبيب أسنان في ريو دي جانيرو

شهد الدكتور ابراهيم الخوري: أعتراني داء القلب وتبعه مرض السكّري وضيق النفس مدّة 14 سنة، واشتدّت عليّ وطأة المرض إلى حد أصبحتُ طريح الفراش ولم أعد أتمكّن من إتيان حركة ولا أقدر على التكلّم، فكنتُ أُجيب بالإشارة بيدي. وقد تعالجتُ عند أطبّاء كثيرين دون فائدة البتّة. وإذ قطع الأطبّاء الأمل من شفائي أشاروا عليّ بالذهاب إلى طبيب اختصاصي شهير في مدينة ساو باولو، فأخذوني محمولا إلى عيادته ويدعى الدكتور جايرو راموس. فهذا بعد أن فحصني ونظر في الصور المأخوذة بالأشعّة كان حكمه أن لا أمل بشفائي، إنّما بواسطة المعالجة والمداركة ممكن أن أعيش سنة أو سنتين. فأعادوني إلى بيتي وأنا في حالة الخطر الكلّي. أمّا سبب شفائي فكان بأعجوبة إلهيّة على يد الأب شربل العجائبي وبواسطة اللبناني السيّد لويس خوري، وذلك بعد

رجوعه من زيارة لبنان، وتشرّفه بزيارة ضريح شربل، أتى ببركة من البدلة التي كان يقدّس بها شربل، وتكرّم عليّ بنتفة منها فوضعتها على قلبي بإيمان حيّ، وابتدأتُ بالصلاة لله إكراما للأب شربل، وكنتُ قد قطعتُ الأمل بالشفاء كلّيًا، وهكذا أطبّائي. وفي ذات الوقت شعرتُ بتحسّن فجائي واتجهتُ إلى الشفاء السريع، وتركتُ الأطبّاء بالكلّيّة، ونهضتُ من سريري، ولم أعد أشعر بمرض من الأمراض الثلاثة.

4- شربل في مصر

كتبت مجلّة **Image** الصادرة باللغة الفرنسيّة في القاهرة، بتاريخ 15 آب سنة 1950: لقد أخبرونا عن عدّة حوادث شفاء عجائبي في مصر تمّت في أشخاص شربوا من الماء القادم من دير عنّايا حيث يوجد جثمان شربل، أو لمسوا قطعة من ثيابه أرسلها جماعة متعبّدون بشفاعة الرجل القدّيس. لم نعر ذلك كبير اهتمام في بادئ الأمر. ولكن ها إنّ طبيبا وأستاذا في كلية قصر العيني، وجرّاحا معروفا في القاهرة يستعدان للشهادة بأنّهما شاهدا حالات شفاء خارقة بواسطة الحبيس شربل. فهل أنّ التأثير الخيّر الناشئ عن الأشياء التي لمست ذلك الرجل القدّيس يظهر حتّى في مصر؟ لقد اردنا التأكّد من هذه النقطة، فذهبنا لزيارة من تمّت فيهم العجائب عن بعد.

- شفاء المرأة أدما يوسف عيسى

ففي شارع شبرا الآهل، تعيش امرأة لبنانيّة عجوز، اسمها ادما يوسف عيسى. وهي تقيم في مصر من 23 سنة وتعيش بين أولادها وأحفادها وكانت تشكو، منذ أمد من ضغط دموي يؤدّي إلى تورّم رجليها وإثارة أوجاع تمنعها عن السير. قالت لنا: لقد استيقظت وسط الليل والألم مستولٍ عليّ، فتناولت زجاجة الماء التي أرسلها صديق من دير عنّايا بكاملها بدل أن آخذ منها نقاطا معدودة كما أشير عليّ. وفي اليوم التالي شفيت تماما. وزال كل وجع من رجليّ وصرت أمشي وأصعد الأدراج والسلالم، كما ترون.

- شفاء الفنان اللبناني جوزف الجلخ

وهنالك لبناني آخر يقيم موقتا في مصر، هو الفنان جوزف الجلخ، من المتعبّدين كثيرا لحبيس عنّايا، أصيب بحمّى خبيثة في الشهر الفائت، وبلغت درجة حرارته 40، وإذا به يتلقّى من أمّه في لبنان رسالة تتضمّن قطعة من ثياب الأب شربل. قال: لقد فركت جبهتي بهذه القطعة وبعد نصف ساعة شعرت بقشعريرة عنيفة ونمت. وفي صباح اليوم التالي، استيقظت وقد شفيت شفاء تامّا. بل إنّ وجعا متأتّيا عن داء المفاصل قد زال من ركبتي بصورة عجائبيّة. وعرفانا منّي للجميل وضعت رسما زيتيّا يمثّل الراهب شربل من ثمرة خيالي. والجدير بالذكر أنّ الصحفي الفرنسي شارل ديديه رأى الرسم وأكّد لي أنّه يشبه صورة لراهب كما أتيح له أن يراها عند البطريرك الماروني في بكركي.

- شفاء جرّاح مصري

صرّح الدكتور سمير عبدالله، أستاذ جراحة الأسنان في الكلّيّة الطبّيّة بالقصر العيني: لقد شعرت أنا نفسي بمنافع وخيرات الأب شربل، وأعلن أنّي شفيت بصورة فوريّة من حمّى قويّة بفضل وساطة شربل، إذ لمست قطعة من قماش ثيابه مرسلة من لبنان.

- شهادة الدكتور سبت ميخائيل جرّاح نسائي مصري

منذ أن وضعت قطعة من ثياب الراهب شربل في عيادتي، لاحظت تحسّنا سريعا وملموسا في عدّة حوادث شفاء لدى زبائني المرضى.

- ابنتي أمال بحالة خطرة

شهد عبد العزيز محمّد علي عام 1950: أنا وكيل أشغال الكونت إدوار شديد بالقطر المصري، حضرتُ لبنان وسمعتُ بعجائب الأب شربل فعزمتُ على الزيارة وقمتُ بها وأخذتُ بركة زيت وماء. وعند عودتي لبلدي الزقازيق بمصر، دخلتُ منزلي فوجدتُ ابنتي أمال مريضة بالتيفوئيد، وجرى علاجها بمعرفة دكتورين، وكانت بحالة خطرة. دهنتُ جبينها بزيت ممّا أخذته، فنامت تلك الليلة في غيبوبة. وكان الصباح خيرا علينا جميعا، إذ وجدنا صحّة ابنتي بحالة جيّدة وقد أزال الله عنها الخطر. وابنتي الآن بحالة جيّدة، والفضل لله بزيارتي قبر الأب شربل، نفعنا الله ببركاته سائلينه الرحمة لي ولأمثالي. آمين.

5- شربل في سوريا

- في دمشق

الآنسة إيفون ابنة جورج خوري من دمشق، مرضت بالحمى عند إتمام السنة الأولى من حياتها، فعطّلت وركيها وتركتها عرجاء تتخلّع في مشيتها، ملفتة الأنظار إلى ذلك ومحركة القلوب شفقة على صباها. وأصيبت حسيبة والدتها بمرض في ركبتها اليمنى منذ 30 سنة فيبست الركبة وهي مصابة، فوق ذلك، بمرض القلب منذ سنوات. في 3 حزيران 1950، جاءت الوالدة إلى بيروت برفقة ابنها ديمتري، وهو عريس جديد مقترن بابنة في الأشرفيّة، وكانت إيفون تصحبها في هذه الزيارة. الساعة الخامسة مساء سار ديمتري بوالدته وأخته نحو شربل،

وكانت إيفون قد استعدّت لهذه الزيارة بصومها 3 أيّام كاملة على الماء فقط لتحصل على نعمة الشفاء مع والدتها بشفاعة شربل. ذهب الثلاثة في سيّارة، وقبل أن تبلغ بهم إلى دير مار مارون بنحو ميلين في طريق وعرة كلّها شوك وحجارة وتعاريج لم يألفها لا هو ولا والدته ولا شقيقته، فأبطت الوالدة ذراع ابنها وتأبّطت ابنتها ذراعه الأخرى ومشوا ساعة ونصف. وكان ديمتري قد استعدّ لوالدته، فأخذ لها معه أدوية للقلب لإسعافها عند الحاجة، وقد عرض عليها استعمال الأدوية على الطريق فرفضت مصرّحة بأنّها متكلة على الله وعلى القدّيس شربل.

وصل الثلاثة إلى قبر القدّيس، فوجدوا جماهير الزوّار متجمّعين حوله، والمرضى يصلّون ويبكون طالبين الشفاء وهم يعدّون بالمئات بين مقيم عند الضريح أو مفترش المماشي في الدير أو في المعبد الجديد بقرب الضريح. فتأثّرت الوالدة وابنتها من منظر المرضى وأكثرهم مبتلون بعاهات تمنعهم عن الشغل وكسب العيش والرزق، فأشفقتا عليهم وقالت كلّ منهما للأخرى: نحن أحسن حالا من هؤلاء البؤساء، لأنّنا نستطيع أن نحصل قوتنا وكسوتنا. ولكن كيف يصنع أولئك المصابون بالشلل؟ فنسيت الوالدة مصيبتها، وأخذت تصلّي لأجل شفاء المرضى المنطرحين أمام الضريح، ومثلها فعلت ابنتها، وصرفتا الليل بين الكنيسة والقبر بالصلاة والتضرّع دون رقاد. وعند الساعة السادسة صباحا، عاد الثلاثة إلى بيروت يحمل كلّ منهم في قلبه حرارة الإيمان، وشعر بأنّه مسرور جدّا. ولكنّ الوالدة والابنة لم تحصلا على الأعجوبة.

عندما وصلوا إلى الأشرفية، استلقت الوالدة على الفراش لترتاح من تعب السفرة التي كانت عليها شاقّة، ولكنّه لم يمضِ نصف ساعة حتّى أحسّت بتنميل في رجلها اليابسة ثمّ شعرت بوجع مؤلم جدّا في ركبتها المريضة التي لا تطوي منذ 30 سنة، وسمعت كأنّ عظم الركبة طقّ فصاحت آخ! ماذا بي؟ ونهضت من ساعتها، وبدون انتباه طوت رجلها فانطوت، وبحركة فوريّة ركعت على ركبتيها تصلّي، فصاحت ابنتها إيفون: إنّ والدتي قد شفيت أعجوبة! أعجوبة! فبادر أهل البيت، وفي مقدّمتهم ديمتري ليرى والدته، ففرح عندما رأى والدته جاثية على ركبتيها تبكي وتصلّي، والتفت نحو أخته إيفون فصاح بها: وأنت أيضا يا أختي قد شفيتِ! لأنّه رأى صابونة رجلها تتحرّك وحدها ورأى أخته تمشي نحو والدته مشيا سويّا كأنّها لم تكن في حياتها عرجاء مخلّعة! فاضطربت إيفون ولم تصدّق نفسها ولا شقيقها، وصاحت: كيف يكون هذا؟ فخاف عليها أخوها من شدّة تأثير الفرح، فأشار عليها لتصعد إلى الطابق العلوي وتقف أمام المرآة لتشاهد نفسها كيف استقامت بقامتها ومشيتها، ففعلت. ولمّا رأت نفسها لأوّل مرّة مستقيمة القوام بوقوفها وسيرها، بكت من فرحها وتهلّلت، وصاحت بصوت عال: كثّر خيرك يا قدّيس شربل! أعجوبتين في بيتنا لي ولأمّي! وخاطبت دمشق بالتلفون فبشّرت الأهل والجيران وأوصتهم أن يذبحوا ذبيحة، ويدعوا فقراء الحي لحفلة فرح وشكر لله، وفي 5 حزيران كانت العائلة في دمشق، فتهافتت على دارها الجماهير من المعارف والأهل والأصدقاء لتهنئ وتشارك في الفرح، وبالدرجة الأولى لتشاهد الأعجوبتين. وقد تحدّثت دمشق بهاتين الأعجوبتين تحدثان في بيت واحد. وكانت إيفون تمشي في النهار وإلى ساعات متأخّرة من الليل أمام زوّارها ليروها ويمجّدوا الله بشفائها.

- في حلب

***يد غير منظورة ضربتني**

شهد جبرائيل ياسمين: منذ سنتين ونصف اصابتني عرضة فالج قويّة جدّا على الجانب اليمين، فيبست تلك الجهة وأصبحت كقطعة خشب، ووقفت عن الحركة، وامتنع منها الشعور بحيث أنّه لمّا كان ينخرني أحد الدكاترة بإبرة بناحية من الجهة اليمنى، من الكتف إلى أسفل الرجل لم أكن أحسّ، بل كنتُ كخشبة هامدة. ورأسي يهزّ بقوّة وسرعة، ويدي المشلولة كذلك، وكنتُ أسحب جنبي اليمين سحبا بانزعاج. وأنا في الخامس والثلاثين سنة، وقد سمعتُ بحوادث شربل المذهلة، فركبتُ مع والدتي وجئت إلى زيارة ضريحه المبارك، وأنا من الطائفة الأرثوذكسيّة. وما مرّ على وجودي يومان حتّى شعرت صباح 12 حزيران 1950، بيد غير منظورة ضربتني على فكّي اليمين ضربة وقعتُ على أثرها على الأرض، واعترتني هزّة في جميع أعضائي لاسيّما في الناحية اليمنى، بقيت عليّ قد ساعتين، حسبتني أمّي أفارق الحياة في غضون هذا الوقت. على أنّه ما زالت عنّي هذه الحادثة، حتّى رأيت أنّ يدي وجنبي اليابسين انطلقا، وعاد إليهما الشعور والحسّ، وهدأ رأسي في مركزه الطبيعي، وفارقته الهزّة، ولم أعد أشعر بشيء.

*** يشكل خطرا على دماغ الولد**

عام 1950صرح والداه: إنّ ابننا طوني، وعمره 6 سنوات ولد وكيس الخصيتين فارغ لا يوجد شيء. وكان صغيرا ولم نكن ننتبه إليه. ومن سنتين شرع الولد يشكو من ألم في محالبه، فنظرت جيدا فوجدت الكيس فارغا، فخفت وحملت الولد إلى الدكتور أنطوان صقال نسيبنا وإذ شاهده قال إنّ كيس الخصيتين فارغ، والظاهر أنّ

البيضتين في أعلى المحالب وهذا مما يشكل خطرا على دماغ الولد في المستقبل ويصبح مهبولا لا عقل له. ومن خوفنا حملناه إلى بيروت إلى الدكتور نخمن رئيس أطبّاء الكلية الأميركية وبعد الفحص الدقيق قرّر ما قرّره نسيبنا وأعطاه كميّة من الإبر وبعدها أوجب العمليّة الجراحيّة وبعد استعمال الإبر لم يستفد الولد شيئا. وبعد سنة تركنا الإبر والطبّ وكان القوم يقولون لي اتركيه يصير كاهنا! وكانت الخادمة عند تحميمه تجد الكيس فارغا فتقول يا لضيعة الإبر والدراهم وهكذا بقينا حاملين همه حتى جاء الطبيب السماوي البارع الأب شربل الذي أرسلته العناية الإلهيّة رحمة للبشرية فحملنا ولدنا إليه نحن والداه وعمّته عاليه فوصلنا الضريح المقدس وجثونا أمامه نشارك المؤمنين في الصلاة فسمعت أنا ماري والدته صوتا في أعماقي يقول لقد شفي ابني طوني ونزلت خصيتاه إلى الكيس. فوجدت البيضتين بحجم حبّة الزيتون الكبيرة وهكذا كان وبقيتا وهي لا تزالان ثابتين في محلهما وقد فحصه الدكتور أنطوان سابا طبيب الصحية في الدير. إنّ الأعجوبة قد تمّت في 21 آب 1950.

- في القامشلي

شهدت منيرة ستانو في 2 أيلول 1955: أصبتُ بداء السحايا في 9 اذار 1954، ومكثتُ 21 يوما مريضة. جمع أهلي لجان الأطبّاء: أحمد نافذ وفرنسوا شادارافيان وبول بلغاري، وكلّهم أجمعوا على أنّ الأمل بشفائي ضعيف جدّا، وجاء الكهنة ومسحوني المسحة الأخيرة. وحضر المطران يوسف جاننجي واقفا على حالتي. وفي أثناء مرضي كان الأب يوسف خشّان الراهب اللبناني يلقي رياضة روحيّة في بلدتنا القامشلة، فعرف بحالتي، وأعطاني زيتا مباركا من مزار الأب شربل، وباركني بالمنديل المرسومة عليه صورته. نمتُ فرأيتُ في نومي الأب شربل وقال لي: **أنا شفيتك**. فقمتُ من نومي مرتاحة، وبعد 3 أيّام شفيتُ تماما. والحمد لله على عطاياه، والشكر لشربل على شفاعته لي.

6- شربل في الولايات المتّحدة الأميركيّة

- نذرتُ أن أعترف وأتناول

كتب سليم غنطوس من ميشيغن- فلوريدا: كنتُ مريضا بمرض السكّري، وكان قصد طبيبي أن يبعثني إلى مستشفى لأنّ السكّر كان معي لدرجة عالية جدّا، وكنتُ بحالة خطرة كما قال لي الطبيب. ولكنّي حصلتُ على قطعة صغيرة من ثوب شربل، فأخذتُها ووضعتُها في غلاف من قماش وعلّقتُها في عنقي، ونذرتُ للقدّيس شربل 75 دولارا، وأن أعمل تساعيّة صلاة, وبما أنّه لا يوجد تساعيّة للقدّيس شربل، **فقد نذرتُ أن أعترف وأتناول جسد الربّ إلى تسعة آحاد متتالية**، ففعلت. وبعد 3 ايّام منّ الله عليّ بالشفاء بشفاعة شربل.

- صرت كمجنونة

كتبت وردة أرملة ابراهيم شربل البقرزلاوية من بلدة بوتيكا- نيويورك في 4\7\1961: كنت مصابة بالكيتين والكبد والقلب والطحال ويحدث معي حصرا في البول وسويداء. ذهبت إلى أطباء ماهرين وعديدين ولمدة 15 سنة وصحتي تزداد سوءا. أتتي يوما صديقة ورأتني بهذه الحالة التعيسة، وشفقت علي وعلى حالتي وكان يرثى لها وصرت كمجنونة! وقالي لي: إلتجئي إلى القديس شربل وهو قدير أن يشفيك بعون الله تعالى فأعماله شائعة في العالم كله. والآن بشفاعة القديس شربل، بعد طلبي منه، شفيت وصارت حالتي حسنة وصحتي كالأول. فأشكر القديس شربل من كل قلبي.

- راهب يتحادث تلفونيّا مع طبيب

شهد الاب انطونيوس علوان عام 1955: وأذكر حادثا يتعلّق بأحد أقاربي في أميركا، المدعو مرشد علوان من أيطو المقيم في بيور ألينوز المتحدة، فإن هذا الرجل قد أصيب بمرض عضال عالجه أطباء عديدون مشهورون دون فائدة. وقد قطع الرجاء من شفائه بحيث كتب لأخيه علوان، الموجود في ايطو، ليسافر إلى أميركا لإستلام تركته. لأنّهم كانوا يعتقدون، أنّه في حالة الخطر الشديد، ولا أولاد عنده. وبينما كان مرشد المذكور في المستشفى التابع لإحدى الجامعات الطبيّة هناك، رأى في الحلم راهبا يتحادث أمامه تلفونيّا مع طبيب آخر في مستشفى غير المستشفى الموجود هو فيه قائلا: الدواء الفلاني للمرض الفلاني (وسمى له الدواء والمرض) موجود لديك؟ فأجاب: نعم موجود. عندئذ استيقظ المريض ولم يجد أحدا حواليه. فاعتقد أن الراهب الذي رآه في الحلم، هو الأب شربل لأنّه كان يكرّم الأب شربل إكراما خاصا، ويرسل إلى دير مار مارون عنّايا، حيث يوجد جثمانه، نذورات وتقادم. وإنّ الدواء الذي كلّم الراهب الطبيب الآخر عنه هو الذي سيشفيه من مرضه. وقصّ الحلم على طبيب المستشفى الموجود فيه، وطلب أن يذهب إلى عند الطبيب الآخر في مستشفاه. فذهب بطيارة هو وزوجته وممرّضة. وهناك وصل، وقد كان في حالة الخطر الشديد، أخبر الطبيب بما رآه، وطلب منه الدواء فأعطاه إيّاه، وشفي من مرضه.

7- شربل في أوستراليا

- الأطبّاء احتاروا

شهد جوزف أنطون في سيدني في 6\7\1955: كنتُ طريح الفراش لا أقدر أن أسير على قدميّ إلا على عكّازتين، لأنّ رجلي الشمال كانت معطوبة. وكان لي أسبوعين أتعذّب من الألم. فقلتُ للقدّيس شربل: كن معي يا شربل بأن أسير من دون عكازة، وتزيل الألم عنّي. فثاني يوم قمتُ وشلحتُ العكّازتين على جنب، وصرتُ أمشي على قدميّ رويدا رويدا حتّى الأطبّاء احتاروا بهذه المسألة. فأشكر القدّيس شربل على هذه النعمة.

- عيناها ترشحان دموعا ليلا ونهارا

كتب جرجس خضير الباني من سيدني أوستراليا في 15\12\1959: ذات يوم وأنا مار في الشارع استوقفتني امرأة، عمر60 سنة، وعيناها ترشحان دموعا ليلا ونهارا. وكانت تذهب إلى الحكيم أسبوعيا، فحكم عليها بعملية جراحية. فعرضت أن أجلب لها بركة من القديس العظيم شربل وقد شرحت لها عن قسم من حياته، فآمنت كل الإيمان. وبعد أسبوع أعطيتها قليلا من البركة التي معي، وهي خرقة قديمة من ثياب القديس وقد جلبتها معي عندما زرت الدير. وشفيت بعد أن مسحت عينيها بتلك الخرقة المقدسة، فألغيت العملية وزال الوجع من عينيها.

8- شربل في الارجنتين

في مدينة نوكن أوتيل يدعى سان شربل، صاحباه لبنانيّان وديع واميلي سعادة من ميروبا- كسروان، من أحدث الفنادق. وفيه نزل قائد طائرة خاصّة يرافقه ثلاثة وصلوا إلى المدينة لإتمام بعض معاملات لدى حاكم الولاية تتعلّق بميتم ومأوى للفقراء تحت إسم مدرسة الإنجيليّين لليتامى، قضوا ثلاثة أيّام في الفندق، إلى أن حان موعد عودتهم إلى ولايتهم فسألوا صاحبي الفندق: لماذا يدعى هذا الاوتيل سان شربل؟ ومن هو القدّيس؟ فأجاباهم إنّه قدّيس من لبنان أظهر عجائب في العالم. فقال قائد الطائرة ورفاقه: إنّنا نتخوّف من عطل في الطائرة في عودتنا، لذا نريد صورا للقدّيس شربل حتّى يحمينا وأعطياهم صورا.

إسم قائد الطائرة إدواردو موارا والركاب الذين في رفقته خوسيه بفران والمهندس أنطونيو مورجيو وبنيتو بفران. وطائرتهم صغيرة خاصّة بايبر، في نصف ساعة بعد إقلاعها من مطار نوكن حدث عطل في محرّكها وصرخ ركّابها: نجّنا سان شربل! وسقطت وتحطّمت لكنّهم خرجوا منها سالمين. وصرّح قائد الطائرة السيّد ادواردو موارا بأنّها أوّل طائرة في العالم تتكسّر دون ضحايا. وإنّنا سنزور القدّيس شربل في لبنان لنشكره. كما الصحف الأرجنتينيّة كتبت عن الحادث في أولى صفحاتها مع صور للقدّيس شربل وسيرته.

9- شربل في فرنسا

- جريدة Ici Paris

كتب الأب لويس وهبه في مجلة **شربل** عام 1957: قد أسعدني الحظ بالسكنى في دير عنايا عدة سنين قمت فيها بمهمة لم أجد أحب منها وأفضل، وهي المجاوبة على الرسائل. ففي يوم وصولي إليه، وكان يوم خميس في أواخر أيلول سنة 1951، وصل 1422 رسالة واردة من كل بلدان العالم ولاسيما من فرنسا. ولكي تدرك مقدار هذا الفيض النادر المثيل يكفي أن تعلم أنه منذ 2\10\1950 حتى شهر آب 1952 قد أجيب على 18483 رسالة. أما موضوعها فكان في بادئ الأمر يدور بأكثره حول وصف الحاجات المختلفة، من أمراض ونكبات ومشاكل روحية ومادية. ثم تحول بعد ذلك بأغلبيته إلى وصف الحصول على النعمة المتوخاة، والفيض في الشكر والابتهاج...

أما كيف انتشر خبر الأب شربل في تلك الديار النائية، فإن العناية الإلهية لا تعجز عن وسيلة بها تمجد من مجدوا الله في حياتهم.

وإننا نترك المجال لمخبر جريدة Ici Paris، المعروفة بقلة اكتراثها للدين، ليصف لنا عاملا من العوامل العديدة التي ساعدت على قدرة الأب شربل. وقد نشر هذا الوصف في عدد 9\10\1951 تحت عنوان: قد شفاني الأب شربل بنوع عجيب. نترجمه عن الفرنسية بالحرف:

قالت السيد ب ب من لا روشيل هذه هي الوصفة الشافية بعد المسافة. إن المدينة بكاملها تنتظرها بثقة.

...لما بلغت الطابق الأول وفتح الباب، صادفت امرأة ذات هامة جبارة. قد تردت ثيابا قديمة الموضة، والصفاء يتألق على وجهها. فهي التي جاد عليها الأب شربل بالشفاء العجيب. إن الأعجوبة في نظر هذه السيدة أمر عادي. تتحدث ببساطة وتأكيد، كما هي الحال مع وصول البريد. عمرها يناهز ال72. فقصت علي بكل لطف العجائب الثابتة المزمعة أن يدوي صداها في جهات الغرب المتدينة. فقالت:

أجل يا حضرة السيد إن الأب شربل الحنون هو الذي شفاني. إنما الأعجوبة الكبرى قد تمت مع ابنتي. كنت مصابة بداء المفاصل منذ سنين عديدة حتى أضحيت لا أقوى على الحركة. بغتة زال كل ألم، وها قد أصبحت أقفز كالغزالة! آه! كم أن الأب شربل هو حنون!

كان دمع الغبطة يترقرق في عيني هذه السيدة الفاضلة، ووجهها يطفح بشرا لدى تلفظها بالاسم المكرم. وكانت شفتاها لا تمل من تقبيل صورة للأب شربل منشورة في الجريدة، حتى فقدت هذه الصورة نضارتها وكادت تتمزق. ثم تابعت قائلة: نعم إن الأب شربل الحنون هو كلي القدرة يشفي المؤمن والكافر... حتى إن ما يستطيعه لا يستطيع العقل إدراكه!

إن إيمان السيدة ب يعجز القلم عن وصفه. إيمان قوي، جلي، امتلك شواعري وهزّ عواطفي هزّا. في تلك القاعة الصغيرة التي يسودها النظام والهدوء كان الشعور الفائق الطبيعة سائدا أيضا، ساخرا بالمبادئ العلمية المالوفة. إذ ذاك دخلت السيدة التي حازت أعظم نعم الشفاء.

هي امرأة بسن 47 – فقدت زوجها وكان مفوض بوليس- شكلها متناسب ومرض، وهي، على مثال والدتها متزنة وهادئة. فقالت لي: قد شفيت بنوع عجيب وبشفاعة الأب شربل القديس. وأخذت تصف لي كيفية شفائها، وكيف يستطيع كل من شاء أن يحصل على نفس المعجزة فقالت: منذ سنين عديدة كنت أتألم من خراج ظهر في صدري للجهة اليمنى، وكنت أخاف من أن يتحول إلى سرطان. ولما رأيت أن أطباء بلدتي عجزوا عن شفائي ذهبت إلى بواتيه حيث كان طبيب اختصاصي بهذا المرض هو الدكتور م... ارتحت قليلا بواسطة الإبر، إنما الورم ثبت كما كان، ولم يعتم الألم أن عاودني بأكثر شدة حتى أعدمني لذة النوم. في نيسان الماضي قرأت في جريدة هنا باريس خبرا من مراسله الخاص يصف فيه ما يحدث في عنايا من الأشفية الغريبة. فخطر لي عندئذ أن أكتب إلى الأب بطرس زهرة رئيس دير مار مارون عنايا في لبنان متأكدة أن العناية الإلهية تهديني في سبيل الخلاص. وهذا هو نص الرسالة:

أبت قرأت في جريدة هنا باريس الأسبوعية وصف العجائب التي تحدث في عنايا. فإني متألمة جدا من خراج في صدري عجزت عن شفائه أشهر الأطباء، وبما أن إيماني وطيد، فإن شفائي لا ريب فيه إذا تكرمتم علي بذخيرة من الأب شربل... وقد ارسلت ضمن الرسالة خصلة من شعري مع قطعة قماش كنت وضعتها على الجزء المريض من صدري. لم يمر على هذه الرسالة أكثر من 12 يوما حتى استلمت الجواب الآتي:

حضرة السيدة الفاضلة أعيد إليك الأشياء التي بعثتها لنا، بعد أن نضحناها بعرق الأب شربل العجائبي. وقد ذكرناك في صلواتنا.

إذا قد أصبح في حوزتي الآن ما أرسلت من الأشياء بعد أن تباركت بالعرق المقدس، ثم بعض الذخائر، مؤلفة من قطع قماش حمراء صغيرة. لم أتردد في بلع هذا القماش، مدفوعة بعاطفة إيمان لا تقاوم. أما باقي الأشياء فوضعتها على محل الألم. بعد ذلك ذهبت إلى كنيسة المخلص المجاورة لأصلي أمام العذراء.

لم أكد أبتدئ بالصلاة حتى ابتدأت الأعجوبة: فقد شعرت أن مجرى كهربائيا يخترقني فيهز بدني هزا. حينئذ شرع العرق يتصبب مني وصدري يلهبه حكاك غريب. وفي الليل شعرت كأن في فمي عرقا ذا طعم حاد. وفي ذات الوقت انتقل الخراج من الجهة اليمنى إلى اليسار، وزال الورم من رجلي وذراعي، بعد أن لازمها زمنا طويلا. وبينما كان ينتابني سعال شديد، مرافق بتفل كثير، إذا بي أتخلص من كل ألم! شفيت!

هذا ما كتبته جريدة هنا باريس فكان لخبرها صدى قوي في كل أنحاء أوروبا، ولم يعتم أن امتد إلى أميركا وافريقيا. وقد بذلت المرأة المنعم عليها كل ما في وسعها لتظهر عرفانها الجميل للمفضل عليها، فلم تنِ عن نشر المعجزة، ليس فقط في بلدتها، بل في كل المدن والقرى المجاورة.

فصار كل من له نسيب أو قريب مريض تدب في طياته قوة الإيمان والرجاء فتدفعه بشدة إلى الكتابة وطلب البركة من عنايا، وكان يقتدي بالسيد ب ب فيرسل خصلة من شعر المريض مع قطعة من القماش كانت وضعت على العضو أو المكان المريض.

- رسائل من فرنسا

فرنسا في 5\2\1952

إن الذخيرتين اللتين أرسلتموهما لي قد فعلتا معجزتين عظيمتين: شفائي من البروستات وشفاء والدتي من داء الكبد.

بوردو- فرنسا في 15\2\1952

حصلت من الأب شربل على نعم عظيمة روحية وزمنية فإنه قد أنقذني من مأزق حرج وجدت فيه. ثم إن ألما شديدا في الرأس كان يهددني بفقدان توازني العقلي. فتبددت مخاوفي وزال وجعي حالما دعوت القديس شربل. إني أستغيث دائما وبحرارة بالقديس شربل وأنشر عبادته فيما حولي.

السان الأسفل- فرنسا في 10\2\1952

قد استلمت في شهر كانون الأول ذخيرة للأب شربل من عنايا. لما حملها زوجي المصاب بداء السرطان ابتدأت صحته تتجدد بنوع غريب، وأخذ العجب الطبيب الذي كان قطع كل رجاء من شفائه...

جيروند- فرنسا في 21\2\1952

إنكم تكرمتم علي في 1\3\1951 بقطعة قماش صغيرة مبلولة بعرق الأب شربل. كان أخي قد تحمل عملية السرطان في 20\2\1951 وكان الضعف يستولي عليه كل يوم بزيادة حتى خيف عليه فطلب الكاهن. إنما بعد أن قبل أخي الذخيرة ببضعة أيام غادر المستوصف حيث كان قد قضى شهرين، واستعاد بسرعة قواه وقابليته. كان عجب الطبيب الجراح عظيما وقد زاره مرارا. والآن أصبح أخي ذا صحة ممتازة كأنه لم يمرض البتة حتى إنّه عاد إلى أشغاله ووزنه أصبح عاديا أي 98 كيلو.

10- شربل في بلجيكا

o. de Munch – 94, Bruxelles- Belgique في 26\10\1951

أبت المفضال أشكرك جدا على رسالتك الحاوية ذخائر الأب شربل. فقد شعرت بالراحة، ولما أعطيت قسما من هذه الذخائر لصديقة لي متألمة استفادت هي ايضا منها إفادة عظيمة، وقد زالت عني آثار السرطان الذي كنت أخافه. فشكري الجزيل للأب شربل.

شارل روا- بلجيكا، في 21\11\1951

إن عرفاني بالجميل قد حملني على كتابة هذه الأسطر. قد استلمت الجواب (الكلسات التي أرسلتها لتتبارك من ضريح الأب شربل). وحالما لبستها، لم أعد أشعر بألم البتة، بعد 34 سنة مليئة بأوجاع مبرحة. إنّ هذا لعظيم حقا. لذلك لا أملّ من الصلاة للأب شربل ومن شكره.

11- شربل في جزيرة مالطا

جزيرة مالطا في 30\12\1951

أبت الرئيس إني أشكرك على ذخائر الأب شربل التي استلمتها. ويسرني أن أصرح لك أن كثيرين ممن استغاثوا بالأب شربل وحملوا ذخائره قد نالوا نعما خاصة. من هؤلاء سيدة كانت في خطر الموت بسبب تسمم كليتها في الولادة. وحالما وضعت البركة على جسمها المنهوك، زال الألم. فسمت ابنها الجديد: ألكسندر- شربل. وقد استولى العجب على الطبيب لدى رؤيته هذا التغير المفاجئ.

واحد وعشرون: شربل بالزجل اللبناني

1- أسعد السبعلي

- وصف شربل

إنت الشلـــحتا من عيونك هالدني ... وزوّادتـك شـمـعا وإنـجـيل وصليب
وملايكـــة الله ترف وتـــنـــحني ... لمّـن تـناجي روحك الفـادي الحـبيب

وهالنفس لحرمتها تـشوف البشر ... مـن الصـــلا مـــا كـان يشبـع شوقها
وللّيوم باقـــي مـن جروحاتك أثر ... بهـاك الحـجار الكـنت تركـع فوقها

زنّار مسح الشعر، شوكاتو الكبار ... مسلاّت عـا لحـمـك تلفّ وتنطوي
وقـلبك المـــــليان إيمان ووقار ... طـهر السـما وعـطر الزنابق محتوي

تاكل نبات الأرض ترضى باليسير ... وعـن كون كلّو شـرّ فـكرك تـبعـدو
تبحر بخلواتك على نور الضـمير ... وتـبكي قـلـبك بـالـسعادي تـــوعـدو

كل يـوم النـاس جـايـي ورايـحا ... تـتشوف جـسم الما انـحل ولا بـلـي
وهالـنعـمة الحلوي بقربك فايحا ... مـا شـمّـها إلاّ تـراب الجـلجلـي

- طبق القصب

شـــو ركع شو نام عا هاك الطبق سكـاكيـن قـصبـاتو بـدمّو ملوّنـي
وبـــــعدو لحدّ اليوم بيكدّو العرق هلـكـان عم يـبـني دني بتاني دني!!

- محبسة شربل

يا حجار هاك المحبسي قولي معي: يـا حـاملي تـذكار مـن راهـب جـلـيل
الإيمان بقلوب البشر حنّ ووعي الأخرس حكي الأعرج مشي صحّ العليل

- قبر شربل

يا قبر شربل يا محجّ الزايرين ريـــحـــة الـبـخّـــور فـيـك بـشـمّها
جوّك عبير الطهر، أرضك ياسمين غـبـــارك بـعـيـني بـنـحـني وبلمّها

- الى شربل

عنّات هالمشلول غصّات ونحيب إنـــت الحـنـون وعـجـايبك ما بتنحصى
بجاه المسيح، الشر دمّو عالصليب تـردّو عـا بـيتو لا رفـيـق ولا عـصا

قبرك يا شربل رمز عن وادي الدموع وصرخات من عميان عم تطلب نظر
صلّي لخالق هالدني صلّي ليسوع يـمسح بـروح مـحبّتو وجـاع الـبشر

وأعمى على العكّاز إيّامو عذاب وبـيصيح يا شـربل يـا خير الأنـبيا
علواه من قبرك عا شي حبّة تراب إمسح جروحي، وفـتّـح عـيوني فيا

وأم لعا زندا طفل أعمى العينتين مـشلول، إيـدو يابـسي، وإجرو حطب
دقة عا البلاطا، وعا صدرا دقتين: يـا شـربل القدّيـس شـدّلّو الـعـصب

يا قبر إنت قتلت بالناس الشكوك عـا بـلاطتك روس كـبيري بـتـنحني
إنت يل زغّرت تيجان الملوك فـيك الـتـساوي لا فـقـيـر ولا غـنـي

شربل ما شافت هالدني متلك عظيم إنـت المـحـبّي إنـت للأرزي الأمـل
أللهّ! لمّن عالجك هاك الحكيم (العويني) عـارف عـا زنـدو مـات قـدّيس الجبل؟

-إلى دير عنّايا

يا دير، يل ما شكيت مرّة من الضجر رفـاقـك بـهـالـجـرد وديـان وسـجـــر
ومن كتر ما شلحت عليك الشمس نور بـابك عـري من اللون واسمرّ الحجر

وهالجرس هالرنّتو كلاّ خشوع شـو فيّق الوديـان صـوتـو هـالغميق
وينده عصافير السما تغنّي ليسوع مـن طـاقـتو هل ما لهن غيرا صديق

يا دير يللي الدهر قدّامك زغير شـــو لفلـفك بجـوانحو البيضا غمام
عا مدبحك يا ما سجد راهب فقير كـرّس صـلاتو للسـما، وحبّ السلام

2- كابي حداد

إنسان؟ مش إنسان! روح من الله! قدّيس من لبنان هزّ الدنـي كلاّ

قدّيس من لبنان من قوّة الإيمان

ضوّى عيونو شموع عا مدبح العدرا العا إيدها يسوع والشوك عا صدرا

قدّيس من لبنان لا! لا! قمر قربان
هاك السما صوبو كارجي نــجوما تركع على توبو وتروح عا روما

قدّيس من لبنان يا قدوة الرهبان
ناسك بمحــبــســتــو تحت الشمع لاطي! بإجريه لو بستو بتتوب يا خاطي

قدّيس من لبنان بعدو متل ما كان
هاك الجسد باقي! غفيان بـالـتـابـوت ما في قلب ناقي صـاحـبـو بيموت!

3- أسعد سابا

آمنت باسمك يا الانت منّا وقلبي انتلا إيمان إنت يا قدّيس من عنّا من هون من لبنان

ها الدهر حدّك مرّ وتسوسح وذكّرتنا برمز الفدا الأسمى ابن السما المعبود
القامو للمكرسح والفتّح الأعمى وعاد انصلب عا العود

قالوا الزنابق حدّك تراتيل وشلح الحبق صلّى لهالصورة الطلعت على المنديل الفيها وحي الله
هالعطر هلّي فاح من جسمك هادا لنا هديّي إنت السما إنت المجد إسمك وللأرز غنّيّي

صلِّ لخلاص الناس صلِّ الفرض ولا تزعل من الناس قبلك ابن الله نزل عالأرض سقيوه مرّ الكاس!
قلب الجبل آمن بناسوتك وبدمّك الفاير وبتصير بكرا خشاب تابوتك للعالم دخاير

4- مارون الخوند

هيدي عجايب بالبلاد بــتـنسما لمّا ضريح القبر بيقيم الضريح
فتَّح عيون لكان طافيها العمى وحطّ النشاط بقلب متلوّع كسيح
يا شربل القدّيس نفسك بالسما نُزِلتْ عا الأرض تا تبشّر بالمسيح
وبعدو ترابك حي عم يرشح دما والقبر شعّ بـنور إيمان الصحيح

راهب فقير وكنت ساكن محبسي عـابـد إلهك والصلا بـشـبـيّـتـك
تراب لدعستو صار أرض مقدّسي وقـربان نـفسك للإله هـديّتك
نحنا المنايا في قبور مدنّسي إنت بـــاقي حي بعد منيّتك
القبر اللي ندّى من المياه مكرسي بيشفي جميع البشر عا نيّتك

والسنديانة لكانت بهاك الربوع بتشهد على قدس الطهارة والعفاف
صارت دوا متجمّعا عليها الجموع والناس تقصد عن عقيدة وإلتهاف
قبرك مزار الكلّ مبكى للدموع بريت حجارو عا المحارم والشفاف
ألف نهدِة وألف دقَّة عا الضلوع بيتطايروا بصفقة محبّة وانشغاف

صارت جوار الدير كلّتها دروب كلّ الدني تا تزور قبرك لافية
بيك وأمير وكلّ طبقات الشعوب هامت على الأشواك تركض حافية
نجم الهدى طلّيت من بعد الغروب تسكب علينا من حنانك عافية
وراجع بنور الحق عم تهدي القلوب وتـرفـع لـواء الدين فـي لبـنان
وتردّ شمس ال عن جبــلنا قافية

5- فرز طوق

- محمّد مروه

محمّد عـلي مروه يـخبّر قصـتو
من شربل القدّيس كان لو حصتو
كل مـا رواهـا بـتدمـع عـيـونو
المرض ولّى بس بقيت غصّتو

مرض بيجسمو كبير ما كان ينحمل
وعينو الشمال انطفيت وأيش العمل
الاّ الأطبّا لعـالجـو واسـتـسلمـو
وبعد العلاج الكل قطعولو الأمل

سامع عن القدّيس كم شافي مرض
تا يشوف (أفدوكا صليبا) المفترض
تا الضـريـح تـزور عنّـو كلّفـا
وخمسين ليرا قال عن نفسو فرض

ودّا معا مكتوب تا يحكي الصحيح
كاتب: أنا مسجون مش عامل قبيح
انكنّي بري بخرج بصحّة كامله
وإن كنت مجرم ردّتي أعمى وكسيح

أفـدوكيا عمـلت شـو بـدّو مكلّفا
محمّد ناطر ردّ ما شاف الغفا
إلاّ وجابتلو مي وتـراب وقطـن
من فرد مسحه مـحمّد ينال الشفا

- طلبه

يا شـربل نحـنا جيـنا
لعـنـدك طـل ولاقـينا
ببقاعكـفرا بأعلى جـرد
تحـدّيت التعب والبرد
تا نقـاوم نعـمه اعطـينا

من بقاعكـفرا لم فلّيـت
عن كل الدنيي تخلّيت
تركت الإخوة تركت الأم
وتركـت خوالك والعم
وبعنّـايا لقيـت البيت
متلـك عا البيـت اهديـنا

لبسـت التوب الرهباني
تا تعيش بـعالـم تانـي
تـنسّكت بصومعة الرب
من ينبـوع الحب تغب
ووزعـت الحب قناني
كاس مـن الحـب سقينا

فراشك من ورق يابس
ولحافـك توب اللابس
المـخدّه شقـفـة خشـبـه
وأكلاتك خبز وعشبه
وحـالك بالقرنه حابس
يللي شـايـف فرجيـنا

يا مقضّي العمر تصلّي
وإيديـك لفـوق تـعلّي
عا العـالـي تـرفع كاسك
وللأرض بتحني راسك
مُريض وبجسمك علّه
مرضـى من العلّه شفينا

يا ناسـك صاير ختيار
ولجسمـك باقي قهّار
صومعتـك بأعلى الجرد
متحـمّل تـلجا والبـرد
مجلّد ما بتقـرب للنار
مـن إيمـانـك دفّيـنـا

ناطـر تـا الميلاد يـطل
وتتـرك هالعـالم وتفِل
بـدّك تا تـلاقـي يسـوع
هوّي نزول وإنتي طلوع
تا صابـك فالج وتفل
بـعقل الكـامـل خلّينا

وبـلـيلـة عـيد الميلاد
لا فرحه ولا تياب جداد
طـلعت روحك يا قدّيس
والصرخه مات الحبيس
وعنّايا لبسـت الحداد
وأرز الـرب ووادينـا

يا شـربل قوّه اعطيـنا

ثانٍ وعشرون: شربل الطوباوي

1- شفاء عقل واكيم

- انقلبت به الدرّاجة

كان عقل واكيم يتعلّم في مدرسة الحكمة، وحدث أنّ والد أحد أساتذته قد توفّي في بكفيّا، في 11 نيسان 1940. فذهب إلى هناك مع 4 من رفاقه ليتمّم واجباته، وكان عمره 14 سنة. وفيما هو عائد على دراجته في محلّة جورة الزيتون على طريق بكفيّا الشديد الانحدار، انقلبت به الدرّاجة، على جانب الطريق من علو 8 أمتار، ففكّ وركه وشكّت بحصة بخاصرته، فنقله رفاقه وبوليس بلديّة إنطلياس إلى بيته، في الكرنتينا – بيروت، معطوبا لا من أيده ولا من رجله، وكان غائبا عن الوعي.

- مسألة بسيطة!

فلمّا شاهده والده على هذه الحالة اضطرب كثيرا، فأسرع وحمله إلى الدكتور بولس توتنجي، فوجد أنّ وركه انفكّ ورجله انقلبت (خلفاني قدماني)، وكان قد أصيب بجروح بليغة في خاصرته وصدره ووجهه، فجرّب الدكتور أن يعيد الورك إلى موضعه، رغم محاولة دامت نصف ساعة، فقال: أنا ما بقدر عليه، خدوه لعند حكيم. فقصدوا الدكتور رزق فما وجدوه، أخيرا توجّهوا إلى مستشفى الجامعة الأميركيّة، وكانت الساعة 11 من الليل فضمّدوا جراحه وقالوا: انتظروا مجيء الطبيب غدا. وفي اليوم التالي جاء الدكتور سامي حدّاد فعاينه، ثمّ صوّروه على الأشعّة، وبعد ذلك أجرى له عمليّة، وقال لذويه: مسألته بسيطة، خلّص، كان وركه زائحا فردّيته إلى محلّه. مكث في المستشفى 6 أيّام، جاء بعدها إلى البيت، ولزم الفراش ثلاثة أسابيع مسطّحا على ظهره. ولمّا حاول المشي وجد أنّ رجله يابسة الورك والركبة معا.

- رجله لا تشفى!

فجاء أهله إلى مجبّر عربي اسمه الياس عربيد في المصيطبي، فعالجه بمغطس ماء ساخن وتهبيلات متنوّعة، ودلّك رجله المصابة بدهون، فأصبح يطوي ركبته، دون وركه. وعالجه بعدها المجبّر منصور صعب من الرميله، بالطريقة نفسها، فلم ينجح. بعد شهرين راجع الدكتور حدّاد في الجامعة الأميركيّة، فطلب صورة على الأشعة، وصرّح بعدها: رجله لا تشفى حتّى ولو بعمليّة جراحيّة! فسألوه عن سبب ذلك؟ فأجاب: لقد تجمّع دم وتحجّر في محلّ جورة الورك! فأعادوا سؤاله: كيف قلت في المرّة الماضية لقد شفي؟! فأجاب: أنا أكفل الواحد لمّا يخرج من عندي من المستشفى، ولست مسؤولا عمّا يجري بعد ذلك.

- يخجل من التنزّه مع الصبايا!

عاد إلى المدرسة حتّى أكمل السنة الدراسيّة ودامت هذه الحالة نحو 6 أشهر. قفز يوما من الترمواي، وما جرؤ أن يخبر والده، لأنّه كان يهابه ويخافه إذ كان قاسيا عليه حتّى يتربّى، فزاد عرجه, وصار كلّما كبر, رجل تطول ورجل تقصر, ويعرج بزيادة. فذهب أهله به إلى مجبّر أرمني من برج حمّود، فعلّق برجله المعطوبة كيس من الرمل بوزن 15 كلغ لم يستفد من علاجه. وكان وركه نافرا، وكان قصر إحدى رجليه يضطره احتذاء بوط كعبه أعلى ب7سم من الفردة الثانية، ومع ذلك كان يعرج عرجا شديدا، وكان لا يتنزّه برفقة الصبايا خجلا من عرجته.

- يحمل مسدّسا!

وحصل نتوء في وركه حتّى كان يتصوّر كلّ من يراه أنّه يحمل مسدسا، أو زوّادة على جنبه. وكان إذا شاء الجلوس على كرسي أو الركوع على ركبتيه كان يطوي الرجل السليمة ويمدّ الأخرى إلى الأمام، لعدم تمكّنه من طيّ مفصل الورك. وإذا مشى 5 دقائق، كان يشعر بألم شديد في الورك، ويتعب ويتألّم فيضطر إلى الراحة. ثمّ أخذ بعض الناس ينصحون والده لكي يجري له عمليّة جراحيّة عند الجرّاح المشهور الدكتور روفريتو ولكنّه لم يرضى خوفا من أن يبيس الجنب.

- صار عالة على أهله

أخيرا تركوه على الطبيعة، وقد صار عطيلة. ولم يكن أحد يرضى بتشغيله، ورُفِض طلبه للالتحاق بوزارة الأشغال العامّة، أو في شركة سكّة الحديد، التي التحق فيها أخوه، وصار عالة على أهله، فاضطر لفتح دكّان ليعيش منه. وكان لا يستطيع ركوب الدرّاجة إلاّ نزولا ويدوّس باليمنى فقط، لهذا لم يكن يستطع الركوب طلوعا. وكان إذا أراد الانحناء إلى الأرض ليتناول شيئا كان يطوي ظهره ورجله اليمين بينما يمدّ الشمال إلى الوراء. وبقي على هذه الحال 10 سنين. وكانت زوجة الدكتور حنّا الرياشي, طبيب عقل، تقول لأولادها حينما يلجّون عليها لتشتري لكلّ منهم بيسيكلات: انظروا وشوفواعقل شو صرلو من البيسيكلات...

- نحو شربل

سمع عقل بعجائب القدّيس شربل، فقرّر زيارته يوم أحد، ولكنّ أخاه طانيوس حين سمع بشفاء ماري جميل المعلوف، التي ولدت عرجاء، قصد بيتها. ولمّا تثبّت من شفائها، عاد مسرعا إلى دكّان أخيه مثل المجنون، وقال له: سكِّر سكِّر هلّق! وكانت لهجته تدلّ على لهفة وتأثّر غريبين! فسأله عقل: لماذا تريد أن أسكِّر؟! فردّد: سكِّر دكّانك هلّق بدنا نزور القدّيس شربل، ماري جميل صحِّت! فشعر عقل بحرارة إيمان قويّة وصار عنده اندفاع من نفسه، فسكّر الدكّان. ضحك بعض الناس وقالوا ماذا تراه يفعل أو يستفيد لقد مضي على عرجه سنين!

- وزير يحتجّ

أسرع أميل لحّود وزير الماليّة، إلى قصر رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة، الشيخ بشارة الخوري. ارتفع صوت الوزير مستاء: هالضجّي كلا النقامت حول هالراهب شي مضحك. وأبشع منّا انتقلت العدوى للصحافيّي، واجب نوضع حدّ لهالمخادعات! توسّطت عقيلة الرئيس تقول: واجب نشوف بعينينا. ما في غير هالطريقا المعقولي وحدا بتقدر تأكّدلنا شو عم بيصير هونيك، وشو هيّي الحقيقة. قضيّي، تابع الوزير، حاسس ريحتا مش طيّبي كتير. مش خاليي من الخداع. والمخجل إنّو بلبنان، لبنان الحضارة والرقي، نسمع بمتل هالأعمال الفاضحه والشعوذات المستنكرة! أمّا الرئيس فأجاب بلهجة عائليّة: أميل إنت أقدر الناس ع توضيح هالقضيّي. روح، طلاع ع عنّايا، وشوف شو عم بيصير، وبس ترجع منبقى ناخد الاجراءات اللازمي.

الناس مجانين! أردف الوزير، واحد من جيراني، اسمو عقل واكيم، مريض من أكتر من 10 سنين حملوه عَ عنّايا. وما عاد سكّان الحي يلهجو إلاّ بسيرتو، هادا مش ضعف عقل؟!

بإشارة قطع الرئيس الكلام على وزيره قائلا: نحنا متكلين عليك تَ تروح تجبلنا الخبر الصحيح. تحقّق بذاتك، ورجاع خبّرنا، منتظرينك.

جرت سيّارة الوزير أميل لحّود عبر المنعطفات إلى عنّايا. بين طورزيّا وإهمج ومشمش والدير، عاين الطرقات والدروب والمسالك والشعاب تسيل بالجماهير كأنّها الأنهار تصبّ في البحر... وكاد السير يكون مستحيلا. امتعض الوزير من هذا البطء ومن أنّ كثيرين قد عرفوه وأبدوا دهشهم! استقبل رئيس الدير السيّد لحّود وقد أخذه العجب من هذه الزيارة المفاجئة من قبل رجل سياسيّ معروف.

- نهض ومشى

ركب عقل وأخوه طانيوس وأمّه وعمّاه سيّارة رأسا إلى عنّايا. فنذر في عودته، إذا شفي، أن يأكل خبز وماء طيلة أسبوع. وصلّى طول الطريق، في سرّه، الأبانا والسلام، وما كان يلتفت يمينا وشمالا. لمّا وصلوا دخل عقل مباشرة إلى الضريح رغم صعوبة الوصول بسبب الحشد البشري، وانطرح على الأرض تحت طاولة يضيء الناس عليها شموعا، وكان يصلّي ويتلو طلبة السيّدة مع الحضور. وصارت والدته تملّس يدها على القبر وتفرك له جنبه وتضع له ترابا عن القبر في فمه. وعند البلوغ إلى نصف طلبة السيّدة تقريبا، شعر بغتة أنّ تيّارا كهربائيّا جرى في يده ساريا من الكفّ إلى الكوع. ولمّا وصل إلى الكوع اشتدّ تأثّر ذلك التيّار فشعر بخوف ورعشة! فانتفض فإذا برجله المصابة راكعة إلى جانب أختها! فاندهش! فضرع بشدّة أكثر مردّدا في نفسه إن شاء الله تكون هي العجيبة. وواصل تلاوة الطلبة مع المصلّين ولم يكن قد تأكّد بعد من حدوث الشفاء التام. ولمّا انتهت الطلبة نهض ومشى، وكان يشعر في نفسه أنّه تحسّن، ولكنّه لم يجرؤ على إعلان ذلك خوفا من أن يتجرّص!

- شاهد أرثوذكسي

كان الدكتور أنطوان الشامي، طبيب مستشفى الرهبان في جبيل، والشيخ راجي زكريا، روم أرثوذكس، مراقب إدارة حصر الدخان في جبيل، يتناقشان بقضيّة الأب شربل. فعرض الدكتور عليه زيارة ضريحه. وكانت الساعة الثالثة تقريبا بعد الظهر، وصلا فوجدا أمام الضريح، تحت طاولة تضاء عليها الشموع، عقل متمدّدا وثيابه ملوّثة بالشمع ينقّط عليه فسألاه عمّا به؟ فأجاب: مريض موجوع. فاشتركا في الصلاة برهة، ثمّ تركا الضريح وقصدا الديوان للراحة، بصحبة الوزير أميل لحّود. فقال الشيخ زكريّا للدكتور شامي: الظاهر أنّ الحكاية ناشفة اليوم! وين؟! لم يحصل شيء من العجائب؟!

- قرعت الأجراس!

ولمّا خرج عقل وأمّه من غرفة الضريح، قال لها عقل: مبيّن عم أعرج على اليمين! يمكن صحّيت! وراح يمشي مرتاحا وينخ ويركع ويقوم. حتّى عمّه صار يزقّف من فرحه: يا ابن اخي صحّيت! وعند ذلك نزع البوط من رجله وابتدأ يمشي جيّدا وكان الشعب متحمّسا جدّا من ذلك، فعلا الهتاف والتصفيق في الخارج وقرعت الأجراس!

- أنا مآمن بأالله

ولمّا سمع الوزير أميل لحّود قرع الأجراس، اعتقد أنّ الناس مبتهجون بقدومه، فتأفّف وقال لرئيس دير عنّايا بعصبيّة: بترجّاك! أنا مش جايي بصفة رسميّي. وقّفلي هالمظاهرات ودقّ الجراس. أجاب الرئيس وهو لا يتمالك من إبداء ابتسامة معنويّة: شرفّتنا ع بغتي. هالشي مش ع حسابك يا معالي الوزير، لأنّو ما سبقلنا علم بزيارتك، يمكن هالناس الطيّبين القلوب، شافو شي عجيبي، وصارو يزقّفو.

صرخ الوزير مذعورا! عجايب! وانسحب توّا بين الجمع المائج يزحمه من كلّ صوب. وفيما هو يجتاز الحوش، رأى شابّا يهرع إليه، نشيطا، فرحا متهلّلا وحوله بعض ذويه ومعارفه يصفّقون ويبتهجون، لقد عرفه: هو عقل واكيم يهتف به: إنت؟! هون؟! سعادة الوزير؟ فيجيبه الوزير بسؤال آخر: أنت عقل؟ قولكن صحيح أو أنا مغلّط؟ أجاب عقل: نعم أنا ذاتي متل منّك شايف... أنا بشفاعة القدّيس شربل صحّيت! وضع الوزير كفّه على جبينه حائرا، مضطربا، وهو يتمتم كأنّه في حلم: شي عجيب متل بصر البنام! ثمّ التفت إلى الرئيس الذي كان يتبعه وقال: يا بونا، مش عارف شو صرلي. هالزلمي بعرفو مريض مزمن من 10 سنين. قدرة الله هالشفيتو، شفتني كمان، شفتني من عدم إيماني! أنا مآمن بأالله، بالقدّيس شربل، بالكنيسي الكاثوليكيّة، بالسما...

- حصل له توبة

وفي المساء رجع عقل إلي البيت وكان يمشي مثل الحصان. وعلى مدّة 15 يوم طفّت الناس تهنّئه بالشفاء. ولم يعد يتألّم ولا يعرج. أمّا نموّ عضل فخذ رجله الضعيفة، فقد تمّ شيئا فشيئا.

كان عقل رجلا اعتياديا في سلوكه وتصرفه، وكانت أخلاقه غير مرضية ومشاغب، وكان عنده شويّة نقنقة من قلّة الشغل. ولم يكن يتردّد على الكنيسة كثيرا، فكان فاترا في واجباته الدينيّة. وقد انبدل تماما بعد شفائه فأصبح مسالما. وصار يمارس الديانة أكثر، وحصل له توبة، فلم يعد يفوت واجبا روحيّا. وكلّما سنحت الفرصة وحصل على أجرة سيّارة يذهب لزيارة القدّيس شربل، لكي يصلّي ويشتغل في الدير مجّانا إقرارا بفضل القدّيس شربل. فيحمل على جنبه أكياس الرمل والحجارة الثقيلة بكلّ نشاط.

- شفاء ملحد

وشهد إدمون الخوري، سدّ البوشريّة: أنا بعد حادثة شفاء عقل واكيم، وعلى الرغم من أنّ أخي إدوار، المصاب بشلل في يده اليمنى، لم يشفى بعد زيارته، فقد أثّر شفاء عقل واكيم فيّ كثيرا، إذ بعد أن **كنتُ أتصوّر أن لا قوّة فوق قوّة الإنسان، أصبحتُ بعد هذه الأعجوبة أؤمن بقوّة إلهيّة فوق الإنسان**. وصار عندي استعداد ورغبة أقوى في العبادة وفي واجباتي الدينيّة، بينما كنتُ قبلا أقول: يكفي الإنسان أن يقوم بواجباته الأدبيّة تجاه غيره دون أن أشغل فكري في العقائد الدينيّة وممارسة فروض الديانة، وقد تغيّرت حالتي النفسيّة من هذا القبيل. وإذا كنتُ حتّى الآن لا أمارس واجباتي فعلا، فذلك يعود الى نشأتي، وعوائد قد تأصّلت فيّ يلزمها بعض الوقت للتغيير. وأصبتُ بطلق عيار ناري في بطني في 25 تموز سنة 1950، وذلك قضاء وقدرا، فمزّق الرصاص أمعائي في 7 مواضع. وقد نقلتُ إلى المستشفى، وأجريت لي عمليّة خطيرة جدّا، فالتجأتُ فور وقوع الحادث إلى القدّيس شربل. وقلتُ له: يا قدّيس شربل نجّني! مثلما تنجّي غيري! وبالفعل نجوتُ، والحمد لله، وتركتُ المستشفى بعد 15 يوما.

- مشية رقص

شهد الوزير أميل لحود: شاهدتُ رجلا طاعنا في السنّ، كان لا يقوى على المشي قبلا إلاّ بصعوبة كلّيّة! رأيته يصعد بسهولة ماشيا على الدرج الموصل إلى الكنيسة في الطابق السفلي إلى مدخل الدير، ورأيته طالعا على الدرج بدون معونة أحد وبدون عصى، وأخذ يمشي في بهو الدير مشية رقص! وميمي كرم من بسكنتا تشتغل بالخياطة كانت مصابة بشلل في عضلات فخذها، تمشي حدباء وتمسك ركبتها بيديها الإثنتين، وتحمل رجلها حملا، لتنقلّها في أثناء المشي. ولكن بعد زيارتها للقدّيس شربل أصبحت تمشي مشيا طبيعيّا. وأضاف الوزير: بعد هذه الخوارق، تثبّت إيماني وصلبت عقيدتي، وعاد المتردّدون إلى الإيمان. وزاد المؤمنون إيمانا، وقويت حجّتهم في وجه الملحدين. وصُدِم الملحدون المتشبّثون في إلحادهم.

2- بولس عقيقي

- ضغط لا شفاء منه

سنة 1943 ابتدأ معه الضغط، وقد اشتد عليه المرض خصوصا بعد وفاة أخيه فارس. سبّب له الضغط التكلّس بشرايين القلب الأماميّة. عالجه الطبيب بشاره دهّان، فوصف له الأدوية المستعملة في مثل هذه الحوادث والتي يدخل في تركيبها مادّة اليود. أمّا العلاجات فقد انحصرت في نظام خاصّ للطعام، كالانقطاع عن اللحوم والمعجّنات والسمك والبيض والصلصات وشرب الكحول والمنبّهات والدخّان، وسمح له بالخضر خاصّة المسلوقة وقليل من اللحم بلا دهن مرّة في الأسبوع. وكان الدكتور دهان يردّد له: داري حالك بالأكل بعدك شاب حرام. وتبع هذه العلاجات كلّها، وقد صام عشرة أيّام مع قليل من الماء، ولكن بدون فائدة تُذكر.

كان ارتفاع الضغط يتراوح بين 22 و 24 الدرجة عالية و11 و12 كدرجة سفلى وكان يحدث له ضيق في صدره وعسر في الهضم وخنق تنفّس وتضخّم في الكبد وارتجاف في الجهاز العصبي وألم في الرأس وضعف في النظر وخلل. وكان يشكو ألما في أعلى الصدر لجهة الشمال ووجع في ذراعه اليسرى يمتدّ إلى أصابع اليد من ذات الجهة ويقف النبض معه أثناء المرض وكان على خوف مستمر، ومنع عليه السكن في الجبل. في صيف 1946 كان عند أخيه بطرس في حراجل لقضاء عطلة صغيرة فأصابته نوبة فاستدعي الطبيب ليلا وبعد أن عالجه أخذ الضغط فإذا به يرتفع إلى 23! وغاب عن الوعي فحمله ذووه وأنزلوه من الجبل. وبعد العارض بقي 4 أيّام متعوبا وعولَج بأخذ المسهّلات وبعض الأدوية. وكان يعالَج بالإبر تحت الجلد عندما تصيبه السكتة القلبيّة. كان مرضه متواصلا، يتعب من الأكل! لا يمشي أكثر من 500 متر دون أن يضطر إلى الاستراحة. كانت ليندا أرملة فارس أخيه تخدمه مع أمّه العجوز والخادمة ليلى خليل. كان أهل البيت لا يحبّوا أن يزعلوه لا بل كانوا يشتغلون بدلا منه لئلاّ يتعب. وهو كان يتردّد، من حين إلى آخر، على محل تجارته في بيروت وأرزاقه في وطى نهر الكلب، إذ أقعده المرض عن الشغل وعن العناية بالرزق ومعاطاة تجاريّة في بيروت وكان إذا عاد إلى البيت للراحة يلزم فراشه. وكان دائما يخاف من الموت كأنّه وصل إليه وقد عزم من يأسه أن يسجل كلّ ما عنده لأولاد أخيه المرحوم فارس لأنّه هو ربّاهم. وانقطع عن استعمال الأدوية والعلاجات قبل زيارته شربل بأسبوع كامل يائسا من فائدتها.

- نور يشعّ من القبر

قصد دير مار مارون، من كلّ قلبه بأمانة مسيحيّة، بصحبة ابنة خالته وخاله سمعان وزوجة أمين الفالوغي وليندا أرملة أخيه فارس مع ابنتيها أنطوانيت وجورجيت وكان كلّ واحد طالع على نيّته الخاصّة. وصلوا إلى الكنيسة. فزاروا قبر شربل، تخشّع بولس وطفر الدمع من عينيه، وقد رأوا جميعا نورا يشعّ من القبر، وكان يمسح بيده البلاطة التي على الضريح. حضر أعجوبتان فتأثّر وقوّى إيمانه. واشترك بالزيّاح، مع حشد من الناس يصلّون ويبكون ويضرعون، وشعر براحة وفرح داخلي، وأحسّ أنّه شفي. أكل بولس ممّا حملوا معهم سردين وبيض وغيره. ولمّا عادوا إلى البيت أكل أيضا مع ذويه ونام مرتاحا. وقد أخذ يدخن النرجيلة منذ عودته من زيارة القدّيس شربل.

أحضرت ليندا معها بركة من السنديانة نقعتها بالماء فنضحت لونا مثل لون الخمر فشرب منه مرّة فشعر بقشعريرة في جسمه وتحلحل الوجع من جسمه كلّه، فشعر في اليوم التالي بإسهال. ولمّا زان نفسه وجد أنّه خاس 2 كيلو! وبقي على ذلك 8 أيّام. ووقف الإسهال بعد رابع يوم، وأمّا هبوط وزنه فكان متواصلا كلّ يوم كيلو فرق. ارتاح وصار يصعد الدرج بدون تعب.

قصد الدكتور دهان، وهو يضحك وفي وجهه علامات السرور والابتهاج، وأعطاه يده مثل واحد متأكّد من ذاته لزوال الضغط، وقال: خذلي ضغطي. فأخذ ضغطه فإذا هو طبيعي: 14 على 8! وأعاد أخذ الضغط مرّة ومرّتين ونظر إليه وقال له مستغربا: أيشك عامل يا بولس؟! من عالجك غيري؟! مرضك لا يشفى منه! فأخبره ما جرى له مع شربل. فتعجّب جدّا وقال لبولس: ما عند الله وعند الأب شربل وقدّيسه ليس عند الأطبّاء، وهو على كل شيء قدير. ومع ذلك لم يعتقد أنّ هذه النتيجة تدوم! لذلك طلب من بولس مراجعته مرّة في الأسبوع ليتأكّد من النتيجة إذا كانت دائمة او مؤقّتة وطلب منه أن لا يتقيّد بنظام طعام بل يأكل ويشرب دخّان فكان يتردّد عليّه مرّة في الأسبوع، والنتيجة لم تتغيّر. وعاد يتردّد إلى الجبل بلا انزعاج. وقد تأثّر الكثيرون من هذا الشفاء وزاروه يهنّؤنه.

- ماء السنديانة

شهدت ليندا أرملة فارس عقيقي: لي ابنة عمرها 9 سنوات كانت دائما في المرض سبّبته حمّى وقد عرضتها على الأطباء كلّهم فعالجوها بلا فائدة. ومن بعد زيارتنا القدّيس شربل صرت أعطيها من ماء السنديانة. ومرّة كانت كنيسة الضيعة مزيّنة ليلا وهي مريضة فطلبت من عمّها أن تذهب لتزور الكنيسة وتتفرّج، فمنعها بحجّة أنّها

مريضة فأجابته كلاّ يا عمّي. أنا ظهر لي القدّيس وقال لي: **ستنامين هذه الليلة، وتقومين غدا حرارتك 37**، وهكذا كان. وقد شفيت والحمد لله.

- شفاء الروح

كان لهذا الشفاء تأثير روحي على المحيط، فقسم كبير عاد إلى العبادة أكثر من ذي قبل. كان عند بولس بعض الفتور في ممارسة واجباته الدينيّة، فزادت حرارته في التقوى بالمئة ألف، وزاد مواظبة على سماع القدّاس وحضور الأخويّات والاعتراف. ومن لا يمارس بتواتر واجباته الدينيّة أقبل عليها برغبة، وعادوا للتردّد على الكنائس. منهم المدعو فيليب أسعد رجل لم يكن يقدّس. أصبح اليوم يقدّس ويصلّي من أوّل طبقة، ويقول: أنا ما كنت أحبّ أن أدخل الكنيسة، صرت كلّ يوم أحبّ أن آخذ طلبا إلى القدّيس شربل (هو سائق سيّارة) وكلّ يوم أحبّ أن أقدّس.

وكلما مرض أحد من جيران بولس ومعارفه، يقول لأرملة أخيه: اشفيه من ماء السنديانة يا لينـدا وصار يبشّر بالأب شربل. وطلب بعض المسلمين منه (وهو عايش في محيط إسلامي) بركات من قبر القدّيس فأعطاهم.

3- الأخت ماري أبيل قمري

- صحّة تامّة

كانت الأخت ماري أبيل، منذ صباها، ابنة مسيحيّة. كانت تعيش في بيتها وفي المدرسة كسائر البنات المسيحيّات القرويّات. وبعدما دخلت الرهبنة، أصبحت راهبة قانونيّة, تقيّة للقداسة، سلوكها جيّد ومثل صالح للكلّ، تقيّة غيورة، روحها طيّبة، أطباعها حسنة، وعقلها سليم. وكانت مجتهدة في عملها، رصينة وحكيمة في تدابيرها وأحكامها، ذات عقل نيّر وثاقب، وحكم صحيح، وإرادة قويّة. تحتكم إلى عقلها في الأمور وليس إلى عاطفتها. وكانت معلّمة في مدرسة الصغار التابعة للكلّيّة اليسوعيّة، ومستمتعة بصحّة تامّة وذات بنية قويّة.

- مرض عضال

سنة 1936 في عيد رأس السنة أصابها تقيؤ واستفراغ ولازمها مدّة. فاطلعت الرئيسة على حالها. فأحضرت الطبيب جان شامي، فلمّا فحصها ورأى ظواهر الصحّة، وقوّة البنية فيها حكم أنّ الاستفراغ هذا، ما هو إلاّ حركة عصبيّة، تتأتّى من شدّة تأثّرها ومزاجها الحادّ. وأشار بعلاجات بسيطة كالفحم والبيكربونات. ولكنّ الاستفراغ كان يلازمها ويزيد يوما عن يوم. وكانت تشعر بجسمها يذوب. ومع ذلك تابعت شغلها في المدرسة كالعادة حتّى آخر السنة المدرسيّة. وأصابها يوم الفحص المدرسيّ عارض، إذ أخذها دوران لم تعد تتمكّن معه من أن تتابع عملها، فأُرسلت إلى الفراش. وفي الغد، عندما حاولت النهوض أخذ العرق يتصبّب من جسمها، وأغمي عليها. وكان جسمها قد ضعف حتّى خاس وزنها ثلاثين كيلو. فقصدت الدكتور يوسف حتّي، فلمّا رآها بهذا الهزال، وبطنها يكاد يلصق في ظهرها، أشار بالتغذية والراحة وتغيير الهواء قائلا: لا يمكننا أن نعالجها أو نجري لها عمليّة في مثل هذا الحال. فأرسلت إلى عين زحلتا، فما وافقها مناخها، وأصابها هناك إسهال شديد مع استفراغ متواصل حتّى انهدّت قواها. فأرسلت منها إلى حمّانا حيث عاينها الطبيب المصريّ جوزيف مراجل الاختصاصيّ بأمراض المعدة، وكان هناك يقضي عطلة الصيف، فوصف لها علاجا على 8 أيّام، مع نظام خاصّ للأكل (ريجيم)، فخفّ الاستفراغ قليلا، نظرا لقلّة الأكل وخفّة نوعه. فأمر إذ ذاك بالتصوير على الأشعّة. فتصورّت عند ذيكوه، وكانت تصحبها إحدى الراهبات. فكانت نتيجة التصوير ظهور قرحة هائلة في المصران، فوصف لها الدكتور مراجل حقنا في الجلد لم تأتي بفائدة. وبعد ذلك أرسلت إلى الدكتور بعقليني، فلمّا عاينها تأثّر، وأخذ يشتم ويلوم الطبيب الذي عالجها حتّى ذلك الوقت، فأدخلت مستشفى القلب الأقدس الفرنسي في بيروت، وأجريت لها سلسلة أبر ومصل وغسيل معدة بالنبريش، والاستفراغ يزيد، وكان يظهر في الخروج دم. ثمّ صوّرت للمرّة الثانية على الأشعة، قرّر بعدها الدكتور بعقليني إجراء عمليّة فأجريت لها العمليّة بحضور الدكتور ابراهيم أبو حيدر وغيره من الأطبّاء المعاونين، وبقيت تحت العمليّة مدّة ساعتين ونصف. ووجدوا الكلوة والمرارة متّصلة بعضها ببعض مع المصران. ثم بقيت في المستشفى ما يزيد عن الثلاثين يوما. وكان الجرح لا يزال مفتوحا ينزّ منه، بواسطة نبريش، الوسخ والقيح. ولمّا ختم الجرح، عادت إلى الاستفراغ أكثر من الأوّل، وكان يخرج عند تقيئها مادة صفراء تميل إلى الأخضر. ففكّروا بأنّ ذلك نتيجة حركة عصبيّة، وأخذوا يبعدون عنها الطشت، وهي تضغط على نفسها والاستفراغ يلازمها. ثمّ أجريت لها عمليّة ثانية دامت أربع ساعات ونصف، وقد وجد الأطبّاء، عدا الالتصاقات التي عادت فظهرت في الكلوة والكبد والمرارة، التصاقات جديدة في كلّ المصارين. ولم يتمكّن الدكتور بعقليني من إنهاء العمليّة لتعب تثبّته في قلبها إذ كان ينبض 170نبضة، في الدقيقة، بعد العمليّة، كما قطع

الرجاء من القضاء على كلّ الالتصاقات الموجودة، وتركها وشأنها مسلّما إيّاها للعناية الالهيّة. وساءت حالتها فقبلت سرّ المسحة وبقيت مدّة تحت الخطر. وقد قطعت الأكل، إذ تتغذّى بإبر المصل فقط. ولمّا عادت بعد ذلك إلى الأكل، عاودها الاستفراغ على شكل أخفّ من الأوّل ولكنّ الدكتور بعقليني نسب ذلك إلى تحسّن موقّت متأتٍ عن التنظيفات الداخليّة التي أجراها. تركت المستشفى في أواسط تشرين الأوّل قاصدة بكفيّا، حيث مكثت ثلاثة أشهر والاستفراغ يزيد. ثمّ أرسلت في غضون سنة 1938 إلى الدكتور كلمات في مستشفى أوتيل ديو، فأشار بعمليّة نزع المرارة فمانعت بعد استئذان رئيستها، لما لقته من عذاب بلا فائدة. فأرسِلَت إلى دير الإبتداء للراحة، وهناك قضت سنين طويلة بين الحياة والموت. ولم تسلَّم شغلا غير التعليم المسيحيّ وبعض دروس خصوصيّة. وكانت في البدء تروح وتجيء في داخل الدير بلا مساعدة أحد، ولكنّها على كثرة الاستفراغ ضعف جسمها، ولم تعد تقوى على المشي إلاّ بمساعدة عكّازة وراهبة تسندها. وفي أواسط سنة 1941 أصابها عارض، فانعقد لسانها وتعطّلت يدها اليمنى، وأصابها وجع مؤلم في سلسلة ظهرها، وفي مؤخّر الرأس حتّى لم تعد تتمكّن من الجلوس. وساءت حالتها، وقد أصابها أكثر من عارض أشرفت معه على الموت. وقد مسحها، ثانية، الأب يوسف مرشد الإبتداء المسحة الأخيرة. وبعد سبعة أيّام، تحسّنت حالتها قليلا، ولكنّ يدها بقيت يابسة معطّلة، والوجع في ظهرها، وقد حكم الدكتور أبو حيدر، والدكتور ميشال فرحات من حمّانا، بأنّ سبب هذا العارض، الذي كان يراجعها، ضعف وتنشيف في العظم والعروق، من عدم التغذية. وبقيت يدها معطّلة نحو سبع سنوات، وقد شفيت على أثر مسحها بتراب أحضرته لها الرئيسة العامّة من روما، وقد تمّ هذا الشفاء في اليوم التالي. وبقيت على هذه الحال حتّى سنة 1950 والعوارض تراجعها والاستفراغ يلازمها حتّى اهترأت أسنانها وزادت حالتها سوءا. وكان الدكتور حكمت جبّور يعاينها وكان يصرح بأنّ مرضها غير قابل الشفاء، فلم تكن تقدر أن تحفظ في معدتها شيئا من المأكولات الخفيفة والسوائل، وقد قال الأب يوسف اليسوعي مرشد دير الابتداء بأنه لا يدري كيف الأخت ماري أبيل لا تزال على قيد الحياة، طالما كانت تستفرغ كلّما تأخذه. وكلّ من رآى أخواتها الراهبات يسأل: لا تزال حيّة؟! ولازمت فراشها، إلى جانبها إناء موضوع لالتقاط القيء. ولم تعد تقوى على ترك الفراش، وكان الجميع يتوقّعون وفاتها من يوم إلى آخر.

وفي مرضها أظهرت فضيلة خارقة العادة بصبرها وبشاشتها ومحبّتها للصلاة، وخضوعها التام لأحكام الربّ، وكانت تدعى أحيانا راهبة قدّيسة.

- جايبينها تموت هون!

سمعت بخبر عجائب القدّيس شربل وكانت صورته على سريرها وذخيرته في عنقها. كانت قبل زيارتها له تضرع إليه وتقول: إذا شئت أن تشفيني فدعني أراك في الحلم. ولم تمضي مدّة حتّى رأته في المنام. وقد ظهر لها لابسا ثوبا أبيضا، واقفا قرب سريرها، مادّا يديه فوقها، واختفى. ثمّ ظهر لها مرّة ثانية في المنام، وأعطاها البركة. ولمّا ظهر لها في المرّة الأولى أخبرت الراهبات بذلك فسئلت هل تشبه الصورة التي تمثّله راكعا على طبق، وهي الصورة الوحيدة التي كانت معروفة ومنتشرة، فأجابت: كلاّ لا يشبهها! فقلن لها: إذا ليس هو. على أنّ ذلك لم يضعف إيمانها به. ومع أنّها لم تطلب أن تزوره، كانت راغبة في ذلك، لانّها تأكّدت أنّه سيشفيها.

وفي 11 تموز سنة 1950، قامت بزيارة القدّيس شربل بصحبة رئيسة دير جبيل الأم إيزابيل غريّب، التي الحّت هي على رئيستها بوجوب أخذها إلى دير عنّايا، ورئيسة دير البوشريّة الأم ماتيلد زنبقة، ومعلّمة الإبتداء الأم برنديت نفّاع، والأخت ليوتينين رحمة. وتضايقت كثيرا، فكانت تستفرغ طول الطريق، حتّى إنّ السيّارة كانت تقف من حين إلى آخر حتّى تتمكّن الراهبات من إجراء المساعدات لها بإبر الكافور، وكنّ يخفن عليها أن تموت في الطريق، حتّى فكّرن بأن يتركنها ترتاح ليلة في دير جبيل، فأبت. وبعد خمس ساعات قضينها على الطريق، وصلن إلى الدير وهي في حالة التلف. ولمّا أنزلت من السيّارة على كرسي، وهي على مثل هذه الحال، أخذ الناس يقولون من حولها: ما أصغر عقل هولاء الراهبات اليسوعيّات! جايبينها تموت هون! يتركوها تموت على فراشها!

- ارميني مع الفقراء

أنزلها ميشال السروجي وفيكتور غاوي وفؤاد الصائغ مأموران في المفرزة الصحيّة في دير عنّايا، مع بعضهم إلى الضريح محمّلة على كرسي. وأدخلت محلّ الضريح وحالما لمست البلاطة بيدها شعرت بقشعريرة في ظهرها وبقوّة غريبة تسري في جسمها. وشعرت بحضور القدّيس في ذلك المكان. وما كان هذا الشعور يعتريها أمام التابوت الفارغ، ولا في الكنيسة، بل على باب الضريح فقط. ثمّ أخذت إلى غرفة حيث تمدّدت على سرير أُعدّ لها. وقُدّمت لها بعض الفواكه، فما أخذت منها شيئا حتّى اعتراها التقيؤ والاستفراغ. وفي المساء قالت للرئيسة الأم

إيزابيل غريّب: أنا لا أنام على تخت رفاص، ارميني مع الفقراء على أرض الضريح! ولكنّها أجابت: ليس لكِ محلّ على الضريح! فرضخت، وقالت للقدّيس شربل: أنت راهب وأنا راهبة وتعرف الطاعة، فأنا أطيع والباقي عليك. وقضت تلك الليلة بالصلاة مع الراهبات في الغرفة التي أعدّت لهنّ. وفي الصباح الباكر، جرى تطواف قربانيّ، اشتركت فيه الراهبات، أمّا هي فسألتهنّ أن يرمينها عند الضريح. وبعد القدّاس في الكنيسة والمناولة وضعت في غرفة الضريح أمام بلاطة القبر، وهناك اشتركت بثلاثة قدّاسات. وكانت تشارك الشعب في حالاتهم، تصلّي مثلهم: يبكون فتبكي! ويصرخون فتصرخ! وكان يسود الغرفة جوّ صلاة عجيب، ومحبّة متبادلة. وفي تلك الساعة، أخذت تشعر بوجع مؤلم في جنبها وخصوصا في ركبتها اليمنى فتوسّمت خيرا، وقالت في نفسها: إنّه ولا شكّ يشفيني! لأنّها كانت سمعت أنّه إذا شاء أن يشفي يزيد الوجع.

ـ لمسة من الله

وعند الساعة التاسعة والربع، بعد الاشتراك بالتطواف من الدير الى المحبسة، عادت الأم إيزابيل وعرضت عليها أن تذهب معها فتأخذ شيئا من الطعام أو الشراب، فأبت وقالت لها: أفضّل أن أبقى أصلّي هنا! أتركيني وروحي مش طالعة من هون إلاّ ماشية! فذهبت وتركتها. وبعد ذلك بقليل دخلت المفرزة الصحيّة لإجراء التنظيف، ورشّ مادّة د . د. ت. فنقلوا المرضى إلى الخارج. ولمّا وصلوا إلى الأخت ماري أبيل سألتهم أن يضعوها أمام الضريح من الجهة الخارجيّة. فحملوها على الكرسي الجالسة عليها ووضعوها حيث طلبت. ثمّ عادوا، بعد الرشّ، فحملوها ووضعوها أمام الضريح في الداخل، فشكرتهم قائلة: لقد عذّبتكم مرّتين! وهذه المرّة الاخيرة! وجلست أمام الضريح وعينها في البلاطة كأنّ شيئا يجذبها إليها! ولم تستطع أن تحوّل نظرها عنها! وكانت في حالة تأثّر شديد. كان قربها أعمى يفرك عينيه على البلاطة قائلا: إرحمني يا الله كعظيم رحمتك... ثمّ يرفع رأسه ويجرّب أن يفتح عينيه بيديه. وقد أعاد هذه العمليّة مرّات عديدة. وكان الوجع لا يزال على ما هو. وبينما هي تصلّي، التفت فإذا بإسم الأب شربل، المحفور على بلاطة الضريح، قد تبلّل بقطرات من العرق تجمّدت عليه! ففرحت وقالت: هذا لي! ثمّ نوَت في نفسها أن تأخذ منديلا، وتلتقط العرق عن البلاطة، وتمسح المنديل على معدتها وجسمها فتقوم وتمشي. فأخذت المنديل ونهضت. وشاءت امرأة ان تساعدها، فأبت إلاّ أن تنهض بذاتها! ولمّا وضعت المنديل على البلاطة ورأته تبلّل بالعرق، تأثّرت جدّا، وأخذت تمسح به معدتها، وسلسلة ظهرها، وجنبها، ولم يرى أحد سواها قطرات العرق على البلاطة! ثمّ التفتت لترى ما إذا كان حولها أخواتها الراهبات ليشهدن شفاءها ويفرحن معها بعدما تكبّدن من عناء في سبيلها، طيلة أعوام عديدة، لأنّها كانت قد تأكّدت من شفائها. فوجدت بعضا منهنّ وسألت الممرّضة أن تحضر لها الأم برناديت، فأسرعت وأحضرتها. فوقفت إلى جانبها فسلّمتها العصا، وانتصبت واقفة! وصرخت بصوت عالٍ: زيحوا! وسعوا لي! ومشت، وكانت خطواتها في البدء غير مثبتة ترفع قدميها أكثر من المعتاد ولكنّها ما لبثت أن مشت مثل الكل، والناس من حولها يصفّقون ويهلّلون. وكان بقربها رجل متوالي محمّدي رآها ساعة وصلت، ورآها ساعة شفيت، فصرخ: بدّي صير مسيحي. وأخذ الناس يتناكفون ثيابها! وقرعت الأجراس! ووهتفت الجماهير فاقشعر بدن الاخت إيزابيل غريّب وقالت بتأثّر: إن شاء الله تكون راهبتنا مشيت! ثم خرجت مسرعة بين الامل والخوف. فإذا بالأخت ماتيلد زنبقة تصرخ: مشيت ماري أبيل! فمشى الأب أجيّا على مهل، وهو في غاية التأثّر، فوصل إلى الكنيسة ودخلها وركبتاه كادتا لا تحملانه تأثّرا وكانت الكنيسة غاصّة بالشعب، وأحد الرهبان يخطب بحماسة ناريّة عن سلطة الله وشفاعة الأب شربل والأخت ماري أبيل منتصبة على درج المذبح كعصا الخيزران تنظر إلى الكاهن وتسمع كلامه. ولما انتهى الخطيب من كلامه شعر الأب أجيّا بنفسه تدفعه إلى الكلام فدعى إلى التوبة، والعودة إلى الإيمان، وكان السامعون يبكون من فرحهم ويشاركونه بتأثّره. وبعد زيّاح القربان، قاموا بتطواف دام أكثر من ساعتين اشتركت فيه ولم تشعر بتعب، وكانت تقفز فوق الحجارة المعدة للبناء المتراكمة في أروقة الدير. وحملها **ميشال السروجي**، بين يديه وصرخ بالجماهير: شوفوا المحمول حامل! ما على الله أمر عسير! أنظروا الحامل والمحمول! والويل لمن ليس له إيمان!

ـ من هو ميشال السروجي؟

كنتُ مريضا منذ سنة 1947 لغاية 9 أيار سنة 1949. وكنتُ مصابا بداء المفاصل. ووصل هذا المرض إلى غشاء القلب الداخليّ والخارجيّ، وعمل التهابا أقعدني عن العمل، وسبّب إحالتي على التقاعد من سلك الدرك، فتركتُ السلك سنة 1949 في أوّل تشرين الثاني. سنة 1950 في 27 كانون الثاني، الساعة الخامسة بعد الظهر، حصل شيء بيني وبين شخص يدعى فيكتور خوري من الحدث - بيروت، فلطمني برجله ورماني، من الاتوبيس وهو واقف، إلى الأرض. فوقع ظهري على حافّة الرصيف، وأغمي عليّ. وقد سبّب لي كسر في الفقرتين الحادية عشر والثانية عشر من سلسلة فقرات الظهر. فانشلّت رجلاي الاثنتان، وانشلّ حاجز المثانة (المبولة)، كما أثبت ذلك التصوير على الأشعة، بشهادات الأطبّاء التي أحملها. وبقيتُ على هذه الحالة حتّى التاسع من شهر أيّار سنة

1950، حيث سمعت بأخبار عجائب القدّيس شربل. فطلبتُ من زوجتي أن تنقلني لزيارة ضريح الأب شربل. فأحضرت سيّارة، وطلبت زوجتي من ابن خالها الأب بطرس تنّوري، الوكيل العام آنذاك في الرهبنة الحلبيّة المارونيّة، أن يصحبنا إلى الدير. فوُضعتُ في السيارة، إذ لم أكن أستطيع المشي، وقصدنا الدير. فتضايقت جدّا على الطريق، وكان مرض القلب لا يزال متملّكا فيّ. وصلتُ إلى الدير، ففحصني هناك الأطبّاء المولجون من قبل الرهبنة، وهم الدكتور ابراهيم باخوس وصخر الخازن وأنطوان البعيني. فكان تقريرهم آنذاك بسوء حالتي، وتقريرهم موجود في سجلاّت الدير. وأنزلتُ إلى القبر، فلم أستطع الدخول لكثرة الازدحام. فأعدتُ إلى الكنيسة، حيث اعترفتُ وأنا واقف والكاهن ممسك بي، والأب جبرائيل يسندني من جانبي، وأنا تعب من هذه الوقفة. ثمّ حُملتُ إلى المائدة المقدّسة، حيث تناولتُ القربان المقدّس. وبعد ذلك أُنزلتُ إلى القبر، وبقيتُ مطروحا أمام الضريح في البكاء والتضرّع من قلب مجروح. وبعد3\4 الساعة، أحسستُ برجفة في كلّ مفاصلي وعبقة قويّة، وقمتُ بسرعة واقفا وجسمي يرتجف وشهقتُ بالبكاء وصرختُ صرخة قويّة كمن اعتراه خوف شديد! وكان هناك عامل اسمه اسبيرو، يبلّط داخل غرفة الضريح، ولم يكن قد وضع بعد إلاّ 3 بلاطات، فخرج وأخبر أن قد حدث لي أعجوبة! وتوجّهتُ نحو الباب مرتعشا أمشي كطفل في أوّل نقلة! فسمعتُ الأجراس تقرع والنساء يزغردن والجماهير تهتف أعجوبة! أعجوبة! فأخذتُ منديلا من جنبي لأمسح العرق المتصبّب على وجهي، فامتلأ المنديل عرقا أصفر. وتقدّمتُ فوجدتُ عباءة منشورة على الحائط أمام باب الكنيسة، فمسحتُ بها وجهي. فهجم الناس على العباءة مزّقوها وتناتفوها تبرّكا. ومشيتُ إلى الكنيسة وحدي لا يسندني أحد، فزرتُ القربان المقدّس. وبعدها استحضروني إلى غرفة فيها الأستاذ بولس سلامة طريح على نقّالة المرضى، وكان قد مضى على شفائي 15 دقيقة، فتقدّمت منه، وقلتُ: يا أمير الشعراء الله يشفيك مثل ما شفاني. ثمّ تدفّقت الجماهير على الغرفة ليشاهدوني. ثم حضر الدكتور صخر الخازن، وأجرى لي الفحص بعد الشفاء، فرفع لي ثيابي كلّها، وأخذ يفحص قلبي، ويدقّ عليه بيده، وفحص جسمي كلّه فوجدني معافى. وأسقطتُ دعوتي التي أقمتُها، في محكمة الجنايات، على فيكتور خوري، حفاظا للجميل الذي أولانيه القدّيس شربل.

- حضور الله

وعند المساء صعدت الأخت ماري أبيل مع بعض الراهبات الى المحبسة ماشية على أقدامها من مفرق طريق السيارات الى المحبسة، وقضت ليلتها جالسة على كرسي أمام غرفة الحبيس الأب شربل. وعند الصباح عادت إلى بكفيّا، وفرح بها جمهور الدير. وتناولت طعام الفطور معهم ولم تراجع. وعادت تشتغل أشغالا متعبة للعقل والجسد كأحسن الراهبات المتمتّعات بالصحّة الكاملة. وبقيت تأخذ بعض المقوّيات والمغذّيات لأنّ سقوط أسنانها لا يمكّنها من أخذ التغذية الكافية. واتسع المجال لغيرتها فسعت للقداسة أكثر من قبل. وروت مرّة حادث شفائها أمام جمهور غفير في حمّانا بينهم رجل درزي بكى عندما سمع من فمها رواية شفائها.

4- اسكندر عبيد

- إصابة العين وشفاء أوّل

أصيب اسكندر عبيد، سنة 1925 بينما كان يشتغل في مهنته حدّاد، بشظيّة نار جرحت عينه اليمنى والتهب جرحها، ففقد البصر فيها. فقصد بصحبة الدكتور توفيق سلهب الطبيب الفرنسي المدعو دوبرلونغ الاختصاصي بأمراض العين ففحصه فوجد أنّ الجرح في بياض العين وعالجه بإبر في الزند سبعة عشر يوما تمكّن بعدها من استفادة القليل من نظره فصار يرى الأشياء الكبيرة ولكنّه لم يكن يميّز دقائق الأشياء ولا يستطيع القراءة وكانت أمّه قد نذرته لمار نهرا- اسمرجبيل فلمّا عوفي زاره وقضى ليلته في الكنيسة وفيما هو نائم رأى في الحلم نفسه واقفا مع الخوري جرجس لبكي خادم رعيته في ذلك الوقت يصلّي على القرّاية فدفع إليه السنكسار ليقرأه فأجابه: عيني بتوجعني يا أبونا ما بقدر أقرا! فنكزني بعكازته نكزة قويّة قائلا: قلت لك خذ إقرأ! فأفاق من نومه مذعورا خائفا لا يعي أين هو فأخذ القنديل عن البنك وأضاءه فعرف أنّه في الكنيسة. وللحال أخذ مفكّرا وأغمض العين اليسرى فقرأ بسهولة، فشكر ربّه والقدّيس نهرا. ولم يعد يراجع طبيبا.

- ألم طويل الأمد

سنة 1937، كان مع صهره في بحرصاف بمناسبة الانتخابات. وفيما هما سائران على الطريق وصهره أسعد شربل يتقدّمه إذا به يحكّ بغصن سرو ويزيحه من أمامه ويتركه فجأة فأصاب عينه اليمنى ضربة طار لها صوابه وللساعة لم يعد يبصر شيئا فصاح به: روّحت عيني يا أسعد. وركبا سيّارة وأسرعا إلى بعبدات. ولمّا حضر الدكتور سلهب أشار إليّه بالنزول حالا إلى بيروت. قصد الدكتور نفريه خلف والدكتور دوبرلونغ الفرنساوي وبعد الفحص أشار عليه بالنوم مدّة أسبوع كامل على ظهري دون حركة وعينه مغلقة في نقطة واحدة فقضى سبعة أيّام

مستلقيا على ظهره وعينه شاخصة إلى مطرح واحد السقف وبعد يومين وهو على هذه الحال استعاد نظره فصار يميّز مثلا على بعد سبعة أمتار الأشخاص والأغراض التي تعرض أمامه الأيّام السبعة. نهض ليعود إلى الحكيم حسب إشارته فأحسّ للحال بشيء انقلب على عينه فغطّاها وفقد بصره! فصعب عليه ذلك كثيرا. ولمّا عاد الحكيم أشار عليه بالاستلقاء خمسة عشر يوما إضافيّة على ظهره مدّعيا أنّ الشبكة التي على حدقة العين انقبعت وتمزّقت وقد تعود بهذه الطريقة فتلتحم . فعاد إلى فراشه و بقي 15 يوما مستلقيا على ظهره فعاد إليه بصره ولكنّه عندما حاول النهوض بعد ذلك أصابه ما أصابه في المرّة الأولى فضاع بصره. فعاد إلى الدكتور نفريه فأشار عليه بملازمة المستشفى عشرة أيّام ففعل ولم ينتفع بشيء. ولمّا رأى الدكتور نفريه ذلك حتّى همّ بإجراء عمليّة لاقتلاع عينه فمانع وترك المستشفى. راجع عدّة أطبّاء اختصاصيّين منهم حبيب أبيلا وشاهين الصليبي وفيليب توما والدكتور أوليغر ولكن بلا جدوى وقد صرح لي هذا الاخير قائلا: عينك معطلة وانصحك بأن لا تراجع طبيبا بعد! احتسب حالك خلقت بعين واحدة! وبعد ذلك سلّم أمره لله ولم يعد يهتمّ بعينه وعاد إلى شغله في الحدادة كمن ذي قبل ولكنّه كان يتضايق من عينه بعض الشيء وخصوصا عندما كان يقوم بأشغال حدادة فرنجيّة يلزمها دقّة وضبط فكان يستعين بغيره ليرى ما إذا كان الشغل مظبوطا فعينه المريضة تعطّلت تماما بحيث لم يعد يرى فيها بصيص نور فكان مثلا إذا وقع بعينه السليمة غبار يضطر ليمسحه إلى أن يقف عن الشيء لئلا يعثر. وكان الوجع يعاوده من حين إلى آخر على التعب والحرّ حتّى إنّ الدكتور توما صرّح للدكتور توفيق سلهب بأنّه خير له أن يقلعها لئلاّ تعطّل الثانية فلم يرضى.

- انا طالبك اليوم لزيارتي

همّ البعض بزيارة شربل، بعدما اشتهرت عجائبه كثيرا، ودعوا اسكندر لمرافقتهم أكثر من مرّة فأبى وترك امرأته تذهب وحدها، وعادت تحمل بركة من القدّيس، قطن وزيت وقطعة قماش من ثيابه، فمسحت بها عينه. ضمر اسكندر بذاته القيام بتساعيّة طلب للشفاء. وسأل القدّيس أن يلهمه زيارته متى قرّر أن يشفيه، فمضت التساعيّة الأولى ولم يحصل على جواب. فتلاها ثانيا وثالثة ورابعة، ولم يحصل على شيء، فبقي مثابرا على الصلاة.

وفي ذات ليلة، وهو نائم حضر عليه راهب وقال له: **أنا طالبك اليوم لزيارتي**. فقام في اليوم التالي وصرّح لأهل البيت قائلا: أنا بدّي روح اليوم على القدّيس شربل. فاعترضت زوجته طالبة أن يتمهّل ريثما تحضر له الزوّادة. وسأله ابنه أن يبقى إلى السبت حتّى يمكنه مرافقته دون أن يعطّل دروسه فأبى إلاّ أن يذهب. نزل بيروت، وكان ذلك يوم الثلاثاء الواقع في 17 تشرين الأوّل سنة 1950، فركب سيّارة، وكان معه امرأة بولونيّة وروسيّتين. ولدى وصولهم إلى دير مار مارون زاروا الكنيسة، ثمّ القبر حيث بقوا يصلّوا حتّى الساعة الحادية عشر ليلا، فذهب الكلّ إلى النوم، عدا بعض الأشخاص بقي اسكندر وإيّاهم في الصلاة حتّى بعد نصف الليل. وفي اليوم التالي قصد قرية كفركدّه، في بلاد جبيل، لزيارة صديق له. وفيما هو في الطريق أخذت عينه تدمع وتؤلمه ألما محمولا، وقضى في كفركدّه ليلة لم يذق فيها نوما. ولم يكن يدري لماذا. وفي صباح الخميس عاد إلى بعبدات، ولم ينقطع له أمل بل كان يقول في نفسه: وقتي لم يأتي بعد. وكان الوجع يزيد شيئا فشيئا.

- رح جبلك رشوش لعينك

وفي الجمعة 20 تشرين الأوّل، بينما كان في الدكّان يعمل اشتدّ الوجع عليه، فتحمّله طول النهار. وفيما هو عائد عند المساء، التقى بوالد ماري الجميل على طنبره، فسأله أن يصلح له برغي تعطّل في طنبره، فاعتذر قائلا: أنا تعبان وعيني تؤلمني كثيرا! فأجابه على الفور: بدها تصح عينك! فترك هذا الكلام فيه أملا كبيرا، وعاد ففتح المحلّ، وأصلح له طنبره، ورجع إلى البيت. وفيما هو يغسل وجهه أخذت عينه تدمع بغزارة، حتّى كأنّها حنفية ماء مفتوحة، والوجع يزيد بشكل غير محمول. واشتد عليه الوجع حتّى صار يبكي، حتّى صارت قلوب ذويه تتفتت عليه. وكانت زوجته تعرض عليه بإلحاح استدعاء طبيب أو استعمال قطرة لتسكين الوجع، فكان يرفض رفضا باتّا. وبقي يتألّم فصار يقول: يا ربّ، يا شيلها وخلصني، يا شفيني! وبقي على هذه الحالة حتّى الساعة الرابعة صباحا، فتلاشى من التعب والنعس، ونام على المسند وغفي. أبصر بنومه أنّه حضر في كميون من حديد إلى دير مار موسى، مع سائق كان شريكا في الدير. وفيما هما ينزلان الحديد أمسك السائق بقضيب حديد وضربه به فأصاب عينه فصرخ: راحت عيني! استفاق، ونهض أهل البيت على صراخه، والعرق يتصبب منه، وقشعريرة البرد تسري في جسمه. التحف وعاد فنام بعد عشر دقائق. رأى في منامه راهب متشيّب يطلّ عليه ويسأله: **ما بك؟** فأجابه: روّحت عيني! فقال له: ليش ما حكيت؟ **عبكره رح جبلك رشوش لعينك**. ودخل الكنيسة، ثمّ عاد بالرشوش،

وذرّه في عينه المريضة، وقال له: أطبقها. فاطبقها، ثمّ فتحها فلم يرى الراهب! ورأى إسفلت الطريق مخدّد بالقرب منه، بالخط الكرشوني: عبد الله شربل.

- صرت اقشع!

فاستفاق مذعورا، ودعى امرأته وقال لها: شوفي لي عيني إذا كانت وارمة؟ لأنّ الراهب الذي ظهر لي في المنام، ووضع لي الرشوش في عيني، كان قد نبّهني قائلا: بدها تورم بس ما تخاف. فنظرت امرأته، فوجدت ورما يمتدّ من مؤق العين إلى كرسي الخدّ حتّى فوق الحاجب، إذ ذاك تأكّد في نفسه أنّ القدّيس قد حضر عليه! فطلب صورة القدّيس شربل، فأحضرتها زوجته له، فرفع يده على عينه السليمة، وأمسك الصورة بيده، فإذا به يراها بوضوح فصرخ: صرت اقشع! وقبّل الصورة باكيا، وخرّ ساجدا يصلّي. فأطبق بيده عينه الشمال، فرأى، على بعد 7 أمتار المعلّم الياس في فرشته، وكان هذا وكيلا في النافعة مستأجرا عنده، فصاح به: يا معلّم الياس صرت شوف، أنا شايفك! فأخذ الياس يقوم بحركات ليتأكّد من ذلك، وكان اسكندر يميّزها كلّها فارتمى عن تخته، وركع وصار يقبّل الأرض ويشكر! وقام أهل البيت جميعا يشكرون ويهلّلون. استفاق الجيران على الحركة، ورأوا بيت اسكندر منوّرا، فجاؤا يستطلعون. ولمّا عرفوا، فرحوا معه، وكان بينهم الدكتور توفيق سلهب، وفي المساء جاء ابنه الدكتور أميل وتحقّق شفاءه.

- شفاء الروح

كان اسكندر متديّن، حسن الاخلاق، يمارس واجباته الدينيّة بأمانة ودقّة، يضرب به المثل في بعبدات، فإذا تغيّب اسكندر، فهو في دير مار موسى أو في دير مار شعيا. وقد زادت أمانته هذه بعد الأعجوبة التي جرت له. وهذه الأعجوبة أحدثت، في بعبدات وسائر الجهات، انقلابا روحيّا وأدبيّا شديدا بالمئة ثمانين، فكثيرين من الذين لم يكونوا يمارسون واجباتهم الدينيّة أقبلوا عليها، ومن كان يمارس بفتور (وعلى سبيل الموضة) أصبح بحرارة وإيمان.

5- الكنيسة تعلن شربل طوباويا

أعلن شربل طوباويّا في 5كانون الأوّل 1965، في ختام المجمع الفاتيكاني الثاني، لوحده وبحضور 3500 أسقفا من الكنيسة جمعاء. بعدما درست الكنيسة هذه الأعاجيب الأربعة وأجرت تحقيقا رسميّا، مع ما يزيد عن 12 شاهد لكلّ أعجوبة، لكنّ الكنيسة اكتفت بأعجوبتين. وارتأينا نشرها مفصّلة لما فيها عند البعض من لذّة معرفة تفاصيل سبب وتطوّر المرض، وتفاصيل الشفاء والنتيجة الروحيّة. وليعرف أيضا مدى تدقيق الكنيسة في إقرار الأعجوبة.

ثالث وعشرون: شربل القدّيس

1- شربل في بقاعكفرا

كتب الشاعر والمفكّر يونس الابن في جريدة **العمل** في 9\1\1960: وينطلق محدّثي في رواية الظواهر الغريبة وأنا أصغي متفكّها، لأنّي بطبيعتي لا أؤمن إلاّ بما يقرّه العلم حقائق ثابتة، ولكنّ محدّثي لا يأبه لابتسامتي الساخرة، ويظلّ مندفعا بحماسة ممّا يروي: قبل عيد الميلاد بأيّام كان الأب جبرايل سكّر المسؤول عن بيت مار شربل يصلّي في البيت المذكور الذي أصبح معبدا، وحوله بعض أهل القرية، فإذا بنور غريب يغمر المكان، ويضوع عطر عميق، وتنساب من صليب مصنوع من أكواز الأرز قطرات ماء معطّر...

وفي نفس الوقت كانت بعض الفتيات يصلّين في المغارة التي كان شربل يتّخذها مكانا للخلو والصلاة، فرأين الظاهرة نفسها، نورا، وعطرا، وسائلا يتلألأ على وجنتَي تمثال العذراء المنحوت من الحجر الأبيض، ويجري من المآقي كالدموع. وفي الوقت نفسه، كان السائل نفسه ترافقه الرائحة نفسها، يتدفّق من صورة شربل المعلّقة في غرفة نوم رئيس الدير. وانبعثت الهتافات، ودقّت الأجراس، وأقبل الناس يمسحون السائل ويسمّنه العرق الدموي، وهو يزداد تألّقا وسيلا. وأقبل الناس من بشرّي على أصوات الأجراس، يستطلعون ما جرى، ورأوا بعيونهم النور والعرق وشمّوا العطر الغريب! وتمّت بعد ذلك عجائب.

- رأيت بنفسي

وأدخل بقاعكفرا وكلّي شوق وفضول إلى معرفة العجائب التي سأراها بنفسي. وكانت الشمس قد قاربت المغيب، ولم أكن أحمل فلاش للتصوير، فآثرت أن أصوّر أماكن الظواهر قبل المغيب، تاركا الأحاديث إلى المساء. وذهبت إلى مغارة شربل، ومع الذين يرافقونني فتاة اسمها بديعة زعرور، وعمرها 26 سنة، وقد كرّست حياتها لحراسة مغارة شربل.. **لماذا؟**

لقد كانت مصابة بسرطان في معدتها، وأجريت لها عمليّة فاشلة، ولديها شهادات من 4 أطبّاء تثبت السرطان. ونقلوها من فراش الإحتضار إلى قبر شربل. فنامت ليلة وعند الصباح كانت تعرض نفسها على الأطبّاء فلا يجدون أثرا للسرطان في معدتها. وبديعة إحدى اللواتي كنّ يصلّين في المغارة ساعة تألّق النور وتدفّق العرق. وتشير بديعة إلى التمثال قائلة: هذا هو التمثال. وإذ أصوّب الكاميرا إلى التمثال، أرى دمعتين تنسابان على الخدّين الحجريّين. ظننت أوّل الأمر أنّ هناك تلاعبا أو أنّه عامل رطوبة، فمسحت الدمعتين، وانتظرت، بينما ركع من حولي جميعا يصلّون، شأنهم بعد كلّ ظاهرة، وعدت أصوّب الكاميرا إلى التمثال، فإذا بالدمعتين تظهران من جديد... وبينما كنت ألتقط الصورة كان الجميع حولي راكعين يرتّلون ويصلّون.

- شفانا شربل

وفي المساء أقبل الذين رأوا الظاهرات الغريبة يقصّونها عليّ، فإذا أقوالهم جميعا تتّفق والقصّة التي رواها محدّثي. وقدّموا إليّ ناهية شليطا 76سنة، قيل أنّها إحدى الذين شفاهم شربل أثناء الظواهر الغريبة.

- وما هو المرض الذي شفيتِ منه؟

- يا حبيبي اسألهم كلهم يعرفوني، من 4 سنين وقعت من شجرة توت، انكسرت يدي ويبست، ومن 4 سنين ما بقدر حرّكها... ولمّا شعّ النور في بيت مار شربل، دهنت يدي من العرق اللي نزل من الصليب، وصرت صلّي ونمت... قمت وإيدي عم تتحرّك كأنّها ما بها شيء... وبينما يؤكّد الجميع صحّة أقوالها ترفع يديها إلى السماء، وتقول بمرح كمرح الأطفال: أنظر يا حبيبي أصبحت يدي تتحرّك.

وتتقدّم سيّدة ثانية في الثلاثين من عمرها: وأنت يا سيّدتي؟

- إسمي ليلى انطانيوس منذ سنتين ظهرت في جسم أحد أبنائي الثلاث بثرة غريبة ثمّ لم تلبس أن ملأت البثور جسمه وانتقلت العدوى إلى أخويه، فغمرت أجسامهم كلها من الأقدام حتّى الرؤوس... وعبثا ذهبت علاجات الأطبّاء وعقاقيرهم. وليلة بدت الظاهرة مسحت أجسام أولادي بالعرق الدموي، وتركتهم يقضون ليلهم في بيت مار شربل وأمضيت الليل أصلّي.

- وهل زالت البثور؟

- زالت أنظر يا أستاذ. وأشارت إلى أولاد ثلاث لا أثر للبثور على أجسامهم، وقالت: أهل الضيعة جميعا يعرفونهم، إسألهم.

ويقدّمون إليّ ثالثة، إنّها تخشاني، وتخاف آلة التصوير. وعندما تعلم أنّني أكتب عن شربل تتقدّم وتقول: أنا شفاني شربل. إسمها ماري حوشب مخلوف وعمرها 11 سنة.

- وممَّ شفاك شربل يا صغيرة؟

- منذ ولادتي وأنا مصابة بارتجاف دائم في يدي، وعندما سمعت دقّ الأجراس، وسمعت أنّ عجائب ظهرت في بيت شربل، ركضت مع الراكضين، وألقيت نفسي أمام المذبح أصلّي وأبكي، وبقيت طوال الليل أمام المذبح، وعند الصباح فارقتني الرجفة.

- عرق جديد

وفي هذه الأثناء ارتفع الهتاف: ماذا؟ وأطللت إلى حيث تجمهر الناس، فإذا شيء كالعرق يسيل من صورة تمثّل شربل، وتنبعث نفس الرائحة الغريبة التي شممتها عندما كنت في المغارة. ولكنّي لم أعر تلك الظاهرة اهتماما، فضلّت مشاهدة الذين يقال إنّهم برئوا من أمراض وعاهات، وسماع قصصهم. ولكن عبثا كنت أسعى، فقد أقبلت ساعة الصلاة. الصلاة بعد كلّ ظاهرة. وقفت أتأمّل القرية المصلّية الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، الشبّان والصبايا. كلّهم راكعون يصلّون معا، فلا ينهضون إلاّ لينتقلوا من الدير إلى بيت مار شربل ومن بيت شربل إلى المغارة، ثمّ يعودون إلى الدير.

- ولمست بنفسي

وتتقدّم سيّدة حسناء، في السادسة عشرة اسمها ماري شلهوب: كنت راكعة أصلّي مع صديقتي نور لطّوف، فإذا نور قويّ ينبعث من صورة شربل، فهربنا، منذ ذلك الحين لم أعد أجرؤ على دخول الغرفة التي شعّ منها

النور، حتّى رأيت العجائب الجديدة بنفسي. ومع ذلك ظللت في حيرة وشكّ، قد يكون السائل تفاعل عوامل طقسيّة، وإن لم أفهم سبب وجود هذا التفاعل على غير صور شربل وتمثال العذراء والمصلوب. وقد تكون الرائحة الغريبة بخورا جديدا يوقد في مكان ما. وقد يكون الشفاء إيحاء ذاتيّا ولكنّي في اليوم التالي وقفت مشدوها كالمدهوشين أمام ظاهرتين ـ لمستهما بنفسي.

أمّا الظاهرة الأولى فقد أوقد لي مضيفي بعض الفحم للتدفئة، فكانت النتيجة أن فحّمت وأصبت بصداع وغثيان، وظللت حتّى الفجر أحسّ بأنّي أكاد أنفجر. وعند الفجر تقدّمت منّي سيّدة عجوز، وقالت: دعني أمسح رأسك بعرق شربل يا أستاذ. وقبل أن أجيب أمرّت قطنة على رأسي، فأحسست في اللحظة كأنّ شيئا ثقيلا نزل عن رأسي. وزال كلّ ألم في الحال! ولمّا سألتها عن تلك القطنة وما بها، قالت: لقد مسحت بها الصليب ساعة كان يتدفّق منه العرق. ولا أستطيع أن أنسب ما شعرت إلى إيحاء ذاتي، لأنّي لم أفكّر ولم أصلّ، ولم أهيّيء نفسي لتقبّل الإيحاء.

أمّا الظاهرة الثانية، فقد رافقت ماري شلهوب إلى بيتها لأرى الصورة التي قالت إنّ النور انبعث منها، ولمّا أمسكت الصورة بيدها رأيت نورا غريبا، كنور البرق يتألّق بضع ثوانٍ، وفحصت الصورة جيّدا فلم أرى فيها أيّ شيء يمكن أن يرسل نورا! سألت ماري إن كانت رأت شيئا؟ فأنكرت! وعندما أوقفتها لألتقط لها صورة انبعث النور نفسه من جديد.

2- زوجي يشتغل بالفاعل حتى نعيش

شهدت نقية زوجة ابراهيم غالب في 1961\2\18: كان ابني بطرس بعمر 5 أشهر فلحظت أنّه متألم من فخذه ولما عاينه الدكتور شدياق قال لي: إن ابنك يلزم له معالجة عند طبيب خاص في الكلية فأخذته بصحبة الدكتور شدياق إلى الكلية وبعد الفحص قالوا لي: يجب أن يجري لجنب ابنك عملية لأن الورك زائغ عن موضعه ويجب أن توضع له آلة حديدية خاصة وثمنها 300 ل ل. فلما سمعت طار صوابي لأني فقيرة وزوجي يشتغل بالفاعل حتى نعيش. فقال له ذلك الطبيب: إذا لم يعمل كما قلت فإنه سيظل يتألم وتكون رجله أقصر من الأخرى، فسكتُّ. فقال الدكتور شدياق: الله يدبّر، وسأل الطبيب الجراح متى يجب إجراء هذه العلمية؟ فأجابه: في الوقت المناسب أنا أرسل إليهم ليحضروا الولد. وبعد مضي مدة أتانا علم من الكلية مع الوصفة للآلة الحديدية التي يجب أن نشتريها من محل في بوابة ادريس فيه من هذه الأدوات. فأخبرت طبيبنا شدياق فقال يجب أن تعجلوا في إحضار ما يلزم، عندئذ ذهب زوجي ابراهيم ليشتري الآلة وأنا توجهت نحو الأب شربل وطلبت منه أن يشفي ابني بدون عملية وصليت وطلبت منه بحرارة والحمد لله فإنه استجاب طلبي لأنه في الحال مشى ابني مشيا مستقيما. ولما رجع أبوه تعجب إذ رآه يمشي وقال لي وجدت المحل مقفلا فرجعت على سبيل أن أعود غدا. فقلت له: لا غدا ولا بعد غد، فإن الطبيب الوحيد هو الأب شربل وقد شفي ابنك!

فذهبنا إلى عند الدكتور شدياق وهو ذهب معنا إلى الكلية وبعد الفحص والتصوير الكهربائي، هنأوني بسلامة ابني. وفي الأمس جئت إلى دير الأب شربل أنا وزوجي وامرأة عمي مع ابني هذا نشكر الأب شربل ونمنا بقرب غرفته التي كان ساكنا فيها وصرفنا الليل كله بالصلاة.

3- هذا الليل الفصل بين حياة ابنتك وموتها

كتبت روجينا سليم الشيئة من فرن الشباك في 1961\7\11: كانت ابنتي مي زوجة سمير حتي تحت خطر الموت المحتم بعد إجراء عمليتين على يد الدكتور خالدي بمساعدة 5 أطباء أحدهم أميركي والعمليتان الجراحيتين خطرتان.

ففي ليل إجراء العملية الثانية قال لي الحكيم خالدي: صلي للقديسين ولا تغفلي! فنصف هذا الليل حد الفصل بين حياة ابنتك وموتها. وقال صلي للقديس شربل. فتنبهت وابتدأت أصلي للقديس شربل وأنا راكعة 6 ساعات لم أنقطع عن الصلاة. ففي نصف الليل تماما نادتني أبنتي وقالت: ماما اسقيني ماء. فعجبت أشدّ العجب لأن ابنتي كان مغمى عليها وباردة كالثلج ومقطوع الأمل من شفائها فسقيتها ماء ولمستها بيدي فوجدتها قد دبت فيها حرارة الحياة. فأخبرت الدكتور خالدي الذي كان منتظرا ومستيقظا لأجلها فجاء وقال ذاهلا ماذا؟! صليتِ. قلت له: نعم صليت للقديس شربل. قال لي: الإيمان الإيمان وحده شفى ابنتك السلام على القديسين والأنبياء.

4- الملازم أوّل المتقاعد في الجيش السوري محمّد حلمي أربيللي

بتاريخ 5 ك1 1965، بينما كنت جالسا في داري، حي الشريبات- دمشق، شاهدت في تلفزيون لبنان عرضا عن حياة الأب شربل مخلوف وتطويبه قدّيسا في كنيسة القدّيس بطرس في روما، وبحضور قداسة البابا، ورأيت جميع هذه المناظر حتّى انتهاء العرض في تلفزيون بيروت، وكنت اشاهد الإحتفال بكلّ دقّة واهتمام... وأثّر ذلك في نفسي، وحصلت لديّ فكرة أن أكلّم هذا القدّيس في نومي، وأرجو أن يشفي أوجاع قدمي التي أصبت بها منذ 6 سنوات، وذهبت إلى ألمانيا عدّة مرّات، وراجعت عدّة أطبّاء منهم الدكتور شرودر رئيس أطبّاء مستشفى "لويزون هوسبيتال" في بلدة آفن وكل هذه المداواة كانت دون فائدة، ويئست من أخذ الأدوية وانقطع أملي من شفاء قدمي.

في ذات الليلة آويت إلى فراشي قلت يا أب شربل مخلوف إذا كنت حقيقة قدّيسا توسّل إلى الله أن يشفي رجلي وإذا شفى رجلي أؤمن بك قدّيسا، وغفلت بالنوم. ورأيت في النوم رجلا كبيرا في السن نائما ضمن صندوق طويل يرتدي لباسا أبيض، ويضع على رأسه كالذي كان يلبسه قداسة البابا ومقصب، وعلى صدره صليب من خشب. مدّ يده وقطع قسما صغيرا من إذني وقال لي: هذا لا يؤلمك، وفعلا ما تألّمت قطعا. وصباح 6 ك1 1965 عندما استيقظت من نومي، لم أرتدي، كعادتي، جراب المطاط لأجل تخفيف الآلام من رجلي، لأنّي قلت: لعلّي شفيت. وتمشيت ضمن الدار وما شعري بأيّ ألم! نزلت إلى السوق مدّة 4 ساعات، ولم أشعر بأي ألم مما كنت أشعر به سابقا. والآن مضى 6 أشهر لم اشعر بأي ألم، وأتمشّى على قدمي بكل ارتياح، وإنّي أرسل لكم هذا البيان لا من أجل الدعاية، فأنا رجل مسلم.

5- صليت للقديس شربل وشفيت

روى الأب غسان خادم الرعية في 16\1\1966: إن امرأة درزية تزوجها رامز حميدان أصابها احتقان ماء في ركبتها وألم شديد في كتفها الأيسر. جربت جميع ما استطاعت من الوسائل الطبية لنزع الماء من ركبتها فلم تجدها نفعا. فكانت كلما نزعت الماء لا يعتم أن يحتقن أكثر. أمر الأطباء إجراء عملية بوضع فتيل تحت الجلد وتحريكه لنزع المياه كلما تحقن. قبلت بذلك لكنها لم تحضر في اليوم المعين. في 5\12\1965 ذهبت إلى الكنيسة وبعد القداس مررت ببيتها، فسألتني إذا كان القديس شربل لا يزال يصنع عجائب. أجبتها: نعم. واليوم بالذات يوم التطويب في روما، هل تريدين أن تعرفي شيئا عن الأب شربل؟ قالت: نعم، من كل بد. أعطيتها كتيبا كان معي في السيارة.

وفي 9\12 نهار الخميس بعد الظهر، قبيل الساعة الثانية، مررت بها فلاقتني إلى الباب وهي تهتف: أب غسان! أب غسان! والدموع تملأ عينيها. قلت ما حلّ بكِ، هل جننتِ؟ فأخذت تطوي ركبتها وتحرك كتفها الأيسر. قلت لها: من طببك؟ هل أجريتِ العملية؟ فقالت: شربل، شربل، صليت للقديس شربل وشفيت.

6- علي الحجار

عضو استشاري في معهد المخترعين الأميركيين في واشنطن والسكرتير العام لمؤسسة الأبحاث الذرية اللبنانية.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودّا.

الأب شربل راهب نذر نفسه لعبادة الله ليلا ونهارا فاتخذ مقرا له في دير عنايا ولم يتخذ دينه لهوا ولم تغرنه الحياة الدنيا، فآمن واتقى- فصلى وصام، وعمل فأفلح وأصلح. فمات ولم يفنَ – متحديا القواعد الطبيعيّة.

اصطفاه الله ليكون قدوة حسنة في عصر خرج الناس عن طاعته. اصطفاه الله وكأنّه يريد أن يلفت الأنظار إلى طهارته فأنزل على البعض من الناس آياته معجزات لعل الناس يهتدون إلى الصراط المستقيم. فكان من الرحمان لهذا الراهب الجليل الصالح أن ظهرت على يده المعجزات الخارقة التي تخطّت قواعد العلم والفن لمن زاره في دير عنايا أو لمن اتجهت افكاره إليه. وقد وقعت منها بنفسي على معجزتين لهما شأنهما في علم الميكانيك وفي علم الطبّ.

- المعجزة الميكانيكيّة

عام 1950 جرى الكشف في دير عنايا على جثمان شربل فوجد أنّه لم يزل سليما رغم مرور اثنتين وخمسين سنة على وفاته.

وفي يوم من هذا العام وأنا عائد إلى بيروت من طرابلس شاهدت في جبيل الألوف من الناس يتجهون بسياراتهم نحو دير عنايا لزيارة الأب شربل، فاتجهت أنا أيضا في سيارتي الرينو الصغيرة لإداء هذه الزيارة المباركة. ولدى وصولي إلى قرية طورزيا بالقرب من العين نصحني أحدهم بأن أبرد محرك السيارة قبل سلوك الطريق القديمة المؤدية من إهمج إلى دير عنايا لئلا تزداد حرارته لدرجة عالية فيتوقف عن العمل أسوة بغير

سيارات توقفت من قبل بسبب الصعوبات التي كانت تعترضها. طلعة قوية من 12 إلى 16% انحدار، طريق غير معبدة مليئة بالأخاديد والنفرات والحصى، السرعة عليها لا تتجاوز 3 كلم في الساعة. "الفيتاس براميار"

ولكني لم آخذ بنصيحة فتابعت سيري إلى أن وصلت إلى مفرق إهمج- الدير فتوقفت جبرا خلف قافلة من السيارات كانت قد توقفت فعلا بسبب شدّة حرارة محركاتها وكان سائقوها يبتاعون الماء من أفراد جاؤوا خصيصا لهذه الغاية فاستغنمت الفرصة واشتريت جرة ماء طلبت من البائع أن يفرغها في الخزان (الراديـاتور) من أعلاه بعد أن فتحت الحنفية في أسفله لتصريف الساخن.

وما أن باشرت بعملية التبريد وكان المحرك دائرا حتى سارت القافلة أمامي وبدأت زمامير السيارات خلفي تصعق فاضطررت أن أتوقف عن متابعة التبريد وسرت مع القافلة دون أن أنتبه لتسكير الحنفية في أفل الخزان حيث بقيت المياه تنساب منها على مرأى من حضرة العقيد الشيخ رعد الهاشم الذي كان يتبعني مباشرة بسيارته فبدأ يزمر بشدة ليعلمني بالأمر فتوقفت ولكن بعد فوات الأوان بعد أن فرغ الماء بكامله من الخزان. فطلب إلي أن أقف بسيارتي جانبا خوفا من متابعة السير واحتراق البيالات والبيستونات في المحرك (كريباج) فتطلعت إليه وقلت له: إنّني متجه لزيارة الأب شربل الذي على نيته قد توالت المعجزات وسأواصل السير بدون ماء في الخزان، فإما أن يحترق المحرك وإما أن يصل بي سالما إلى الدير. فسرت على بركة الله بإيمان قوي إلى أن التقيت بالعقيدين نجار والمرحوم سمراني على المنعطف الأخير من الطلعة وكانا قد نزلا من سيارتهما "الستايشن" التي كانت تتقدم بصعوبة فائقة على هذا المنعطف الخطر. فقالا لي: مش قليلي سيارتك كيف طالعة!

فأجبتهما: طالعة بإذن الله بدون ماء في الخزان على نية الأب شربل. عندها استغربا القول وأرادا أن يقفا من هذه المعجزة الميكانيكية ولحقا بي عند نهاية الطلعة حيث كشفنا عن المحرك أمام المئات من الزائرين ودهشنا جميعا لما رأينا الخزان والمحرك في برودة تامة بينما كنا ننتظر أن يكون المحرك قد وصل بالحرارة إلى درجة الاحمرار وبدا الزيت ضمنه يغلي ويحترق ويدخن وهي عوامل كان أكيدا حصولها فيما لو سارت السيارة في سهل وإلى مجالات أقل بكثير.

وقد اراد الحاضرون التثبت من عدم وجود ماء في الخزان فطلبوا إلى راعٍ كان واقفا بالقرب منهم أن يأتيهم بدلو ماء من بئر مجاورة فجاءهم بالدلو وأفرغ الماء في الخزان حيث استوعب حاجته بكاملها مما زاد يقينهم لحدوث المعجزة.

- معجزة طبّيّة

في نهاية عام 1965 أصبت بحادث في كتفي ويدي اليمنى نتجت عنه آلام شديدة لا تطاق رافقتني مدّة 5 أشهر رغم المعالجات الإشعاعية في مستشفى أويل ديو ورغم المعالجات الطبية باشراف الأخصائي الشهير الدكتور جوزف حجار ورغم المعالجات العربية المختلفة، ولم تسفر هذه المعالجات عن نتيجة إيجابية. فلم اقدر علة قيادة السيارة إلا بصعوبة وبيدي الشمال فقط كما لم اقدر على الكتابة أبدا.

وفي ذات يوم من ك2 1966 قمت بنزهة في سيارتي على طريق بيروت- الشام وبرفقتي السيد الياس قرباني من بعبدات وكنت أقود السيارة بيدي الشمال. فكانت الآلام في يدي اليمنى وكتفي تشتد وتزداد. وفيما نحن سائرون تطرقنا بالحديث الى المعجزات التي ظهرت على يد الأب شربل ومنها المعجزة الميكانيكية في سيارتي عام 1950، فقال السيد قرباني: طالما تؤمن قويا بالأب شربل لماذا لا تطلب الشفاء؟ فقلت ربي اشفني وبشفاعة وعلى نية الأب الصالح شربل حتى إذا شفيت أزوره في دير عنايا قائدا سيارتي بيدي الإثنتين.

وفي صباح اليوم التالي وأنا في طريقي إلى عملي في مديرية التنظيم المدني والقروي في بناية المقاصد الخيرية الاسلامية على البرج (بيروت) ولدى وصولي إلى المصعد الكهربائي في الجناح الجنوبي من البناية وصل بالوقت ذاته راهب فدعوته للدخول أمامي إلى المصعد فدخل ودخلت بعده فقلت له: إلى أي طابق تريد أن تطلع يا أبونا؟ فأجابني: وأنت إلى أي طابق طالع؟ قلت له: الطابق الخامس. فقال: اطلع.

وبينما نحن صاعدون كان يتطلع إلي بوداعة وطهارة كلية. فتطلعت إليه وإذا بي أشاهد على صدره رقعة من القماش مستديرة الشكل كتب عليها بالعربي: رهبنة دير مار شربل، كما رأيت في وجهه ملامح تشبه ملامح الأب شربل في صوره، فقلت في نفسي: يا سبحان الله كنا نذكر البارحة الأب شربل ونطلب الشفاء من الله، واليوم نلتقي صدفة بأحد رهبان الدير وهو قريب الشبه منه.

وكان بودي أن أدعوه إلى مكتبي لتناول القهوة حيث أروي له المعجزة الميكانيكية في سيارتي عام 1950 بغية تسجيلها في سجلات الدير، لكني مع الأسف وصلت إلى الطابق الخامس وخرجت من المصعد الكهربائي حيث بقي حضرة الراهب دون أن أعي أو أنتبه لما عزمت عليه من دعوته فكان في ذلك سر اعتقد أنه طغى على

مخيلتي فانساني كل شيء. ثم دخلت مكتبي وباشرت أكتب بيدي اليمنى مدّة وعلى غير عادة وكأنّها أصبحت في حالة صحية جيدة والآلام قد زالت تماما وبصورة نهائية.

ولما اتضح لي بأن الشفاء غربة ومعجزة حمدت ربي وأنا في دهشة وتفكير بالراهب الذي رافقني في المصعد الكهربائي وكأنه كان لوجوده معي سر في الشفاء العاجل وأن السهو عن بالي في دعوته إلى المكتب كان سرا أكبر.

وقد اردت فيما بعد أن أتحقق من هذه الأسرار التي اكتنفت هذه المعجزة الطبية فطلبت من أحد معاوني السيد إيلي فريد الخوري من الناعمة أن يتحرّى عن حضرة الراهب وما إذا كان جاء مديري التنظيم المدني والقروي قاصدا إحدى دوائرها لعمل يخصه أو يخص دير عنايا فقام السيد خوري بالسؤال لدى كافة الدوائر ولم يتضح له أن يكون قد جاء إليها راهب لعمل يخصه أو يخص دير عنايا.

وقد اعلمني بأنه محظور على الرهبان أن يضعوا على صدورهم كتابة "رهبنة دير شربل" أو أية إشارة أخرى وإن القراءة التي قرأتها في صدر الراهب ليست إلا دلالة على أنه الراهب شربل بالذات.

ويوم الأحد الواقع في 30 ك2 1966 قصدت دير عنايا للتحقق من هذه الأسرار فقابلت حضرة الأب الرئيس طوبيا زيادة ورويت له المعجزتين الميكانيكية والطبية فكانت دهشته عظيمة لظهور الأب شربل بالذات في المصعد الكهربائي ولشفائي شفاء تاما بعد برهة من ذلك مصرحا بأنه لم يرسل إلى مديرية التنظيم المدني والقروي من قبل أي راهب لأي عمل يخص الدير وأنه لا يعقل أن يكون أحد الرهبان قد وضع على صدره كتابة "رهبنة دير شربل" وأن في الكتابة وفي الشفاء العاجل ما يدل على ظهور الأب شربل بالذات في المصعد الكهربائي مستوحيا ذلك من تكرار ظهوره في مناسبات عديدة مماثلة نتجت عنها معجزات أخرى تدعو إلى الزيادة بالإيمان واليقين.

7- لا لزوم للعملية

كتب حبيب أبي خليل من حراجل في 10\7\1966: حدث لأمي حادث انعقاد مصران. نقلتها إلى المستشفى. وبعد أن عاينها الدكتوران جوزف كرم وفوزي العضيمي صاحب مستشفى سيدة لبنان في جونيه، حكما عليها بإجراء عملية جراحية مستعجلة. طلبا مني الإسراع إلى مختبر الدم في بيروت لإحضار الدم اللازم لها. وللحال أدخلوا والدتي إلى غرفة العمليات لتهيئتها ومضيت مسرعا إلى بيروت. في الطريق طلبت من القديس شربل من أعماق قلبي أن يشفي والدتي ويخلصها من العملية الجراحية. وإذا تمّ ذلك أذهب لزيارته في عنايا.

حين وصولي إلى المختبر وجدت مخابرة تلفونية قد سبقتني تقول لا لزوم للدم لأنه لا لزوم للعملية. فعدت فرحا جدا، ورأيت أمي قد تعافت تماما من مرضها.

8- شفاء من زلال في الدم في 20\7\ 1966

شهد السيد ابراهيم مرهج: حصل لي زلال بالدم لدرجة 245 مع العلم أن المعدل بين 20 و40، لذلك رفع الأطباء أيدهم عني وقطعوا الرجاء من شفائي. حتى إنهم هيأوا لي التابوت، لأن الدكتور الشامي قال: لقد انتهت قضيته، رحمه الله. وطلبوا لي القربان المقدس والمشحة الأخيرة. وما إن وصل حضرة الأب طوبيا خليل رئيس أنطوش جبيل وناولني بركة من القديس شربل، وناولني القربان المقدس، وما أن وصلت البركة إلى فمي حتى عادت إلي روحي، وتحركت وطلبت الأكل. وطلبت أن أجلس خارج البيت في ظل الأشجار، بعد أن كنت لا أتحرّك، وكان فمي مطبقا ولا أستطيع الحراك.

9- شفاء من شهوة في الرقبة في 10\9\1966

شهد أسعد فرح: لقد ولدت والدتي هنود وفي رقبتها شهوة ظاهرة بشكل فاضح ومعيبة جدا. وكانت عند نظرها إليها تبكي وتطلب من الله أن يزيل عنها هذا المرض، وصارت في عمر الستين، ولم تزل الشهوة في رقبتها. ولما سمعت بعجائب القديس شربل، صلت له صلاة خصوصية وتطلب منه ليل نهار أن يزيل عنها مرضها، إلى أن زارت دير شربل في عنايا وأخذت شرابا وبركة. وأخذت تدهن رقبتها من البركة التي أخذتها من البركة التي أخذتها عن القبر، لمدة شهر. وكانت قد اشترطت عليه، أن معه فرصة شهر كامل ليزيل هذه العيبة. وما إن مضى شهر حتى زالت تماما.

10- تقرير طبيب أميركي

أنا الموقع أدناه الكسندر توماس المسجل في بوسطن ماساتشوستس، رقم 3789 سنة 1936 كخبير في الرفات وإدارة دفن الموتى قد عاينت رفات الطوباوي شربل في 15 آب 1966. وقفت منذهلا! السائل الجثماني يغلّف جسده، وهو كناية عن مزيج من الدم والماء وكثافة السائل 3 إنش، ولون ثيابه كماء حمراء

قانية. في كل السنوات التي نقلت فيها أجسام الموتى من تابوت إلى آخر كانت كلها فاسدة قد عمل فيها الانحلال عمله الهدام.

عندما أخبرني حضرة الأب طوبيا زيادة رئيس الدير أنّ الأب شربل مات منذ 68 سنة (1898) استولى علي الإنذهال. يبدو كأنّه مات منذ 12 أو 13 أسبوع فقط. إنّ الدم والماء في الكفن نقي (أحمر قانٍ) والسائل الجثماني هو شبيه بالدم المستخرج من رفات جسم عند عملية التحنيط.

إن ما تبقى من جسم شربل كان سليما. جسم كامل وفي حالة جيدة بالنسبة لسنوات الوفاة، وكذلك الثياب. لم أشهد طيلة سنوات اختباراتي شيئا يضاهي حفظ هذا الجثمان العجيب وهذه الرائحة القدسية الشذا المنبعث منه! إن ثياب الأب شربل كان مفروضا فيها أن تمتص جميع السائل الدموي خلال هذه السنوات في الكفن. وعلمت أن ضريح شربل فتح للجمهور عام 1950، حينئذ كان المفروض أن يقع جسمه للحال رمادا ويتفكك. إنّ تعليلي الوحيد لهذه الظاهرة أنها صنع يد الله القدير.

11- أعجوبة التقديس

مريم عسّاف عوّاد من شكرا، إزرا، دارا (في سوريا) اصلا، ومن حمّانا (لبنان) مسكنا، أُجريَت لها ثلاث عمليات سرطانية ما بين 1963 و1965 ، عمليتان أجريتا لها واحدةٌ في المعدة والأخرى في المعى. وأجريت الثالثة لها في الجزء الأيمن من العنق. لكن هذه العمليات لم تنجح باستئصال السرطان من جسمها. فبدأت مريم تصلّي للطوباوي شربل... أصيبت اللوزتين بمرض السرطان، وكانت تتألّم كثيراً منهما، وتجد صعوبةً كبرى في البلع، وقد بدأ صوتها يضعف، وأصبحت اللوزتان حمراوين، وأصبحتا بحجم الجوزة. ورفضت كلّ علاج، والمعالجة بالأشعّة (Radiothérapie) وإنمّا كانت تطلب من مار شربل، إمّا الشفاء ممّا تعاني منه، وإمّا القوّة لتحمّل هذا المرض. وفيما كانت يوماً جالسةً في سريرها رفعت الصلاة والابتهال الشخصي التالي إلى مار شربل: "ألا مَننتَ عليّ بالشفاء من هذا المرض، وأنت القدّيس العظيم الذي شفى العميان والكسحان! . وعندما أُشفى من هذا المرض أذهب لأشكرك في مزارك". وكانت قد طلبت الشفاء مساءً وقبل الرقاد، وفي الغد تمّ الشفاء وأصبحت كلّها معافاةً وسليمة. وأتت مريم وفاءً لنذرها، إلى دير مار مارون –ضريح القدّيس شربل، تشكره وتشهد لعظمة عمل الله من خلال قديس عنّايا. وأعلن البابا بولس السادس شربل قدّيسا في 9 تشرين الأوّل 1977.

12- شربل يعمّد طفلا عشيّة التقديس

ولد صبي لعائلة لبنانيّة مقيمة في أوستراليا ولديه مشكلة في قلبه، وكان وضعه خطير جدّا، فطلبت راهبة في المستشفى من والد الطفل ليأتي بكاهن يمنحه سرّ العماد قبل الوفاة. فانطلق الوالد نحو دير مار شربل في سدني-أوستراليا، وطلب من الرهبان لكي يذهب أحدهم ويمنح الطفل سرّ العماد، فاعتذر رهبان الدير الواحد تلو الآخر: لا يمكننا ترك الكنيسة عشيّة التقديس بسبب زحمة الناس، بالإضافة إلى أنّ قسما من رهبان الدير ذهبوا إلى روما برفقة مؤمنين لحضور حفلة التقديس في الفاتيكان. قطع الوالد الأمل من عماد طفله، وصار ينتظر خبر وفاة طفله خلال بضع ساعات، عبَر الليل لم يتصل به أحد، طلع الصباح كذلك، حوالي الظهر اتصل الوالد بالراهبة يسألها عن طفله؟ أجابته: لقد تحسّنت حالته عندما عمّده كاهن من عندكم. تعجّب الوالد: لم يقبل معي أيّ كاهن ليعمّده؟! أجابته: بلى، أتى كاهن ملتح بلحية بيضاء ومنحه سرّ العماد. فطن عندها الوالد وذهب إلى المستشفى، وعلم ساعتها أنّ القدّيس شربل هو من عمّد وأبرأ ولده، ولا يزال هذا الشاب إلى اليوم يضجّ بالحياة ويعمل سائقا لجرافة.

13- شربل يبارك الجماهير

نهار التقديس في 9 ت1 1977، وبعد مسيرة حاشدة ومؤثّرة من جبيل دامت أكثر من 5 ساعات، تروي الأخت جاكلين في مجلة الرعيّة: كنت واقفة أصلّي وعيناي مسمّرتان في تمثال القدّيس شربل، المنتصب في ساحة دير عنّايا، فإذا بيده المرفوعة تتحرّك وترسم إشارة الصليب ببطء. فكّرت بأنّ ذلك من تأثير التعب في نظري، ففركت عيني بيدي، ولكنّ اليد عادت تتحرّك ثانية أمام ناظري. التفتّ إلى أختي الراهبة، فإذا بها تهمس في إذني: إنّه يتحرّك ويبارك. سمعنا همسا يسري بين الجماهير: إنّه يبارك! وأخذ البعض يركعون والبعض يرسمون إشارة الصليب. ولمّا تكرّرت الحركة من اليد المباركة علت الهتافات: إنّه يبارك! ويقول الشاب أنطوان ك. الذي اشترك بالمسيرة: بيدي آلة تصوير، ولمّا اقتربت وقفت. وكنت كلما شاهدت اليد تتحرّك آخذ صورة. ومرّة مدّ يده فوق الولد الكسيح الذي شفي، فأخذت صورتين لليد الممدودة. وبعض الناس رأى التمثال يحرّك عينيه والبعض رآه يدمع. فعمّ الذهول والبكاء والفرح غالبية الحاضرين. وقد أخبرنا حضرة الأب بولس قزي الذي كان حاضرا عشيّة

ونهار التقديس في كرسي الإعتراف في عنّايا أنّ الأعاجيب الهامّة هي التوبة، فكثر هم الذين تقدّموا للتوبة بالدموع، وعديدون هم من لهم عشرات السنين دون اعتراف...

14- بخور في النبعة

- الحجارة تتحوّل إلى بخور

في 17ت1 1977، كنتُ، أنا الأب حنا اسكندر، يومها طالبا في دير كفيفان، سمعتُ والإخوة المبتدئين خبرين لأعجوبة البخور في النبعة. الأولى من الأب المناظر يوحنا مرقس، وهي أن دخل علينا وكنّا في قاعة الدرس حاملا بيده كميّة من الحجارة الصغيرة وقال: أنظروا هذه حجارة، نظرنا فهي حجارة. أتى بقدّاحة وأشعل إحداها وقال: أنظروا شربل حوّل الحجارة إلى بخور في النبعة، فانذهلنا! أعطى كل منّا كميّة، وقد فحصتُ حصّتي التي بقيت معي سنوات عديدة، فإذا هي حجارة كشكل من الخارج وإذا كسرت من الداخل، لكنّ وزنها خفيف وتشتعل كالبخور.

والخبر الثاني هو من المرحوم الأب لويس وهبه الذي أعلمنا بسبب أعجوبة البخور قال: نذر ربّ عائلة شيعيّة مقيمة في النبعة ابنه للقدّيس شربل بسبب مرض ما، ونذر أن يأخذ بخورا حسب وزنه. لكن فقر هذه العائلة المادّي منعهم من إيفاء النذر. فبينما كان الولد يلهو في مكان كان فيه بقايا متاريس من أيّام الحرب، ظهر له القدّيس شربل وقال له: لما لم يذهب بك أهلوك إليّ لإيفاء نذرهم؟ أجاب الولد: ليس لدينا مال لنشتري بخورا يكفي حسب وزني. فقال له القدّيس شربل: هذه المنطقة هنا كلّها بخورا. فالتفت الولد فإذا بكل شيّ حوله تحوّل، الحجارة، البحص، الرمل، أكياس الرمل، دواليب كاوتشوك، فصرخ أعجوبة! فهجم الناس وبدأوا يأخذون البخور، وتمّت معجزات شفاء. وبسبب زحمة الناس، منهم من لم يستطع الوصول أخذ معه بحصة من الأرض كبركة فعند وصوله للبيت وجد أن البحصة تحوّلت إلى بخور! والأغرب من ذلك أنّ بعض الذين لم يستطيعون الوصول، وبسبب الأمطار والوحول والحفر في الطريق، تلوّثت ثيابهم بالوحول عندما تقع سيّارة في حفرة، فيغضبون، ولكنّ سرعان ما تحوّل غضبهم إلى فرح عندما رأوا أنّ الوحول على ثيابهم هذه تحوّلت إلى بخّور!

- قوّة غريبة

أخبرت حسنا منصور- كرم سده: رست شظيّة رصاص في مرفقي وحرقت العظم، وشلّت يدي اليسرى تماما، وارتأى بعض الأطبّاء قطعها، لئلاّ يتناثر العظم ويتسمّم جسمي وأموت. فأبيت وأبى أهلي وزوجي الخضوع لمثل هذه العمليّة.

وذات يوم، وفيما خبر أعجوبة النبعة ينتشر، ويعمّ كل لبنان، نويت الذهاب إلى هناك، أنشد الشفاء، ولمّا وصلت إلى المكان حيث كانت ترفع صورة كبيرة للقدّيس شربل، مددت يدي السليمة إلى الصور للتبرّك وطلب الشفاء، وفعلت ذلك على ثلاث دفعات. وما إن مددت يدي حتّى بدأت أشعر في اليد المشلولة بقوّة غريبة، شبيهة بقوّة كهربائيّة، تنطلق من أظافر اليد حتّى تصل إلى الكتف، وتتوقّف هناك. وقد تراءى لي القدّيس شربل تلك الليلة في الحلم، وخاطبني:إرفعي يديك الإثنتين معا، كما أفعل أنا أمامك، ففعلت كما قال لي، وتابع كلامه لي: ستشفى الأصابع الثلاثة لتوّها، وتعود طبيعيّة، وإنّما الإبهام والسبابة سيشفيان تدريجيّا. وهكذا حصل.

15- حبّة بخور بيد مولود جديد

شهد الأب أنطوان صدقة: ماريا دي نازارت، مقيمة في البرازيل، كانت عاقرا، ولم تنجح معها الإمكانات الطبّيّة لتضع مولودا. وهذا الإخفاق زاد في حزنها ويأسها. ذات يوم التقت بإحدى اللبنانيّات الوافدات حديثا إلى البرازيل، وكانت تحمل معها بخورا، بركة من القدّيس شربل، وبدأت تلك المرأة تروي أعاجيب وافرة على يد القدّيس شربل. ومن تلك الأعاجيب أنعم الله بأطفال لنساء عاقرات، فتأثّرت ماريا، وتمنّت أن يمنّ الله عليها بولد. فأعطتها بخورا وطلبت منها الصلاة والتبخير. أمّا هي فقد ابتلعت حبّة بخور، حبلت بعدها بطفل. وراحت بفارغ الصبر تنتظر مولودها، وما حانت ساعة الولادة حتّى انتقلت إلى المستشفى لتلد هناك، ودهش الطبيب بعد أن وضعت ولدها، إذ رأى المولود يطبق يدا، ويفتح الأخرى. فتعجّب الطبيب مما يرى، ولم يسبق أن رأى له نظيرا من قبل، فعمد إلى فتح يده، إذ خشي أن يكون أصاب يده سوء. ولمّا فتح يده وجد فيها حبّة بخور، فازداد عجبه. وكانت الحبّة التي ابتلعتها أمّه ابتغاء الحمل.

رابع وعشرون: فرح الإيمان

1- نهاد الشامي

- يا ريت بعيش حياتو

شهدت السيّدة نهاد الشامي: عندي 7 شباب و5 بنات، كنت أمارس واجباتي المسيحيّة على أكمل وجه، قداس كل أحد وصلاة المسبحة مع زياح العدرا مع الأولاد وأركع أمامهم يوميّا. وأنا كنت أصلّي المسبحة صباحا وأبشّر العدرا ظهرا. حسب عادات أغلب الناس.

لقائي الأول مع مار شربل كان حين ظهوره عام 1950، حين رأيت العدّة التي كان يستعملها القدّيس شربل في المحبسة، تأثّرت جدّا وبكيت وكان عمري 12 سنة. فسألتني والدتي: ليش عم تبكي؟ أجبتها: يا ريت بعيش حياتو لا بدي مال ولا بدي قصورا! تزوّجت وطلعت على المزاريب مع إني من سكان جونيه وعشت حياة الضيعة مع كلّ صعوبتها: طبخ وغسيل على الحطب، خبز عالتنّور، زقّ الحطب من الحرش، وغسيل الثياب بماء الرماد على النهر، والإهتمام بالزريعة والبقر والغنم والدجاج، وكان عندي ختياريي تنين، من جملتن مرت عمّي اللي عذبتني كتير وما عاد حدا خدما، وبس رثيت سامحتا وخدمتا من قلبي وعيني.

وكنت أجمع أولاد الضيعة، وأعلمّهم الأبانا والسلام وفعل الندامة وقانون الإيمان. وكان زوجي يمانعني: لا يوقع شي ولد يا مرا! وكانت العذراء تحمينا، وكنّا نصلي لها لليليّة المسبحة، ونحتفل بزيّاحها. بس جيت على حالات صار يجيبولي ولد مريض أو إذا مرض حدا، لحتّى يصح. وكنت على حسب قول العدرا صلّي على المي 3 مرات النؤمن، ومرّة أبانا ومرّة سلام لجروحات المسيح، وغطّ صليب المسبحة بالمي، وكتار كانوا يصحّوا.

- عمليّة أولى في الكلوة

كان في معي بحصة بالكلوة طول 1,5سم وكانت تسبب إلتهابات، كنت إبقى بالمستشفى جمعة وبعد راحة بالبيت 24 ساعة أُعاد إلى المستشفى من جديد. أراد الطبيب أنطوان الشامي، صاحب مستشفى سيّدة مرتين، أن يجري لي عمليّة، ولكن بسبب ولادتي الحديثة لم يجريها لي. ذهبت إلى محبسة عنّايا، وصليت وأخذت ترابا من أمام المحبسة وابتلعته.

في الحلم أتاني شربل وقال لي: **نهاد! نهاد! واعية؟** أجبته: نعم واعية. قال لي: **اجلسي، أية كلوة توجعك؟** قلت له: كلوة الشمال. شقّني، وفزعت عندما رأيت الجلد مبين بس ما في دم. فضرخت بالعذراء: يا عدرا دخيلك، كيف بدو يعملي عملية بلا بنج. أجابني: **أنا بونا شربل عملتلك عمليّة للبحصة**، فأسرع زوجي، متعجّبا: شو بكي صرختي هالصوت؟! أجبته: إجا مار شربل وعملّي عمليّة بكلوتي. فأتى ورأى آثار العمليّة، بقعة حمراء يخرج منها سائلا، وشفيت تماما.

- فالج لا تعالج!

انشلّت يدي ولساني لجهة الشمال مساء يوم 9 ك2 1993. دخلت إلى مستشفى سيّدة مارتين في جبيل. إستقبلني الدكتور جوزيف الشامي، أخصّائي في مرض القلب والشرايين والأعصاب؛ أدخلني العناية الفائقة وبدأ بعلاجي مع الدكتور أنطوان نشاناقيان وطبيب العائلة الدكتور مجيد الشامي؛ بعد المعالجة والصور والفحوصات، جاءت النتائج كما يلي: يوجد نشاف في شريان العنق بنسبة 80% من جهة الشمال و70% من جهة اليمين، ممّا جعل عندي شلل نصفي أي داء الفالج. ولا يوجد أي علاج للشفاء في هذه الحالة، كما قال لي الطبيب: فالج لا تعالج!

نصحوني أن أذهب إلى بيتي وبعد مضي 3 أشهر، يمكن أن أدخل إلى مستشفى أوتيل ديو لأخضع لصورة جديدة، ربّما استطاعوا إجراء عمليّة جراحيّة في عنقي لاستبدال الشرايين المسدودة بشرايين بلاستيك.

- لمسة من مار شربل

بعد ذلك ذهب ابني البكر سعد إلى دير عنّايا، وصلّى بقلب مجروح أمام تمثال القدّيس شربل، وأحضر لي بركة زيت وتراب عن قبر القدّيس شربل؛ وعندما مسحت لي ابنتي من هذه البركة شعرت بتنميل في يدي ورجلي. وبعدها خرجت من المستشفى بعد أن قضيت 9 أيّام فيها ولازمت فراشي في البيت، فكان زوجي يحملني إلى الحمّام، وأولادي يعطوني الأكل أو الماء بواسطة نربيج أو شاليمون، وأمضيت ثلاثة أيّام على هذه الحال بعد خروجي من المستشفى.

- عتاب واستغفار

بعدها، إذ كنت نائمة أبصرت نفسي أنّي صاعدة على درج المحبسة في عنّايا وسمعت القدّاس فيها مع الرهبان وناولني القربان المقدّس القدّيس شربل! وفي اليوم الرابع المصادف ليل الخميس أو صباح الجمعة الواقع في 22 ك2 1993، شعرت بألم في رأسي وفي الجهة اليمنى من جسمي فصلّيت وطلبت من العذراء مريم والقدّيس شربل

وقلت لهما: أنا شو عاملي، لشو كرسحتوني بالفراش؟ أنا شو خاطية، ربّيت عيلي 12 ولد بالعذاب والصلاة والمثابرة تا كبرو، أنا مش عم بفرض إرادتي عليكن ولكن إذا بدكن تشفوني اشفوني أو موتوني متل ما بدكن أنا راضية! الموت حقّ ولا تخلّوا أهل بيتي يتعذّبوا فيي! عدت وندمت وقلت: سامحيني يا عدرا أنا لازم أحمل الصليب وما لازم أهرب من الألم، مع آلامك يا يسوع.

- جايي إعملّك عمليّة!

تركني زوجي وأولادي لأنام وأرتاح. وفي الساعة الحادية عشرة وأنا في المنام، وإذا بشعاع نور يدخل غرفتي ورأيت رهبان اثنين توجّها إلى سريري، واقترب مني القدّيس شربل وكشف قميص النوم عن عنقي ووضع يده وقال لي: **جايي إعملّك عمليّة!** فالتفتّ ولم أقدر أن أرى وجهه من قوّة النور الساطع من عينيه وجسمه فارتبكت وقلت: يا أبونا ليش بدّك تعملّي عمليّة، مش قايلين الحكما إنّو بدّي عمليّة. قال : **نعم لازمك عمليّة، وأنا الأب شربل جايي إعملّك ياها**. فالتفتّ لشخص العذراء الموضوع بقربي وقلت: يا عدرا دخيلك تشفّعي فيّي، كيف بدن يعملولي عمليّة هالرهبان، بدون بنج ويقطبوني! فنظرت إلى شخص العذراء ورأيته أتى وأصبح بين الراهبين، لم يكن تمثالا جامدا، بل كان يشعّ بالنور ويضجّ بالحياة. في تلك اللحظة شعرت بألم فظيع تحت أصابع القدّيس شربل التي كانت تفرك عنقي... وبعد انتهاء مار شربل من العمليّة اقترب مار مارون وأخذ وسادة واقعدني ثمّ وضعها خلف ظهري وأخذ كوب الماء الموضوع بقربي، وسحب الشاليمون منه ووضع يده تحت رأسي: إشربي هذا الماء. قلت له يا أبونا ما بقدر إشرب الماء من دون شاليمون. قال مار مارون: مبلا عملنا لك عمليّة وصار فيكي تشربي وهلق بدّك تشربي الماء وتقومي تمشي. وتقدّم وهدّالي راسي بيده اليمنى وسقاني الكباية بيده الشمال.

- دموع الفرح

بعد ذلك صحوت من النوم والماء يجري طبيعيّا في حلقي ووجدت نفسي جالسة مثلما أقعدني الراهب ونظرت إلى شخص العذراء فرأيته عاد إلى مكانه على الطاولة، وشعرت بحريق في عنقي، وبدون انتباه وضعت يدي لأرى ما يجري في رقبتي، عندها انتبهت أنّ يدي الشمال المشلولة أصبحت طبيعيّة، وشعرت برجلي تتحرّك كالعادة تحت اللحاف. فسألت ابنتي التي كانت نائمة على سريرها قربي ومع مولودها الجديد، قديش الساعة: أجابت: الثانية بعد نصف الليل. نهضت من سريري وبدون وعي كامل، ركعت أمام صورة القدّيس شربل والعذراء مريم لأشكرهم، وكانت المرّة الأولى التي أستطيع فيها الركوع على ركبتي بسبب ما أصبت من تكلّس، وكان الحكيم قد أشار بقطع الرجل لتخفيف الألم. ذهبت بعدها إلى الحمّام، ورأيت عنقي مذبوح بجرحين، يمينا وشمالا، طول الجرح 12 سم تقريبا. ذهبت إلى غرفة زوجي المجاورة وأضأتها، وكان زوجي يصلّي بسبحته، فالتفت وصاح بصوت عالٍ: يا مرا كيف جيتي وحدك؟ هلّق بتوقعي وبتصير مصيبي فوق مصيبي، إذا ما بتشفقي عليّي اشفقي عا حالك! رفعت يدي وقلت له: لا تخاف، القدّيس شربل عملي عمليّة ومشيت! سقط زوجي أرضا! تقدّمت منه وصفعته على وجهه مرارا قائلة: يا سمعان! يا سمعان! وعندما علم بعض الأولاد وقعوا على الأرض أيضا فصاروا يخبرون بعضهم عبر الهاتف، وتجمّعوا وهم يهطلون دموع الفرح.

- أنا جرحتك بقدرة الله تا يشوفوكي

وعند الصباح ذهبت بصحبة ابنتي وزوجي إلى المحبسة لنشكر القدّيس على نعمه، فالتقيتُ بالمسؤول عن المحبسة يومها الأب مخايل مغامس، فعندما أخبرته بقصّتي ورأى الجرح قال: هذا الجرح مش لألك وحدك، هذا علامة لكل العالم. ولازم تخبّري الإذاعات حتّى يخبّرو وطلعي عالتلفزيونات. فأجابه زوجي: الحمدلله المرا شفيت ومار شربل ما بدّو دعاية. وحضرنا القدّاس معه في المحبسة. وبعد الرجوع إلى البيت كانت مفاجأة الجيران والأقارب الذين كانوا يزوروني وأنا مقعدة. نهضت من نومي في اليوم الثاني، كان ظهر في عنقي اليمين ثلاثة خيطان واثنان في عنقي الشمال. سحب الدكتور مجيد الشامي خيطين منهم، ولم يستطع سحب الباقين لأنّه كان يكهرب كلّما لمس الخيط، فقد صرّح الأطباء (هو ومن معه) أنّ شفائي ناتج من الأدوية التي أعطوني إيّاها بسبب الوجع المؤلم في رأسي، وبعدما سئلوا عن سبب جرح عنقي؟ أجابوا: من كثرة حكاكي بسبب آلامي!... وأتت lbc وصوّرت وانتشر الخبر فجاء الزوّار من كل لبنان وخارجه وغصّ بيتنا بآلاف الزوّار. وبعد مرور أسبوع على أعجوبتي، قال لي كاهن رعيّتنا في حالات، الخوري عبدو يعقوب، وكذلك الدكتور مجيد الشامي: بدنا نبعدك إلى منزل ابنك لكي ترتاحي شي يومين، فخضعت لأمرهم. ولكن في الليل ظهر لي القدّيس شربل وقال لي: **لا تتركي الناس، خلّيكي عا إيمانك، أنا جرحتك بقدرة الله تا يشوفوكي، لأن البعض ابتعد عن الصلاة وعن الكنيسة**

واحترام القدّيسين. وإنتي ما بتقدري تعملي شي للناس! اللي بيريد منّي شي أنا الأب شربل موجود في المحبسة على طول. وبطلب منك تزوري المحبسة كل 22 من كلّ شهر وبستمعي قدّاس كل عمرك...

- صور ترشح زيتا

تابعتُ الزيّاح لمار شربل كل يوم خميس في بيتي في حالات وهو اليوم المصادف للأعجوبة. وفي 15 آب 1993 وأنا في ضيعتي في المزاريب ظهر لي مار شربل في منامي وقال: **نهاد، أريد أن تعملي زيّاح الورديّة كلّ يوم سبت من كلّ أوّل شهر في بيتك، عا سنة عا نيّة عيلتك.**

فنهضت في الصباح كالعادة وأخذت البخور أمام المذبح وأشعلت شمعة وبدأت بصلاتي؛ ولمّا نظرت إلى صورة القدّيس شربل رأيت الزيت ينضح منها وما زال حتّى هذا التاريخ. وبينما كنت أزيّح الورديّة حسب ما أوصاني القدّيس شربل، ومعي حشد من الزوّار والمؤمنين في بيتي، وكان أوّل زيّاح المصادف 6 ت2، بدأت صورة مار مارون ترشح زيتا وما زالت حتّى اليوم.

وفي تاريخ 2 أيلول، ظهرت لي القدّيسة ريتا في المنام بينما كنت أمام مزار العذراء قرب بيتنا في الجبل، ووضعت يدها على كتفي، وقبّلتني في جبيني، وقالت لي: بهنيكي بهالإيمان! فالتفتّ إليها لأخبرها ما حدث معي فقالت لي: أنا عارفي مار شربل عملك عملية ومار مارون عطاك كوب الماء.

- أوراق السنديان

كعادة كل سنة كنت أعمل مغارة الميلاد ونزيّن شجرة صنوبر نقطعها من الحرش، ويومها منعت الدولة قطع الصنوبر لهذه الغاية، فطلبت من ابني عصام أن يجلب لي غصن سنديان لنصنع به شجرة الميلاد. وكان شكله جميلا كثيف الأوراق وعلى شكل قبّة جرس. وليلة الغطاس أتى الأب شربل ومعه مار مارون وقال لي بدنا نبارك الشجرة. ركعت وصلّيت أنا وإيّاهم 3 مرّات أبانا وسلام، ورتّل ترتيلة بالسرياني حلوي كتير. ولمّا انتهينا من الصلا أتى بسطل ماء وفيه مرشّة، ووضع السطل على السجّادة فشعّ نور من السطل. فرشّ ماء على المغارة وأكمل رش غصن السنديان وتابع الرشّ في البيت، وعاد. وكنتُ لا أزال أمام المغارة أنا ومار مارون، وقال لي: **هادا ما تكبّيه بالزبالة، هادا بتعطيه بركة للعالم.** تابع: **رح قلّك كيف بيستعملوهم: بيحطّوا 3 ورقات عا إسم الثالوث بركوة وبيغلوهم، والورقات بيشلوهم عا جنب وبيحرقوهم، والميّات بيصيروا مي مصلايه بيشربوا منهم، وبيصلّوا مرّة أبانا ومرّة سلام لجروحات يسوع اللي فدى دمو لأجل شعبو، وبيسقو مرضاهم.** لم آخذ هذا الكلام على محمل الجد، فالناس سيقولون جنّت نهاد، بلّشت تعمل اخبار، وكنت عايشة بالخوف من حكي الناس، وضلّيت عا سنتين عايشي بالخوف، وكان مار شربل يشجّعني بالحلم ويقللي: **ما تخافي، الله اختارك من شعبو تا تكوني علامة عا الأرض، وكتار يللي بدن يرتدوا للإيمان وللصلا ويرجعوا عن يدّك. ما تتكدري من العالم.** وتابع كل سنة مباركة مغارة وشجرة الميلاد.

- لا تخافي من إعطاء أوراق السنديان

فرفطتُ أوراق غصن السنديان، وأحرقتُ الغصن كما قال لي، ولم أجرؤ على إعطاء أحد من هذه الأوراق. وكنتُ قد أخبرت الناس، الذين يأتون ليصلّوا عندي يوميّا في البيت، عن خبر الحلم وأوراق السنديان، فكانوا يأخذوا منها، وقالوا لي ذات مساء: نوال عيد، جارتك، مريضة ويريدون أخذها إلى المستشفى. فقرّرت في الصباح زيارتها. فأتت إليّ صباحا، قبل أن أذهب لأزورها وقالت لي: أتتني نوبة ربو وكان أهل بيتي يريدون أخذي إلى المستشفى. فقلت لابنتي: يا ماما حطّي بالركوة 3 ورقات سنديان اللي جبناهم من عند نهاد واغليهم. وعندما شربتُ أحسستُ أنّي شفيتُ، وتابعت: لا تخافي من إعطاء أوراق السنديان، أنا كنت كتير متضايقة ولمّا شربت ارتحت. وما عاودها هذا المرض إلى اليوم.

- وضعت توأمين

أتتني مرّة طبيبة أطفال تدعى كارولين أبو جودة، وقفت أمام صورة مار شربل التي تنضح زيتا وصارت تبكي بحرارة. فسألتها ما بك؟ أجابت: ما عندي ولاد، قلت لها: الله يطعمك. أجابت: قطعت الأمل، تحكمت كثيرا، وزرعت مرتين ولم أحمل! والآن صار لي 20 سنة متزوّجة، ولم يعد لي أمل بالأولاد. قلت لها: الله قدير على كل شيء وأعطيتها ورق سنديان. وبعد شهر أخبرتني على الهاتف أنها حامل، وصرنا نصلّي لها، فوضعت توأمين صبي وبنت. وقد تكرّرت هذه الأعجوبة معي مئات المرّات لعائلات ليس لها أولاد وقد أنالها إيمانها بالله عن يد مار شربل، وكنت عرّابة لحوالي 450 منهم.

- رحلة إلى المكسيك

اشتهر شربل في المكسيك كثيرا فهو حبيب الجميع، وُضِعت تماثيله في كلّ الكنائس والمستشفيات والبيوت والمحلاّت، وصوره في كلّ مكان، وعلى سيّارات النقل (التاكسي). وإذا أراد أحدهم إجراء عمليّة ما، لا يقبل الدخول إلى العمليّة إلاّ بعد أن يقبّل تمثال القدّيس شربل. وتابعت نهاد: طلبنتني الجالية اللبنانيّة من المطران بشارة

الراعي للذهاب إلى المكسيك. رحت فعملولي مهرجان. قدّسنا في الملعب البلدي من كثرة الناس. وصرت أدهن زيت من مار شربل حوالي 3 ساعات. حدثت عجائب كثيرة هناك وهذا البعض منها: شاب في الثلاثين من عمره على العكّازات، تركها ومشى، وفتاة في التاسعة من عمرها، ومصابة بسرطان في الرحم، شفيت تماما، وامرأة حامل بابن مصاب بالسرطان، وكانت تريد أن تجهضه، فنصحتها بأن تتّكل على الله وتبقيه، فكان أن عادت إليّ وأخبرتني قبل يوم من تركي المكسيك بأنّ الله قد لمس ابنها وشفاه وقد أكّد لها ذلك الطبيب. وفي القدّاس الأخير في كنيسة سيّدة كوادالوبيه أتت امرأة عمياء تقودها ابنتاها فبلّعتها قطنة مغموسة بزيت مار شربل ومسحتُ عينيها بيدي وطلبتُ من مار شربل بقلب محروق أن يشفق عليها، وما أن أعادوها إلى مكانها حتّى صرخت بصوت عالٍ وقالت: أنا صرت أبصر، فبكى الناس وصاروا يصفّقون.

2- شربل عند مسلمين

- شربل حبيب الأطفال

شهدت صبيّة مسلمة: في العام 1994، كانت ليلة باردة جدّا، حيث كنت وإخوتي الصغار لوحدنا في المنزل، بينما كانت أمّي مع أختي الصغيرة المريضة في المستشفى، وكنت خائفة جدّا إذ كان عمري لا يتجاوز 11 سنة، فدخل شيخ عجوز يرتدي ثوبا أسودا وعلى رأسه قلنسوة ولحيته طويلة بيضاء، وقال: **لا تخافي!**

كانت المدفأة منطفئة لأنّه لا يوجد مازوت في البيت، فأتى بالصفيحة الفارغة، وملأ المدفأة وأشعلها. وكان في المطبخ وعاء فيه حليب كانت أمّي تريد أن تطبخه رز بحليب. فدخل الشيخ إلى المطبخ وطبخ الرز بحليب. وعاد ودرّس إخوتي الصغار (وفي اليوم التالي كانت مسابقاتنا جميعا 20\20)، وهو يضع إصبعه على فمه ويقول: **لا تخافوا.**

بعد ساعات عادت أمّي إلى المنزل. ولمّا فتحت الباب، خرج الشيخ مسرعا. فقلت لأمّي: ما شفتي الشيخ اللي كان عنّا؟! فقالت: لا! من هو هذا الشيخ؟ فقلت لها: لقد طبخ الرزّ بحليب وأشعل النار، ودرّس إخوتي وقال لي: **ما تخافي!** فقامت والدتي إلى المطبخ، ووضعت يدها على الطنجرة، فكانت لا تزال ساخنة. فقالت: الحمد لله على كلّ شيء.

وبعد فترة قصيرة، ذهبنا مع والدتي إلى بيت صديقة لوالدتي وهي مسيحيّة، وقد علّقت صورة القدّيس شربل على جدار الصالون، فأشرت بيدي إلى الصورة وقلت لوالدتي: هذا هو الشيخ الذي أتى إلى بيتنا في تلك الليلة! ما أجملك يا مار شربل! إنّك حبيب الأطفال الخائفين! تدفئهم وتدرّسهم وتطبخ لهم وتبقى معهم حتّى تعود والدتهم!

- شربل مضمّد الجراح

كتبت امرأة مسلمة: ما أسعدنا نحن اللبنانيين إذ نعيش في لبنان موطئ قدمي السيّد المسيح رمز السلام والشفاء، ومهد القدّيسين وخاصّة القدّيس شربل، قدّيس لبنان وصديق جميع اللبنانيّين. أنا مسلمة من البقاع، أحبّ السيّد المسيح كثيرا إذ أرسل لي القدّيس شربل. كنت أعيش مع أولادي حالة يائسة وفقيرة جدّا إذ أوصلتني هذه الحالة إلى فقدان ابنتي! ففي يوم، بعد وفاتها بثلاثة أشهر، كانت الحالة تعيسة جدّا، ولم أعد أحتمل الفقر والجوع فقرّرت الانتحار برمي نفسي عن السطح! فرأتني جارتي بهذا الموقف وردّتني إلى البيت، فكنت بحالة يرثى لها، فرأيت القدّيس شربل قرب باب الغرفة يرتفع عن الأرض حوالي 30سم، ويحمل في يده عصا في آخرها كرة ذهبيّة، فاقترب إلى زاوية الغرفة حيث يوجد القرآن الكريم، وأنا متعجّبة منه كيف يمسك القرآن!، فأخذه بيده وعاد إلى الباب، حيث كان يقف أوّلا وقرأ: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (155) **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** (156) **أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** (157من سورة **البقرة**). فعلقت في ذهني كلمة المهتدون، فعرفت أنّ القدّيس شربل سيهديني إلى طريق الصواب، إذ ظهر لي شخصيّا في هذا الزمن العصيب. ولا أدري كيف أخبّر كيف تغيّرت حالتي وعملي! وربّيت أولادي بنعمة وحكمة وكرم وشجاعة. هذا هو القدّيس شربل مضمّد الجراح وصديق اللبنانيّين.

- شربل حبيب الحزانى

تابعت المرأة المسلمة: وفي حضور ثانٍ وبعد أسبوع إذ كنت جالسة بقرب الشبّاك أنظر إلى الأولاد يلعبون في باحة الدار، فتذكّرت ابنتي المتوفّاة وشعرت بأسف شديد وحزن مرير إذ أنّها لم تكن تلعب معهم. فأتى إليّ القدّيس شربل يحمل بيده حمامة بيضاء، فتقدّم ومسح دمعتي وقال: **لا تبكي يا...! كلّما اشتقتي إليها سأرسلها لك.** ومنذ ذلك الوقت البعيد كلما ذكرتها أرى الحمامة البيضاء تطير من أمامي وأحيانا أراها تقف أمام شرفة البيت. هذا هو القدّيس شربل حبيب الحزانى.

- شربل الطيّب الحنون

تابعت المرأة المسلمة: وفي حضور ثالث إذ كنّا نجري عمليّة جراحيّة لابني الصغير، قال الطبيب المعالج: لا يخرج المريض من المستشفى إلاّ إذا كانت درجة الحرارة 37. وفي اليوم التالي كانت درجة الحرارة حسب قياس الممرّضة 41، فمنعنا الطبيب من مغادرة المستشفى. ومع طلوع الفجر بدأت أصلّي إلى الربّ يسوع أن يعمل شيئا من عجائبه، كونه الوحيد، حسب القرآن الكريم، من يصنع المعجزات، لأني تاركة أولادي صغارا في المنزل بمفردهم، وفي الوقت نفسه سمعت ماجدة الرومي ترتّل لمار شربل، فقلت بصوت عالٍ: وينك يا قدّيس شربل؟! وفجأة رأيت الطفل قد تغيّرت حالته فقلت بطريقة عفويّة: يا الله! يا مار شربل ما أحلاك! وناديت الممرضة وإذ هي تقول الآن درجة الحرارة 37. بعدها حصل إشكال بينها وبين الطبيب على تفاوت درجة الحرارة السريعة! فوقفت مسرعة وأصلحت الموقف وقلت لهما وبكلّ صراحة: هذه من أعاجيب مار شربل! وتمّ الخروج من المستشفى. ماذا أقول عن مار شربل الرقيق العذب، الطيّب الحنون، رسول السيّد المسيح في لبنان. وهو بكلّ تأكيد صديق جميع اللبنانيّين.

3- شربل في أفريقيا سنة 1995

قرّر شخص، من عائلة تقيّة جدّا، الذهاب من بوركينا فاسو حيث يقيم، إلى منطقة أخرى بعيدة، وبالرغم من معارضة أمّه الجذريّة لهذا الانتقال. وعندما عجزت أمّه عن إقناعه بالعدول عن هذه الرحلة الخطرة، اضطرت أن تضع صورة لحبيس لبنان تحت مقعد سيّارة ابنها. وبعد أن سار بضع ساعات باتجاه المنطقة التي يريد الانتقال إليها، نفد الوقود من السيّارة، وفي مكان يضطر فيه الإنسان حتما إلى البدء بإحصاء اللحظات الأخيرة من حياته، إذ المكان الذي نفد فيه الوقود، هو مكان منعزل، يلقى فيه الكثيرون الموت المحتوم كلّ سنة. (بسبب اللصوص أوالحيوانات المفترسة)

وفيما كان الخوف والقلق يستبدّان بذاك الشاب، رأى شيخا ملتح، يقترب منه، ويحمل في يده تنكة. وللحال **طلب استفسارا من الشاب، عن سبب توقّفه في هذا المكان**. وبالمقابل قدّم له التنكة التي يحمل، و**طلب إليه تعبئة خزّان السيّارة منها، إذ ما تحويه يكفيه لإيصاله إلى أقرب المحطّات**. وعندما وصل إلى المحطّة، طلب إلى العمّال تعبئة خزّان السيّارة، ولدى فتحهم الخزّان، حدّجوا الشاب بنظرات ملؤها الامتهان، وقالوا له: أتهزأ منّا، وتطلب تعبئة الخزّان فيما هو ممتلئ، حتّى إنّه يكاد ينفجر من وفرة الوقود فيه. ولمّا عاد الشاب من رحلته إلى منطقته، راح يقصّ كلّ ما جرى له على والدته التي أسرعت وسحبت صورة الحبيس من تحت المقعد. وعندئذ تعرّف الشاب إلى صورة من كان قد خلّصه من موت محتوم. ولقد بات هذا الشاب الآن، أفضل من أيّ مسيحيّ آخر في المنطقة.

4- الإعلاميّة هيام أبو شديد

كتبت في مجلّة **شربل رفقا نعمةالله**، عدد276، 2002، ص32-33. قالوا: قدّيس من لبنان!؟

رحت أفكّر وأقول: ما هذا الكذب؟ كلّ شيء صالح من أجل الدعاية للبنان: خضرة الغابات، والطقس الجميل، والأرز الخالد، والآن ابتدعوا "موضة" القدّيس... كلّ هذه الدعاية من أجل إخفاء الحقيقة المرّة التي نعيشها في بلدنا. وبدأت حكايتي مع هذا القدّيس، دون سابق أو ترقّب أو إعداد!

بقيت مدّة شهر ونصف الشهر أعاني من بحّة حتّى اختفى صوتي كلّيا. عاينني الطبيب ووصف لي علاجا، وطلب منّي التزام الصمت التام لمدّة أسبوعين. وهكذا بدأ الخوف والشك يراودانني. ورحت أقول يبدو أنّني أعاني من مرض عضال، قد يكون سرطانا في الحنجرة، خاصّة وأنّ البحّة قد لازمتني شهورا عدّة.

وفي أحد الأيّام، قالت لي صديقتي وجارتي راحيل: سألتُ عنكِ "مدام" معربس، وطلبتْ إليّ أن تزوريها.

- من هي "مدام" معربس؟
- السيّدة التي ترشح صورة القدّيس شربل زيتا في منزلها.
- أين؟
- في ريفون بالقرب من هنا، أتذهبين الإثنين بصحبتي إلى هناك؟ ولأنّي كنت أخاف من هيئة القدّيس شربل، قلت لها بدون أدنى حماس: إن شئتِ نذهب. لكنّها ماذ تريد منّي؟
- قالت: رأت شيئا ما في الحلم ويجب أن تحدّثك بما رأت.

قمنا بزيارة منزل السيّدة معربس. وأخبرتني بأنّ القدّيس شربل قال لها في الحلم ألاّ يجدر بي أن أخاف، لأنّني لست مصابة بداء السرطان! مع العلم بأنّه لم يكن هناك من سابق معرفة بيني وبين السيّدة معربس، ولم تكن على علم باختفاء صوتي!؟

فأعطتني قطعة من القطن مملوءة بالزيت لأبتلعها. وللحال عاد صوتي إلى سابق عهده، ولم يعد هناك أيّ أثر للبحّة في حنجرتي!؟ ومن ذلك الحين بدأت أحاول، بخجل وقلق، أن أعرف أكثر عن هذا القدّيس، وتوقّفت عن التحدّث عنه بطريقة سلبيّة، إلى أن سمعت بالأعجوبة التي جرت مع نهاد الشامي.

وفي الثاني العشرين من أحد الأشهر قمت بزيارة دير مار مارون بصحبة صديقتي راحيل، وكنت أسمّيه سابقا دير مار شربل. شاهدت من بعيد نهاد الشامي واقفة، والناس يتهافتون إليها طالبين البركة، وحاملين بأيديهم محارم من ورق لانتزاع نقطة من دم الجرح الظاهر في عنقها. وبدون أن أبذل أدنى جهد، ودون أن تقف زحمة المصلّين حاجزا في وجهي، شعرت وكأنّ موجا من الناس يحملني ويلقي بي أمامها، شاهدتها، وحدّقت في إشراق إيمانها، وجمال وجهها وصفاء عينيها، وابتسامتها المسالمة، وفرحها المعدي، فمسّتني في قلبي، ومنحتني قسطا من السلام لا أعرف كيف انتزعته وحملته معي. ومنذ ذلك الحين بدأ هذا القدّيس، في وجه نهاد الشامي يدغدغ أحاسيسي، وما عدت أخاف منه. فصلّيت. وأوّل ما طلبت في صلاتي المسامحة. بحت له معترفة، والخجل يعتريني أن كيف كان الشك يدفع بي للافتكار به عكس حقيقته. وعلى أثر ذلك راحت خطوات حياتي تقودني إلى هذا القدّيس بعفويّة، ودون أدنى عناء...

كثير من المؤمنين يسعون لرؤية نهاد الشامي ليحدّثوا بعجائب مار شربل، فاسمع وأصدّق وأطلب المزيد من الشرح، إلة أن أتى يوم من الأيّام قمت فيه بإعداد حلقة تلفزيونيّة عن خطر شهود يهوه مع شهود كانوا ينتمون سابقا إلى هذه الشيعة وارتدّوا إلى الإيمان. وبعد الإعلان عن الحلقة اتصلت شخصيّة ذات مكانة مرموقة في المجتمع، وطلبت إلى إدارة التلفزيون، بما تملك من سلطة ونفوذ، الامتناع عن بث الحلقة. وكان السبب في ذلك أنّ المتّصل هو من كبار المسؤولين في شهود يهوه. وبطبيعة الحال، أوقفت الإدارة بثّ الإعلانات عن الحلقة. وطلبت إليّ إعداد حلقة عن موضوع آخر، وبالسرعة القصوى، باعتبار أنّ اربعة ايّام فقط تفصلنا عن موعد بثّ الحلقة.

كنّا في أسبوع الآلام، وكان يوم خميس الأسرار موعدا لبثّ الحلقة. فخطر ببال المخرج الصديق سليمان أبو زيد أن نتحدّث عن موضوع ديني، وقا لي: ما رأيك لو أعددنا حلقة عن العجائب؟

- أكيد أذا كنّا لا نستطيع أن نتكلّم عن أعداء المسيحيّة، فلنتحدّث عن النعم التي نتلقّاها بواسطة الإيمان، وهكذا نؤدّي رسالتنا بأكثر قوّة.

لا أعلم كيف تمّ إعداد الحلقة؟ إنّها العناية الإلهيّة! ومساعدة رؤساء الأديار في عنّايا، وجربتا وكفيفان. وهكذا اجتمع قدّيسو لبنان: شربل ورفقا والحرديني، بأشخاص ضيوفي الثلاثة: نهاد الشامي وأندريه نجم وسيلين ربيز، وكان النجاح عظيما جدّا.

بعد ذلك، أعددت حلقة خاصّة مع نهاد الشامي بمناسبة عيد القدّيس شربل. فانفتح الباب على عالم الصفاء والحبّ والتضحية والسماح والسلام. وشعرت فعلا بأنّ مار شربل طلب من نهاد الشامي أن تكون علامة لحضور الله على الأرض.

5- مجدليّة في 22حزيران 2002

- خطيئة قاتلة

رفقا فتاة توفّي والدها وهي بعمر 11 سنة. كبرت، وكبرت معها مشاكل عديدة. ولمّا بلغت الـ18، كانت على علاقة عاطفيّة بمنصور، وكانت تعتقد أنّها علاقة حبّ لتتوّج بالزواج. وعلى أثر حادث سيّارة خطير، أدخلت أختها إلى غرفة العناية الفائقة، وانهمكت بها أمّها. أمّا هي فكانت تبقى في البيت. هناك استفردها منصور لأوّل مرّة، معلنا حبّه الشديد لها، فغرّها وفضّ بكارتها. واستمرت علاقتهما بتواتر على مدى 5 أشهر. بعدها أحسّت رفقا بلعيان في نفسها، فذهبت إلى الطبيب مع منصور، وهما يلبسان خاتمي زواج للتمويه، فصرّح لها الطبيب: إنّك حامل! فاضطربت للخبر في أوّل وهلة، وخافت خوفا شديدا، لاسيّما لأنّ عائلتها ترفض هذا الأمر قطعا، وقد يتجرّأ أخواها على ذبحها حين يعرفان بأمرها، على حدّ قولها! أرادت أن تجهض الطفل، فطمأنها منصور: لا تخافي سنتزوّج. ولكنّه أخذ يؤجل الأمر حتّى بلغت شهرها الخامس. فقالت لها أمّها يوما: ليش عم تنصحي يا رفقا؟! فأجابتها: صحّتي جيّدة يا أمّي، والحمد لله. أمّا منصور فأخذ يتنصّل من الأمر ورفض الزواج منها نهائيّا، فباتت في صدمة عنيفة، لا تعرف كيف تخرج من واقعها الأليم والخطير معا، لأنّها فقدت حبّها الأوّل لمنصور الذي خانها، من جهة، وأمست عرضة للعار وخطر القتل، من جهة ثانية. فتّشت عن حلّ لوضعها لدى أطبّاء كثيرين حتّى رضي أحدهم بإجهاض طفلها بعد إلحاح شديد من قبلها. وباتت تلك الليلة عند جدّتها، وفي اليوم التالي ذهبت إلى عملها في الفرن كالمعتاد، برغم آلامها النفسيّة والجسديّة الشديدة بسبب الانفصال عن منصور وإجهاض طفلها.

- حلّ موقّت

تعرّفت إلى ماري، فشكت لها همّها، دعتها إلى السهر مع الأصحاب، وهناك أهدتها سيجارة حشيشة، وقالت: هذا ينسيك مصابك! فمجّت أوّل سيجارة، ثمّ أتبعتها بثانية وثالثة، فكانت تنسى همومها حتّى ينتهي مفعول السيجارة. وبسبب أسهارها المتواترة، بدأت تتأخّر عن عملها في الصباح، وتختلق أعذارا لها. ذات ليلة، وضع لها أحد الشباب مع البيبسي هيروبين في كبّايتها، فسألته: ما هذا؟ قال لها: اشربي. شربت فأحسّت بنشوة طويلة الأمد لم تعهدها من قبل! فسألها: أليس لذيذا؟ أجابت: نعم. وفي اليوم التالي وضع لها الهيروبين أيضا في الويسكي. فسألته أيضا ما هذا؟ فأجابها: اشربي. فشربت، وتمتّعت بالنشوة ...طويلا. هنا بدأت حياتها بالتغيير، علقت، وأصبح الهيروبين خبزها اليومي ولا تستطيع الإبتعاد عنه. وكان الشاب قد فعل ذلك ليصطادها، لكي تصطاد هي بدورها الشبّان، ويكثُر بيع الهيروبين فتمتلئ جيوبه!

- جحيم الملذّات

وبسبب سهر الليالي، صارت تنام في النهار، وما عادت تذهب إلى العمل. توتّرت علاقتها كثيرا بصاحب العمل، فقدّمت استقالتها. وبسبب مصروفها اليومي الهائل: 100$ ثمن هيروبين، اضطرت لبيع جسدها في سوق الرقيق الأبيض، تاركة الممارسات الدينيّة جانبا، وقد كانت عضوا في جوقة مشهورة، وأسكتت صوت الله في ضميرها، لا بل كانت ترفض رفضا قاطعا سماع أيّة ترتيلة. اعتقدت، في الوهلة الأولى، أنّ هذه هي السعادة، فتنقّلت من لذّة إلى لذّة، ومن نشوة إلى نشوة، فما حصدت إلاّ القلق والتعاسة والحزن والفراغ. ما عادت تثق بأحد ولا تحبّ أحد، ولا تصدقّ أحدا، لمست أنّ لا أحد يحبّها، بل يحبّون ذاتهم إلى جانبها، وفي الصباح يتنكّرون لها، ويتكلّمون بحقّها! فملأ قلبها الكره والكذب والعدائيّة والثورة على الله والناس، هذا بالإضافة إلى أنّها كانت تمارس عبادة للشيطان مع رفاقها، ويحتفلون بالقدّاس الأسود الذي به يستعملون الشمعات المكرّسة للإضاءة والقربانة المكرّسة لإهانة الرب عبر البصق عليها، والسباب، وممارسة الدعارة قربها. قرفت من هذه الحياة، فحاولت الانتحار خمس مرّات! تناولت كميّة كبيرة من المسكّنات دفعة واحدة. عرف أهلها بمرّتين أدخلت فيهما إلى المستشفى وهبط ضغطها إلى الـ6. في أواخر ربيع 2002، بعد سنتين من بداية تعاطيها الهيروبين، اتخذت قرارا بالانتحار النهائي، إنّما بعد أن تتمتّع في الصيف كلّه.

- صلاة الأم

في 22 حزيران 2002، علمت والدة رفقا أنّ رفاق ابنتها سيزورون القدّيس شربل، فطلبت منها، أن تضيء رزمة شمع للقدّيس شربل عن نيّة أولادها، وكان حبّ والدتها لا يزال الوحيد في قلبها، وكانت تتردّد أحيانا في القدوم على الانتحار لئلاّ يسبّب ذلك حزنا لوالدتها، وافقت رفقا، ظاهريّا إذ اعتقدت أنّها كذبة من الأكذوبات اليوميّة التي كانت تكذب بها مع رفاقها على والدتها. انطلقوا إلى عنّايا، وفوجئت رفقا عندما رأت صورة القدّيس شربل الكبيرة الموضوعة في الحرش فوق الطريق، فصعقت! شو جايي أعمل أنا هون؟! يا كذّابين! على أساس رايحين نسهر بالكسليك! أجابها الشاب السائق: زيارة بسيطة وبس. فصرخت رفقا: مين مفكّر حالو مار شربل؟ شو عملّي مار شربل؟ بتحكوني شربل شربل شربل! وهنا أومأت بيدها إلى صورة مار شربل ساخرة: ليك ها الصورة ليك! تدخّلت رفيقتها: ليش عم تحكي هيك يا رفقا؟ ما تحكي هيك عن مار شربل! فانفعلت رفقا: طز طز طزّين وتلاتي! ما شفنا حدا راح وخبّرنا شو في بهاك الدني! مينو مار شربل؟ الناس اللي عملو. وينو الله؟ وين العدل؟ (تكلّمت بهذا معيدة بذاكرتها ما صار معها مع منصور وكيف تركها وأجهضت، بالإضافة إلى أنّها كانت فقيرة ولا تستطيع أن تصلح أسنانها، أمّا الآن فتملك مالا كثيرا) انتهى الجدال، ووصلوا إلى المحبسة. طلبوا من رفقا أن تنزل لتصلّي، فرفضت. ألحّوا فقالت: الكنيسي مسكّرا، ما بدّي إنزل. ولكثرة الإلحاح، نزلت فخلعت حذاءها ذا الكعب العالي، حملته بيديها وصارت تدقّ الكعبين ببعضهم، قائلة: طز طز طزّين وتلاتي، فوضع يده رفيقها على فمها وأسكتها. وصلت إلى المحبسة ووضعت رزمة الشمع على بابها، ورفضت إضاءتها، فأضاءت رفيقتها الشمعات. فسخرت رفقا منها قائلة: ضوّيتي الشمعات؟! هه! شو تغيّر؟! فلم تجبها رفيقتها. نزلوا إلى الدير، وكانت الساعة نحو العاشرة ليلا، فما كانت تريد أن تنزل إلى الكنيسة، بل أرادت أن تبقى في السيّارة. ألحّ الرفاق عليها: الكنيسي مفتوحا صلّي وارجعي. كانت تريد أن ترضيهم وتمثّل أمامهم، لتسكتهم.

- محبّة الله

دخلت باب الكنيسة، وقبل أن تنزل الدرج الحجريّ الصغير، لمحت راهبا يدخل من الباب المقابل لها ويهمّ بالنزول على الدرج الموازي. هنا تشهد رفقا، على أعجوبة تبدّلها السريع: لم أعد أرى سوى هذا الراهب! **ولم أعد أفكّر بغير الاعتراف!** انطلقتُ بسرعة نحوه، وقبل أن يصل إلى كرسي الاعتراف التي في آخر الدرج الذي ينزله، دلّيتُ بيدي اليمنى تكرارا وبسرعة ليجلس الراهب في كرسي الاعتراف. جلس، **ركعتُ وانفجرتُ بالبكاء!** معترفة

بخطيئتي: زانية، ملحدة، أتعاطى المخدّرات. ولمّا سمع الكاهن كلمة مخدّرات، فهم أنّ النصائح لا تنفعني، فذهب بي إلى غرفة الإرشاد في الدير، وعرض عليّ المساعدة في الحال. شكرته، وقلت له: في الغد، وأعطيته عنواني. أحسست بثقل في رأسي وجسمي، أريد النوم، لا السهر. وفي الغد نقلني الكاهن إلى مكان حصلت فيه، والحمد لله، على الشفاء التام. أحببتُ بول وتزوّجتُه، ورزقنا الله أولادا نزرع في قلوبهم الصغيرة بذور القداسة، والحبّ المجّاني الذي أولانيه سيّدي يسوع، وتلميذه شربل، لنكون عائلة مسيحيّة، وخليّة أساسيّة في جسد المسيح.

الآن عرفت معنى الحياة! عرفت طعم الحبّ، أحببت أولادي وأحبّني زوجي! لمست حبّ الله وتأكّدت من أنّه هو يعبدني، لا أنا الذي أعبده! أنا الخروف الضال الذي خرج يفتّش عنّي، وحملني على كتفيه فرحا. شكرا لنعم الله، الأب المجنون بحبّ البشر أبنائه! وختاما إنّي أهدي شهادة حياتي هذه إلى كلّ نفس سارت في طريق الخطيئة وأوصلها الشرّ إلى حائط مسدود، علّها تجد في سيرة حياتي هذه سلاما وفرحا تبحث عنهما، ولن تجدهما إلاّ في قلب المسيح مخلّص العالم.

6- لم يكن أمامي سوى البكاء

شهد كلود مسوح: سنة 2002، في فترة دراستي في فرنسا، وأنا أشتغل داخل مختبر الجامعة، أحسست بوجع مؤلم في عيني. ذهبت فورا إلى المستشفى، عالجني الطبيب هناك، وعدت بعدها إلى البيت، وكان في محفظتي قنينة ماء من بيت مار شربل- بقاعكفرا، فتحتها ودهنت عيني بثقة كاملة بأنّي لن أتعرّض لسوء، تحسّنت حالتي في اليوم الثاني والثالث، قلت هذا التحسّن من الدواء، وخاصّة أنّي لم أكن بعد أعلم سبب مشكلة عيني. وبعد إسبوع، عندما لمست التحسّن، وبدأت عيناي بالتفتّح، عدت أكرّر عملي في مختبر الجامعة. وبعد 4 ساعات من العمل، بدأت بإطفاء الآلات والمصابيح الكهربائيّة، فدخل الدكتور وقال لي: كلود، لا تنسى إطفاء مصباح أشعّة الفوق بنفسجيّة (ultra-violet) قلت له: أين هو؟ فما أخبرني أحدا به؟ فإذا به يشير إلى المكان الذي أعمل فيه، وما تبيّن لي فيما بعد، أنّ هذه الأشعّة كانت تستعمل لقتل الميكروبات، صدمت حين قال لي ذلك وبدأت بالبكاء، وتضايقت جدّا وبالوقت نفسه لا أعلم! كان في داخلي شعور يُلمسني أنّ لا تعطي ذلك من أهمّيّة. خلعت الثوب الأبيض، وأخبرت الدكتور بما جرى! فجنّ جنونه، إذ كيف عملت 4 ساعات تحت الأشعّة الفوق بنفسجيّة؟! طلبت تاكسي، ودخلت المستشفى، وواجهت الطبيب نفسه، وقلت له: تعرضت إلى نفس الألم في عيني، وأضفت على ذلك معلومتي الجديدة: 4 ساعات تحت الأشعّة الفوق بنفسجيّة. لم يصدّق في البدء، فأعطاني لكل عين كيس من المصل، وكنت أنا أعلم خطورة الوضع –فعندما نشاهد كسوف الشمس لثوانٍ نتعرّض للعمى، فكيف 4 ساعات!- وعاد الطبيب وطلب لي فحص لشبكة العين. دخلت غرفة الفحص، ووضعت ذقني على الآلة لينظر هو داخل العين. في هذه الفترة كان الطبيب يهزّ برأسه ويعضّ شفته! سألته أوّلا فلم يجب! ألحّيت، فسألني هو: كيف أتيت إلى هنا!؟ أجبته: لوحدي، وأضفت: يمكنك أن تتكلّم ما تريد فانا لا أخاف! وأتقبّل كل شيء. فقال لي: أكيد أنت لم تأتِ لوحدك إلى هنا! لأنّك لا تبصر! قلت له: كيف!؟ أنا أبصر! أجاب: يوجد بقع سوداء على شبكة العين، وخلايا الشبكة محترقة! في تلك اللحظة لم يكن أمامي أيّ شيء سوى البكاء وبشكل غريب! لم أعلم لماذا هطلت دموعي! أردف الطبيب: إذا بقيت تبصر، راجعني بعد يومين. ذهبت إلى البيت مع الأدوية نفسها، واستعملت المياه نفسها، لأنّي علمت أنّها هي الدواء وليش شيء آخر. بعد أسبوع عدت إلى لبنان، وذهبت فورا إلى طبيب عيون لفحص نظري: فقال جيّدا، أصرّيت ليفحص لي الشبكة قال: جيّدة جدّا. وأردف يقول: لا لزوم لهذا الفحص كلّه!

زرت شربل وشكرته، وبدأت حياتي بالتغيير، صرت أصلّي ومن قلبي، وكانت صلاتي من قبل بالشفاه، ولمست أنّ لحظة صلاة قلب مع الله، أفضل من كلّ ما صلّيته بشفتي وعقلي في مكان آخر! وصرت إذا تركت ليلة بدون صلاة، أشعر بنقص في الفرح، حتّى ولو كنت في أسعد أيّام حياتي أتقبّل التهاني بنجاحاتي! عندما حصل لي هذا التغيير أحسست أنّ الحياة تافهة، وليس مطلوب منّا فقط سوى أن نحلّي حياتنا بحضور الربّ فيها. وهو الذي قال: أنا واقف على الباب أقرع، ممكن أن نفتح له ونستطيع أن لا نفتح له، الحريّة عندنا شيء مهم للغاية. وغالبا نحن يهمّنا الأمور الماديّة، وأنا الآن أراها تافهة.

أصبحت الآن أعلم أنّ ملاكي الحارس هو المسيح، ويظهر لنا من خلال قدّيسيه، وصرت أعتبر مار شربل أكثر من رفيق وصديق وأب، بكل الحلات موجود معي. صرت أشعر بمسؤوليّة تجاه نعمة الشفاء التي نلتها، فالمفروض عليّ أن أخبر الناس مع صنع الربّ إلي والناس يتأثرون جدّا بعظائم الله. فمنذما حدثت معي هذه الأعجوبة ما تعبت من روايتها ولا تعب الناس من السماع، فوجود الله في حياتنا أمر عظيم! وصرت أتردّد إلى عنّايا، ومرّة اشترى صاحبي سيّارة وأراد أن يزوّرها مار شربل، وكنّا سائرين حول نصف الليل، انزلقت فينا السيّارة عند منعطف صعب، فاصطدم بطنها بصخرة كبيرة، كما نشاهد في الأفلام، وانقلبت عدّة مرّات. خرجنا

من السيّارة سالمين، نفضنا الغبار فقط، هو خرج من بابي وأنا خرجت من بابه، دون أن نعرف كيف! لم يتحطّم أيّ زجاج في السيّارة رغم عنف الحادث! وقفنا مشدوهين أمام هذا المشهد. أنا شكرت عناية الله على نجاتنا، بينما صديقي قال: آخ راحت السيّارة! أمّا صديقي الآن فبدأ يشعر بعناية الله بعد تفكير وتأمّل بما حدث وكيف نجا من الموت. شكر لله أبينا على كل شيء.

7- شربل في الفيليبّين 2005

اتصلت فتاة فيليبينيّة، وهي تعمل خادمة لدى عائلة مسيحيّة لبنانيّة في بيروت، بأمّها في الفليبّين، فبكت والدتها قائلة: سأموت دون أن أراكِ، قد أنهكني المرض وأنا في ايّامي الأخيرة. بكت الفتاة بكثرة لصعوبة سفرها المكلف إلى الفليبّين، وهي فقيرة، وقد وقّعت على عقد عمل لمدّة سنتين، وبالإضافة أنّ الزوجين يعملان وهما بحاجة ماسّة إليها لرعاية طفليهما الصغيرين. وكانت تجهش بالبكاء، وقد ضاقت حيلة الزوجين لتعزيتها. أخيرا دعياها لزيارة القدّيس شربل، فوافقت شاكرة. وصلت إلى عنّايا وجثت ساعتين ونصف على القبر ضارعة وهي تقول: أنت يا قدّيس شربل إرأف بحالتي، واشفِ أمّي! أريد أن أراها قبل أن تموت، وأنت تعرف فقري وعجزي! لا أستطيع الذهاب إليها... وعادت مع العائلة وعينيها محمرّتين من كثرة البكاء!

عندما وصلت إلى بيروت، اتصلت بها أمّها: أشكرك يا ابنتي، لأنّك أرسلتي لي طبيبا من لبنان فأبرأني. أجابتها ابنتها: أنا ما أرسلت أحدا!

بلى! أصرّت الأم، هو قال لي، **أنّك أرسلتيه إليّ من لبنان!**

هنا فطنت الفتاة فسألت والدتها: ما هو شكله؟ ماذا يرتدي؟

أجابتها الوالدة: يرتدي ثوبا أسودا، ولحيته بيضاء.

صعقت الفتاة: في أيّ ساعة أتاكِ؟

أردفت الوالدة: الساعة الواحدة والربع بعد الظهر. هلّلت الفتاة، وقالت للوالدة:هذا القدّيس شربل، وقد زارك، بعدما ركعت أمامه، وهذه هي الساعة التي كنت أصلّي فيها أمام قبره، كان هو يشفيكِ في الفيليبّين، تمجّد الله في قدّيسيه!

8- شربل جندي للمسيح

روت سوزان العلم: كنتُ نازلة في 22 أذار 2007 إلى الجامعة في الدكوانة، أحسست بالنعس غفيت في الباص. عادة أنزل في المكلس وأنطلق نحو الدكوانة، راح الباص عالدوره وعاد بالاتجاه نحو البقاع، حاول السائق يوعيني يوعيني! ما في حدا! طلعني لعند أهلي، لأن السائق يعرف أهلي، وقال لهم: البنت نايمة ما عم توعا. خاف أهلي وأنزلوني إلى البيت، وحملني أخي. اتصلوا بالطبيب فقال لهم: انقلوها الآن إلى مستشفى خوري في زحلة. وعيت في السيّارة، وسقطت دمعة من عين أختي على خدّي، فقلت لها: لماذا تبكين؟! قالت لي: جرحت رجلي، وما هي تهمّ برفع البنطلون لترينـي الجرح، غبت مجدّدا عن الوعي، وسمعت العويل في السيّارة. وصلنا إلى المستشفى، طلب لي الطبيب 24 إبرة كورتيزون أوغتاغون، ثمن الإبرة الواحدة 1000$، وغير موجودة في لبنان. طلبوها من قطر، ويلزم يومين لتصل، فقال الحكيم: بتكون راحت البنت بين إيدينا! وجثا على ركبتيه وقال: يا الله بنت عمرا 17 سنة تروح بين إيدينا! ساعدها يا رب! مش معقول تسمح بهالشغلة! وصل الدواء، وقد دفع ثمن الحقنات جهة سياسيّة.

كانت أمّي تبكي كثيرا يوم خميس الأسرار، تطلّعت بيسوع ومسحت دموعها وقالت له: ما رح إبكي بقا هيدي انت خلقتا وهي بنتي وأنا بحاجة إلها! وإذا بدّك ياها خدا، بس أنا بحاجة لها! ما عاشت حياتا، بعد ما شافت شي بهالدني! وأكملت: تتعذّب قد ما تعذّبت وأكتر! بس نهار القيامة، بدّي ياها تقوم معك! نهار الجمعة العظيمة ارتفعت حرارتي إلى 43، وقفت دقّات قلبي، وعادت من جديد. وفي ليل سبت أحد القيامة الكبير، كنتُ محاطة بأهلي: إخوتي ووالديّ، فقد كان والدي، ولوقت طويل يهزّ لي يدي ويضربني عليها ضربات خفيفة، وأنا غير واعية أبدا، وكانت أمي تقول: الله عايزا بدّو ياها! وفي تمام الساعة الثانية عشرة ليلا وعيت، فرأيت نفسي في غرفة في المستشفى قلت: ماما! بابا! أنا هون، لم يصدّق أهلي ممّا رأوا! اتصلوا بالطبيب، وكان في مؤتمر طبّي في فرنسا، لم يصدّق في البدء فسأل: سوزان العلم، في الغرفة 256 صحّت!؟ قالوا له: نعم وطلبت ملح. قال: إذا طلبت ملح، يعني ما بقا بها شي! كتِّر خيرك يا الله!

بعد ما وعيت قلت: ماما كان في خوري عم بيصللي هون. قالت لي: لا كان في راهبة من بشواة عم بتصللي وبتبرم عا كل المرضى. أصرّيت: كان في خوري بيشبه القدّيس شربل عم بيصللي، وطول وقت اللي انا غايبة فيه

عن الوعي، كنت معه في الجنة، مساحة خضراء فيها طيور وجميلة جدّا. أجابتني أمّي: صحيح لأنّك متّي وقمتي! ووقف قلبك وعاد رجع دق!

زرنا مار شربل لنشكره، ووقت القدّاس، صلّيت بكل خشوع، وعند المناولة قال لي الكاهن: شيلي هالحبّة اللي عا شفتك! قلت له: ما في شي! وضعت يدي على شفتي، أحسست بحبّة قاسية، قبعتها فخرج دم من شفتي، وإذ هي حبّة بخور، أخذها الكاهن وقال لي: أنا بدي بخِّر فيها. وبعد القدّاس سألني الكاهن: قلّك شي مار شربل؟ أجبته: قلّي **بشِّري فيّي ما في غير ربّ واحد بالدني، هوي يسوع المسيح! والرب التاني ما إلو وجود! ومار شربل هوي جندي للمسيح**. وأنا، الأب حنّا اسكندر، قد تعرّفت شخصيّا على سوزان، في سوبرماركت أهلها في بعبدات، ورأيت بنفسي، وفي وقت قصير، كيف خرج من فمها، ترابا وبخورا وشمعا!

9- شفاءات في 2008- 2009 (أرشيف عنايا)

- أصيب شربل نصر بكهرباء الرأس، ودخل في الكوما لمدّة شهر وعشرين يومًا. تعالج في مستشفى أوتيل ديو عند الدكتور ساندرا صباغ. وبعد نقله إلى البيت على الكرسي النقّال، أتت به أمّه إلى دير مار مارون وألبسته ثوب القديس شربل. وبعد رجوعهم إلى البيت وفيما هم يصلّون، وقف يمشي، وأخذت صحّته بالتحسّن تدريجيًّا.

- أصيبت إلهام باسيل بمرض السرطان، طلبت شفاعة مار شربل فاختفى المرض من جسمها.

- أصيبت جليلة أحمد وهبه شيعيّة، مواليد 1964، بمرض السرطان في صدرها. فخضعت لعملية جراحية لاستئصال المرض سنة 2006. وبعد سنة وأربعة أشهر ظهر المرض في العظم فقُرّر لها جلسات على الأشعّة. زارت ضريح القدّيس شربل وطلبت منه الشفاء ووضعت يدها على الحائط وقالت له: لا تنساني. فسمعت صوتًا يقول لها: **لحظة**. وكان الشفاء.

- أصيب سليم الحاج، مواليد 1945، عينطورة، بالتهاب مزمن في أذنه اليسرى وامتدّ لأذنه اليمنى. لازمته الأوجاع مدّة عشرين سنة. أجرى عمليّة في أذنه في مستشفى النقاش على يد الدكتور بيار نوفل. وبعد العمليّة راجعه الالتهاب لمدّة خمس سنوات. زار دير مار مارون ضريح القدّيس شربل وطلب منه بإيمانٍ حارّ أن يشفيه ودهن أذنيه بزيت مار شربل فخرج معافى وذلك في شهر آذار سنة 2008.

- أصيبت سيسيليا مرديللي، من حلب، روم كاثوليك، بتشوّه في العامود الفقري وانحنى ظهرها. وفي 2008/07/31 جاءت بها والدتها إلى دير مار مارون-عنايا طالبةً من شربل أن يشفي ابنتها. وعند عودتها إلى الفندق، أحسّت بآلام لا توصف في ظهرها. كان هناك من يعالج فقرات ظهرها بإصبعه خرزة خرزة. وأحسّت ببرودة في يديها ورجليها والأهل قربها لا يقدرون أن يصنعوا لها شيئًا. وبعد ساعة من الأوجاع رقدت في سريرها. وعند الصباح قامت منتصبة لا تشكو من شيء.

- أصيبت صوفيا تقلا أب فرساهاسين، من الصومال، مواليد 1968، سكان بيروت، بشلل لجهة الشمال لمدّة سنتين وهي المعيلة لوالدتها. زارت محبسة القدّيس شربل ودهنت رأسها وجسمها بالمياه المقدّسة على مدخل المحبسة، ثمّ بزيت مار شربل وشفيت كليًّا من الشلل النصفي الذي داومها مدّة سنتين.

- أصيب أنطوان عبود من كرم سدة، مقيم في كاليفورنيا، مواليد 1936، بمرض السرطان في بطنه. أجرى عمليّتن جراحيّتين فالتهب الجرح وتأزّمت حالته الصحيّة. طُلِب له المعالجة الكيميائيّة فصلّى للقدّيس شربل طالبًا منه أن يعفيه منها. وفيما هو موجود في المستشفى، شاهد القدّيس شربل يدخل غرفة الطبيب. وبعد برهة، يخرج الطبيب ليقول له بأنّ المعالجة الكيميائيّة بعد شهر. وقد تكرّر هذ الحدث مرّتين وأُعفي أنطوان من المعالجة لأنّ في كلّ مرّة كان مار شربل يظهر له ويشفيه.

- وقعت إيفون ميشال، من منيارة، سكان شيكاغو، عن السلّم وأصيبت بكسور في ظهرها. وبعد سنتين على وقوعها شاهدت أناسًا يبنون مزارًا لمار شربل فطلبت صورة صغيرة للقدّيس، أعطتها إمرأة مسنّة صورة قديمة له، فطلبت منه أن يلتفت إليها ويشفيها. بعد الطلب أحسّت أنّ أحدًا يشدّ في رجلها وكتفها وكان الشفاء.

- دخل جيمي نجيم في الكوما لمدّة يومين بسبب ضغط القلب. تعالج في مستشفى أوتيل ديو. ظهر له القدّيس شربل وبصلاة الأهل ونذرهم لمار شربل، عاد جيمي إلى الحياة.

-أجرت صونيا أبي خليل أربع عمليّات جراحيّة لاستئصال الغدّة في مستشفى السان جورج في عجلتون عند الدكتور خطّار رشوان. ولكنّ الغدّة ظهرت من جديد وقرّر الدكتور إجراء عمليّة خامسة لانتزاعها. يئست صونيا من إجراء العمليّات فالتجأت إلى القدّيس شربل ووضعت قونته على الغدّة. وبينما هي نائمة شاهدت راهبًا يخيط لها رأسها في الحلم، وقال لها "**اللي عملّك العمليّة مغلّط، وأنا عملتلّك العمليّة**". وعند نهوضها من النوم شاهدت العَمَل على ثيابها وصدرها وآثار لثلاث قطب جراحيّة مكان الغدّة.

- أصيبت رشيدة مرهج من قرطبا مواليد 1937، مقيمة في لندن، بألم في كتفها على المخلع، وكانت بحاجة إلى أدوية لمدّة 6 أشهر. فشاهدت على شاشة otv برنامج **إيمانك خلّصك**، وكان موضوع الحلقة أعجوبة بشفاعة مار شربل. ولمّا ظهر تمثال مار شربل على الشاشة وطلبت من مار شربل شفاءها، فشفيت حالا من أوجاعها.

- أصيب بادرو شعّار روزا مواليد 1999 مغترب في البرازيل، بمرض السرطان في الكبد في 5 أماكن وخضع لعمليّتين جراحيّتين. صلّى جدّه لأمّه، اميليو عواد الشعّار، حدث الجبّة، لمار شربل وطلب منه شفاء الصبي، فظهر له مار شربل والقدّيسة رفقا، وتمّ شفاء الصبي.

- أصيبت جامي نجار، في سدّ البوشريّة مواليد 2007، وقت ولادتها بثقبين في القلب، واكتشف الأطبّاء الثقبين بعد ولادتها بأربعة أشهر وذلك في مستشفى أوتيل ديو، ليلة عرضت حلقة الأعاجيب مع مار شربل في 6\10\2008، حضر الوالد الحلقة ونذر ابنته لمار شربل، فظهر مار شربل لابنته وأخذت تدل عليه بإصبعها وتقرع صدرها. وبتاريخ 10\10\2008، أنزلها والدها عند الدكتور شرف أبو شرف في مستشفى الروم فتبيّن أنّ الثقبين اختفيا وشفيت الطفلة.

- أصيبت ماريّا كشوكي مقيمة في سان فرانسيسكو، مواليد 1968، بسرطان في شباط 2007 في الغدّة اللمفاوية، وبدملة كبيرة في خدّها، عولجت كيميائيًا وهي حبلى في بداية الشهر السادس. اتصلت بوالدتها في لبنان لترسل لها حنجور زيت مار شربل، ولمّا دهنت رقبتها وخدّها بالزيت اختفى المرض من جسمها، وولدت ولادة طبيعيّة.

- أصيبت سوزان كرم من الغباطيّة مواليد 1970، بمرض السرطان في الدماغ، في المنطقة السمعيّة البصريّة، في شباط 2008. تعالجت في مستشفى أوتيل ديو وفي مستشفى جبل لبنان، وكانت بحالة الخطر الشديد، وقطع الأطبّاء الأمل بنجاتها. زارت القدّيس شربل وشربت زيته ودهنت رأسها وأكلت ترابا عن قبره ورجعت إلى بيتها وتمّ شفاؤها كلّيًا.

- ظهر كيس كبير في مؤخّرة الطفل شربل أبو عيد، من البربارة- زحلة، مقيم في لندن، مواليد 2008، وهو جنين وتمرّ فيه شرايين الرجلين مع الأعصاب، فطلب الأطبّاء من الأهل إجهاض الطفل لأنّه سيولد مشوّها ومشلول الرجلين. فجاءت أمّه من لندن ونامت في السيّارة قبالة تمثال مار شربل طالبة منه خلاص ابنها، وأخذت معها زيتا وبخورا مع شريط ألحان مارونيّة. وعند الولادة طلبت منهم أن يضعوا لها الكاسيت، وطلبت من زوجها عند ولادة الطفل أن يمسحه بزيت مار شربل فورا. وبعد الولادة نقل الطفل إلى مستشفى أخرى لعلاج الكيس فوجد أنّ الكيس ملآن ماء!

- أصيبت مادونا كلش، من بطرام، روم أرثوذكس، بالغدّة الدرقيّة وكانت بحاجة لعمليّة جراحيّة لاستئصالها. صلّت لمار شربل فظهر لها في الحلم وقال لها: **أنا بدّي إعملّك العمليّة** ووضع يده على رأسها والأخرى على الغدّة ولمّا قامت من نومها ظهرت على رقبتها أصابيع مار شربل لمدّة ساعة، ودهنت رقبتها كما قال لها مار شربل. ذهبت باكرا إلى طبيبها الدكتور حسن هرموش في مستشفى الزهراء فتبيّن للدكتور أنّ العمليّة قد أجريت وأنّها شفيت.

- ناتاشا أنطوني واتسون، إنكليزيّة مواليد 1984، في الولايات المتحدة الأميركيّة، متزوّجة من جوني عيسى من القبيات. أصيبت في بداية 2006 بمرض تقليص الخلايا، وبعد معالجات طويلة أتت إلى والدتها في لبنان لبيبة واتسون المقيمة في ذوق مكايل التي طلبت منها القدوم إلى لبنان لتزوّرها القدّيس شربل. ولمّا وصلت إلى البيت وقبل زيارتها للقدّيس شربل أسقتها والدتها نقطة دم من مار شربل محتفظة بها في بيتها. ولمّا شربتها أحسّت بآلام مبرحة في جسدها وتشنّجت أعصابها. فأخذ الأقارب والجيران يصلّون لمار شربل طالبين شفاءها، فأحسّت بأنّ شخص ابتدأ يعالجها ابتداء من أصابع رجلها وباقي جسمها حتّى رئتيها وصدرها ورأسها، وبعد ساعة من الأوجاع شفيت من مرضها.

- أصيب فادي أبي عبدالله، مواليد 1980، رمحالا الشوف، مقيم في أوستراليا، بالسرطان وهو بعمر 5 سنوات، تملّك المرض فيه، فأعطي 3 أيّام حياة. التجأت والدته صونيا لمار شربل، وطلبت منه شفاء ابنها. وبعد المعالجة شفي ابنها. وقيل لوالدته أنّ ابنها سيكون قزم القامة ومصاب عقليّا، ولا يمكنه، إن تزوّج، إنجاب بنين. وبشفاعة مار شربل أصبح فادي أطول من أبيه، ويعمل في البورصة، وتزوّج وأنجب ولده البكر سمّاه شربل مخلوف.

- أصيبت لودي عيد، من سوق الغرب، بداء المفاصل في ركبتيها، وعانت من المرض عدّة سنين. زارت المحبسة برفقة أخيها فؤاد حيث ساعدها في الركوع. وبعد الانتهاء من الزيارة شفيت ركبتاها.

- أصيبت بولين صباح، مواليد 1978، مقيمة في المنصف، بسرطان في الدم، وقبل المعالجة زارت القدّيس شربل وأكلت حشيشا عن قبره، واختفى المرض من جسمها.

- أصيبت لوسيا حنّا خليفة، مواليد 1938، الحسانية الجنوب، بالسرطان في صدرها ويدها من جراء شظايا أصابتها وقت الحرب، وبعده انتقل المرض إلى معدتها. وبعد الاعتراف وزيارة للقدّيس شربل وتكريس البيت وبعد انتشار المرض في زلاعيمها ظهر لها مار شربل مع فتحي بلدي وقال لها: **لا داعي للعمليّة**. وبعد ذلك زوّرها ابنها مار شربل، ولبست ثوبه. عملت سنتين جلسات أشعّة في أوتيل ديو والمرض ينتشر في رقبتها، فتقرّر إجراء عمليّة جراحيّة في رقبتها. ظهر لها مار شربل وقال لها: **لا تعملي العمليّة قبل أن يجدّدوا الزرع**. طلب لها فحصا جديدا، فجاءت نتيجة الزرع خالية من أي مرض. جدّدت الفحوصات لثلاث مرّات وعلى مدى 9 سنوات، وتثبتت من شفائها. وحاليّا **بيتها شبه مزار، ينضح الزيت من يدها والصور** الموجودة في بيتها.

10- يسوع حيّ (لو 6/24)

قد سُجّل إلى الآن، في سجلاّت دير عنّايا، ما يزيد عن ال13000 أعجوبة شفاء مع تقارير أطبّاء، وبينها علامات دائمة مثل السيّدة نهاد الشامي، والسيّد ريمون ناضر... ما عدا ملايين المعجزات، ولم تسجّل، التي حدثت في لبنان وخارجه. والنقطة المهمّة في عمل الروح أيضا هي التوبة، فيعتبر مزار القدّيس شربل من المزارات العالميّة التي تدفع بالخاطئ نحو التوبة والمصالحة مع الله، وإراحة الضمير... فلا يزال يسوع حيّا يشفي جراحات البشريّة المتألّمة، ويغفر لها خطاياها، التي تسبّب لها الموت المحتّم، ويعطيها الحياة الأبديّة.

خاتمة

أمام تلك "السحابة من الشهود" لا يسع القارئ الحكيم سوى الخشوع العميق أمام هذا القدّيس المذهل في حياته وبعد مماته! قد لا نستطيع الاقتداء به وبفضائله، ولكنّه لن ينفكّ يجذبنا ويشدّنا شدّا آسرا إلى حبّ إلهنا وقريبنا! بمقدار طاقة كلّ واحد منّا، وبمقتضى دعوتنا الخاصّة التي دعانا الله إليها، ونحن نردّد بإيمان وورع: عجيب أنت يا أله في قدّيسيك!

ملحق أوّل: "كلمات مار شربل"

في 10 تشرين الثاني من العام 1994، بدأت الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، مع شقيقتها الرهبانيّة المريميّة، بالإحتفالات بيوبيل 300 سنة لتأسيس الرهبانيّة، وذلك بالإحتفالات الدينيّة والدنيويّة، بإقامة القداديس والصلوات، بإلقاء المحاضرات، وطباعة عشرات الكتب، بالدعوات الرسميّة والشعبيّة للإحتفالات والولائم. وفي الليلة نفسها بدأ إختبار شاب متزوّج، وهو يصلّي في العراء، قرب محبسة مار شربل، بجوّ مصقع، لحبّ الله وأبوّته وعنايته، الغاية التي من أجلها تتكوّن الرهبانيّات. إنّه السيّد ريمون ناضر، وهذه روايته: كنتُ أُصلّي، حسب عادتي من سنين طويلة، وهذه المرّة أمام محبسة مار شربل في عنّايا، أصبحت في عالم آخر، توقّف كلّ شيء: لم أعد أرَ الشمعات (التي كنتُ أضأتُها) ولا الأشجار ولا الأرض. لم أعد أسمع أيّ صوت على الإطلاق، لم أعد أشعر بجسدي، أصبحت أرى بغير عينيّ ما لم أرَه أبدا في حياتي. ولم أعد أسمع بأذنيّ، ولكنّي أصبحت أسمع بغير أذنيّ ما لم أسمعه أبدا. وأصبحت أشعر بقلبي، ما لم أشعر به أبدا، وكأنّ قلبي لم يعد من لحم ودم. رأيت نورا غريبا عجيبا، لا يشبه أي نور أعرفه على الإطلاق، بحر من النور، يمتدّ من أقصى الكون إلى أقصاه. تبدو الشمس أمامه كأنّها شمعة صغيرة. ولكنّه ليس نورا طبيعيّا: فرغم كلّ قوّته، فهو لا يبهر ولا يحرق، نور ناعم سلس، رقيق وقويّ وجبّار في نفس الوقت. إنّه نور بلون الكريستال، نور صافٍ، نقيّ جدّا. شعرت أنّني نقطة صغيرة جدّا، أسبح في بحر عظيم جدّا من النور الكريستالي الرائع. شعرت بأمان كبير مثل الجنين الذي يسبح مطمئنّا في مياه أحشاء أمّه. شعرت بفرح لا يوصف واندهاش عظيم.

شعرت أنّي أقف أو أجلس أو أسبح أو أيّ شيء آخر لا أدري ما هو. أمام كائن عظيم أو في قلب أحد ما جبّار جدّا، رائع جدّا، هو الكمال في القوّة، وهو الكمال في المعرفة، وهو الكمال في الحنان والمحبّة.

أحسست أنّي على اتصال بأحد ما بطريقة غريبة، وكأنّي على اتصال مع كلّ كائنات الكون دفعة واحدة، وفي نفس الوقت، وكأنّ كلّ الكون أصبح قطعة واحدة وأنا نقطة منه، ومن هذه القطعة، كأنّ الكون انصهر في هذا النور وقد انصهرت أنا أيضا معه. دخلت بمخاطبة غريبة مع ذلك النور، بطريقة عجيبة، فكان يكلّمني دون كلام، دون أيّ صوت، بدون أيّ لغة، ولكن بطريقة أوضح من أي كلام، وبطريقة أفصح من أيّ لغة. وكان هذا النور يخاطب روحي مباشرة، ويتوجَّه إلى عقلي وقلبي مباشرة دون المرور بأذنيّ، أو عينيّ أو أيّ من حواسي، التي لم أعد أصلا أشعر بها.

قلت في نفسي: إنّي أحلم. فأجابني بطريقته وبلغته الخالية من الكلام والأصوات واللغات، وأفهمني بشكل واضح جدّا لا يقبل التأويل أو سوء الفهم وسوء التفسير، أفهمني بأنّي لا أحلم... وكأنّه يقول لي: لا أنت لا تحلم. فعدت وقلت: أكيد أنا لست واعيا. وبنفس الطريقة الواضحة والرائعة، أفهمني أنّي الآن في قمّة الوعي، وأنّي لم أدرك أبدا في حياتي مستوى من الوعي لوجودي وكياني، كما أدرك الآن. وكأنّه يقول لي: أنت الآن واعٍ أكثر من أيّ وقت مضى من حياتك. أنت في أوعى لحظة في حياتك.

فرحت أتساءل في نفسي: أين أنا؟ ما هذا النور؟ من هذا الذي يخاطبني؟ فشعرت حينئذ بأروع شعور يمكن أن يشعر به إنسان: سلام عظيم جدّا، فرح لا يوصف، سعادة كبيرة جدّا، لا تحدّ. صفاء تام ورائع. محبّة صافية جبّارة، تفوق بملايين المرّات كلّ المحبّة الموجودة في قلوب كلّ البشر أجمعين. محبّة هائلة عظيمة ولكن لا تشبه محبّة البشر، فهي شيء مختلف. محبّة إلهيّة عظيمة، وحده هذا النور يستطيع أن يهبها. عندما امتلكني هذا الشعور الرائع، وذبت فيه تماما "سمعته" يقول لي: هذا أنا. وكأنّي أعرفه منذ زمن بعيد، منذ ولادتي أو ربّما قبل ولادتي حتّى.

وأحسست أنّه يعرفني تماما، منذ أن تكوّنت في أحشاء أمّي، وحتّى قبل أن أتكوّن. وكأنّه يعرف ذرّات جسمي، ذرّة ذرّة. ويعرف ما يوجد في خلايا عقلي، خليّة خليّة. ويعرف أفكار روحي ومشاعري أكثر منّي. أحسست أنّي عارٍ تماما أمامه، أحسَسْتُ أنّ النور يخترقني من ميل إلى آخر. فهذا النور لا يترك ظلالا، فهو يخترق كلّ شيء. أحسَسْتُ أنّه دخل إلى كلّ زوايا قلبي.

قلت في نفسي وفكّرت أنّي أريد أن يبقى هذا النور دائما هنا وأن أبقى دائما فيه، وإذا أراد أن يذهب فليأخذني معه. ولكنّه أجابني بطريقته، وكأنّه يقول لي: أنا دائما هنا، وفي كلّ مكان، ولا أذهب إلى أيّ مكان... أنا دائما في الزمان وخارجه، وفي المكان وخارجه. وقد تكرّر هذا الإختبار 22مرّة، إلى الآن، وفي كلّ مرّة يتلقّى السيّد ريمون ناضر رسالة، وها نحن الآن ننشر القسم الأكبر منها، ويبقى إلى الآن، حسب ريمون، 5 رسائل غير منشورة. وهذا نصّ الرسائل:

1- المسيح هو حقيقة المحبّة المتجسّدة

قبل البدء كانت المحبّة، بالمحبّة كان كلّ شيء، ولولا المحبّة لما كان شيء ممّا كان منذ الأزل أو ممّا هو الآن أو ممّا سيكون إلى الأبد. في أساس البدء كانت المحبّة، قاعدة الكون وقانونه ونظامه هي المحبّة، وفي نهاية كلّ شيء لن يبقى إلاّ المحبّة، وكلّ ما هو خارج المحبّة زائل.

الله محبّة. الله حقيقة. الله هو المحبّة الحقيقيّة. عالم الله هو عالم المحبّة، هو عالم الحقيقة ولا حقيقة خارج المحبّة. لا يحقّق الإنسان ذاته إلاّ بالمحبّة، ولا يدرك الإنسان الحقيقة إلاّ في عالم الله. الإنسان ينتمي إلى الله، هو إبن المحبّة، ابن الله وموطنه الحقيقيّ: عالم الله.

إلى عالم الله طريق، والطريق هو المسيح. المسيح هو حقيقة المحبّة المتجسّدة، هو الإعلان عن حقيقة الحياة، هو الطريق إلى عالم الله. كلّ إنسان خلال رحلته عابرا هذا العالم إلى العالم الآخر، مدعوّا لسلوك هذا الطريق. ومثل كلّ رحلة في هذا العالم، على الإنسان، في رحلته إلى العالم الآخر، أن يتزوّد بزوّادة، ويتسلّح بسلاح: الزاد الوحيد لهذه الرحلة هو المحبّة. والسلاح الوحيد هو المحبّة. هذه المحبّة لا تكون إلاّ شاملة لكلّ البشر، بدون مقابل، بلا حدود وبلا شروط. هكذا يحبّكم الله، فأحبّوا بعضكم بذات المحبّة، بمحبّة الله.

لا يستطيع الإنسان أن يعطي هذه المحبّة من ذاته، بل أن يستمدّها من الله، بيسوع المسيح، ليمتلئ منها روحا. وذلك يكون بالصلاة. بالصلاة وحدها تستمدّ المحبّة من ألله الآب، نبع المحبّة، بواسطة أللهِ الإبن يسوع المسيح المحبّة المتجسّدة، وهذه المحبّة هي روح الله في الإنسان. صلّوا لتستمدّوا هذه المحبّة، لتحبّوا كلّ البشر دون مقابل، بلا حدود، بلا شروط، كما يحبّ الله، **فتكونوا أبناء لله. من قلب الله خرج الإنسان وإلى قلب الله يعود**.

2- الإنسان إذا ما تحوّل لمحبّة بيموت

ليش البشر نازلين نزول ودرب الربّ طلوع؟! الناس حاملين أحمال وأعباء كثيرة عم تحنيلهم ظهورهم، صار جبينهم عم يلامس الأرض، وما عادوا قادرين يجلّسوا ويوقفوا ويرفعوا راسهم تا يشوفوا وجه ربّهم. عم يجرّبوا يتحرّروا ويحرّروا بعضهم منها، بيرموها على بعضهم وبيحملّوها لبعضهم بتصير أحمالهم أثقل.

وحدو يسوع المسيح قادر يحرّر كلّ البشر من كلّ أحمالهم وأعبائهم وأثقالهم، لأن العبد ما بيقدر يحرّر عبد. الإنسان بيخلق مربّط بحبال وجنازير ومكبّل بقيود بيربى عليها، بينمى عليها، بيكبر فيها، وكتار كتير يلّي عم يموتوا فيها.

الناس عم يتعوّدوا على قيودهم، عم بتخاويهم، عم بتصير جزء منهم، وعم بيصير تخليصهم منها صعب. لمعان قيودهم عم يبهر عيونهم وما عادوا قادرين يشوفوا وجه الربّ، وضجيج حرتقة جنازيرهم عم بيصمّ آذانهم وما عادوا قادرين يسمعوا صوت الربّ. بيتباهو بلمعان قيودهم اللي عم تكبّلهم، وبينطربوا لرنين الجنازير اللي عم تربطهم، القيود قد ما تلمع بتبقى قيود، والجنْزير يللي بيربطك بيضلّ جنْزير عبوديّة ولو كان ذهب. بدل ما تلمّع قيودك حطّمها، وبدل ما تلحّن رنين جنازيرك فكّها وتحرّر منها كلّها.

الربّ بيتألم لرؤية الناس يلّي تجسّد من أجلهم حتّى يحرّرهم ومات وقام حتّى يعطيهم الحياة والسعادة الأبديّة، عبيد مكبّلين وعم يفتّشوا على سعادتهم بمطارح ما رح يلاقوها فيها:

- سعادتكم بهالعالم مش من هالعالم، لو كنتو من هالعالم كنتو بتبقوا فيه.

- وسعادتكم مش بالحجر، الحجر ما بيعطي السعادة: ليش الإنسان بيسعى ورا الذهب؟ تا يعطي قيمة لحالو؟ الإنسان أغلى بكتير من الذهب، الإنسان إبن الله وقيمتو منّو وفيه، والذهب ما بيحرّر الإنسان من قيودو، بس بيخلّيها تلمع أكثر.

- سعادتكم كمان مش من البشر، البشر ما بيقدروا يعطوا السعادة لأنّهم ما بيملكوها، وما حدا بيقدر يعطي شي ما بيملكو.

يسوع المسيح وحدو قادر يعطيكم السعادة الحقيقيّة. لكن الناس صايرين متكبّرين، الناس صاروا عايشين بين الزفت والباطون، صارت عقولهم زفت وقلوبهم باطون: عقولهم ما بتعطي غير أفكار معتّمي وسودا وقلوبهم محجّرة وقاسية وخالية من المحبّة. الناس صايرين مادّة عم تتحرّك بدون روح، والبعض صخور متحرّكة عم بتفوح منها ريحة الخطيّة. الناس صايرين متكبّرين، ومصرّين يلاقوا السعادة بالخطيّة. والخطيّة ما بتعطيهم إلاّ القلق والحزن والتعاسة والفراغ. الناس صايرين متكبّرين، بيتكبّروا على حالهم، بيتكبّروا على بعضهم، وبيتكبّروا على الربّ. مش عارفين إنّو الربّ قادر يردّهم للغبرة بسرعة البرق؟ لكن محبّة ربّنا عظيمة. ربّنا بيحبّ البشر محبّة عظيمة لأنّهم أبناؤه وهو جعل منهم نور للعالم.

كلّ إنسان شعلة نور، ربّنا خلقو تا ينوّر العالم. كلّ إنسان قنديل ربّنا صنعو حتّى يضوي ويعطي نور. ويلّي بيقني قنديل، بيقنيه تا يضوّي فيه الظلام. القنديل انعمل حتّى ينوّر العتمات. لكن هالقناديل عم يهتمّوا بهيكلهم الخارجي: عم يلوّنوا قزازاتهم ويطلوها ويزيّنوها ويزخرفوها. هالقزازات يلّي ربّنا صنعها رقيقة وشفافة لوقاية النور، صارت سميكة وقاسية وعم تحجب النور، وصار العالم غرقان بالظلام. هالقناديل اللي ربّنا صنعها تا تحمل النور، وتنوّر العالم، صارت تحف مزيّنة وملوّنة ومزخرفة، لكن ما بتعطي نور. شو نفع القنديل يللي ما بيضوي بالعتم؟ القنديل بالعتم ما بينشاف إلاّ إذا ضوّى. وقد ما يكون حلو القنديل نوره أحلى منّو. العالم عم يغرق بالظلام وإنتو نور العالم. لازم ترجع قزازاتكم شفّافة ورقيقة وترجعوا **تا تنوّروا العالم وتحقّقوا الهدف يللي الله خلقكم من أجله**.

كلّ مخلوق ربّنا صنعه حتّى يحقّق هدف من وجوده: تأمّلوا مخلوقات هالأرض، كلّ مخلوق عم يعمل شغلتو بكلّ دقّة وبكلّ أمانة وما في مخلوق تعيس. أتعس مخلوق على وجه الأرض أسعد من الإنسان الخاطي. **الإنسان الخاطي بساعة الحساب، ما رح يعود يعتل هم الحساب العسير بقدر ما رح يخجل قدّام عظمة محبّة الله**، هالمحبّة يللي خلقت الكون وأعطت الحياة. المحبّة هيّ الكنْز الوحيد يللي بتكنْزوه بهالعالم وبيبقى وبينتقل معكم للعالم الآخر.

كلّ كنوزكم وأموالكم وأمجادكم وإنجازاتكم يللي بتفكروا حالكم ملكتوها بهالعالم وبتعتقدوا إنها إلكم بتبقى بهالعالم، حتّى عظامكم مش لإلكم. **وحدها المحبّة بتنتقل معكم للعالم الآخر، ويللي بيوصل قدّام الربّ خالي من المحبّة بيموت خجل**، وساعتها بتكون لحظة موتو الحقيقي مش الساعة اللي ترك فيها هالعالم.

الإنسان إذا ما تحوّل لمحبّة بيموت، لأنّو الله محبّة والمحبّة وحدها أبديّة. خلّوا المحبّة تملك على قلوبكم، والتواضع يأمرعلى عقولكم. صلّوا وتوبوا. صلّوا ليسوع المسيح بيسمعكم، وفتحولوا قلوبكم بيدخل عليها وبيحلّ فيها السلام. لكن صلّوا من قلوبكم. ما تتمتموا كلمات تطلع من شفافكم، وقلوبكم عند ربّ آخر. ربّنا بيعرف شو في بقلوبكم وهو بدّو قلوبكم. ما تتعبوا تفتّشوا على الحقيقة خارج المسيح. ما في حقيقة خارج المسيح. المسيح هوّي الحقيقة وبسّ تعرفوا المسيح بتعرفوا الحقيقة وبتصيروا أحرار، والمسيح بدّو ياكم أحرار. ما تخافوا تقوّوا وتأكّدوا وؤثّقوا منيح إنّو المسيح غلب العالم.

3- شغلك بهالدني

المسيح هو الطريق، إثبتوا بالمسيح واثبتوا عا الطريق، ما تخلّوا شي يزيحكن عنّو.

وقاف مع كلّ خيّ إلك شربة ميّ، دلّو عا الطريق، دلّو عا النور: إذا راد يمشي حدك مشّيه قدّامك، وإذا طلب تمسكو بايدو امسكو بالتنين، إذا حاول يزيحك عن الطريق، أو يردّك للخلف، افلتو لأنّو الطريق طويل والشغل كتير: بدكن تزرعوا الأرض صلا وبخّور. ازرعوا الأرض محبّة. ازرعوا بالصخر لأنّو بكلّ صخرة فيها حبّة تراب بيطلع فيها الزرع. والصخر يللي لازم تطحنوه، اطحنوه. اضربوا الصخر وما تملّوا، إذا ما انكسر من أوّل ضربي والثانية بينكسر بعد ميّة ضربي. ما تملّوا وما تقصّروا لأن إذا قصّرتوا، غيركن رح يطحن الصخر ويفلح ويزرع. الزرع بيتمّ بالموسم، والحصاد بيتمّ بالموسم.

ضروب الصخر وما تخاف لأن الزند زندك بس لا الأرض أرضك ولا المهدّي مهدّتك. ما تنقّوا، ولا تتذمّروا، ولا تتململوا، ولا تتأفّفوا: سنابل القمح يللي عن تندرس تا يتنقّى منها التبن ما بتتذمّر من تقل المورج، ومن قساوة البيدر لأنّها عم تتحضَّر تا تصير خبز وغذا. وحبّات العنب ما بتتململ هي وعم تنكبس وتنعصر وتنسحق على صخور المعصرة لأنّها رح تصير خمر وفرح. بدون الصليب ما في لا خبز ولا خمر. يللي بدّو يصير خبز وخمر بدو يحمل الصليب. احملوا الصليب وروحوا صوب النور.

الإنسان بهالعالم عم ينتقل من شطّ الظلمة والعدم، لشطّ النور الأبدي، وبيعبر بحار هالعالم بسفينة، وسفن هالعالم كتيرة:

1- في سفن حلوة كتير، وفخمة كتير، وكمان مريحة كتير، لأنّو أشرعتها بتميل مع الريح، ودفّتها بتلوي مع الموج. ما بتواجه الرياح ولا الأمواج. ما عندها إتجاه ولا هدف توصلو. هالسفن بيتهافتوا عليها أكثريّة الناس، لأن الناس مش شايفين بهالعالم إلاّ الرحلة، وبدهم رحلتهم تكون حلوة وسفرهم مريح. بس ما في رحلة بهالبحر بتدوم للأبد، بتنتهي الرحلة، وبينتهوا ركّاب هالسفن بكعب البحر حدّ الشطّ يلّي انطلقوا منّو.

2- في سفن ثانية أشرعتها رقيقة وخشبها ركيك، بتتحطّم بس تصير بعرض البحر، ويعلا الموج، وتقوى العواصف، وبينتهوا ركّاب هالسفن، شي مطرح بكعب البحر العميق.

3- في سفن ثالثة خشبها قوي، وأشرعتها متينة، وشكلها حلو وبيغري، لكن قبطانها مخادع، بياخد الركّاب من شطّ موت لشطّ موت آخر. وبينتهوا ركّاب هالسفن على شي شطّ من شطوط الموت والرجعة مستحيلة.

4- وفي سفينة الربّ، خشبها قوي وأشرعتها متينة وقبطانها مليء حكمة وشجاعة ومحبّة، هالسفينة بتعبر البحار العميقة وبتواجه العواصف والرياح القويّة. وبتشقّ الأمواج العالية بعرض البحر: **السفر فيها مش مريح ولكن وصولها أكيد.**

اثبتوا على سفينة الرب، لا تخافوا من العواصف ومن الموج العالي. ولا تخلّوا السفن الفخمة والمريحة تغريكم تا تطلعوا فيها لأنّها ما بتوصل. اهتمّوا بالوصول أكثر من إهتمامكم بالرحلة. ولا تخلّوا أعماق البحر تسحركن وتجذبكن إلها تا تغطسوا فيها. بحر هالعالم تا تعبروا عليه مش تا تغطسوا فيه. وما فيكن تكونوا بقلب السفينة وبالمي بعمق البحر بنفس الوقت، ولا فيكن تكونوا بسفينتين بنفس الوقت.

اثبتوا على سفينة الرب وثبّتوا إخوتكن معكن: عند كل مينا بتوصلوا عليها ادعوا الناس يشاركوكن السفر تا تشاركوا معهن بالوصول، احكولن عن سفينتكن وقبطانكن واحكولهن عن شطّ النور، لكن **تأكّدوا إنّو مش كلامكم يلّي رح يخلّي الناس يطلعوا على سفينة الربّ، لكن محبّتكن لبعضكم البعض، ومحبّتكن للقبطان، وثقتكن وإيمانكن فيه، والفرح يلّي بوجوهكن.**

وتأكّدوا إنّو الرحلة بهالسفينة ما بتنتهي إلاّ عند شطّ النور تا تكفّي مع النور، لأن الإنسان مخلوق كَوْني حدودو النور مش مخلوق أرضي حدودو التراب والمي. الإنسان تراب ونور: يللي بيعيش بالتراب بيرجع للتراب، وبيموت بالتراب، ويلّي بيعيش بالنور بيرجع للنور وبيحيا بالنور. ما تخلّوا التراب يحدّكن، حدود وطنكن بهالعالم آخر البحر وأوّل السما. ما تخلّوا التراب يستعبدكن، كونوا أحرار، والحرية ما بتكون إلا بالحرية من الخطية: إذا كنت حرّ من الخطيّة إنت حرّ وما حدا بيقدر يستعبدك، وإذا كنت عبد الخطيّة، إنت عبد ولو حامل بإيدك صولجان الملك.

حافظوا على نعمة المحبة وميزة التواضع. كونوا شهود حقيقيّين ليسوع المسيح. واجهوا الشرّ بالمحبّة، بس ما تتحجّجوا بالمحبّة تا تهربوا من مواجهة الشرّ، الفلاّح ما بيتحجّج بالدبش تا يوقّف الفلاحة. وما تخافوا الشرّ رح يدمّر ذاتو.

التزموا إلتزام كامل بالكنيسة وبكلّ تعاليمها، وثابروا على الصلا بدون ملل. كرّموا أمّنا مريم العدرا، وتسلّحوا بالمسبحة، لأنّو إسم مريم العدرا بيبدّد الظلمة وبيسحق الشرّ. كونوا رهبان بقلب هالعالم، ولو بدون ثوب. إزرعوا الأرض صلا وبخور. كونوا قدّيسين وقدّسوا الأرض. درب القداسة طويل، لكن تأكّدوا إنّو لمّا بتكون أفكار الله بعقولكن، ومحبّة الله بقلوبكن، بتكون قوّة الله بزنودكن وبتوصلوا. وتأكّدوا إنّو كلّ ما تكونوا عم تصلّوا، بكون عم بصلّي معكن، تا تتقدّسوا ويتمجّد إسم الربّ.

4- ضعفك حتّى تتغلّب عليه

كلّ قفل لو مفتاح. وكلّ باب لو غال ما بيفتحو غير مفتاحو. الموت سكّر باب السما والخطيّة قفلتّو. الصليب هو المفتاح اللي بيحلّ قفل الخطيّة، بيحلّ غال الموت وبيفتح باب السما. **الصليب هو مفتاح باب السما**، ما في مفتاح غيرو. باب السما مطرح ما بيلتقوا السما والأرض على راس الجلجلة. الباب واضح وملموس ومقشوع وكلّ إنسان بيقشع قادر يشوفو. البعض بيفكر إنّو ما لو قفل، وبيفتح مين ما دفشو. بس تقرّب من الباب بتعرف إنّو لو قفل وما بيفتح إلاّ بمفتاحو.

المفتاح الحقيقي ما بينعرف إلاّ ما تحطّو بقلب الغال. المفتاح الحقيقي واحد: صليب المسيح. ما تتعبوا تفتّشوا على مفاتيح تفتح باب السما غير هالصليب، ولا تتعذّبوا تصنعوا مفتاح غيرو. كتار البشر يلّي عم يفنوا عمرن يصمّموا مفاتيحن الخاصّة، ويصبّوا ويدقّوا مفاتيح بتجسّد تصاميمهم، بيعتقدوا إنّها رح تفتحلهم الباب. وكتار البشر يلّي بيسخروا من صليب المسيح. قدّام الباب بتبيّن الحقيقة وكلّ المفاتيح بتسقط. كلّ مسيرة حياتكن مشوار صوب هالباب، بنهاية المشوار أو معكن المفتاح وبتفتحوا، أو بتوقفوا حاملين مفاتيح فنيتوا عمركن عليها وخزلتكم وخيّبتلكم كلّ آمالكم. احملوا صليب المسيح بتحملوا مفتاح باب السما.

احملوا صليب المسيح بفرح وعزم وشجاعة، ما تبالوا بالساخرين، وما تتوقّفوا وتبكوا قدّام النايحين، ولا تنوحوا كلّ ما توقعوا مع النايحين. البكي والنواح ما بيصنعوا تاريخ الخلاص، ولا قرع الصدور والندب بيفتحوا باب السما. تاريخ الخلاص بتصنعوا دموع التوبة الصادقة. دمعة توبة واحدة بتفتح باب السما. دمعة التوبة ما بتنْزل إلاّ على خدّ المؤمن الشجاع. احمول صليب المسيح وامشي على دعساتو بتكون العذرا حدّك متل ما كانت حدّو. وكلّ ما انجرحت قول: مع جروحات المسيح. وكلّ ما تألّمت قول: مع آلامك يا يسوع. وكلّ ما اضطهدت وتبهدلت وانهنت قول: كرمال مجدك يا رب. **ضعفك حتّى تتغلّب عليه مش حتّى تتحجّج فيه**. بس تحمل صليب المسيح، لا الألم بيلويك ولا التعب بيهدّك، وبتمشي بثبات وصبر وبصمت. عند وصولك للباب فرح عبورك رح يفوق بكتير ألمك وتعب سيرك، وسعادة وصولك رح تفوق بكثير عذاب مسيرتك.

درب جلجلتكن طويل بهالنقطة من العالم، وصليب المسيح بهالشرق على اكتافكن، أعداؤكن كتار لأنّهم أعداء الصليب. ما تجعلوا منهم أعداء لإلكم. احكوهم دايما بلغّة الصليب ولو كانوا أعداؤكم بسببو. الشهور والسنين اللي جايي رح تكون صعبة كتير، وقاسية ومرّة وثقيلة ثقل الصليب. احملوها بصلاة عميقة من الإيمان، وبصبر من الرجا، وبمحبّة من الصليب. العنف رح يملّي الأرض، الكوكب رح يتجرّح بسكاكين الجهل والحقد، الشعوب المحيطة فيكن كلّها رح تترنّح تحت الألم، الخوف رح يكون على كلّ الأرض متل الرياح، والحزن بقلوب كلّ البشر. ناس جاهلين وحاقدين رح يتحكّموا بمصير شعوبهم وياخدوهم على البؤس والموت عن طريق الحقد الأعمى اللي رح يسمّوه عدالة، وعن طريق الجهل المظلم اللي رح يسمّوه إيمان. الحقد والجهل رح يعمّوا أرجاء المعمورة. إثبتوا إنتو بالإيمان والمحبّة. رح يتغيّر وجّ الأرض، حافظوا إنتو على وجّ المسيح. حدود وجماعات وأنظمة بشريّة رح تنمحى وتنكتب عن جديد، وشعوب رح تترنّح تحت النار والحديد. **خلّوا محبّتكم بلا حدود وجماعتكم الكنيسة ونظامكم الإنجيل، وكونوا إنتو المرساة اللي بتهدّي السفن الشاردة بالبحار الهايجة، وقلوبكم موانئ سلام لكل تايه ومشرّد ومستجير. بصلواتكم بتسمطروا الرحمة وبترشّوا محبّة عالأرض**. صلّوا تا تلين القلوب المحجّرة وتتفتّح العقول المعتّمة وتخفّ الويلات والأهوال. ما تخافوا بالنهاية رح يشرق نور المسيح، وتشعّ علامة الصليب وتتألّق الكنيسة. اثبوا بإيمانكم بالمسيح وما تخافوا، وثقوا بإله القيامة والحياة، مجدو دايما آتي.

5- محور الكون

الكون كلّو عم يدور حول سرّ الصليب. كلّ إنسان بيفكّر إنّو الكون عم يدور حولو هو، وهو محور الكون. الصليب هو محور الكون، **واللي بدّو يكون عا محور الكون، بدّو يكون مع المصلوب على الصليب**. اللي ما بيعيش سرّ الصليب ما بيقدر يدرك سرّ الكون:

كلّ إنسان إلو شكل وكيان بالزمان والمكان، مثل قطعة الجليد، والبشر تا يحافظو على كيانن بيخافوا يقرّبوا من النار حتّى ما يدوبوا: شو بينفع الجليد إذا حافظ على شكلو وكيانو؟ إذا ما داب وصار مي؟ ما بيتغلغل بالأرض ولا بيروي شجر ولا بشر. ما تخافوا تقرّبوا من النار اللي بتدوّبكم لأنّو بتحوّلكم لماء حي تروووا الأرض. خلّوا محبّتكم تكون مثل السايل تغلغل وين ما كان، ما تخلّوها جامدة وتعطوها شكل وتهندسوها، ما بتمرق لمطرح.

الملح اللي ما بيدوب ما بيملّح. الملح الفاسد بيعوكر المي اللي لازم يملّحها وبيفسد الأكل. والملح الجيّد اللي بيدوب بيختفي بالمي وما بيظهر بالطعام لا شكل ولا لون ولا كيان لكن بيعطي الطعم. وإنتو ملح الأرض. إذا بتجعل حياتك ملكك وحدك بتكون رخيصة كثير، كلّ ما تعطي حياتك بتكبر قيمتها وبتبلغ كمال قيمتها لمّا بتصير ملك الكلّ. رغيف الخبز هو هو على طاولة الغني أو على طاولة الفقير. الرغيف الطيّب لمّا بيطلع من الفرن ما بيسأل مين رح ياكلو، الرغيف تا يتّاكل، الإنسان الصالح رغيف صالح. تاريخ البشر فارغ لولا الصليب، لأنّو تاريخ عابر والصليب ثابت. وتاريخك إنت بيكون فارغ بدون الصليب لأنّك عابر والمصلوب وحدو بيحييك وبيثبّتك بحياة الأبد. الصليب هو اللي بيقدّسك بالزمن.

بداية الخلق وهلق ونهاية الكون عم يصيروا كلّن، بالنسبة لألله، باللحظة الحاضرة. قدّس لحظة عمرك الحاضرة هلّق بالمحبّة بتكون عم تدرك سرّ الخلود بحضرة الله. الإنسان خالد بالمحبّة مع الله. قدّس الزمن، قدّس عمرك، قدّس كلّ لحظة من حياتك، ما تلتهي بدقّات الساعة: ما فيك توقّف دقّات الساعة، لكن فيك تكون جاهز لمّا الساعة تدقّ. **يللي بيشيل الله من عمرو، من فكرو وقلبو بيسحقو الزمن وبيغرق بالموت، ومش يعني الله ما عاد موجود، يعني هو ما عاد موجود**. مثل ما النور بيظهر الموجود للعيون، المسيح بيظهر الوجود للعقل وللقلب. بدون النور عين الإنسان عمياء عن الموجود، وبدون المسيح الإنسان أعمى عن الوجود. الله خلق المادّة وحطّ النظام، خلق العقل وحطّ الروح وأعطى الحياة، مثل ما بالمنطق والتحليل، العقل بيدرك النظام وبيعقل المادّة، بالإيمان والصلا والعبادة الحقّ، الروح بتدرك محبّة الله وسرّ الكون وبتعطي الحياة.

في زهور بتنقطف بالربيع تا تزيّن، وفي زهور بتشيخ وبتبقى للخريف تا تبدّر، وفي زهور بتنثر أوراقها الريح تا توصّل أريجها لبعيد وتعبّق بريحتها الأرض. بكلّ حركة أله إلو حكمة، صلّوا تا تفهموا حكمة الله وتعيشوا إرادتو، مش تا تغيّروا مشيئته. مشيئة بيّكم دايما خيركم. خلّيك حامل ريحة السنديان والزعتر، ما تتلوّن بألوان هالعالم وتعبق بروايحو. لمسات أصابع الله عليك أهمّ من كلّ اللي رح يلبّسك ياه العالم ويزيّنك فيه. امشي بثبات على درب القداسة، خلّي المسيح يعيش فيك، بتعيش بقلب سرّ الكون، بنبع النور.

6- رحلتك بهالعالم هي مشوار قداستك

كلّ البشر انعطوا دينين تا يسمعوا، ويللي عم يسمعوا قلال. ومن هالبشر يللي عم يسمعوا يللي عم يفهموا قلال، وقلال كثير من يللي عم يسمعوا ويفهموا عم يعيشوا يللي سمعوه ويحيوا يللي فهموه. السالكين صوب الملكوت قلال والباب ضيّق.

إصغوا، افهموا واشهدوا. إصغوا لصوت الربّ، افهموا الحقيقة، واشهدوا للحقيقة يللي أدركتوها وعيشوا فيها. اصمت تا تسمع وإصغِ لصوت الربّ. لكن انتبه ما تسمع تردّد صدى أفكارك وتصغي لحالك: تخطّى أفكارك، خلّي كلمة الله تنقّيها، تمحي يللي تمحيه وتكتب اللي لازم تكتبو من جديد.

الإنسان هو جزء من الكلّ، الجزء لازم يصغي للكلّ. مثل نقطة المي للنهر: نقطة المي ما فيها تكون نهر، ولو كانت بتحوي من كلّ شي من النهر، لكن النهر كلّو نقط مي بمسيرة واحدة. نقطة المي بالنهر هي نهر، لكن نقطة المي اللي خارج النهر هي نقطة مي. إصغِ لمسيرة الكون إنت جزء منها. الكون كلّو بمسيرة حجّ صوب قلب الآب، متل مسيرة الأنهار صوب البحر. ما تقبل تكون خارج هالمسيرة. نقطة المي اللي خارج النهر ما فيها أبدا تصب بالبحر.

إصغِ، وإفهم الحقيقة وخلّيها تنفذ لروحك، كسّر كلّ طبقات القشور وفتّت التراكمات يللي لفّك فيها العالم، وكسيتك وحجبت وج الله عنّك. تنازل وتخلّى عن الأفكار يللي حجبت صوت الله عنّك حتّى ولو البعض منها كوّنك وصنعك. إصغِ بتواضع وخلّي قلبك ليّن وعقلك حرّ. الإصغاء بدون تواضع وإنسحاق مثل الصدى الضايع بالوديان: مهما يكون الصدى قوي بيضلّ الجبل جبل والوادي وادي والحجر حجر. إصغِ بتواضع، افهم الحقيقة بعمق، واشهد بشجاعة.

إصغِ تا تفهم وتعرف، وعيش بحسب الحقيقة اللي عرفتا: ما بيكفي تعرف الطريق تا توصل لازم تمشي عليها. الله بيضوّيلك على الصفحات بس لازم إنت تقرأ، الله بينوّرلك دربك بس لازم إنت تمشي. ويللي بيطلع، بيطلع عاجريه، ويللي بينْزل، بينْزل عاجريه. ومطرح ما بتوصل، إجريك بيكونوا أخدوك.

كون دايما بحالة إصغاء وفحص ضمير دايم، عيد حساباتك كلّ يوم، وغيّر حياتك وجدّدها. إصغِ بتواضع بتسمع وبتفهم الحقيقة والحقيقة بتحرّرك. تحرّر من الحبال اللي مربطّتك: أفكاركن الخاصة ومعتقداتكم الذاتيّة وأهوائكم بتربطكم مثل الحبال اللي بتربط المركب على الشطّ. المركب على الشطّ بالمينا حبالو بتهدّيه وبتعطيه الأمان لكن ما بتسمحلو يبحر. خلّوا كلمة الله تفكفكلكن حبالكن وتقطّش يللي لازم تقطشو حبل ورا حبل حتّى ولو تألّمتوا. ما تسكنوا بقلب أهواؤكم وأفكاركم حتّى ولو عطتكم الراحة والأمان. **الأمان وهم بدون سلام المسيح، والراحة خدعة إذا ما كانت بقلب الله.** ما تخافوا تتحرّروا من الشطّ وتطلعوا من المينا. خلّوا الله يحرّركم، وكلمتو توجّهكم والروح ينفخ أشرعتكم بتوصلوا لشطّ النور. المركب تا يعبر البحر مش تا يبقى بالمينا. تا يبحر المركب ويروح للعمق البعيد، لازم يفك كلّ حبالو، إذا حبل واحد بقي رابطو بيبقى بالمينا. حافظ بس عالحبال يللي بتربط أشرعتك وبتوجّهك وحبال المحبّة والشراكة يللي بتربطك بخيّك الإنسان. **رحلتك بهالعالم هي مشوار قداستك. القداسة حالة تحوّل دائم من المادّة للنور.**

صلّي تا تصغي، صلّي تا تفهم، وصلّي تا تعيش إيمانك وتطبّق وتشهد. صلّي تا تتحوّل لنور. إصغِ بصلا، افهم الحقيقة بصلا، عيش واشهد بصلا. خلّي حياتك كلّها تكون صلا وخدمة: إذا بتصلي بدون خدمة بتعمل من صليب المسيح بحياتك خشبة، وإذا بتخدم بدون ما تصلّي بتكون عم تخدم حالك. صلّي بمخدعك. صلّي بعيلتك. وصلّي بجماعتك الكنيسة. صلّي بمخدعك بحميميّة مع الربّ بتحفظ روحك وبتفتح عقلك على سرّ الله. صلّي بعيلتك بتحفظ عيلتك وبتوضعها بقلب الثالوث. صلّي بجماعتك الكنيسة بتحفظ كنيستك وبتقرّب الملكوت. صلاتك الشخصيّة بإنفراد مع الربّ بتحطّك بقلب الله، صلاتك العائليّة بحضن العيلة بتوضعك بحضن الثالوث، صلاتك الجماعيّة بقلب الكنيسة بتثبّتك بجسد المسيح. صلّي. **الإنسان اللي بيصلّي بيعيش سرّ الوجود، والإنسان اللي ما بيصلّي بالكاد موجود.** تمرّس بالصمت، الصمت المصغي الحيّ البعيد عن سكون العدم. تمرّس بالصمت اندعك بالمحبّة، تخمّر بالقداسة. إصغِ تا تسمع، تواضع تا تفهم، آمن وتشجّع تا تشهد، **وحبّ تا تتقدّس.**

7- بناء الربّ أساسو المسيح

لمّا السراج ينوص بعزّ العتم بيعبّوه زيت، والسراج عم ينوص ونورو عم يخفت والظلام حالك. ملّو سراجكم زيت قبل ما ينطفي وتغرقوا بالعتمة. السراج اللي بتسهروا على نورو اسهروا على زيتاتو. السراج اللي بيسهر عليكم اسهروا عليه. سراجكم عم ينوص وصار نور بيتكم أقرب للظلام. غرقانين بالنظر قدّام عينيكم غافلين عن النور اللي بيضوّي عتماتكم.

نوّروا ظلامكم بسراجكم طالما في ليل، ما تناموا على العتم وتنطروا ضوّ النهار تا يطلع. لمّا بيطلع نور النهار بيبلّش شغل تاني وبتنسئلوا عن شغل الليل. إذا خفت نور سراجك من نقص الزيت، ملّيه زيت، ما تروح

تسهر على نور سراج خيّك وتترك سراجك ينطفي، رح تنسأل عن سراجك اللي كنت عم تسهر على نورو وانطفا. خلّوا النور ضاوي بكلّ سراج حتّى يطلع النهار. السراج بيعبّوه زيت ما بيعبّوه نوايا وأماني ولا بيعبّوه مي بهواني (من هيّن أو باستهتار) اهتم بنور سراجك قبل شغلك وإنتاجك.

عيدوا النظر بأولويّاتكم. صار سلّمكم بالقلب. الدرجة الصغيرة تحت والدرجة الكبيرة فوق.

شوفوا البنّاء الحكيم كيف بيعلا بنيانو: الحجر الأكبر تحت والحجر الأصغر فوق. كتار من البشر هالإيّام عم يبنوا حيطانن بالقلب: ما عادوا عم يعرفوا الكبير من الصغير، ولا الأوّل من الآخر، ولا المهمّ من الأهمّ. والحيط اللي حجرو الأصغر تحت، وحجرو الأكبر فوق بيهوي وبيوقع البنا. كتيرة الحيطان اللي عم تنهار، والمداميك اللي عم تتفكّك من جهل العاملين وكبرياء البنّائين. علّي إنت بنيانك بحكمة: إبني على أساس المسيح، الصخرة الأساسية لكلّ بنيانك اللي بتحمل كلّ مداميكك. حطّ حجارك الكبيرة عند الأساس، وحجارتك الأصغر فوق. إذا بواحد من حيطان بناءك، شفت حجر كبير بالمدماك العالي وحجر صغير عند الأساس، فكّ حيطك كلّو وابنيه من جديد: أفضل تعيد بناءك من الأوّل قدّ ما كان كبير وعالي، من إنّو ينهار ويتهدّم ويسقط على راسك أو على راس إخوتك أو أولادك.

تأكّدوا منيح، إذا ما كان المسيح هو الأساس بكلّ بنيان رح يتهدّم وينهار، وما تنبهروا بالبنيان العالي القايم عالإنسان، رح ينهار قد ما يعلا، ورح يمحيه الزمان. إذا كنت بنيت بناءك كلّو واكتشفت مأخّر إنّو مش مبني عالمسيح رجاع فكّو كلّو وعمّرو من جديد. مدماك مبني عالمسيح أفضل من برج عالي بيهوي من الريح. **بناء الربّ أساسو المسيح، إنتو حجارتو الحيّة والروح القدس هو مفتاح العقد**. المسيح بيحمل كلّ البنيان، والروح بيجمع حجار العقد وبيهدّي كلّ الحيطان. الروح روح المحبّة. المحبّة مفتاح العقد. إذا شلتوا الروح، بتشيلوا مفتاح العقد: بيفرط العقد، بيتفكّكوا الأحجار وبينهار البنيان كلّو. الروح القدس، روح المحبّة، مفتاح العقد اللي بيحفظ العهد. كلّ حجر بالبناء لو مطرحو: كلّ حجر بمدماك في تحتو حجار حاملتو، وحدّو حجار ساندتو وهو ساندها، وفوقو حجار هو حاملها. وكلّ حجر مقصب تا يعبّي مطرحو. الحجر اللي بينقص من البناء بيبقى مطرحو فراغ، لكن بيترك مطرح للشتي والهوا والغبرة والريح. الحجر اللي بينقص مطرحو بيدخل عوامل الخارج للداخل. ما تخلّوا فراغ بين الحجر والحجر، بيطلع البناء ركيك. وما تخلّوا كمان تراب بين الحجر والحجر، بيقوى الشتي وبيعلا الثلج وبينساب التراب وبيتخلخل البناء. قوّة الروح يللي بتجمع حجار البناء مش التراب يللي بيلصقها ببعضها.

إثبتوا ببناء الربّ. ثابروا على بناء الملكوت، كونوا حجارة حيّة بهيكل الرب: الحجر يللي ما بيكون بهيكل الربّ بيبقى حجر بالرجمة، إلو حجم بس ما إلو شكل ولا مكان ولا دور، حجر مرمي بكومة حجار. أترك حالك بين إيدين الربّ البنّاء الحكيم، خلّيه ينجّفك ويقصّبك، يشيل الزايد منّك ويكمّل الناقص فيك، خلّي الربّ يعطيك الشكل والحجم والمكان، إن كنت حجر كبير أو حجر صغير، إلك مكانك اللي إنت مقصّب على قدّو. خلّي الربّ يبنيك بتاخد مطرحك بالمدماك. ما تحطّ حالك بالمطرح يللي بيستهويك: إذا أخذت المطرح أكبر من مطرحك بتبقى نافر وبتخلخل الحيط كلّو، وإذا أخذت مطرح أصغر من المكان المعدّ إلك، بيبقى في حولك فراغ. عبّي مطرحك، حمول اللي فوقك، سنود اللي حواليك، والقي على يللي حاملك. المسيح بيحمل الكلّ والروح بيجمعكم وبيهدّيكم.

8- القداسة هي هدفكم

القداسة هي هدفكم، والكمال بالمحبّة غايتكم النهائية. ما تتوقّفوا عند وسائل القداسة وتعبدوها. لا تعملوا من الوسيلة غاية ولا من الغاية وسيلة. ما تجعلوا من وسائل القداسة هدفكم وغايتكم، ولا تخلّوا القداسة تكون وسيلتكم لغايات ثانية: الصلا تا تقدّسكم، ما تقدّسوا الصلا. الصوم تا يقوّيكم ما تألّهوا الصوم. الإماتة تا تطهّركم ما تعبدوا الإماتات. أناشيدكم تا تمجّد الله ما تمجّدوا أناشيدكم. ما تستبدلوا المسيح بالكلام عنّو بتصيروا تعبدوا كلامكم، ولا تستبدلوا الحقيقة بالتعابير اللي بتعبّر عنها بتصير هالتعابير عنكم هي الحقيقة. ولا مرّة بتكون الكلمة أهمّ من الفكرة اللي عم بتعبّر عنها، ولا الفكرة أهمّ من الحقيقة اللي عم بتفكّرها. ولا مرّة بتكون الخزنة أهمّ من الكنْز اللي حاملتو، ولا مرّة بيكون الكاس أهمّ من الخمر ولا بيت الخبز أهم من الخبز، ولا مرّة الجوهرة أهمّ من القربان.

المسيحيّة مش ديانة ولا هيكل ولنها كتاب ولا معبد، المسيحيّة هي شخص يسوع المسيح بذاتو. المراية يللي بتعكس النور مش هي النور. ميّزوا بين النور والمرايات يللي بتعكسو. ما تركّزوا إهتمامكم على المراية، خلّوا قلبكم بالنور. ما تهربوا من ذاتكم تا تروحو عند الله، ولا تروحوا عند الله تا تهربوا من ذاتكم، الله بدّو ياكم تقدّمولو ذاتكم متل ما هي تا يرفعها ويقدّسها. ما تخلّوا العالم يدفشكم صوب الله، خلّوا الله يجذبكن إلو. ما تسوّدوا بكتاباتكم الصفحات البيضا يللي كتبوها آباؤكم القدّيسين. الحقيقة دايما هي ذاتها. تا تحكي عن الله لازم تكون بقلب الله، ما فيك تحكي عن الله وإنت خارجو. والكلمة جسد مش صوت طاير بالجوّ. كلّ كلمة بدّك تقولها قصّبها بعقلك، انحتها

بروحك، نعّمها بقلبك، نزّلها من تمّك مثل ما بتنَزّل الحجر مطرحو بالمدماك. والكلمة اللي ما بتبني بلاها. ما تحكي إلاّ وقت اللي بيكون كلامك أعمق وأبلغ من صمتك.

ما تخلّي كلامك عن وراء البحار يلهيك عن الإبحار. روحوا صوب الجوهر، ميّزوا بين الجوهري والسطحي بحياتكم، وبين الأساسي والثانوي، بين اللبّ والقشرة. بهالعالم، ما بتعبّوا مي بالسلّة، ولا عنب بالإبريق، ولا تين بالجرّة: مثل ما بتستعملوا أمور هالأرض بذكا لخدمتكم، اعرفوا اعملوا بأمور السما بحكمة من الربّ لخلاصكم ومجد الله. كلّ أرض ولها تربتها ومناخها، لها أوايلها تا تنقبها وتزرعها، ولها نباتها يللي بيزهّر وبيثمر فيها: ما فيك تطحن الصخر بالشوكة، ولا تنقب التراب بالمهدّة، ولا تحطّب بالمعدور. ولا الأرز والسنديان بيطلعوا برمل الساحل ولا الموز والليمون بيطلعوا بصخور الجرد. بالأوايل يللي بإيدك عمول شغلك، ومطرح ما الربّ زرعك زهّر وثمّر. إذا ما تجذّرت ما فيك تتشامخ.

كيّفوا عقلكم مع الوجود، ما تسعوا تكيّفوا الوجود مع عقلكم، الوجود كان قبلكم وباقي بعدكم، الروح وحدو بيكفيكم وبيناغمكم مع الله، بتدركوا عمق سرّ الوجود بنور الروح الأبدي يللي فيكم. ما تسعوا لإدراك الحقيقة بحواسكم بتبقوا محدودين بمحدوديّة هالحواس. اعرفوا إنّو حواسكم تا تحبّوا فيها مش تا تحبّوها: لمّا بتحبّ نظرك، بتصير تعبد المخلوقات اللي بتشوفا، وبتنسى الخالق اللي أبعد من حدود عينيك. ولمّا بتحبّ سمعك، بتصير تعشق ألحان الدني وأصواتها، بتنسى تسمع صوت الله بالصمت اللي ما بيلامس دينيك. ولمّا بتحبّ أنفك بتصير تنقاد ورا عطور الدني بتنسى زهور المرج (مصدر العطر) اللي جبلها الربّ للإنسان بحنانو. ولمّا بتحبّ ذوقك بتصير أسير الأكل والشرب وبتنسى الغذا. ولمّا بتحبّ لمسك بتصير أسير الخارج وبتلتهي عن الداخل. تخطّى حواسك ما تغرق فيها، وانفذ من خلالها للحقيقة مثل ما بينفذ شعاع النور من خلال البلّور.

إذا قسّيت حواسك بتسمك، وبيصير يرتدّ عنها شعاع النور مثل المراية وتعكسلك صور العالم. ما تغرق بحواسّك بيصير فرحها يغشّك، الفرح الحقيقي مش هو فرح الحواس. الفرح الحقيقي هو يللي بيتخطّى حواسّك وبيتجاوزها لقلب النور مطرح ما بتغرق بقلب الله وبتعاين نورو وبتدوب بمحبّتو. تخطّى حواسّك وتجاوزها، تخطّى ذاتك بتلمس طرف النور. كلّ ما بدك تنظر للخارج غمّض عينيك وانظر للداخل بتصير تقشع الخارج أوضح. وكلّ ما بدّك تسمع سكّر دينيك واصغِ لصوت الداخل بتصير تسمع أفضل. **قود إنت حواسّك تا تمجّد الله، ما تخلّي حواسّك تقودك تا تمجّد مخلوقاتو. حبّ حتّى بذل ذاتك: الدمّ هو الحبر الوحيد يللي بتنكتب فيه المحبّة،** والباقي كلّو حبر على ورق. **بالمسيح، كلّ إنسان بيكون كلمة بتم الله تا تصير البشريّة كلّها نشيد محبّة.** والمجد دايما لألله.

9- مستقبلكم هو أوّل يوم بالعالم الآخر

تأمّلوا طيور السما كيف بتبني أعشاشها بتأنّي، وبتوضع بيضها برفق، وبتسهر على فراخها بحنان حتّى يريّشوا ويطيروا وبتحفظ اشجار الربّ. عم تبنوا أعشاشكم وتوضعوا بيضكم، وتفقّسوا فراخكم على أشجار عم يضرب بشروشها الهريان، والسوس عم ينخر بجزعها، والصندل عم يرعى بأغصانها. إذا هويت الشجرة، بيتفرفطوا أعشاشكم، وبيتشتّتوا فراخكم وما بيبقالكم إلاّ أغصان عريانة تلقوا عليها جناحاتكم. عم تتعبوا وتكدّوا تا تبنوا أعشاش متينة ودافية يربوا فيها فراخكم ويريّشوا ويطيروا ويعشعشوا هنّي كمان.

اهتمّوا بالشجرة متل ما بتهتمّوا بالأعشاش. متل ما توكّلتو على أعشاشكم موكّلين كمان على أشجاركم. اهتمّوا بالجذور، اهتمّوا بالجذع، اهتمّوا بالأغصان واهتمّوا بالورق وبيكفيكم كم قشّي وكم حبّة تراب تا ترسموا أعشاشكم، أغصان الشجرة بتحميكم وأوراقها بتغيّيكم. ما تغرقوا بأعشاشكم وتعلّوا أطرافها تا تعطيكم الأمان، اشتغلوا بأمانة الربّ، والربّ بيعطيكم الأمان.

عم تركضوا تا تأمّنوا مستقبلكم ومستقبل أولادكم، تذكّروا دايما إنّو مستقبلكم مش هو آخر إيّامكم بهالعالم، لكن هو أوّل يوم بالعالم الآخر. بتأمّنو مستقبل أولادكم لمّا بتأمّنولن السما. أبناءكم تا تعطوهم الحياة، وما في حياة إلاّ بالمسيح. اعطوا ابناؤكم المسيح، وإذا المسيح ما كان فيك صعب تعطيه لأولادك. إذا إنتو ما تقدّستو كيف بتقدّسوا أولادكم؟! **إذا المسيح مش فيكم كيف بتعطوه لأولادكم؟!** إذا ما أعطيتوهم المسيح، كلّ شي آخر بتقدمولن إيّاه عقيم وزايل، بيزولوا هنّي وبيزول معهم. مش بالمسكن العالي وضمانات هالعالم بتعطوا أولادكم الأمان والمستقبل. أعطوهم قداستكم وصلواتكم بتكفلوا أمانهم بهالعالم ومستقبلهم بالعالم الثاني. عم تسعوا لنجاحكم ولنجاح أولادكم بالحياة: النجاح بالحياة هو الوقوف قدّام الله بدون خجل.

انزلوا على الجذور، اعتنوا فيها وكونوا زاهدين. العمل بالجذور مخفي ما بيبيّن وبيتطلّب جهد وزهد. الناس بتشوف الشجرة ما بيشوفوا الجذور ولا بيشوفوا عملكم، لكن الله اللي بالسما بيشوف وبيبارك. اعتنيوا بالجذور، صونوا الجذع، احفظوا الأغصان، اهتمّوا بالأوراق، حافظوا على الشجرة بيحفظ الله أعمالكم. اعتنوا بالشجرة اللي

عم تحضنكم وتغيّكم وتأويكم من جذورها حتّى أطراف أغصانها، حتّى ولو كان على حساب علو أعشاشكم. الوقت عم يمرق هو ذاتو على الأخيار وعلى الأشرار، إذا الأخيار ما عبّوا الزمن خير، الأشرار بيعبّوه شرّ وبيصير الزمن فارغ. كلّ برهة من عمرك سلّة انحطّت قدّامك تا تعبّيها من حصادك من قطافك وأغلالك، بتبقى قدّامك هنيهة وبتروح وبتصير خلفك وما فيك تردّها للأبد. إذا توقّفت والتفتت خلفك وتأمّلت سلالك الفاضية، وحدها دموع توبتك برحمة الله من نعمة الله بتملّيها، ونعمة الله بتكفيك. وكلّ ثانية هي نقطة من الأبديّة إذا عبّيتها من الله. ما تخلّي العالم يخطف سلال عمرك بتبقى سلالك فاضية، وبتكدّس خلفك كوم قش بيحرقها الزمن وما بيبقى منها شي.

ما تدخل بحوار مع الشيطان، إنهي حديثك معو قبل أوّل كلمة، خلّي حوارك دايما مع الله. حدول سطحك بعد كلّ شتوي وقبل الدلف، لأنّو إذا تكاسلت بتجي العيانات الكبيرة والطوف والثلج وبتتسرّب الميّ للوصالي، وبينهار السقف على راسك وراس أهل بيتك. وقد ما تكون التجربة مغرية ما بتبرّر الخطيّة. عبّوا عمركم من محبّة الله وقدّسوا الزمن اللي إنتو فيه، غلّتكم بتكون حرزانة ومونتكم دايمة. وحدو سيّد الزمن بيقدر يعبّي الزمن. وحدو ربّ الحصاد والغلال بيقدر يملّي سللكم. قدّمولوا سلاّتكم بتكتر غلاّتكم.

10- اعملوا الخير بدون كلل

مسيرة الكون هي ورشة بناء ملكوت الله. بتشبه ورشة بناء هيكل عظيم حجارو من صخور مقالع هالعالم، والبشر هنّي الفعلة بقوّة الله وهنّي البنّائين بحسب مشيئته. بيستخرجوا الحجارة من صخور المقالع بهالدني وبيبنوها حجر ورا حجر، مدماك ورا مدماك، بيعطيها الله الحياة وبيصيروا هنّي حجارة حيّة ببناء الهيكل.

قسم كبير من البشر بيبنوا هياكلهم الخاصة من حجارة بيستخرجوها من صخور وبيدّعوا إمتلاكها، بيبنوا فيها حجر ورا حجر، مدماك ورا مدماك، لكن ما بيقدروا يعطوها الحياة بتبقى ميّتة، لأنّوا الله وحدو بيعطي الحياة. هالناس الزايلين بيتركوا الحجار والصخور والمقالع وبيغادروا هالدني وبتآكل هياكلهم الصغيرة المبنيّة من حجار ميّتة وبتزول مع الزمن. فانيين، لا بيبقوا هنّي ولا بتبقى هياكلهم. وحدو هيكل الربّ أبدي ودايم لأنّو حيّ. ابنو هيكل الربّ الأبدي وكونوا حجارة حيّة فيه، لا تبنوا هياكلكم الصغيرة الموقتة من حجارة ميّتة بيفنيها الزمن. اعملوا بمثابرة وفرح وتضامن ومحبّة، اعملوا بصبر وتواضع وبطاعة لربّ الهيكل. لأنكم عم تشتغلو بقوّتو، إبنوا بحسب مشيئته.

اعملوا الخير بدون كلل. ما تسعوا ورا الراحة، الراحة خطر كبير عليكم. إذا شفت فاعل مش عم يعمل شغلو، لا تنتقدو ولا تدينو ولا تلعنو، مسوك معدورك أو منجلك وكفّي شغلك، شغلك رح يخلّيه يشتغل، البناء إلك وإلو، والحصاد إلك وإلو، وكلّهم لربّ الهيكل وإله الحصاد. انظر لخيّك الإنسان نظرتك لذاتك. كلّ شي بتشوفو بخيّك الإنسان فيه منّو فيك، لأنّو كلّ إنسان هو إنت مع شويّة فروقات. وبدل ما تحكي على خيّك روح إحكي معو أو التزم الصمت المحبّ. لا تدين أبدا ولا تحكم على يللي بتشوفو عينيك، ما تحكم على المي اللي بتشوفها بالإناء، ما فيك تعرف بعينيك إذا كانت حلوة أو مالحة، عذبة أو مدقة، وخوابي الخمر من برّا كلّها متل بعضها ولو الخمرة بقلبها بتختلف. انظر بعينيك للخارج وانظر بقلبك للداخل. القلب ما بيدين.

ما تدّعوا المعرفة المطلقة وتبنوا هياكل على حجم معرفتكن بتنهار على رؤوسكم وبتقتلكم. المعرفة بدها محبّة تا تصير فهم. قد ما بتعرف إذا ما بتحبّ ما رح تفهم حتّى لو بتعرف كتير. المحبّة أعظم من الذكاء. منطق المحبّة أسمى من منطق الذكاء. المعرفة الخالية من المحبّة فارغة من الروح مدمّرة للإنسان. الأرض كوكب مقدّس وطأته أقدام إله الكون ونوّرته أنوار الروح وقلب الله عليه.

البشر بمعرفتهم الخالية من المحبّة جعلوا الأرض مريضة: صار أكلهم سمّهم وشرابهم عطشهم، دواؤهم مرضهم، هواهم عم يخنقهم، راحتهم تعب، وسلامهم قلق، فرحهم حزن وسعادتهم عذاب، حقيقتهم وهم ووهمهم حقيقة، وصار نورهم ظلام. صار عند البشر معرفة أكثر وحكمة أقلّ. صارت النظريّات بعقولهم مثل الضبابة على الجبال وبالوديان ما بتخلّيهم يقشعوا شي متل ما هو: نظريّاتهم عم تحجبلهم نظرهم. عماراتهم عم ترتفع، أخلاقهم عم تنخفض. مقتناياتهم عم تزيد، قيمهم عم تنقص. حكيهم عم يزيد، صلاتهم عم تقلّ. مصالحهم عميقة، علاقتهم سطحيّة. واجهاتهم مليانة، داخلهم فارغ. طرقاتهم عم توسع، رؤيتهم عم تضيق. طرقاتهم كثيرة بس مش عم تودّيهم لعند بعضهم. وسائل إتصالاتهم عديدة بس مش عم توصلهم ببعضهم. أسرتّهم كبيرة ومتينة ومريحة، وأسرهم صغيرة ومفكّكة وتعبانة. بيعرفو يسرعو ما بيعرفوا ينطروا. بيركضوا تا يدبّروا معيشتهم، بينسوا تيدبروا عيشتهم وحياتهم. بينطلقوا بسرعة للخارج بيهملوا الداخل. سجناء عم يتباهوا برفاهيّة سجونهم، تايهين بيتباهو بالمسافات اللي اجتازوها، أموات عم بيفاخروا بفخامة قبورهم، عم يموتوا من الجوع وقاعدين على معاجن الخبز، فقراء وقاعدين على كنوز طمروها بأنفسهم، ليش عم تنزلوا تحت الطاولة تا تاكلوا الفتات المتساقط والمايدة ممدودة كلّها إلكم. البشر عم يزرعوا الأرض شوك، هلق ناعم عم يدغدلهم إجريهم، لكن بس ينما ويعسى رح يمزق أقدام

الأجيال اللي جايي. بتحطّبوا وبتكدّسوا وبتشعلّوا وبتوقدوا وبترموا أنفسكم بالنار اللي بتضرموها، وبستغربوا كيف عم تحترقوا!؟ البشريّة ضايعة، الإنسان مريض، والعالم عم يحترق.

الله محبّة هو الهدف والدليل للبشريّة الضايعة، المسيح هو الدواء للإنسان المريض، ماء المعموديّة بالروح هو يللي بيطفي حريق العالم. أبنوا كلّ معرفة على المسيح، كلّ معرفة مبنيّة خارج أساس المسيح بتهلككم. المعرفة بدون روح جهل. البنا المبني على الإنسان كلّ ما يعلا كلّ ما يسحق الإنسان تحتو. **بيضلّ الإنسان عايش بالكآبة والقلق ما بيكتفي ولا بيرتوي حتّى يتوحّد مع ذاتو بقلب الله**. اوصلوا لعند بعضكم، انظروا لبعضكم، اصغوا لبعضكم، سلّموا على بعضكم، عزّوا بعضكم بكلام المحبّة والتشجيع، اطلعوا من ذاتكم لعند بعضكم، احضنوا بعضكم بمحبّة المسيح. اشتغلوا بحقل الربّ بدون كلل ولا ملل، خلّوا أصوات معاديركم تتلّي الوديان وتعلا على صوت ضجيج العالم، وخلّوا أصوات مناجلكم تذكّر الناس بموسم الحصاد. خلّوا صلواتكم للربّ تشقّق الصخور الطرشا، وتفجّر الينابيع الخرسا، الصخور بتسمع الصلا والينابيع بتحكي، وكلّهم بيصلّوا وبيمجّدوا الله.

11- اسلكوا درب القداسة بفرح القيامة

ماشيين على دروب حياتكم حاملين أثقال وأعباء وهموم كثيرة، حاملين جرار وجرار شي بعازة وشي بلا عازة، وموزعين كنوزكم بكل جراركم، خالطين كنوزكم بقشوركم، ما عدتو تعرفوا كنْزكم وين ولا بأيّ جرّة، وجرار بتوقع وبتنكسر وكنوز بتنهدر، لا بتشوفوا ولا بتدروا على عجقة جراركم، وناس بيهدروا كنوزن على دروب حياتن وبيوصلوا محمّلين فخّار. كلّ جرّة حاملينها وما فيها من كنْزكن بتكون مليانة لهو وحمل زايد بعيق مسيرتكم وبيتعبّكم. تخلّوا عن جرار السخرة اللي بيسخركم إلها العالم، ولو كنتو حملتوها مشوار طويل وتعبتوا عليها وتعذبتوا فيها ويمكن تعوّدتوا عليها. اعرفوا وين كنْزكم وحطّوا فيه كلّ قلبكم. حطّ كنْزك كلّو بجرّة واحدة واحملها منيح. بتحفظ كنْزك وبتوصل مليان.

جرّة واحدة حمول: جرّة المسيح وهو بيكنِزلك ياها محبّة وبيحملها معك. قد ما تنتلي بتضلّ تساع. وقد ما تتقل بتضلّ خفيفة. وكلّ الجرار الباقية كلّها فخّار ولو كانت فاضية بتبقى تقيلة وبتحنيلك ضهرك. اختار إنت دربك بهالدني، ما تخلّي دروب الدني هي تختارك، وما تحمّل جرار هالعالم اللي بيحمّلك ياها تا يلهيك ويتعبّك. كلّ ما تكتر جرارك كلّ ما تبعد عن جارك. كلّ جرّة بدها مسافة، وكلّ ما يكتروا جرارك بتزيد حولك المسافات وبتصير تبعد عن خيّك تا ما يصطدموا الجرار ببعضن ويتكسّروا. بتصير الجرّة أهمّ من خيّك. تا تحافظ على جرارك بتخسر خيّك وجارك. اعرف إنّو كنْزك ثمين كتير لكنّك حاملو بفخّارة. وكلّ خيّ إلك كنْزو ثمين وحاملو كمان بفخّارة. بتصنع جرّتك بإيدك وبتتكعوك بقلبها، بتقعد بقلب الجرّة وبتقول الدني فخّار، اللي بيقعد بقلب الجرّة بيشوف الدني كلّها فخّار. اطلع من جرّتك وشوف الدني متل ما هي مش متل ما إنت ابتدعتها بقلب جرّتك.

كلّ واحد يملّي جرّتو من كنْز المسيح لأنّو هو وحدو الكنْز الحقيقي. **تا تفهم خيّك الإنسان، ما تروح صوبو بنظام فكري شغل عقلك، روح صوبو بمحبّة من روح الخالق حطّها بقلبك.**

كونوا حبّات قمح مليانة على بيدر الربّ، لمّا المدراية بتعمل فيكم وبترميكم بالجو تا تنقّيكم بتكونوا تقال وبتهبطوا على البيدر تا تتجمّعوا بأهراءات الحياة، ما تكونوا حبّات فارغة خفيفة متل قشّ التبن بياخدها الهوا وبيدرّيها خارج البيدر وبيشتّتها. وتأكّدوا إنّو ما في شي بيملّيكم وبيعطيكم وزن إلاّ المسيح. انتلوا من المسيح بتبقوا على البيدر وبتتجمّعوا. وطالما إنتو على البيدر رح تضلّ المدراية تدرّيكم والتبن والقشّ يطير لبعيد. على البيدر كلّ حبّة قمح بتبقى لوحدها حتّى ولو انجمعت مع بقية الحبّات إخوتها بالمكيال والشوال.

حجر الطاحون والمي والنار بيعملوا من حبّات القمح كلّها طحنة واحدة ورغيف واحد. من الحقل للرغيف المشوار طويل: صلّوا للمنجل يللي بيحصدكم، وللمورج يللي بيدرسكم، والبيدر يللي بيجمعكم، والمدراية يللي بتنقّيكم، وحجر الطاحون يللي بيطحنكم، والمي اللي بتعجنكم، والنار يللي بتخبزكم. **درب القداسة من الحقل للرغيف، من التراب للنور، من المزود للصليب والقيامة: اسلكوه بفرح القيامة.**

12- القداسة مش حظ القداسة خيار

بيفتّشوا البشر على آيات تا يآمنوا ويشوفوا، وعلى رسائل تا يسمعوا ويعرفوا وعلى طريق تا يمشوا، ويوصلوا للخلاص والسعادة.

الآية هي القربان، العلامة هي الصليب، الرسالة هي الإنجيل، والخلاص بالكنيسة.

1- أهمّ وأعظم وأقدس علامة هي علامة الصليب، الصليب هي علامة محبّة الله لإلكم، خلّوه كمان يكون علامة محبّتكم لأالله. علامة الصليب علامة محبّة مش علامة تحدّي. ونور هالعلامة رح يشعّ بكلّ العالم.

2- خلاص البشريّة بالكنيسة، الكنيسة هي يللي حاملي مشروع الخلاص يللي بدؤه المسيح من ألفين سنة وما بينتهي قبل نهاية العالم، كلّ أمواج الشرّ رح تتحطّم على صخرة الكنيسة. إلتزموا إلتزام كامل بالكنيسة وبكلّ تعاليمها ولا تنقّوهم تنقاية.

3- أهمّ وأعظم رسالة هي رسالة الإنجيل يللي بتحمل تعليم المسيح، ولا حرف من كلامو بيزول قبل زوال العالم. يللي ما بيعرف الإنجيل بيبقى جاهل وعايش بالظلام ولو عندو كلّ معرفة الدني. ويللي ما بيعيش الإنجيل بيكون مش عايش، ولا تحرّفوا تا تبرّروا (حالكم). حقيقة الإنجيل بتبقى دايما هي هي.

4- أهم وأعظم آية هي القربان المقدّس، جسد المسيح، حمل الفصح الحامل خطايا العالم، الإله الحي القائم من الأموات.

عبث تفتشوا عن علامات أهمّ من علامة الصليب، ما تطلبوا رسايل بتعتقدوا إنّها أهمّ من رسالة الإنجيل، ما تفتشوا على خلاصكم خارج كنيسة المسيح، ما تلتهوا تركضوا ورا آيات تبهر عيونكم أعظم من آية القربان المقدّس. ابتعدوا عن السحر الخدّاع لأنّو بيودّيكم إلى الفراغ.

العلامة يللي ما بتدلكم على علامة الصليب تجنّبوها. الرسالة يللي ما بتنبع من رسالة الإنجيل اهملوها. العجيبة يللي ما بتودّيكم للقربان ارذلوها. وبالكنيسة كلّها بتميزوها. بالصليب والكنيسة والإنجيل والقربان بتتقدّسوا. الله خلقكم تا تتقدّسوا مش تا تموتوا. **القداسة مش حظّ القداسة خيار**، ما تنطروها تهبط وتجي لعندكم من الخارج، لازم تعيشوها وتحقّقوها من الداخل. ملكوت الله بقلبكم. **القداسة نعمة وإرادة: النعمة من عند الله والإرادة من عندكم**. إنت قدّيس بالقوّة، اجتهد تا تكون قدّيس بالفعل.

13- المحبّة نور بيشع

المحبّة مش تعلّق، لأنّو المحبّة حريّة والتعلّق عبوديّة. أللّه حريّة. المحبّة مش عاطفة بشريّة، المحبّة قوّة خلق إلهيّة وقوّة قيامة سماويّة. المحبّة مش غريزة نابعة من الحواس الماديّة، هيّ قوّة حياة نابعة من الروح. المحبّة مش عادة ميتة بتربطنا وبتعلّقنا هيّ قوّة تجدّد دايم بتحيينا وبتحرّرنا. المحبّة مش شعور موجّه باتجاه معيّن، المحبّة نور بيشع بكلّ الإتجاهات. أللّه مش شعور، أللّه مش عاطفة، أللّه مش عادة، أللّه مش تعلّق، أللّه مش فكرة. أللّه حقيقة، أللّه حياة، أللّه خالق ومعطي الحياة.

المحبّة ما بتطلب ثمن، أو مقابل لعطائها ذاتها. المحبّة دايما بتروح للآخر. المحبّة اللي بتنبع من الإنسان هدفها ترجع لعند الإنسان ذاتو اللي بتنبع منّو. الإنسان بس يحبّ من ذاتو بيحبّ لذاتو مهما كان نوع محبّتو وقوّتها. المحبّة اللي بتنبع من أللّه وبيستمدّها الإنسان منّو هدفها الإنسان الآخر. إذا محبّتك من أللّه يعني لخيّك الإنسان، وإذا محبّتك منّك يعني إلك. الإنسان اللي محبّتو منّو، بيحبّ ذاتو بالآخرين، وبيفكّر إنّو بيحبّهم. ما تخلطوا أبدا بين المحبّة والرغبة، وبين المحبّة والعاطفة، وبين المحبّة والعادة، وبين المحبّة والتعلّق.

14- اعترف بخطاياك بتقتل الشرّ اللي فيك

لمّا ارتفع يسوع سقط الشيطان. المعمشق فيه من البشر رايح معو، واللي واقف بدربو معرّض يوقع. لا تتعمشق فيه ولا توقف بدربو. كلّ همّو يزوّر صورة الله بذهنك وبقلبك ويزوّر صورتك بنظرك. بدّو ياك تعرف الله غلط وتشوف حالك غلط. بيزوّر وبيشوّه وبيخدع: بيجرّب يكبّرك وقت اللي لازم تصغر، ويصغرك وقت اللي لازم تكبر. بيجرّب يوقّفك وقت اللي لازم تمشي، ويمشّيك وقت اللي لازم توقف. تحكي وقت اللي لازم تسكت، وتسكت وقت اللي لازم تحكي. بيحاول يقنعك تسرع وقت اللي لازم تبطئ وتمشي ببطء وقت اللي لازم تسرع... بكلّ الحالات بدّو يخدعك. الشيطان هو المخادع الأكبر، المزوّر الأعظم، غشّاش خبيث، بالكذّاب وأبو الكذب نعتو الربّ المعلّم.

ولا مرّة الشيطان بيجي بصورتو الحقيقيّة، أبدا ما بيجي بصورة بشعة، هو بيعرف الإنسان شو بيحبّ ولشو بينجذب، وبيجي بيلّي بيحبّو كلّ إنسان وبينجذب إلو: بيحكيك إشيا بتحبّ تسمعا، وبيفرجيك إشيا بتحبّ تشوفها، بيعطيك إشيا بتحبّ تلمسها، وبيطعميك إشيا بتحبّ تدوقها.

لمّا يزوّروا المخادعين الذهب بيزوّروا بشي بيشبهو أصفر وبيلمع، وكذلك تا يزوّر الشيطان صورة الله المحبّة بحياتك بدّو يستعمل الإشيا اللي بيسمّوها البشر محبّة وبيخلطها مع الله المحبّة. أحاسيس الغريزة ومشاعر العاطفة وروابط التعلّق والعادات المستعبدة بيستعملها الشيطان تا يخلط على الإنسان حقيقة الله المحبّة المُحْيِيَة.

كلّ همّ الشيطان يعرقل اللي ماشيين طلوع صوب الربّ. وعلى طريقك صوب الربّ الشيطان بدّو:

1- أو يزيحك عن الطريق: بيخلقلك هدف تنجذب إلو وتتوجّه صوبو تا تشرد وتضيع

2- أو يوقّعك تا توقف: بينصبلك فخّ تا توقع فيه

3- أو يرجّعك لورا: بيتعبّك وبيأّسك تا تتراجع وترجع. المهمّ عندو إنّك ما توصل.

كلّ شي بيجمع وبيوحّد عالخير بيكون من عند الله، وكلّ شي بيقسّم وبيفرّق بيكون من عند الشيطان. الشيطان بيتسلّط عالإنسان بواسطة أمور هالدني، كلّ ما الإنسان بيتخلّص منها كلّ ما يتحصّن ضدّ الشرّير، وكلّ ما يتعلّق فيها بيكون تحت سلطان الشرّ. الشيطان سيّد هالعالم. كلّ ما تغرق بالعالم كلّ ما تكون تحت سلطانو، وكلّ ما تتحرّر من العالم كلّ ما تتحرّر منّو. ما تنسوا إنكن إنتو مش من هالعالم، ما تغرقوا فيه، اعبروا فيه، إرتفعوا عنه، وارفعوه للربّ بقوّة المسيح المرتفع عا الصليب.

الشيطان بيضحّك الإنسان بالأوّل، تا يبكّيه بالآخر. ودايما بياخد الإنسان على جهنّم هو والإنسان عم يضحك، ولكن هونيك البكاء وصريف الأسنان. الإنسان اللي عم يضحك هلّق مع الشيطان، حتما رح يبكي بالآخر. الله يمكن يبكّيك بالأوّل، لكن مع الله دايما بتضحك بالآخر. دايما الله بيبكّيك تا يأدّبك، بيجي الشيطان تا يضحّكك ويبعّدك عنّو، ولمّا الله بيضحّكك، بيجي الشيطان تا يبكّيك، ما تخلّيه يخدعك. الشيطان بيكره صورة الله وبيكره الإنسان اللي عم ياخد صورة الله وبدّو يشوّه هالصورة اللي فيه. الطريقة الوحيدة تا يشوّه إبليس صورة الله بالإنسان هي إنّو يوقّف عمل روح الله اللي فيه. ساعتها الصورة الوحيدة اللي بتبقى بهالإنسان هي صورة الحيوان. رغبة الشيطان إنّو يعطي للإنسان صورة الحيوان.

السلاح الأساسي الأوّل ضدّ الشيطان هو الصدق. **كلّ كلمة صدق بتقولها هي سهم بترميه بقلب الشرّير. وكلّ إعتراف صادق بالخطيّة هو رمح بتخرق فيه قلبو.**

والسلاح الأساسي الثاني هو التواضع. الصدق والتواضع يعني الإعتراف. **اعترف بخطاياك بتقتل الشرّ اللي فيك.**

كلّ همّ الشيطان إنّو يلهيك عن الله. انتبه! بيحاول يلهيك عن الله حتّى بأمور الله: بيلهيك عن معنى الكلمة اللي عم تصلّيها بالكلمة ذاتها، بيلهيك عن تسبيح الربّ بلحن النشيد اللي بتسبحو فيه. بيلهيك عن الله بالصلا يللي عم بتصلّيلو ياها. تذكّر منيح إنّو ما فيك توقف بوجه الشيطان إذا ما فيك تركع قدّام الله. الشيطان ما بيجي من الشبابيك والطوق اللي سهران عليها ومسكّرها منيح. الشيطان بيجي من الباب اللي فاتحو تا تستقبل منّو.

15- الحركة والحياة

في فرق كبير بين الحركة والحياة. فيه الإنسان يكون بحركة بدون ما يكون فيه حياة. وفيه كمان يكون فيه حياة بس ما فيه حركة. الإنسان حركة وحياة. الكون بمجرّاتو ونجومو ومخلوقاتو الكثيرة كلّو حركة بس مش كلّها فيها حياة. الحياة بس بالله الخالق. الله هوّي الحياة.

كلّ حركة بالكون محكومة بالموت لكن الحياة أبديّة. كلّ حركة إلها نهاية مهما كانت عظيمة، لكن الحياة ما إلها نهاية. الحياة أبديّة لأنّو الحياة أله، وأله أبدي. والحركة بتزول لكن الحياة ما بتزول. الإنسان فيه حركة وحياة، الحركة محدودة بالمكان والزمان، لكن الحياة ما بيحدها لا زمان ولا مكان. حركة الإنسان محكومة بالموت وإلها نهاية مهما طالت، لكن الحياة اللي فيه أبديّة.

المسيح إجا تا يعطينا الحياة، وتا يقدّس الحركة اللي فينا. المسيح بيعطينا الحياة الأبديّة لأنّو إبن الله والحياة من الله. **بدون المسيح حركتنا محكومة بالموت الحتمي. ومع المسيح إلنا الحياة الأبديّة.** وما في بين الإثنين: أو موت أو حياة. قدّسوا الحركة اللي فيكن بالحياة من يسوع المسيح. ما تسعوا للخلود بهالعالم بزمن هالكون بتمديد حركتكن بالزمان للأبد، لأن حتّى الزمن محكوم بالموت وإلو نهاية. الخلود بس بالحياة الأبديّة بيسوع المسيح، وما في حركة خالدة أبديّة بالزمان لأن الزمان كلّو مش أبدي.

16- كلّ عيلة هي عيلة مقدّسة

العائلة البشريّة على الأرض هيّ صورة العائلة الإلهيّة في السماء. العائلة هيّ التي تنقل مشروع الله من جيل إلى جيل. هيّ التي تنقل محبّة الله وكلمته عبر الأجيال. إنهيار العائلة يعني إنهيار مشروع الربّ في البشريّة. يعني انقطاع رسالة الخلاص والقداسة عن البشر. **كلّ عائلة هي عائلة مقدّسة لأنّها صورة الله الثالوث.** تشويه العائلة يعني تشويه صورة الله. العائلة التي تحمل مشعل النور وتنقله من جيل إلى جيل كي يبقى العالم منوّر بنور الربّ.

العائلة هيّ الحبل الذي يربط البشريّة ببعضها البعض عبر الزمن، ويربط الأجيال عبر التاريخ، كي تنمو البشريّة وتكبر. وإذا انقطع هذا الحبل الذي يربط البشريّة ببعضها، وتنفصل عن تاريخها، تصير أجيالا ضائعة ما لها تاريخ ولا هويّة. العائلة هي التي تعطي البشر هويّتهم البشريّة. وتطبع فيهم صورة الله. العائلة هيّ التي تحفظ ذاكرة البشريّة. البشر بلا عائلة، بشريّة بلا ذاكرة. الإنسان الذي بلا ذاكرة يضلّ يبرم في مكانه، وبشريّة بلا ذاكرة تتوقّف في التاريخ وتموت.

العائلة هيّ الأساس بمشروع الربّ. وكلّ قوى الشرّ موجّهة كلّ شرّها لتدمير العائلة، لأنّها تعرف أنّه بتدمير العائلة تتزعزع أساسات مشروع الله. حرب الشرير على الربّ، هيّ حربه على العائلة، وحرب الشرّير على العائلة هيّ لبّ حربه على الربّ. لأنّ العائلة صورة الله. من بدء تكوين هذا الكون، والشرّير يركّز على تدمير العائلة، أساس مشروع الله.

العائلة هي المكان الذي يتّصل فيها الإنسان مع الله، ومع إخوته البشر. بدون العائلة، ينقطع هذا الإتصال ولا شيء أبدا يعوّضه، وإذا حاول الإنسان إعادة ربط الإتصال المقطوع، بوسائله البشريّة، يصبح هش وركيك ومعوجّ، وتصير البشريّة مريضة ومشوّهة ذاهبة صوب الموت البطيء.

صونوا عائلاتكم واحفظوها من كيد الشرّير بحضور الله فيها. صونوها واحفظوها بالصلاة والحوار، بالتفاهم والغفران، بالصدق والأمانة، والأهمّ بالإصغاء. إصغوا لبعضكم البعض بآذانكم وعيونكم وقلوبكم وأفواهكم وراحات أكفّ إيديكم، وأبعدوا هدير ضجيج العالم عن بيوتكم لأنّه مثل العاصفة الهوجاء والموج العاتي، عندما يدخل إلى البيت يجرف كلّ شيء ويفرّق الكلّ. **حافظوا على دفء العائلة، لأنّ دفء العالم كلّه لا يقدر أن يعوّضه.**

من 5 رسائل متبقّية من كلمات مار شربل

عصا الراعي تا يقود فيها القطيع ويحامي عنّو فيها ضد الدياب ووحوش الغاب، عصا الراعي الصالح بتبقى بإيدو عصا ولوكانت صولجان. بعكور السنديان بإيد الراعي الصالح بيصير مثل الصولجان، والصولجان المرصّع بيبقى بإيدو مثل بعكور سنديان. الكشتبان المليان والدست المليان مثل بعضهم. إن كنت دست أو كشتبان المهم تكون مليان. إسعى دايما للملء مهما كان حجمك.

ما تتلهو بالإشياء الخارجية الإشيا اللي حواليكم وقدّامكم ووراكن أقل قيمة بكتير من الإشيا الموجودة بداخلكن. دايما الحقيقة بترتفع لمّا العالم بينهار. العالم ولا مرّة بيعطيك دايما بيسلّفك. الله وحدو بيعطي. ما فيك ترفع الناس أعلى منّك. فيك تطلع وتشدّن صوبك، وكلّ ما تطلع شدّ إخوتك صوبك. المسيح رفعك لمّا ارتفع، بترفع إخوتك لمّا بترتفع إنت بقوّة المسيح. لمّا بتنجذب صوب المسيح بتجذب الناس اللي حواليك.

ما تعرضوا أرواحكم للبيع بأسواق هالعالم. أرواحكم ثمينة كثير، مهما كان الثمن اللي بيدفعلكم ياه العالم بيبقى رخيص كثير وبخس قدّام قيمتها الحقيقيّة. ما تبيعوها، العالم ما بيقدر يدفعلكم ثمنها لأن ثمنها دم المسيح اللي اندفع بالكامل على الصليب. ملكوت الله مسيرة مش هدف، بتحقّقه فيك بقوّة الروح، خطوة خطوة، يوم ورا يوم، بالتفاصيل الصغيرة اللي بتملّي ثواني عمرك ثانية ورا ثانية. التأمّل إنّك تتطلّع بالإشياء مثل ما هي، مش مثل ما هي مرسومة بذهنك أو مثل ما إنت بدّك ياها تكون.

بتحبّ فكرتك عن الشخص مش الشخص بذاتو، وبتكره فكرتك عن الشخص مش الشخص هو نفسو. انتبه، لا تدين ولا تحطّ براسك أفكار مسبقة وأحكام عن أيّ شخص. الأحكام المسبقة هي قزازات ملوّنة بتحطّها على عيونك وبتصير تشوف كلّ إنسان بلون قزازاتك مش بلونه الحقيقي. حطّ براسك حكمة الطبيعة وبقلبك جمالها وبروحك قوّة تجدّدها الدايم.

بس تغلّط قول غلّطت. قرّ بغلطتك، إعترف فيها، وصلّح قد ما بتقدر. الغلط اللي بتعترف فيه وبتصلّحو بيكبّرك ما بيصغّرك. صلّح اللي بتقدر تصلّحو والباقي بس تعترف فيه لألله هو بيصلّح اللي إنت ما فيك عليه وبيعوّض اللي إنت ما فيك تعوّضو... وما تبرّر غلطك بنيّاتك السليمة: نيّاتك السليمة ما بتكفي تا توصل عا السما، لازم تكون أعمالك سليمة مثل نيّاتك. المهمّ ثمار أعمالك ونتايج أقوالك مش سلامة نيّاتك. النيّة السليمة هي حجّة الجاهل. والجهل مثل النوم: ما بتعرف إنّك كنت فيه إلاّ لمّا بتطلع منّو. وعّي النايمين، بس لمّا بيوعوا رح يعرفوا إنّهم كانوا نايمين. ما تحكي مع نايم، مش رح يسمعك، وعّيه وإحكي معو.

كل ما تكبر القداسة بالإنسان كلّ ما يبطّل يشوفها، ولمّا يلاحظ الإنسان القداسة اللي فيه بتكون بطلت. بروم الكلمة براسك مثل ما بيبرم الرامي الحجر بالمقلاع وما بيفلتو إلاّ ما بيتأكّد من هدفه. الكلمة من تمّك مثل الحجر من المقلاع إذا انطلقت ما بيعود فيك تردّها. إذا كلمتك ما رح تصيب هدفها لا ترميها لأنّها بتئذي. الكلمة اللي ما بتصيب أكيد بتئذي. وتجنّب تحكي الكلمات اللي إلها عدّة تفسيرات، إحكي الكلمة اللي إلها تفسير واحد بسّ. وكون مثل صالح أفضل من إنّك تعطي نصايح صالحة. كلّ مرّة بتشوف غلط بدل ما تلوم بالحكي صلّح بصمت.

الحجر بالبريّة تحت الشمس، أو بالنهر مغمور بالميّ، أو مغطّس بالعطور، أو منقوع بالبخور أو مطلي بالألوان رح يبقى حجر. الصخر ما بيطلع منّو إلاّ دبش وحجار وبحص ورمل. وقد ما ينعم بأحسن حالاتو بيعطي غبرة. إنّك تكون قدّيس شي، وتبيّن إنّك قدّيس شي تاني مختلف تماما. بيجوز الواحد بدون التاني.

ميّز دايما بين رغباتك وحاجاتك، الإنسان بيرغب كثير إشيا ما بيحتاجها وبيحتاج كثير إشيا ما بيرغبها. ثروتك بتنقاس بقلّة حاجاتك مش بكثرة مقتنياتك. كلّ شي بتعتقد إنّك بتملكو بهالعالم، بالحقيقة بيكون هو بيملكك. وكلّ شي بتفكّر إنّو تحت سيطرتك بهالدني، بالحقيقة بيكون هو مسيطر عليك. وكلّ شي بهالعالم بتكون سيّد عليه بتكون فيه شريك الشيطان. إنت بهالعالم تا تعطي وتخدم مش تا تتملّك وتسود. فرق كبير بين التورّط والإلتزام: عيش الإلتزام بالكنيسة مش التورّط بالجماعة. الإتجاه اللي رايح فيه أهمّ بكثير من السرعة اللي رايح فيها. شو نفع السرعة والركض إذا الإتجاه غلط. ما تبلّش شي على الأرض إذا ما رح ينتهي بالسما. وما تمشي طريق عالأرض ما بتوصّل عالسما.

حواسك الخمسة ناقصة، الإحساس هو اللي بيكمّلها. ما فيك تروح عالقداسة بدون ما تمرق بالإنسانيّة. الإشيا اللي بتصير فيك أهمّ بكثير من الإشيا اللي بتصير معك. ميّز دايما بين الفرصة والتجربة، إنتهاز الفرصة غير الدخول بالتجربة. إنتهاز الفرصة مبادرة للخير، الدخول بالتجربة إنحدار للشرّ.

الخطية مثل السمّ. لمّا بتخطي كأنّك شربت سمّ، إنت اللي رح تتسمّم مش مهمّ كيف شربتو ولا مين اللي ناولك إيّاه. بس تتسمّم وتموت ما بينفع تحطّ اللوم على حدا. الإنسان الجاهل بيضلّ مكبّش بالتراب تا يصير تراب، والإنسان الحكيم والواعي بيضلّ مكبّش بالسما تا يصير بالسما. المطرح اللي بتتعلّق فيه بتصير منّو. كلّ اللي بيدخل عليك وبتاخدو هيدا مش إلك. كل شي بيطلع منّك وبتعطيه هو إلك. وإنت ما بتنقاس بيللي بيدخل عليك، بتنقاس بيللي بيطلع منّك. اللي بيدخل عليك هيدا مش إنت، اللي بيطلع منّك هو إنت. بقوّة الروح اللي بتستمدّها بصلاتك، حوّل كلّ اللي بيدخل عليك وما بتملك منّو شي، لقداسة بتطلع منّك وبتملّكك كلّ شي.

عا طريق الربّ، بس ترجع لورا فشخة الشيطان بيرجّعك عشرة، وبس تقدّم لقدّام فشخة ربّنا بيقدّمك ميّة. اللي بيقضّي كل حياتو يربّع جرس الكنيسة مش ضروري هو اللي بيفوت عالسما وبيخلّص نفسو. الأفضل يسمع جرس ضميرو لمّا يدقّ عالخطية. كتار يللي بيربّعو جرس الكنيسة حتّى ما يسمعوا جرس ضميرهم. ما تاكل تا تشبع، كول بس تا تبطّل جيعان. لأنّو الإنسان بيعرف أيمتى بيبطّل جيعان، بس ما بيعرف أيمتى بيشبع. شبع الإنسان ما إلو حدود. طعم العفّة أطيب من طعم الجنس. مش الخمر اللي بيسكّر الإنسان، الإنسان هو اللي بيسكر.